الإعجاز في تناسق الصوت والمعنى في المفردة القرآنية

إعداد الطالب

محمد رضا حسن الحوري

إشراف

أ.د. محمد إبراهيم الشافعي مشرفاً رئيسياً

أ.د. سمير شريف استيتية مشرفاً مشاركاً

حقل التخصص – التفسير وعلوم القرآن

٦ / ٥ / ٢٠٠٨م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإعجاز في تناسق الصوت والمعنى في المفردة القرآنية

إعداد

محمد رضا حسن الحوري

ماجستير تفسير وعلوم القرآن، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراة الفلسفة

في تخصص التفسير في جامعة اليرموك، اربد، الأردن

وافق عليها

محمد إبراهيم الشافعي.................................. مشرفاً رئيساً

أستاذ في التفسير وعلوم القرآن، جامعة اليرموك

سمير شريف استيتية.................................. مشرفاً مشاركاً

أستاذ في علم الصوتيات، جامعة اليرموك

محمد علي الزغول .... عضواً

أستاذ في التفسير وعلوم القرآن، جامعة آل البيت

عبد الرزاق موسى أبو البصل.................................. عضواً

أستاذ مشارك في الكتاب والسنة، جامعة اليرموك

فايز عارف القرعان .... عضواً

أستاذ مشارك في البلاغة العربية، جامعة اليرموك

عبدالله محمد الجيوسي .... عضواً

أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن، جامعة اليرموك

تاريخ مناقشة الرسالة ٦/ ٥/ ٢٠٠٨م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى أولئك الذين ارتشفوا من ضرب القرآن، وغرفوا من عبابه،

ونهلوا من معينه؛ فعاشت فيه أرواحهم

وأشربت حبه قلوبهم

فكانوا بذلك منارات للهدى

ونجوماً للاقتدا

إلى العلماء الربانيين في كل عصر ومصر

الباحث

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الشكر والتقدير

الشكر لله وحده على عظيم فضله وجزيل عطائه لإنعامه عليّ بإشراف أستاذين كريمين، وعالمين جليلين: فضيلة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الشافعي، وفضيلة الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية؛ حيث غمراني بعطفهما ورعايتهما، ومنحاني من وقتهما الكثير، وأسعفاني بحسن آرائهما وإرشاداتهما في استدراك ما فاتني عمله في رسالتي، فجزاهما الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء.

كما أتقدم بأخلص الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم قبول مناقشة هذه الرسالة وتقويم سويتها .

كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى كل الذين قدموا لي يد العون والمساعدة حتى إتمام هذا العمل؛ فاسأل الله أن يثيبهم على إحسانهم إحسانا.

والحمد لله من قبل ومن بعد.

الباحث

©Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

الإهداء .... د
شكر وتقدير.. هـ
فهرس المحتويات .... و
الملخص باللغة العربية ....ح
المقدمة ١
التمهيد.. ٩
أولاً: تعريف المفردة ٩
ثانياً: أهمية المفردة القرآنية في الإعجاز البياني ١٢
ثالثاً: أثر المفردة القرآنية في الجمال السمعي ٢٠
المسألة الأولى: تباين الأصوات وتلاؤمها في المفردة القرآنية.. ٢٠
المسألة الثانية: خفة المفردات وثقلها.. ٣١
الباب الأول: تناسق الأداء مع المعنى في القرآن الكريم ٣٩
الفصل الأول: أثر الأداء القرآني في النفس البشرية ٤٠
الفصل الثاني: أثر التجويد القرآني في تناسق الصوت والمعنى ٥١
المبحث الأول: أثر أحكام التجويد في تناسق الصوت والمعنى.. ٥٢
المطلب الأول: أحكام الميم والنون الساكنتين والتنوين وعلاقتها بالمعنى ٥٥
المطلب الثاني: علاقة صفات الحروف بالمعنى.. ٦١
المبحث الثاني: أثر المد في تناسق الصوت والمعنى ٦٤
المطلب الأول: أثر المد المتصل في تناسق الصوت والمعنى.. ٦٥
المطلب الثاني: أثر المد المنفصل في تناسق الصوت والمعنى.. ٧٣
المطلب الثالث: أثر المد اللازم في تناسق الصوت والمعنى ٧٨
المطلب الرابع: أثر مد الصلة في تناسق الصوت والمعنى ٨٣
المبحث الثالث: أثر الوقف والابتداء في تناسق الصوت والمعنى.. ٨٥
المطلب الأول: أثر الوقف على الفاصلة القرآنية في تناسق الصوت والمعنى ٨٦
المطلب الثاني: أثر الوقف على غير الفاصلة في تناسق الصوت والمعنى ٩٥
الباب الثاني: تناسق صوت المفردة مع دلالتها في القرآن الكريم ١٠٩
الفصل الأول: صوت المفردة ودلالته عند علماء العربية ١١٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني: تناسق الصوت والمعنى في المصادر والأسماء ١٢٢
المبحث الأول: تناسق الصوت والمعنى في المصادر ١٢٣
المبحث الثاني: تناسق الصوت والمعنى في الأسماء ١٤٠
الفصل الثالث: تناسق الصوت والمعنى في الأفعال ١٥٥
الفصل الرابع: تناسق الصوت والمعنى في المشتقات ٢٠٧
الفصل الخامس: تناسق الصوت والمعنى في المفردات التي تكرر فيها الحرف ٢٢٨
المبحث الأول: تناسق الصوت والمعنى في الأسماء التي تكرر فيها الحرف ٢٢٩
المبحث الثاني: تناسق الصوت والمعنى في الأفعال التي تكرر فيها الحرف ٢٣٩
الفصل السادس: تناسق الصوت والمعنى في الآية القرآنية ٢٥٨
الفصل السابع: توظيف الدلالة الصوتية للمفردة في الموضوعات القرآنية ٢٦٧
المبحث الأول: مشاهد القيامة في القرآن ٢٦٩
المبحث الثاني: مشاهد الكون في القرآن ٢٨٢
المبحث الثالث: صفات المنافقين في القرآن ٢٨٩
الخاتمة ٢٩٨
الفهارس ٣٠٠
فهرس الآيات ٣٠١
فهرس الأحاديث والآثار ٣٣٧
فهرس المصادر والمراجع ٣٣٨
الملخص باللغة الإنجليزية ٣٤٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملخص

الحوري، محمد رضا حسن. الإعجاز في تناسق الصوت والمعنى في المفردة القرآنية. أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، (٢٠٠٨)، (المشرف: أ.د. محمد إبراهيم الشافعي، رئيساً، أ.د. سمير شريف استيتيه، مشاركاً).

هدفت هذه الدراسة إلى بيان تناسق الصوت والمعنى في المفردة القرآنية، وأن هذا التناسق مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني.

جاءت هذه الدراسة في تمهيد وبابين وخاتمة:

التمهيد: تناولت فيه تعريف المفردة، وأهميتها في الإعجاز البياني، وعرضت لأقوال العلماء قدامى ومحدثين في بيان منزلتها، وختمت هذا الباب بالحديث عن أثر المفردة القرآنية في الجمال السمعي.

الباب الأول: تحدثت فيه عن أهمية الأداء القرآني، وتأثيره في النفس البشرية، ثم عرضت لآثار أحكام التجويد بأنواعها المتعددة في التناسق الصوتي مع المعنى، ثم كان الحديث عن الوقف، والابتداء والتنغيم وأثرها في تحقيق الجمال السمعي في القرآن، بالإضافة إلى بيان أثرها في تنوع دلالات النص القرآني.

الباب الثاني: تمحض لدراسة تطبيقية على المفردة القرآنية، عنيت بإبراز جماليات الإعجاز في التناسق بين الصوت والمعنى فيها، وعالجت الدراسة نحواً من مئة وعشرين مفردة ظهرت فيها هذه الخاصية ثم خصصت فصلاً لبيان التناسق الصوتي مع المعنى في الآية القرآنية، وختمت هذا الباب بالحديث عن توظيف القرآن لهذه الخاصية في المفردة في الموضوعات والمقاصد القرآنية؛ فكان الحديث عن مشاهد القيامة، ومشاهد الكون، وصفات المنافقين.

وأما الخاتمة؛ فاشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

والحمد لله رب العالمين

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي المؤيد من ربه بالمعجزات الباهرات التي من أجلّها القرآن الكريم ، وعلى آله وصحبه وكل من قرأ القرآن مجودا وتدبر معانيه بفكر صائب وقلب سليم.

أما بعد؛

فإن قضية الإعجاز القرآني ما زالت تشغل بال الباحثين والدارسين إلى يومنا هذا؛ ولا عجب في ذلك؛ فالقرآن هو الكتاب الخالد الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق على كثرة الرد، وهو كلام العزيز الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وقضية الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم من القضايا التي لم تنل قسطا وافرا من عناية الباحثين،واهتمام الدارسين، إذ لا تعدو دراساتهم في هذا المجال أن تكون مجرد إشارات ولمحات سريعة، ووقفات عاجلة عند بعض المفردات القرآنية مع الاقتصار في دراسة الإعجاز الصوتي على بعض جوانبه دون بعضها الآخر.

وإن كثيرا من هذه الدراسات التي تمحضت لدراسة الأصوات في القرآن قد اقتصرت- أيضا- في دراستها على الدراسة النظرية للأصوات – سواء كان في إطار علم الأصوات أو في إطار علم التجويد – ولم تقم باستثمار تلك الدراسات أو تطويرها لبحث الأثر الجمالي أو الدلالة الفنية لتلك الأصوات. أي: لم يحدث ربط تلك الدراسات بعلم البلاغة -إلا في نطاق ضيق- بخاصة في الدراسات المتعلقة بالنص القرآني.

وجاءت هذه الدراسة (**الإعجاز في تناسق الصوت والمعنى في المفردة القرآنية**) لتربط بين الدراسات النظرية لعلم الأصوات وأثرها الجمالي جاعلة ميدان التطبيق القرآن الكريم؛ إذ يلحظ أن في القرآن اهتماما واسعا بتحقيق موسيقى اللفظ في الجمل ، وتناغم الحروف في التركيب ، وتعادل الوحدات الصوتية في المقاطع.

ومن مظاهر هذا الاهتمام أنه اختار لكل حالة مقصودة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها ، فجاء كل لفظ متناسباً مع صورته الذهنية من وجه، ومع دلالته السمعية من وجه آخر، فالذي يستلذه السمع ، وتسيغه النفس، وتقبل عليه العاطفة هو المتحقّق في العذوبة والرقة . والذي تتوجس منه النفس هو المتحقق في الزجر والشدة.

ويظهر في بيان القرآن أن هناك فروقا بين الأصوات التي كونت كلمة معينة في النص، وبين تلك الأصوات التي كونت كلمة أخرى ؛ كما تتعرف فيه على ما يوحيه كل لفظ من صورة سمعية تختلف عن سواها قوة أو ضعفاً ، رقةً أو خشونة ، مما يسهم في الكشف عن دلالات اللفظ المفرد في سياقه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دون شك أن استقلالية أية كلمة بحروف معينة ، يكسبها صوتياً ذائقة سمعية منفردة ، تختلف ـ دون شك ـ عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه ، مما يجعل كلمة ما دون كلمة ـ وإن ادعي اتحادهما بالمعنى _ ، لها استقلاليتها الصوتية، إما في الصدى المؤثر ، وإما بتكثيف المعنى بزيادة المبنى ، وإما بإقبال العاطفة ، وإما بزيادة التوقع ، فهي حيناً تصك السمع ، وحيناً تهيء النفس ، وحيناً تضفي صيغة التأثر : فزعاً من شيء ، أو توجهاً لشيء ،أو طمعاً في شيء؛ وهكذا .وفي هذا دليل أكيد على نفي الترادف بين المفردات.

وتتجلى الأمور السابقة من الدلالة الصوتية لمفردات مختارة ، تكونت من حروف مختارة ، فشكلت أصواتاً مختارة . وهذه السمات في القرآن بارزة في مئات التراكيب الصوتية في مظاهر شتى ، ومجالات عديدة ، تستوعبها جمهرة هائلة من مفرداته.

قال الخطابي إن الكلام إنما يقوم بأشياء ثلاثة : « لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ، ولا أجزل ، ولا أعذب من ألفاظه »[١].

وما ذكره الخطابي ينطبق على استيحاء الدلالة الصوتية في القرآن بجميع الأبعاد، يضاف إليه الوقع السمعي للفظ ، والتأثير النفسي للكلمة ، والمدلول الانفعالي بالحدث .

وكان من فضيلة القرآن الصوتية أن استوعب جميع مظاهر الدلالة في مجالاتها الواسعة، واستوفى وجوه التعبير عنها بمختلف الصور الناطقة؛ وبذلك يتأتى للباحث والمتلقي إلقاء الضوء الكاشف على أبعاد دلالة القرآن الصوتية، في تشعب جوانبها، وعظمة انطلاقها، مما يكوّن معجماً لغوياً خاصاً بمفرداتها ، وقاموسا صوتياً حافلاً بإمكاناتها .

وقد حظيت فكرة الصوت وما يؤديه من دلالة بأهمية بالغة عند علماء العربية، إذ بدأ البحث عن طبيعة العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها الذي يتسق معها في وقت مبكر، منذ أن واجهوا مشكل الآيات القرآنية وإعجازها، واستخراج الأحكام الشرعية واللغوية منها؛إدراكا منهم لأهمية مسألة الصوت والدلالة، وقيمتها في خدمة القرآن الكريم، وحفظ نقاء العربية وصفائها، وحلّ كثير من إشكالاتها الصوتية والدلالية، وبيان القيم التعبيرية للأصوات وهي منتظمة داخل التراكيب.

ومن أبرز هؤلاء العلماء الفراهيدي وسيبويه وابن جني وابن الأثير والجرجاني والزمخشري، والسيوطي الذي يؤكد أهمية هذا الموضوع فيقول في المزهر:" وأما أهل اللغة العربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين اللفظ والمعنى".[٢].

---

(١) الخطابي، أبو سليمان، حمد بن إبراهيم، البيان في إعجاز القرآن ، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ص٢٧

(٢) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق، علي البجاوي وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م (٤٧/١)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وابن قيم الجوزية الذي يؤكد بصورة جلية فكرة تحقق المناسبة بين اللفظ والمعنى فيقول في بدائع الفوائد: " والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولا وقصرا، وخفة وثقلا، وكثرة وقلة، وحركة وسكونا، وشدة ولينا، فإن كان المعنى مفردا أفردوا لفظه،وإن كان مركبا ركبوا اللفظ،وإن كان طويلا طولوه... "(1).

وسار المحدثون على خطى سلفهم في الاهتمام بهذا الجانب فهذا الرافعي -رحمه الله- يعنى بهذا الجانب في كتابه إعجاز القرآن ويخصص مبحثا كاملا عن أصوات القرآن، وخص أصوات الكلمة بحديث مفصل، ومن جملة ما ذكره ومما يتعلق بموضوعنا (صوت الحس) ويعني: تجسيد صوت الكلمة لمعناها، بل إن الناظر في كتاب الرافعي يجد أنه قد جعل موسيقى القرآن هي التي تمثل إعجازه.

ومنهم العقاد ودراز وسيد قطب ومحمد المبارك وصبحي الصالح وغيرهم من المعاصرين ممن تركوا بصمات واضحة في الكشف عن العلاقة بين الصوت والدلالة.

وقد أكد النقد الحديث وجود هذه الظاهرة في الأدب، وفي اللغات الأخرى إضافة إلى اللغة العربية، واصطلحوا على تسميتها بـ(الأونوماتوبيا)، وتعني : تجسيد الصوت للمعنى أو الألفاظ التي يوحي صوتها بمعناها (المحاكاة الصوتية).

ستقتفي هذه الدراسة أثر هؤلاء العلماء في الكشف عن الصلة بين الصوت والدلالة في ألفاظ القرآن ، مستفيدة من أبحاث علماء الصوتيات في العصر الحديث.

أهمية الموضوع

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة موضوعها ، والفكرة التي تعالجها، ومنهج تناولها.

ويمكن القول إن أهمية الدراسة تكمن في أمور لعل أهمها:

ستطلعنا هذه الدراسة على وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وهو الإعجاز الصوتي.

حاجة المكتبة القرآنية إلى مثل هذا اللون من ألوان الدراسة التي تؤصل لواحد من علوم اللغة الحديثة، وهو (علم دلالة الأصوات) .

عدم وجود دراسة مستوفاة تجمع المفردات ذات الدلالة الصوتية في القرآن، وضمن منهج متكامل يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ومما يؤكد أهمية هذا الموضوع أيضا ارتباط هذه الدراسة بأنواع من العلوم الأخرى كعلم الأصوات وعلم البلاغة وعلم القراءات.

ولما كان القرآن الكريم ميدانا رحبا لهذه الدراسة، فإن توظيف الدلالة الصوتية للألفاظ والسياقات القرآنية من شأنه أن يسهم في إظهار الدلالات الحقيقية للنص القرآني، وفي حل كثير من المشكلات التفسيرية.

---

(1) ابن القيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، (د.ط)، (108/1).

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي :

١- بيان أن ألفاظ القرآن قد بلغت الذروة في الدقة والإحكام ؛إذ وضعت في نسيج لغوي روعي فيه موضع كل لفظ ، بل كل صوت، بحيث لا تنبو لفظة عن مكانها،ولا يحيد صوت عن موضعه.

٢- بيان أثر المفردة القرآنية في الكشف عن جماليات الإعجاز القرآني.

٣- إبراز مظاهر العلاقة بين صوت الكلمة ودلالتها.

٤- التأكيد على نفي الترادف بين الألفاظ القرآنية وذلك من خلال بيان أن لكل مفردة في القرآن دلالتها الصوتية الخاصة المصورة للمعنى بشكل يختلف عن الدلالة الصوتية للمفردة الأخرى.

٥- بيان أثر المفسرين وعنايتهم قديما وحديثا في الكشف عن علاقة الصوت بالدلالة.

حدود الدراسة

ستتناول هذه الدراسة جمهرة من الألفاظ القرآنية التي يظهر فيها انسجام بين صوتها ومعناها، أي: الألفاظ التي يقربك سماع جرسها من إدراك ماهيتها من أول وهلة، ولا يحوجك صوتها إلى الرجوع إلى المعجم لإدراك معناها، من حيث بيان سر اختيار هذه اللفظة في موضعها، والكشف عن دلالاتها في سياقاتها المختلفة في القرآن.**والدراسة إذ ستُعنى بالمفردة القرآنية فإنها لن تعرض للتناسق بين الصوت والمعنى في التراكيب البنائية والجمل البنائية في القرآن.**

منهجية الدراسة

انسجاما مع طبيعة الموضوع وأهدافه، فإن الباحث سيركز على الجانب التطبيقي في هذه الدراسة؛وذلك لما للتطبيق من أهمية كبيرة في تعزيز البحث ومنحه عمقا، وإكسابه وضوحا وتجلية.فالدراسة ستقوم أولا على منهج الاستقراء، أي جمع جمهرة من المفردات القرآنية التي تآلف صوتها مع معناها، ثم تصنيفها بما يتناسب وفصول الدراسة.

الاستفادة من كتابات المتقدمين والمحدثين في تجلية مظاهر الدلالة الصوتية وآثارها للمفردات القرآنية.

المنهج الاستنباطي الذي يعمد إلى استخراج النكات والمعاني والأسرار والقيم التعبيرية الناشئة من ربط الأصوات بمعانيها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدراسات السابقة

سأذكر هنا مجموعة من الدراسات لها صلة بموضوع البحث، ثم أبين الجديد الذي ستنفرد به دراستي:

الدراسة الأولى: التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي.

أحمد أبو زيد، كتاب مطبوع ، وهو في الأصل رسالة علمية مقدمة في كلية الآداب بالرباط سنة ١٩٧٠م.

جعل دراسته في قسمين: القسم الأول: التناسب المعنوي في نظم القرآن، وبحث تحته تناسب المعاني المتوافقة ، والتناسب المعنوي في آيات العقيدة، والتناسب المعنوي في التعقيبات القرآنية، ثم تناسب المعاني المتقابلة وعرض للتقابل وأساليبه في القرآن، والتقابل في مشاهد النعيم، ثم عقد بابا للتناسب ووحدة النسق، وتحدث فيه عن مراعاة السياق في اختيار المفردات واختيار التراكيب.

وأما القسم الثاني: التناسب اللفظي والإيقاعي، وتحدث تحته عن حظ اللغة العربية من الخصائص الصوتية والإيقاعية وعن روعة القرآن، ثم تحدث عن تناسب المشاكلة والتجنيس، وتناسب المجاورة والإتباع، وتحدث عن المقاطع الصوتية والفاصلة القرآنية .

وبعد قراءتي للكتاب تبين لي أن الباحث لم يعرض لمسألة التناسق الصوتي والمعنوي في المفردات القرآنية إلا في صفحات لا تزيد عن الأربع مكتفيا بمثال واحد فحسب وذلك من ص (٣٠٧-٣١١) من الكتاب.

الدراسة الثانية: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم

لنذير حمدان، كتاب مطبوع في دار المنارة، جدة ١٩٩١م.

تناول الكاتب في دراسته موضوع الجمال في القرآن الكريم، مبرزا إياه في نواح متعددة منها: في المفردة ، وفي التراكيب، وفي موضوعات القرآن وتشريعاته.

وفي أثناء تناوله لجماليات التناسق القرآني عرض لمسألة التناسق الصوتي واللفظي والترتيلي من ص ١٨٧-٢٠٢، وكان الباحث معنيا في بحثه بالتجانس والتآلف الموسيقي في ألفاظ القرآن، ولم يقدم الباحث جديدا في هذا الموضوع بل كان مجرد ناقل.

ولم يعرض الباحث بشي لما يتعلق بانسجام الصوت مع المعنى في مفردات القرآن الكريم.

الدراسة الثالثة: جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير

لأحمد ياسوف، كتاب مطبوع ١٩٩٤م، وهو في الأصل رسالة ماجستير مقدمة في كلية الآداب، جامعة حلب بإشراف الدكتور نور الدين عتر.

عرض الباحث في كتابه هذا لجوانب الجمال في المفردة القرآنية متحدثا عن جماليات وخصائص المفردة القرآنية فيما يتعلق بالاهتمام بها ، وأثرها الموسيقي ودورها في الجمال البصري

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتشخيصي والسمعي، كما تحدث عن صيغ المفردات وعن سمة الاختزان في المفردة ، والفاصلة القرآنية.

وتحت فصل(دور المفردة في الجمال السمعي) تحدث عن التلاؤم والانسجام في المفردة وعن خفتها وجمالية الحركات فيها.

وعرض لما يمس موضوع دراستي من ص ٢٢٢-٢٣٧، ذاكرا عددا من الأمثلة. وبعد عرضه لهذه المفردات عقب يقول(ص ٢٣٤): " **ولم تحظ الكلمات المصورة لمعناها بمثل هذه الطريقة الصوتية التحليلية عند كل الباحثين، وهذه السمة الفنية في الوقت نفسه لم تدرس كثيرا، إن درست فلا نقع على منهج واضح موضوعي، بل نقع على منهج ذاتي شأن قطب، ومن اقتفى أثره، فقد سار الكثير في تيار واحد من الإجمال**"

ويقول في ص (٢٣٥): " إن المفردات القرآنية المصورة بأصواتها بحاجة شديدة إلى دراسة صوتية معيارية".

الدراسة الرابعة :الدلالة الصوتية في القرآن الكريم

محمد كريم مزعل، رسالة ماجستير في الآداب ، العراق، الجامعة المستنصرية،١٩٩٥م.

وهي رسالة عنيت بما يعنى به علم الأصوات الحديث من العناية بمخارج الحروف وصفاتها وما يترتب عليها من إدغام وإبدال وقلب وإعلال.وهي بهذا التناول بعيدة عن موضوعي الذي أود تناوله.

الدراسة الخامسة: التعبير القرآني والدلالة النفسية

الدكتور عبدالله محمد الجيوسي، كتاب مطبوع في دار الغوثاني ٢٠٠٦م

وهذه الدراسة في الأصل رسالة دكتوراة في التفسير٢٠٠١م.

تناول فيها الباحث الآثار النفسية المستوحاة والمستفادة من التعبيرات القرآنية متمثلة في حروف القرآن وكلماته وتراكيبه وقصصه وأمثاله وسوره وتشريعاته.

وعرض الباحث فيما عرض لإيقاع القرآن وأثره النفسي، تحدث تحته عن التناغم والتناسق والنبر والتنغيم... وما لها من آثار نفسية

وعرض الباحث لمسألة انسجام الصوت مع المعنى في القرآن الكريم، في مواضع متفرقة من رسالته، وبأمثلة محدودة ولم يعنون لها بعنوان خاص.

الدراسة السادسة :دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم

خالد قاسم حسين بني دومي، رسالة دكتوراه في اللغة والنحو ، جامعة اليرموك، ٢٠٠٤م، إشراف الدكتور سمير ستيتية.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وهي رسالة تناولت الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم مركزة على مناحي الأداء القرآني، الوقف والابتداء وقضايا التجويد القرآني الإدغام والإخفاء والإمالة والمدود والإبدال والحذف في المفردات القرآنية، وتفسيرها وفق معطيات علم الأصوات الحديث.

وعرض الباحث في فصل محدود لأثر الصوت في الدلالة السياقية ذاكرا نماذج معدودة مما يتصل بدراستي، مع تأكيد صاحب الدراسة التي نعرض لها أن البحث مما يحتاج إلى دراسة مستقلة.

يقول في (ص ٢١١) من رسالته: " **وما الشواهد التي تناولتها بالدرس والتحليل إلا نماذج حية نابضة، تنبه إلى وجود هذا الموضوع في القرآن، وبلوغه الغاية منه، وتؤكد أهميته الكبيرة بوصفه واحدا من مظاهر علم الدلالة الصوتي في العربية ينبغي على الدارسين والمفسرين أن يولوه مزيد عناية واهتمام**" والمطالع لهذه الرسالة يدرك أن منهج تناول أهل اللغة وعلماء الصوتيات لدراسة المفردات القرآنية تختلف عن منهج وطريقة أهل التفسير في تناولها.

وبعد هذا العرض للدراسات السابقة ألحظ عليها ما يلي:

١- أن معظمها معني بالجانب اللغوي التخصصي القائم على علم الأصوات .

٢- أن بعضها لم يعرض للموضوع الذي أود تناوله.

٣- أن الأمثلة التي تناولتها بعض هذه الدراسات أمثلة محدودة ومعدودة، مع طريقة خاصة في تناولها.

وبناء على ما سبق أقول: إن مشروع بحثي الذي أتقدم به جاء ليضيف إلى هذه الدراسات ما لم تتناوله، وتتميز عنها بمحاولتها استيعاب المفردات القرآنية التي يجسد فيها جرسها معناها بمنهج أهل التفسير في التناول والبحث.

خطة الدراسة

الإعجاز في تناسق الصوت والمعنى في المفردة القرآنية

التمهيد

المفردة القرآنية وإعجاز القرآن

أولاً: تعريف المفردة

ثانياً: أهمية المفردة القرآنية في الإعجاز البياني

ثالثاً: أثر المفردة القرآنية في الجمال السمعي

المسألة الأولى: تباين الأصوات وتلاؤمها في المفردة القرآنية.

المسألة الثانية: خفة المفردات وثقلها

الباب الأول: تناسق الأداء مع المعنى في القرآن الكريم

الفصل الأول: أثر الأداء القرآني في النفس البشرية

الفصل الثاني: أثر التجويد القرآني في تناسق الصوت والمعنى

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الأول: أثر أحكام التجويد في تناسق الصوت والمعنى
المطلب الأول: أحكام الميم والنون الساكنتين والتنوين وعلاقتها بالمعنى
المطلب الثاني: علاقة صفات الحروف بالمعنى
المبحث الثاني: أثر المد في تناسق الصوت والمعنى
المطلب الأول: أثر المد المتصل في تناسق الصوت والمعنى
المطلب الثاني: أثر المد المنفصل في تناسق الصوت والمعنى
المطلب الثالث: أثر المد اللازم في تناسق الصوت والمعنى
المطلب الرابع: أثر مد الصلة في تناسق الصوت والمعنى
المبحث الثالث: أثر الوقف والابتداء في تناسق الصوت والمعنى
المطلب الأول: أثر الوقف على الفاصلة القرآنية في تناسق الصوت والمعنى
المطلب الثاني: أثر الوقف على غير الفاصلة في تناسق الصوت والمعنى
الباب الثاني: تناسق صوت المفردة مع دلالتها في القرآن الكريم
الفصل الأول: صوت المفردة ودلالته عند علماء العربية
الفصل الثاني: تناسق الصوت والمعنى في المصادر والأسماء
المبحث الأول: تناسق الصوت والمعنى في المصادر
المبحث الثاني: تناسق الصوت والمعنى في الأسماء
الفصل الثالث: تناسق الصوت والمعنى في الأفعال
الفصل الرابع: تناسق الصوت والمعنى في المشتقات
الفصل الخامس: تناسق الصوت والمعنى في المفردات التي تكرر فيها الحرف
المبحث الأول: تناسق الصوت والمعنى في الأسماء التي تكرر فيها الحرف
المبحث الثاني: تناسق الصوت والمعنى في الأفعال التي تكرر فيها الحرف
الفصل السادس: تناسق الصوت والمعنى في الآية القرآنية
الفصل السابع: توظيف الدلالة الصوتية للمفردة في الموضوعات القرآنية
المبحث الأول: مشاهد القيامة في القرآن
المبحث الثاني: مشاهد الكون في القرآن
المبحث الثالث: صفات المنافقين في القرآن
الخاتمة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التمهيد

أولاً: تعريف المفردة

ثانياً: أهمية المفردة القرآنية في الإعجاز البياني

ثالثاً: أثر المفردة القرآنية في الجمال السمعي

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أولاً: تعريف المفردة:

جاء في معجم مقاييس اللّغة أن :

"الفاء والراء والدال، أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على وُحْدة. من ذلك الفَرْد وهو الوِتْر. والفارد والفَرْد: الثَّور المنفرِد. وظبيةٌ فاردٌ: انقطعت عن القَطيع، وكذلك السِّدرة الفاردةُ، انفرَدَتْ عن سائر السِّدر. وأفراد النجوم: الدَّراريُّ في آفاق السَّماء. والفريد: الدُّرُّ إذا نُظِم وفصِّل بَينَه بغيرِه"(١).

والفَرْدُ ما كانَ وحدَه، يقال: فَرَدَ يَفرُدُ، وانفَرَد انفِراداً.وأفرَدْتُه: جَعَلْتُه واحداً.

والفَريدُ: الشَّذْر، والواحدة فريدة، وجاء القومُ فُرادَى، وعَدَدْتُ الخَرَزَ والدراهم أفراداً أي واحداً واحداً. وقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾ الأنعام: ٩٤ جمع فَرْدان

واللهُ الفَرْد: تَفَرّد بالرُّبُوبيّةِ والأمرِ دونَ خَلْقه.(٢)

وقد ورد في القرآن في أربعة مواضع على أربعة معان :

" ١- في دُعاءِ زكريًا وسؤاله ألاَّ يَبْقَى بلا وارث: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾ الأنبياء: ٨٩

٢- بمعنى المنفرد في القبر:﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾ مريم: ٨٠

٣- في الحضور إلى المحشر وحيدًا:﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ مريم: ٩٥

٤- بمعنى الفرد العاصي عن الأهل والمال في القيامة: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾"الأنعام: ٩٤(٣).

فمادة (فرد) تدل على العدد الواحد الذي هو نقيض التثنية والجمع، وتدل على الوحدة والانقطاع المنافيين للاختلاط والاشتراك.فالمفرد هو المنفصل المستقل بذاته، أو بصفة مميزة له دون أن يأتلف أو ينضم إلى غيره.

وحتى الأوجه التي ذكرها صاحب البصائر، فهي لا تخرج عما تدل عليه مادة(فرد) من معنى الوحدة والاستقلال، كما هو ظاهر من تدبر الآيات الكريمات.

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة،د تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت،ط١، ١٩٩١م، (فرد) ج٤/ ص٥٠٠.

(٢) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين،تحقيق: مهدي المخزومي،وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،د.ط، د.ت،(فرد)،ج٨ص ٢٤.

(٣) انظر: الفيروزآبادي، مجد الدين، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ن، مادة(فرد) ،ج٤/ ١٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا تعريف المفردة لغة وأما في الاصطلاح فتعرف بكونها: اللفظة الواحدة من الكلام[1] المؤلفة من بضعة حروف ذات معنى .

وهي بهذا المعنى تلتقي أحد معاني (الكلمة) التي ذكرها العلماء.[2].

أو هي اللفظة التي تدل على معنى مفرد بالوضع وينطق بها منفصلة عن لفظة أخرى.

وعرف بعضهم المفردة القرآنية ناظرا في تعريفه لها إلى الجانب الصوتي حيث يقول هي:

"الشكل الدلالي الوحيد الصالح، بأفضل أداءٍ صوتي ممكن ، للتعبير عن كلّ أغراض السياق"[3].

وبعد هذا يمكن القول:إن المفردة "هي المجموعة الصوتية التي تدل على معنى، وهذه المجموعة هي وحدة كلامية تقوم مقام الجزء من الكل في الجملة، وهي الجزء الأولي في بناء النظم، والوحدة المكونة له، فلا يغني أحدهما عن الآخر ...وهي ليست كائنا معجميا، إذ يتبين لقاريء القرآن أنها تمتاز بدلالة جديدة يضفيها الموضوع على حياد المعجم." [4]

وبعبارة أخرى إن المفردة: " هي مجموعة من الوحدات الصوتية المؤلفة بطريقة معينة لكي ترمز للأشياء الحسية، والأفكار المجردة."[5]

وقد عمدت إلى استخدام مصطلح (المفردة) دون الكلمة أو اللفظة؛ لأن مصطلح الكلمة مصطلح واسع قد يطلق ويراد به العمل الأدبي أي النص بمجموعه.

وهي تشتمل حسب تقسيم النحاة على الاسم والفعل والحرف. ودراستي هذه لن تعرض للحروف؛ لأنها ألصق بمسألة النظم أي الربط بين المفردات.

فالمفردة تعني الاسم ، كما تعني الفعل حين يرتبط الاسم بعامل زمني معين.

وإنما لم استخدم مصطلح (اللفظة) لأؤكد من خلال الاشتقاق انفراد الكلمة الواحدة بالجمال الفني، ولا نرى مانعا من ذكر اللفظة إلا لهذا السبب.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي،مجمع البحوث الإسلامية، إيران،مشهد، ط١، ١٤١٤هـ. ، ص٢٢٧.

(٢) ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمذاني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م. ١/١٩-٢٠

(٣) أبو عائشة، الأسباب الصوتية لاختيار المفردة القرآنية، ص٢، بحث منشور على شبكة الإنترنت في الموقع التالي:www.tafsir.net /ub/showthread.php

(٤) ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي ، دمشق ، ط١ ١٩٩٤م، ص ٢٠.

(٥) سلطان، منير، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، الإسكندرية،ط٢، ١٩٩٣م، ص١٥.

ثانياً: منزلة المفردة القرآنية في الإعجاز

إن المتتبع لنصوص العلماء المتقدمين والمتأخرين المتعلقة بمنزلة المفردة القرآنية في الإعجاز يتجلى له بوضوح علوُّ شأنها وشأوها في هذا الباب عندهم .

وسأكتفي بذكر أقوال أشهر علماء الإعجاز في بيان منزلة المفردة القرآنية حسب الترتيب الزمني لهم.

أ. بيان منزلة المفردة القرآنية في الإعجاز عند المتقدمين:

أولا: الجاحظ

يعدُّ الجاحظ من أبرز علماء البيان عناية بالمفردة القرآنية، فقد خصها ببيان مستفيض كاشفاً عن خصائصها، ومدركاً لكثير من أسرارها، حيث قال: "وقد يستخفّ الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرها أحقّ بذلك منها، الا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السَّغَب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامّة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يَقُل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين، الا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعا، والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال، وقد زعم بعض القرّاء أنه لم يرد ذكر النكاح في القرآن إلاّ موضع التزويج "[1] .

ولم تقف براعة الجاحظ ودقة فكره عند هذه القضية في اللفظة القرآنية، بل نجده يطلعنا على لطائف كثيرة لهذه اللفظة .

ومن هذه اللطائف: أنها قد تذكر اللفظة القرآنية لتسدَّ مسدَّ ألفاظ كثيرة، فيستغني عن هذه الألفاظ جميعاً .

يقول: " وقد قال الله تعالى﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ المائدة:٤. فاشتقَّ لكل صائد وجارح، وبازٍ وصقر، وعقاب وفهد، وشاهين وزُرَّق[2] وعَنَاق الأرض، من اسم الكلب، وهذا يدلُّ على أنه أعمها نفعاً وأبعدها صيتاً، وأنبهها ذكراً "[3].

---

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨م، ص (١/ ٢٠) .

(٢) نوع من الطيور الجارحة، يشبه البازي، انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ط١، (زرق).

(٣) الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، ، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١ ١٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا : الخطابي

يعد الخطابي من العلماء الذين بحثوا في بلاغة القرآن وأنعموا النظر في أسباب إعجازه.

قال: "وإنما تعذّر على البشر الإتيان بمثله لأمور ؛ منها: أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض؛ فيتوصّلوا باختيار الأفضل من الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه. وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها. والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها. وقد توجد هذه الصفات الثلاث على التفرق في أنواع الكلام؛ فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير الذي أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا"(١).

وبين الإمام الخطّابي – رحمه الله – كذلك أنّ حُسن اختيار الكلمات ودقة انتقائها هو عمود بلاغة القرآن حيث يقول: " اعلمْ أنَّ عَمُودَ هذه البلاغة ... هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضِعَه الأخصَّ الأشكلَ به الَّذي إذا أُبْدِلَ مكانَه غيْرُهُ جاءَ مِنْهُ:

إمَّا تبدُّلُ المعنى الذي يكونُ منه فسادُ الكلام، وإمَّا ذهابُ الرونق الذي يكونُ معهُ سقوطُ البلاغةِ"(٢)

ويفهم من كلام الإمام الخطابي مدى الأثر البليغ المترتب على اختيار المفردات ووضع واحدة مكان أخرى، فإنه " ينشأ عن ذلك الوضع أحد خللين اثنين إمّا تغيير المعنى، وإمّا ذهاب الرونق، والخطابي بهذا يبين أن للكلمات اعتبارين اثنين:

الأوّل: وضعها اللغوي، وهو ما وضعته اللغة ودلت عليه المعاجم.

الثاني: ما لهذه الكلمة من جرس في النطق، وخفة على السمع"(٣).

والخطابي إذ يؤكد هذه الحقيقة، فإنّه يردّ بذلك على الطاعنين، والمشككين في بلاغة القرآن وبلاغة مفرداته، وأنها مفردات منتقاة مختارة موضوعة في الموضع الأليق والأخص بها.

---

(١) الخطابي، أبو سليمان حَمدُ بن بن محمد، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط٤، ص(٢٦-٢٧).

(٢) المرجع السابق، بحذف يسير، ص ٢٩ .

(٣) عباس، فضل حسن، بيان اعجاز القرآن للخطابي، تحليل ومقارنة ونقد، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، ١٩٨٧م، سنة ٤، ع ١٠، ص ٦-٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثا: الرماني

أمّا الإمام الرُّماني فعلى الرَّغم من أنّه سلك مسلكاً آخر وهو يكتب عن الإعجاز، فجعل الاستعارة والتجنيس وغيرهما مما كان يعرف بالبديع من أوجه الإعجاز، إلا أنّ المتدبر لرسالته في الإعجاز لا يعدم أن يجد إشارات بديعة تتناول المفردة القرآنية .

ومن ذلك أنه عندما تناول الاستعارة، عمد إلى المفاضلة بين المفردات القرآنية وبين المفردات الجارية على ألسنة العرب ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣ حقيقة (قدمنا) هنا (عمدنا)، (وقدمنا) أبلغ؛ لأنه يدل على أنّه عاملهم معاملة القادم من سفر، لأنه عاملهم من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ، ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم. وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال، والمعنى الذي يجمعهما العَدْل، لأن العمد الى إبطال الفاسد عَدْل، والقدوم أبلغ لما بينا"[١] .

ونستطيع القول: إنّ تحليل الرُّماني قائم على بيان قوة الإعجاز، وبيان أسراره، وعلى بيان الفرق بين رفعة الأسلوب والتعبير القرآني، وبين أبلغ ما جاء عن العرب من الشعر والخطب والأمثال . والرُّماني بتحليله هذا يؤكد أثر المفردة في رسم الصورة البيانية في القرآن التي هي أحد مظاهر الإعجاز البياني .

رابعا: الباقلاني

أمّا الإمام الباقلاني فقد رأى أنّ للمفردة دوراً في التعبير لخصه في كتابه، وهو "يعتمد على اعتبار اللفظ جزءاً من النظم يوجهه المعنى، وأداةً للتعبير، لا ينظر إليه نظرة جزئية على ضوء البديع، فيحكم عليه بالفصاحة. أو الابتذال، أو بغير ذلك من الأحكام... فلا يهمه من اللفظ غير (دقة أداء المعنى) ولا يهتم بعد ذلك بالرونق والمظهر، مهما تغير أو تلوّن في صيغ وأشكال مختلفة"[٢] .

وقد خصص الإمام الباقلاني للكلمة حديثاً فيما ذكره من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وقد ذكر لذلك معاني عشرة ، يقول رحمه الله في المعنى السابع: "أنه قد علم أنّ تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة، والأسباب الدائرة بين الناس، أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعانٍ مبتكرة، وأسباب مؤسسة مستحدثة، فإذا برع اللفظ في المعنى البارع ، كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المبتكر"[٣] .

---

(١) الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة ، ط٤، ص٨٦ .

(٢) سلام، محمد زغلول ، أثر القرآن في تطور النقد العربي، دار المعارف،ط٣، ص ٢٩٩ ، بحذف يسير.

(٣) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: سيد صقر، دار المعارف،١٩٦٣م، ص٤١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويزيد الإمام الباقلاني هذا المعنى شرحاً وإيضاحاً فيقول في المعنى الثامن: "فالكلام يتبيَّن فضله، ورجحان فصاحته، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر، فتأخذها الأسماع، وتتشوف إليها النفوس، ويرى وجه رونقها بادياً غامراً سائراً ماقُرن به، كالدُّرة التي ترى في سلك من خرز، وكالياقوتة في واسطة العقد.. وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهو غرَّة جميعه، وواسطة عقده والمنادي على نفسه بتميزه، وتخصصه برونقه وجماله، واعتراضه في حسنه ومائه"[1].

وإدراج المفردة في المعاني التي شرحت أحد وجوه الإعجاز عند الباقلاني- وهو ما يرجع إلى النظم- ، إدراك من الباقلاني لدور المفردة في الكشف عن أسرار الإعجاز البياني .

خامسا: الجرجاني

لم ينكر الجرجاني على المفردة قيمتها ووزنها في جمال الصورة البيانية وإشراق وجهها مع عنايته بالنظم[2].

يقول – رحمه الله-: "ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات[البلاغة والفصاحة..] وسائر ما يجري مجراها، مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما لو كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد ، وتطيل رَغم الحاسد .

ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غيرُ أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا، ويظهر فيه مزية"[3].

ويقول الجرجاني أيضاً : "... واعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلاً فيما يوجب الفضيلة، وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز، وإنما الذي ننكره ونُفيِّل"[4]

---

(١) المرجع السابق ، ص٤٢.

(٢) وقد بين أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس خطأ القائلين بأن الجرجاني أغفل أثر المفردة في الإعجاز القرآني وذلك في كتابه إعجاز القرآن. وللاطلاع على هذا ،انظر: عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن الكريم،عمان، (د.ن)،١٩٩١م،٧٣-٧٤، وانظر: الجرجاني، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تعليق، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني- القاهرة، دار المدني- جدة ، ط١٩٩٢،٣م،ص٤٢٢.

(٣) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص٤٣ .

(٤) فيَّلَ رأيه: قبّحه وخطّأه لفساده، انظر: الفراهيدي، الخليل، العين، مادة (فَيَل) .

رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزاً وحده ، ويجعله الأصل والعمدة فيخرج إلى ما ذكرنا من الشفاعات "[١].

سادسا: الراغب الأصفهاني

بين الإمام الراغب " أنّ أوّل ما يحتاج أن يُشتَغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية. ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللَّبِن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه . وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع. "[٢].

وقال: " فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حُذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها، والمشتقات منها هو بالاضافة إليها كالقشور والنّوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة...."[٣].

سابعا: الزمخشري

أمّا الإمام الزمخشري – رحمه الله – فقد وقف كثيراً عند المفردات القرآنية يتأمل وقع كلماتها وملاءمتها للسياق ، وقد كان له حسه المرهف في تناول مفردات النص القرآني، معتمداً في تفسير المفردة على خبرته اللغوية، وإحاطته بمفردات اللغة، وعلى فقه الأساليب وإدراك المقامات التي تجري فيها المفردة ثم على ذوقه الذي يقبل ويرفض وله في هذا الكلمة العليا.

وبَحْثُ الزمخشري للمفردة جاء ملماً بجميع جوانبها ، مادتها وهيئتها ومدى ملاءمتها للسياق وتعريفها وتنكيرها، وهو في بحثه هذا يكشف عن أسرار انتقائها واختيارها، بنية ودلالة[٤].

---

(١) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص ٥٢٢ .

(٢) الراغب الأصفهاني ،أبو القاسم الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ضبطه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م ص٨.

(٣) المرجع السابق ، ص ٨ .

(٤) للاطلاع على المزيد من موقف الزمخشري من المفردة القرآنية، انظر:: ما كتبه الدكتور محمد محمد أبو موسى في كتابه (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري) ، مكتبة وهبة مصر ، ط٢ ، ١٩٨٨م ، من ص ٢٦١-٣٢٤ ففيه بيان شاف لهذه المسألة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثامنا: ابن عطية الأندلسي

يقول: "وكتاب الله تعالى لو نُزعتْ منه لفظة، ثم أدير لسانُ العرب على لفظة غيرها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضيع، لقصورنا عن مرتبة العرب – يومئذ – في سلامة الذوق، وجودة القريحة" (1).

ب. بيان منزلة المفردة القرآنية في الإعجاز عند المتأخرين:

عني كثير من العلماء المعاصرين بالمفردة القرآنية عناية عظيمة،وسأقف مع بعضهم وقفة تكشف عن مدى اهتمامهم بالمفردة في حقل الإعجاز.

أولا: الرافعي

كان للرافعي – رحمه الله – عناية خاصّة بالمفردة القرآنية فقد عقد فصلاً خاصاً لها في كتابه (إعجاز القرآن) بعنوان (الكلمات وحروفها) (2) يقول فيه :

" ولما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض، أو يقال فيه: إنه تغوث واستراحة... بل نزّلت كلماته منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة، وما قد يشبه أن يكون من هذا النحو الذي تمكنت به مفردات النظام الشمسي وارتبطت به سائر أجزاء المخلوقات صفة متقابلة، بحيث لو نزعَت كلمة منه أو أزيلت عن وجهها ، ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها، لم يتهيأ ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة... وهو سِرٌ من إعجازه قد أحسّ به العرب ...." (3).

ويقول أيضاً: "ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة، فإنّ أحداً من البلغاء لا تمتنع عليه فصاحة هذه العربية متى أرادها، وهي بعد في الدواوين والكتب، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرآن في كلامه ، وإن اتفقت له نفس الألفاظ بحروفها ومعانيها ، لأنها في القرآن تظهر في تركيب ممتنع فَتُرْفِيه ، ولهذا ترتفع إلى أنواع أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية التي هي طبيعيّة فيها، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم، وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة" (4).

---

(1) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، 1/ 52 .

وانظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م . (1/ 55)

(2) انظر: الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990، ص220.

(3) المرجع السابق ص225 .

(4) المرجع السابق ص226 .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بهذا البيان العالي، والعبارة الراقية، والأسلوب الرفيع يكشف الرافعي عن منزلة المفردة في الإعجاز البياني .

ثانيا: محمد عبد الله دراز

ومن العلماء المعاصرين من كان له فضل تحقيق في هذا الموضوع، فناقش هذه القضية وعرضها بلغة عالية ودقة نظر، ذلك هو الدكتور محمد عبدالله دراز؛ ومن جملة ما قال :

"فالجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخيّر له أشرف الموادّ، وأمسّها رحماً بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرّة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحقّ به ؛ بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة ، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين، لا يوماً أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلاً ، ولا الساكن يبغي عن منزله حِوَلا... وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان "(1).

ثالثا: سيد قطب

المتتبع لما كتبه سيد قطب سواءً في حقل الدراسات القرآنية أم في حقل النقد الأدبي يجده يولي المفردة القرآنية كثيراً من العناية والرّعاية، فهو ينبه على سرّها، ويبين جمالها في موضعها ودقتها في سياقها ، وأحقية مكانها بها، فقد اختيرت اختياراً دقيقاً ؛ لأنّ غيرها لا يؤدي ما يؤديه(2) .

فالمفردة القرآنية عند سيد قطب – رحمه الله – لها أثرها الواضح في عملية التصوير الفني في القرآن؛ فقد بين في كتابه التصوير الفني :"أنه قد يستقل لفظ واحد – لا عبارة كاملة – برسم صورة شاخصة – لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم صورة – وهذه خطوة أخرى في تناسق التصوير أبعد من الخطوة الأولى، وأقرب إلى قمة جديدة في التناسق . خطوة يزيد من قيمتها أن لفظا منفرداً هو الذي يرسم الصورة ، تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن، وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال ، وتارة بالجرس والظل جميعاً .

تسمع الأذن كلمة (اثَّاقَلْتُمْ) في قوله:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ التوبة: ٣٨ ؟ فيتصور الخيال ذلك الجسم المثاقل يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل. إن في هذه الكلمة (طناً) على الأقل من الأثقال! ولو أنك قلت : (تثاقلتم) لخف الجرس، ولضاع الأثر المنشود، وتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستقل برسمها.

---

(١) دراز، محمد عبدالله، النبأ العظيم، مطبعة السعادة، القاهرة، ص ٩٠ –٩٢ .

(٢) انظر: عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن الكريم، ص١١٣ بتصرف يسير.

وتقرأ: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ النساء: ٧٢ فترتسم التبطئة في جرس العبارة كلها، وفي جرس (لَّيُبَطِّئَنَّ) خاصة، وإن اللسان ليكاد يتعثر وهو يتخبط فيها حتى يصل ببطء إلى نهايتها".

ويقول أيضاً: " وهناك نوع من الألفاظ يرسم صورة الموضوع . ولكن لا بجرسه الذي يلقيه في الأذن بل بظله الذي يلقيه في الخيال. وللألفاظ كما للعبارات ظلال خاصة يلحظها الحس البصير حينما يوجه إليها انتباهه، وحينما يستدعي في خياله صورة مدلولها الحسية.

مثال ذلك: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٥ فالظل الذي تلقيه كلمة (فَٱنسَلَخَ) يرسم صورة عنيفة للتملص من هذه الآيات ، لأن الانسلاخ حركة حسية قوية .

وقد يشترك الجرس والظل في لفظ واحد مثل ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ الطور: ١٣، فلفظ الدع يصور مدلوله بجرسه وظله جميعاً. ومما يلاحظ هنا أن (الدع) هو الدفع في الظهور بعنف ، وهذا الدفع في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يخرج صوتاً غير إرادي ، صوت عين مشددة ساكنة هكذا (اعّ) وهو في جرسه أقرب ما يكون إلى جرس (الدع) (١)

رابعا: عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطيء)

ومن أصحاب الاهتمام كذلك بالمفردة القرآنية عائشة بنت عبدالرحمن(بنت الشاطىء) إذ قد وضعت كتابين لهما مسيس مباشر بما ندرسه هما:

١ -الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق .

٢ -التفسير البياني للقرآن الكريم .

وقد تناولت في الكتاب الأوّل موضوعات عديدة كان من جملتها الحديثُ عن دلالات الألفاظ وسر الكلمة، وقد عالجت الكاتبة – رحمها الله – تحت هذا العنوان قضية الترادف ، وأقوال العلماء فيها، وتمثل موقفها بإنكار قضية الترادف في القرآن الكريم . ومن أجل أن تدلل لرأيها قامت بدراسة مجموعة من الألفاظ التي ادّعي ترادفها، دراسة قرآنية سياقية، مفرقة بينها في الدّلالة، ومن هذه الألفاظ الرؤيا والحلم، وأنس وأبصر، والنأي والبعد وغيرها(٢) .

إن تفريق الكاتبة بين هذه الكلمات ، يؤكد بشكل يقيني أنّ كل كلمة في كتاب الله وضعت موضعها الأليق بها، ولكل كلمة كذلك مدلولها الخاص، ورسالتها الخاصة. وهذا هو أحد مظاهر الإعجاز البياني .

---

(١) انظر: قطب ، سيد ، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق ، بيروت، ط٩، ٢٠٠٠م ، ص٩١-٩٥

(٢) عبدالرحمن ، عائشة (بنت الشاطيء) ، الإعجاز البياني في القرآن ، ومسائل نافع بن الأزرق ، دار المعارف، مصر،١٩٧١، ص١٩٨ وما بعدها .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما أنّ الكاتبة استصحبت العناية بالألفاظ أثناء تفسيرها لمجموعة من قصار السور في كتابها الثاني، مؤكدة أنّ الأخذ بدلالات الألفاظ والوقوف عليها هو من أصول منهجها في الكتاب .

تقول : " والمنهج قد شرحه أستاذنا أمين الخولي في كتابه الجليل (مناهج تجديد) ولا بأس أن ألخصه هنا : .... في فهم دلالات الألفاظ : نقدر أن العربية هي لغة القرآن، فنلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة التي تعطينا حسن العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسّية والمجازية .

ثم تخلص للمح الدلالة القرآنية، باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله "[1] .

من العرض السابق نلحظ أن العلماء من بيانيين ولغويين ومفسرين قد تلقوا المفردة القرآنية بكثير من الاهتمام والعناية وذلك؛ لأنهم أدركوا ما تختزنه من عجيب التأليف، وبديع التصوير، في المستويات كلها .

ثالثاً: أثر المفردة القرآنية في الجمال السمعي

وسأعرض هنا لمسألتين:

المسألة الأولى: تباين الأصوات وتلاؤمها في المفردة القرآنية .

تمتاز اللغة العربية بجملة من الخصائص الصوتية أهلتها لأن تكون " لغة إنسانية ناطقة، يستخدم فيها جهاز النطق الحي أحسن استخدام ، يهدي إليه الافتنان في الإيقاع الموسيقي، وليس هنا أداة صوتية ناقصة تحس بها الأبجدية العربية "[2] .فهي تمتاز " بسعة مدرجها الصوتي، سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها، وتمتاز من جهة أخرى بتوزعها في هذا المدرج توسعا عادلا ، يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات .

أضف إلى هذا أن العرب يراعون في اجتماع الحروف في الكلمة الواحدة وتوزعها ترتيبها فيها حدوث الانسجام الصوتي والتآلف الموسيقي "[3].

وقد قسم العلماء هذه الأصوات (الحروف) تقسيمين:

تقسيم حسب مخارجها الصوتية، وروعي في ترتيبها حسب المخارج الصوتية التناسب الموسيقي فيما بين الحروف المتقاربة، فهي حروف متناسبة في مخرجها وجَرسها وشكلها ونسقها كالباء والتاء والثاء[4] .

---

(١) عبدالرحمن ، عائشة(بنت الشاطئ)، التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار المعارف،مصر، ط٨، ص ١٠-١١ .

(٢)العقاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة ، ص١٢ .

(٣)المبارك ، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر، دمشق، ط٧، ١٩٨١م ، ص ٢٥٠.

(٤)العقاد، اللغة الشاعرة ص ١٠- ١٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهناك تقسيم آخر، يراعي صفات الحروف الصوتية، وما تصدره من إيقاعات موسيقية يمكن أن تسمى (موسيقى الحروف) فهناك حروف الاستعلاء، وحروف الصفير، وحروف الهمس....الخ

ولكل حرف من هذه الحروف صوته المحدد؛ وعلى هذا فالحروف مجموع من الأصوات وكل صوت من هذه الأصوات يمتلك رنته (= جرسه ، موسيقاه) وطالما الأمر على هذا النحو، بات من الطبيعي أن ينسجم هذا الصوت مع أصوات معينة، ولا ينسجم مع أخرى. وانطلاقا من ذلك أصبح لزاماً علينا وضع الحروف، ذات الأصوات المنسجمة مع بعضها البعض كيما لحصل على لفظ حسن ، ويقع أيضا في النفس موقعا حسناً (إن أصوات الحروف في (ملمع) غير منسجمة ، حين لجدها منسجمة في علم"[1] .

وحين ترتبط الحروف بعضها ببعض وتتآلف في المفردة، يظهر مدى الانسجام أو التنافر بينها وذلك لأن " التأليف هو المسرح الذي تلتقي فيه الأصوات على اختلاف مخارجها وصفاتها ، فتتداخل أجراسها وتتجاوب نغماتها. وعلى قدر تناسبها في الامتزاج تكون حلاوة الإيقاع ورشاقة الصياغة"[2]

أسباب التلاؤم والتنافر في المفردة العربية

تناول اللغويون والبلاغيون (انسجام الحروف بالكلمات) ضمن حديثهم عن تنافر الأصوات وتلاؤمها وقد أرجعوا أسباب التلاؤم والتنافر في المفردة إلى الأمور الآتية:

أ- مخارج الحروف في تقاربها أو تباعدها.

ذهب فريق من العلماء إلى أن تباعد مخارج الأصوات علة لتناسبها في التأليف. ومثّل هذا الرأي، ابن دريد[3] ، وابن جني[4] . ، وابن سنان الخفاجي[5].

وذهب فريق آخر إلى أن اعتدال الحروف علة لتناسب الحروف في التأليف ، وأن التباعد الشديد والتقارب الشديد سبب لتنافرها. وممن تبنى هذا الرأي، الخليل بن أحمد، والرماني، والسبكي[6].

---

(١)أبو حمدان ، سمير، الإبلاغية في البلاغة العربية ، منشورات عويدات الدولية بيروت- باريس ، ط١، ١٩٩١م ، ص ٧٦ .

(٢)أبو زيد ، أحمد، التناسب البياني في القرآن ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٩٢م ، ص٢٩٢ .

(٣) انظر: السيوطي ، جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة، دار إحياء الكتب العربية ،١/ ١٩١-١٩٢ .

(٤) انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان ، سر صناعة الإعراب، تحقيق ، جماعة من الأساتذة، مطبعة البابي الحلبي، مصر ،ط١، ١٩٥٤، ص ٩٩.

(٥)انظر: ابن سنان ، الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٢م، ص٦٤.

(٦)أبو زيد ، أحمد، التناسب البياني في القرآن ، ص٢٩٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب- صفات الحروف

كما يرجع التلاؤم والتنافر إلى مخارج الحروف فهما يرجعان إلى الصفات كذلك "فكما يتنافر الصوتان بسبب مخرجيهما، يتنافران بسبب الصفتين أيضاً . فثمة صفات تقف الواحدة منها من الأخرى موقفاً عِناديا تناكريا بحيث لا تتفق الواحدة مع الأخرى في جوار واحد.

مثال ذلك: أن الاستعلاء لا ينسجم مع الاستفال، ولا ينسجم الإطباق والانفتاح، ولا الصفير والتفشي، ولهذا امتنع توالي الجيم والصاد للسبب الأوّل، فإذا وردت كلمة توالت فيها الجيم والصاد فهي مُعَرّبة. وكذلك امتنع توالي الجيم والقاف، ولهذا السبب أيضاً وصفت كلمة (مستشزرات) بالتنافر لتجاور الصفير والتفشي" [1] .

وهذا الذي ذكرته آنفاً هو ما تبناه الأستاذ مصطفى صادق الرافعي إذ عند حديثه عن إعجاز النظم الموسيقي في القرآن أرجع ذلك " لترتيب حروفه لاعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة ، والتفخيم والترقيق والتفشي والتكرير" [2].

جـ - الحركات

وذلك أن المفردة قد تكون هي هي، لكن تغيير الحركة قد يؤدي إلى ثقلها على اللسان،بخلاف المبنية على حركات خفيفة، فخفة الحركات تؤدي إلى سرعة نطقها من غير عناء ولا كلفة، فإذا ما التقت حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تستكره ولم تثقل، بخلاف الحركات الثقيلة، فإذا توالت اثنتان منها في كلمة واحدة استكرهت واستثقلت؛ لما يعانيه ناطقها من عسر ومشقة؛ ولذا ثقلت الضمة على الواو، والكسرة على الياء، لأنهما من جنسيهما[3] . وهذا ما أشار إليه ابن الأثير مبينا أن تباعد المخارج إذا قرن بالحركات التي تناسبه كان ذلك في التأليف أحسن وأفضل[4] .

د - تكرار الحروف

إن تكرار الحروف في المفردة ، قد يكون دليلا على التنافر، وذلك لأن تكرار صوت مفرد أكثر من مرة يؤدي إلى التنافر، لأنه يكوّن سلسلة صوتية متماثلة، مما يؤدي إلى ثقل النطق، وصعوبته كما يصرف الذهن عن تتبع المعنى.

---

(١)حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، علام الكتب، القاهر، ط٢، ٢٠٠٠م ، ١/ ٢٢٣ .

(٢)الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص٢١٥ .

(٣)الشيخ، عبد الواحد حسن ، التنافر الصوتي والظواهر السياقية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفني، ط١، ١٩٩٩م ، ص١٣ .

(٤)ابن الأثير، ضياء الدين نصر بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانه، منشورات دار الرفاعي ، الرياض، ط٢ ، ١٩٨٣، ١/ ٣٠٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا الثقل ينشأ من توالي الحروف المتماثلة لا المختلفة ، الأمر الذي يؤدي إلى الجمع بين الأضداد التي يكره الذوق العربي تواليها في ظاهرة التأليف، لذا اشترطوا لكي تكون الكلمة فصيحة أن تتناسق مخارج حروفها وفق أساس ذوقي وعضوي خاص وليس بالقرب والبعد مطلقاً[1] .

هـ - **كثرة الحروف** الذي ينشأ عنه طول الكلمة، مما يتطلب جهداً عضليا زائداً، وفترة زمنية أطول في النطق، الأمر الذي يجعل اللسان يتعثر ويتخبط أثناء نطق هذه الكلمات .

ولذا مال علماء العربية -طلباً للخفة وبعدا عن الثقل والتنافر- إلى الإكثار من استخدام الأوزان الثلاثية دون الرباعية أو الخماسية .فكثرة حروف كل من الرباعي والخماسي أدى إلى قلة استعمالهم لها ، وهذا ما أكده ابن جني إذ يقول بعد أن عرض تراكيب كل من الرباعي والخماسي : "فدل ذلك على استكراههم ذوات الخمسة، لإفراط طولها، فأوجبت الحال الإقلال منها، وقبض اللسان عن النطق بها، إلا فيما قل ونزر؛ ولما كانت ذوات الأربعة تليها ، وتتجاوز أعدل الأصول – وهو الثلاثي – إليها ، مسها بقرباها منها قلة التصرف فيها؛ غير أنها في ذلك أخف حالاً من ذوات الخمسة، لأنها أدنى إلى الثلاثة منها. فكأن التصرف فيها دون تصرف الثلاثي "[2].

و- **حاسة السمع والذوق هما الحكم في تحديد المتلائم والمتنافر.**

وممن ذهب إلى هذا الرأي ابن الأثير فهو -على الرغم من عدم إنكاره كون تباعد مخارج الحروف من أسباب تناسب الأصوات وحسن التأليف- يرى أن حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام بحسن ما يحسن من الألفاظ، وقبح ما يقبح، "على أن هذه قاعدة شذ عنها شواذ كثيرة؛ لأنه قد يجيء في المتقارب المخارج ما هو حسن رائق، ألا ترى أن الجيم والياء والشين مخارج متقاربة، وهي في وسط اللسان بينه وبين الحنك وتسمى ثلاثتها الشجرية ، وإذا تركب منها شيء من الألفاظ جاء حسناً رائقاً، فإن قيل جيش كانت لفظة محمودة"[3] .

بعد هذا العرض للأسباب المؤدية إلى التنافر أو التلاؤم في المفردة لا بد من تسجيل الملحوظات التالية:

١ - **تراوحت أقوال العلماء في أسباب تناسب الأصوات في التأليف أو تنافرها بين التعليل الموضوعي** القائم على البحث عن علة موضوعية مستمدة من امتزاج الأصوات عند التأليف، وبين التعليل الذوقي الذاتي القائم على اعتبار حاسة السمع معيارا لذلك .[4].

([1])الشيخ عبد الواحد حسن، التنافر الصوتي والظواهر السياقية، ص١٥ ،٣٩ بتصرف .

([2]) ابن جني،أبو الفتح عثمان، الخصائص،تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط٢ (١/ ٦٢).

([3])ابن الأثير ، المثل السائر ، ١/ ٢٥٩ .

([4])أبو زيد، احمد، التناسب البياني في القرآن ، ص٢٩٧ ، بتصرف .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢ - إن الفكرة الأساسية التي التف حولها علماء البلاغة، واللغويون في تعليلاتهم لثقل المفردة أو خفتها هي فكرة القرب أو البعد في المخارج، مغفلين في تحليلاتهم وتعليلاتهم الأسباب الأخرى إلى حد كبير.

وهذا المقياس الذي وضعوه غير دقيق لأنه غير مطرد، ولوجود ما يخالفه في الألفاظ العربية عموماً وفي القرآن خصوصاً.

فمسألة التلاؤم بين حروف المفردة لا تقتصر على تباعد الحروف أو تقاربها ، بل هنالك الحروف بمخارجها وصفاتها وحركاتها، كما أن مسألة الذوق معتبرة في هذا .

٣ - ومما يلحظ أيضاً على آراء المتقدمين خلوها من الدراسة التحليلية التي تبرز ما يمتاز به القرآن في النظام الصوتي. والمطالع لكتب علمائنا لا يعثر إلا على شذرات يسيرة هنا وهناك .ومن هذا ما جاء عند الرماني في باب الإيجاز عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ موازناً بينها وبين قول العرب (القتل أنفى للقتل) . ومما جاء في كلامه " وأما الإيجاز في العبارة، فإن الذي هو نظير (القتل أنفى للقتل) ، قوله : (القصاص حياة) ، والأول أربعة عشر حرفاً، والثاني عشرة أحرف، وأما بعده من الكلفة بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة ، فإن في قولهم (القتل أنفى للقتل) تكريراً غيره أبلغ منه ، ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصر في باب البلاغة عن أعلى طبقة .

وأمّا الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس ، وموجود باللفظ . فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة، لبعد الهمزة عن اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام ، فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن ... "[١].

المفردة القرآنية بين التلاؤم والتنافر

يعد الرماني أول من تحدث عن فكرة التلاؤم في الحروف في الأسلوب القرآني، موضحا أثر ذلك في النفس .فالتلاؤم عنده نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف[٢] في التاليف لأن تأليف الكلام على ثلاثة أوجه . متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا[٣] .

ويعود الرماني بالتلاؤم إلى تجانس الأصوات، ولما كانت أصوات القرآن متجانسة تماماً، فإن القرآن كله متلائم في الطبقة العليا، وذلك بين لمن تأمله، والفرق بين القرآن وبين غيره من الكلام في

---

(١)الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ص٧٨ .

(٢)والمقصود بتعديل الحروف: أن تكون حروف المفردة منسجمة فيما بينها فلا نبو،ولا ثقل.

(٣)الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص٩٤-٩٥ .

تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى، وبعض الناس أشد إحساسا وفطنة له من بعض. ويبحث الرماني التلاؤم في أصوات القرآن من وجوه:

١ - السبب في التلاؤم ويعود به إلى تعديل الحروف في التأليف، وكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما

٢ - الفائدة في التلاؤم، يعود بها إلى حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة.

٣ - ظاهرة التلاؤم ويعود بها إلى مخارج الحروف في اختلافها، فمنها ما هو أقصى الحلق، ومنها ما هو أدنى الفم، ومنها ما هو الوسط بين ذلك " والتلاؤم في التعديل من بعد شديد أو قرب شديد. وذلك يظهر بسهولته على اللسان وحسنه في الأسماع، وتقبله في الطباع ، فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام"[١] .

وللرافعي في باب تلاؤم الحروف وتنافرها جهد مشكور، وهو من أعمق من تحدث عن هذا الوجه من الإعجاز القرآني إذ عقد في كتابه إعجاز القرآن فصلاً خاصاً للحروف وأصواتها، ومما جاء فيه " فإن طريقة النظم التي اتسقت بها ألفاظ القرآن ، وتألفت لها حروف هذه الألفاظ إنما هي طريقة يتوخى بها إلى أنواع من المنطق ، وصفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب، ولكنها ظهرت فيه أول شيء على لسان النبي ﷺ وجعلت المسامع لا تنبو عن شيء من القرآن، ولا تلوي من دونه حجاب القلب، حتى لم يكن لمن يسمعه بدّ من الاسترسال إليه والتوفر على الإصغاء"[٢] .

وأوضح أن من خصائص هذا الكتاب الكريم أنه لا تمله الأسماع ولا تمجه الأذواق، وأنه مباين لسائر الكلام، وأنه لا وجه لتعليل ذلك " إلا إعجاز النظم بخصائصه الموسيقية وتساوق هذه الحروف على أصول مضبوطة من بلاغة النغم، بالهمس والجهر والقلقلة والصفير، والمد والغنة ونحوها، ثم اختلاف ذلك في الآيات بسطا وإيجازا وابتداء وردا وإفرادا وتكريرا"[٣] .

وعليه فلنا أن نتساءل هل ما وضعهُ العلماء من مقاييس وشروط تظهر فصاحة المفردة، وهل ما ذكروه من أسباب مفضية إلى التنافر والثقل والوعورة والخشونة، ينطبق على المفردة القرآنية.

وللجواب عن ذلك يمكن القول: إنّ قاريء كتاب الله - عز وجل - يجد أنّ مفرداته جاءت في الطبقة العليا من التلاؤم والتناسق والانسجام بين مخارج حروفها وصفاتها، وحركاتها وسكناتها، وغننها ومدودها .

---

(١)المرجع السابق، ص٩٥-٩٦ بتصرف .

(٢)المرجع السابق ص ٢١٣ .

(٣)المرجع السابق ،ص٢١٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فلا مكان للثقل والاستكراه أو التعثر في النطق، بل يجد القارئ سهولة في المخارج ، ويسراً في النطق ، وعذوبة في السمع. يستوى في هذا تلك المفردات التي تباعدت مخارجها وصفاتها أو تقاربت، والمفردات التي كثرت حروفها أو قلت، والمفردات التي تكرر فيها الحرف نفسه أو لم يتكرر.

وإنّ هذه المزايا في المفردة مظهر من مظاهر إعجازها، فكان من الطبيعي أن تكون المفردة القرآنية مباينة في أصواتها وطريقة ترتيب حروفها، وانسجام صفاتها ، للكلام البشري .

يقول الرافعي:

"فكان العرب يترسلون أو يحذمون (يسرعون) في منطقهم كيفما اتفق لهم ، لا يراعون أكثر من تكييف الصوت، دون تكييف الحروف التي هي مادة الصوت، إلى أن يتفق من هذه قطع في كلامهم ، تجيء بطبيعة الغرض الذي تكون فيه، أو بما تعمّل لها المتكلم، على نمط من النظم الموسيقي، إن لم يكن في الغاية ففيه ما عرفوه من هذه الغاية .

فلما قرئ عليهم القرآن ، رأوا حروفه في كلماته ، وكلماته في جمله، ألحاناً لغوية رائعة؛ كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى ، وأنّه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبيَن في عجزهم"[1] .

بقي أن أقول: إن ما ذكره العلماء من أسباب يفضي توافرها إلى التنافر والثقل غير منطبق على المفردة القرآنية، وسأجلي هذا بأمثلة من القرآن الكريم على النحو الآتي:

أولاً : ذكر العلماء أن من الأسباب المؤدية إلى التنافر أو التلاؤم بعد المخارج أو قربها . وكذلك بعد الصفات أو قربها .

أقول: إن كلا الأمرين قد جاء في كتاب الله -سبحانه وتعالى- على غاية من الروعة والجمال. ومن ذلك:

١ - قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأنعام: ٥٦ التقت في هذه الآية الكريمة الدال والضاد عند مفصل الكلمتين، ومن المعلوم أن الدال والضاد يتصل مخرجاهما، ويشتركان في العديد من الصفات فهما متقاربان ، ولكن النص القرآني عالج هذه المسألة بقلقلة الدال عند من لم يدغم من القراء، أو بإدغامها بالضاد عن من أدغم.

٢ - قوله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ يس: ٦٠

---

[1] الرافعي، مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢١٤ .

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

ففي كلمة (أعْهد) تقاربت الهمز والعين فهما من مخرج متقارب[1] ، ومع ذلك لا يشعر القارئ بخروج عن المألوف في النطق، والثقل الحاصل مقصود ليجسد ثقل العهد، وثقل مسؤولياته.

وأمّا الأمثلة التي جاءت فيها الحروف متباعدة، قوله تعالى :﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ ﴾ البقرة: ٢٤٣.

فقوله ﴿ أَلَمْ ﴾ مفردة مركبة من ثلاثة حروف كل منها من مخرج، فالهمزة من الحلق، واللام من طرف اللسان ، والميم من الشفتين ، ومع ذلك لا نجد اللسان يتعثر في نطقها .

ومثلها قوله (علم) فهي من مخارج مختلفة إلا أنها رقيقة خفيفة .

ومن الأمثلة على التجانس بين الصفات قوله تعالى:﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ الشعراء: ١٣٠ .فالطاء حرف إطباق شديد، واستعلاء وجهر . أما الشين فهو حرف همس ورخاوة وانفتاح، فقد تجاور الحرفان وهما مختلفان في المخرج ومختلفان في الصفات وهما مع ذلك يلتقيان في هذه المفردة لتحقق بصفاتهما دلالة مقصودة . وهي بيان عدم الانسجام في سلوك الكافرين الأعوج القائم على البطش، فلو قال: وإذا بطشتم كنتم جبارين لضاع نصف المعنى، فتكرار اللفظ مقصود . وتجاور الطاء والشين مقصود.

ثانيا : جعلوا من الأسباب الموجبة للتنافر، تكرر الحرف في الكلمة مما يوجب ثقلاً في النطق، والحرف المكرر في الكلمة الواحدة، إمّا أن يجيء على التتابع، وإمّا أن يجيء على الانفصال.

وقد جاء الأمران في القرآن فكانا على غاية من الحسن.ومن ذلك [2].

أنه قد جاء من هذه الألفاظ في بليغ القول ما عذب جرسا وطاب نغما، فمن المضعف من حرف (الدال) في محل الفاصلة وهي مكان الجرس المتحد، ومن سورة واحدة هي سورة (مريم). قال تعالى:

﴿ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ ﴾ مريم: ٧٩

﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ مريم: ٨٢

﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾ مريم: ٨٩

﴿ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ مريم: ٩٠

﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ مريم: ٩٤

([1]) فالهمزة تخرج من أقصى الحلق(الحنجرة)، والعين من وسط الحلق. فيجمعهما مخرج عام هو الحلق ومن هنا نشأ التقارب. للمزيد انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، قدم له: علي الضباع، دار الكتب العلمية، ببروت، لبنان،ط١، ١٩٩٨م، ١/ ١٥٨-١٥٩.

([2])انظر: : السيد، عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب،(د.ط،د.ت). ص ١٩ -١٩ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ مريم: ٩٦

﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ مريم: ٩٧.

بل انظر إلى تجاور الحرف ثلاث مرات فيما ضعفت عينه من الثلاثي المضعف أصلا في قوله تعالى: ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ يس: ١٤.

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ التوبة: ١٠٩.

ومن بديع ما جاء في القرآن من تكرر الحرف قوله تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ هود: ٤٨. فقد اجتمع فيها ستة عشر ميماً.

ففي ﴿ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ ثمانية ميمات متواليات، والأصلُ (أممٍ مِنْ مَنْ معك) قلب تنوينُ ﴿ أُمَمٍ ﴾ ميما، فهذه ثلاثُ ميمات، ثم قُلِبَتْ نونُ (مِنْ) ميما، فهذه خمسُ ميمات، ثم قُلِبَتْ نونُ (مَنْ) ميما، فهذه سبعُ ميمات، والميمُ الثامنةُ ميمُ ﴿مَّعَكَ﴾.

وقلبُ النونِ ميما واجتماعُ هذه الميماتِ متَّفقٌ عليه من جميع القراءِ، قُرّاءِ المتواترِ والشواذ؛ ولم يَقرأ أحدٌ بغير ذلك.

يقول الدكتور سمير استيتيه تعليقاً على تكرار الميم في هذه الآية الكريمة:

الميم والنون صوتان أنفيان، ورنينهما في الحجرة الأنفية، وينشر هذا الرنين ترددات توافقية يصل مداها إلى الجزء الخلفي من القشرة الدماغية، وهو مقرُّ الحركات الوجدانية، ولذلك كانت الغنّة من دواعي الغناء.بسلامٍ مّنّا، وأمم مؤمنة (ممّن معك) هذا كله تعبير عن الرضا.وأما السخط – وهو وجداني عند الإنسان – فيمثله ﴿ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ هود: ٤٨ ، كل هذا يخلق الرضا عند نوح، والسخط على من كفروا، فانظر كيف دلت هذه الأصوات على ما أوحاه الله إلى عبده نوح عليه سلام الله . في جملة واحدة : فيها رضا وفيها غضب، وقد جسد الميم المكرر هذا كله[1].

وقد علل لذلك أيضاً أحد العلماء ، فأرجع ذلك لعلة نفسية، فقال: "والميم وحده حرف ثقيل مضغوط ، يشد عضلات الفم كلها حتى يؤدى على هيئة صوت ، فكيف به إذا كرر؟ ثم كيف يكون ميزانه من الثقل حتى يتكرر بهذه الكثرة المتلاحقة؟.

---

(1) هذا مما سمعته مشافهة من أستاذنا الدكتور سمير استيتيه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وليس هذا النغم المجلجل المتتابع من هذه الميمات، إلا أداء لما يقتضيه المقام من دواعي القوة التي تحيط بالموقف وتظاهره .

فهذا نوح – عليه السلام – قد طوفت به وبمن معه السفينة، في مجاهل هذا الطوفان المروع العاتي الذي أتى على كل شيء ، حتى أذن الله لهذه الغمة أن تنجلي، وتصل السفينة إلى شاطئ الأمان والسلام.

هذا الموقف الصعب، وتلك المشاعر المتغيرة، والأهوال المتعددة كانت تشابه في شدتها تتابع هذه الميمات وتظاهرها في مكان واحد، فما كانت هذه الميمات إلا مراعاة لما يقتضيه الحال من دواعي القوة التي تحيط بهذا الموقف"[1].

ثالثاً : ومما ذكروه موجبا للتنافر والثقل ، كثرة حروف الكلمة، لذا مالوا في استعمالاتهم إلى اختيار الأصول الثلاثية دون الرباعية والخماسية ، وقد جاء في القرآن كلمات كثرت حروفها، ولكننا عند قراءتها نجدها على غاية من الخفة والعذوبة ، وسهولة النطق والأداء :

١ -قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥.

إن عدد حروف لفظة ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ بمفردها في هذه الآية قد بلغ عشرة أحرف، وإذا ما حاولنا تلمس الإيقاعية فيها، نجدها في تعدد مقاطعها، واختلاف مخارجها، وتنوع حركاتها فقد جاءت هذه المفردة ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾على سبعة مقاطع على النحو الآتي.

(لَ/ يَس/ تَخ / لِ/ فَنْ/ نَ/ هم).

تظهر جمالية هذه المفردة من أمر التوكيد باللام والنون، وسمة الهيمنة النابعة من الضغط على السين والخاء ، ومن الوقوف على حرف الميم وهو حرف شديد [2].

فالهيئة التي صيغت عليها هذه المفردة ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾معبرة تمام التعبير عما يراد بيانه من صدق وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلفظها مشعر بتحقق الوعد وأنه وعد لا يتخلف أبداً .

وهناك لفظة أخرى شبيهة بما أوردناه ، متمثلة في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ البقرة: ١٣٧

([1])لاشين، عبدالفتاح، من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن) ، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٩٨٣م، ص ٣٤ – ٣٥ .

([2])باسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية ، ص ١٨٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إذ إن لفظة (فَسَيَكْفِيكَهُمُ) ، قد بلغ عدد حروفها بمفردها تسعة أحرف، غير أن سر جمال هذه اللفظة تمثل في إيقاعيتها التي انبنت من تكرار حرف (الياء) والكاف فيها، ثم توسط حرف (الكاف) الأولى ، وحرف(الكاف) الثانية وحرف المد (الياء) ، الذي يعد(المرتكز الإيقاعي) في هذه اللفظة [1].

وبنيتها موحية بالاطمئنان، فالمهلة والتؤدة في نطقها مشعر بالاطمئنان، وأن الكفاية حاصلة من الله.

وبعد عرض نماذج للكلمات التي كثرت حروفها، نستنتج ما يأتي:

١ - ليست العبرة في كثرة عدد حروف المفردة ، بل في نوعية هذه الحروف.

٢ - تتدخل المدود والحركات في طول المفردات إذ تقسمها إلى مقاطع صغيرة سهلة النطق .

٣ - للمفردات الطويلة في القرآن أهمية في النظم وملاءمة الموقف .

٤ - إنّ سماع المفردات القرآنية لا يُشعرُ بوطْء الطول، ويعود ذلك إلى التنسيق الزمني مع نوعية التشكيل الصوتي وكيفيته[2].

ومن هذا يتبن لنا إسهام المفردة القرآنية بالجمال السمعي ، مما يؤدي إلى انشراح في الصدر، وإقبال شديد على الاستماع والتدبر .

رابعاً : ومما جعلوه جالباً للثقل والتنافر الحركات ؛ فتغيير حركة الحرف في المفردة قد ينقلها من الخفة والرشاقة إلى الثقل والتنافر كما سبق أن بينته .

والناظر في القرآن الكريم يجدُ مفردات قد توالت فيها حركات، مما أوجب ثقلاً ظاهرياً ، ولكن عند التدبر وجدنا هذه المفردات في غاية الجمال والخفة والفصاحة؛ وذلك لتجانسها في حروفها وحركاتها ، وتهيئة بعضها لبعض حتى إنّ الحركة الثقيلة لتستساغ في التركيب القرآني.

وذلك مثل كلمة (النُّذُر) في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ القمر :٣٦ فكلمة النذر فيها ثقل لفظي، بما فيها من تشديد النون، وتوالي الضمات، ولكنها لما سبكت ونظمت في التركيب القرآني خفت ولذت، فمهدّ لها بصدر الآية بالقلقلة في الدّال من (لقد) ، وفي (الطاء) من بطشتنا، وبثلاث عشرة فتحة متناثرة على الحروف من واو (وَلَقَد) إلى (راء) فتمارَوْا ، وبالمد في ألف (بَطْشَتَنَا) كأنها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات وترويض للسان عليه ليكون ثقل الضمة مستخفاً بعدُ ، وتكون هذه الضمة قد أصابت موضعها.

وقد جاءت راء (تمارَوْا) مساندة لراء (النذر) ، حتى إذا انتهى اللسان من هذه انتهى إلى مثلها. فتخفّ عليه ولا تغلظ ولا تنبو فيه .

([1])الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ث ٢٢٩ .

([2])انظر: ياسوف ، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص١٨٩ .

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

ثم انظر لتلك الغنة التي سبقت الطاء في النون من (أنذرهم) وفي ميمها. وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر) فقد أسهمتا في تخفيف ثقل الضم المتتالي [1].

كل هذه الأسباب جاءت مجتمعة متآلفة متناسقة لتخفف من ثقل الضمتين المتتاليتين من (النذر) .

وهذا المثال الذي ذكرته ليس هو الوحيد في بابه، ففي سورة القمر جاء تتابع حركة الضمة في فواصلها في سبع عشرة آية . كقوله تعالى : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝ ﴾ ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ ﴾.

تكرر ذلك في السورة في سبع عشرة فاصلة .

ولعل تتابعَ الضمة وما فيها من العُنْف والشدة ما يتناسبُ مع غرض السورة، إذ هي عرض لمشاهد من صور الفزع العنيف، والرعب الشديد الذي يصيب أجيال المكذبين، ووصف مصارع القوم الذين سلكوا مسلك كفار مكة. وقد جاء الضم المتتابع في فواصل هذه الآيات كثيرة وفي صورة واحدة حسناً رائقاً ، لا ثقل فيه عند النطق، ولا نبو في وقعه على السمع ؛ ولا عجب في ذلك فهو من عند الله عالم الأسرار واللطائف ، وتنزيل من الرحمن الرحيم[2] .

مثال آخر: قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ فقد توالت ثلاث ضمات في قوله حُمُر ، وبالرغم من ذلك فإن نطق هذه الضمّات مستساغ غير منفور منه .

ولعل مَردّ ذلك أنه قد هُيِّئَ للمفردة بأسباب جعلت منها خفيفة في النطق والسمع ومن هذه الأسباب :

الغنة التي في (كَأَنَّهُمْ) ، والميم الساكنة في نهايتها مشعرة بسكتة لطيفة كأنها تهيء لابتداء النطق بما بعدها .

ورقة الحاء ، ومخرج الميم من الشفتين الذي يقترب من مدّ الشفتين عند نطق الضمة ثم التنوين الذي على الراء بما يعطي فسحة للترنم والتلذذ وخاصة مع غنة الإدغام بعدها .

المسألة الثانية: خِفّةُ المفرَداتِ وثقلُها

سأبين في هذه المسألة مفهوم الخفة والثقل في المفردة القرآنية، وهل يتعارض ثقل نطق المفردة مع فصاحتها؟

وللإجابة يمكن القول : من المعلوم بداهة أن الألفاظ المفردة تتفاوت فيما بينها خفة وثقلاً، وليس يخفى على من له أدنى بصيرة أن للألفاظ نغمة إما أن تكون لذيذة،وإما أن تكون ممجوجة. وأن لها في

---

(1) انظر: الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٢٧ –٢٢٨ ، وانظر: المطعني ، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، ط١،١٩٩٣م ، (١/ ٢٥٠) .

(2) انظر: لاشين، عبد الفتاح، من أسرار التعبير القرآني (حروف القرآن) ص ٤٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفم حلاوة كحلاوة العسل، ومرارة كمرارة الحنظل. ومن يبلغ جهله إلى أن لا يفرق بين لفظة الغصن والعسلوج ، وبين لفظة المدامة ولفظة الإسفنط، وبين لفظة السيف وبين لفظة الخنشليل ، وبين لفظة الأسد وبين الفدوكس ، فلا ينبغي أن يخاطب بخطاب ولا يجاوب بجواب[1] .

والذي يقرأ في كتب النقد والبلاغة والإعجاز يجد صفحة إلى صفحة سلاسل من الوصف الجزاف تتلاحق على الكلام البليغ فلا تحدده ولا توضحه ، ذلك ؛ لأن أكثرها من الألفاظ التي أشاعها الكتاب في الناس من غير تقييد ولا تحديد.ومن ذلك قولهم: الجزالة والسهولة والعذوبة والرقة والدقة والخفة والقوة والسلاسة والرصانة والنصاعة والوضوح والصدق والطلاوة والحلاوة والمائية والصنعة والسبك والحبك والشرف والجلال إلى آخر هذه النعوت المتداخلة التي لا تعين حدا ولا تبين مزية[2].

فالخفة والثقل من المصطلحات التي لم يحدد المقصود بها، ولعل ابن الأثير– رحمه الله – حاول أن يقترب خطوة من مفهوم الخفة والثقل إذ يقول: "الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منها موضع يحسن استعماله فيه. فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف ، وأشباه ذلك . وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد، وفي استجلاب المودات ، وملاينات الاستعطاف ، وأشباه ذلك.

ولست أعني بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعراً عليه عنجهية البداوة ، بل أعني بالجزل أن يكون متيناً على عذوبته في الفهم ولذاذته في السمع، وكذلك لست أعني بالرقيق أن يكون ركيكاً سفسفاً، وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبي تمام:

ناعِماتُ الأَطرافِ لَو أَنّها تُل ... بَسُ أَغنَتْ عَنِ المُلاءِ الرِقاقِ

وسأضرب لك مثلاً للجزل من الألفاظ والرقيق فأقول: انظر إلى قوارع القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط ، وعند الموت ومفارقة الدنيا، وما جرى هذا المجرى، فإنك لا ترى شيئاً من ذلك وحشي الألفاظ، ولا متوعرا، ثم انظر إلى ذكر الرحمة والرأفة والمغفرة والملاطفات في خطاب الأنبياء، وخطاب المنيبين والتائبين من العباد، وما جرى هذا المجرى، فإنك لا ترى شيئاً من ذلك ضعيف الألفاظ ولا سفسفاً"[3] .

ثم ساق أمثلة على الجزالة والرقة من آيات القرآن الكريم. ويلحظ من كلام ابن الأثير حقيقتين هامتين :

الأولى: أن الجزالة والرقة تنبعان من طبيعة الموضوع وغرضه ومنحاه .

---

(١)انظر: ابن الأثير ، المثل السائر ،١/ ٢٥٤ – ٢٥٥ .

(٢) انظر: الزيات، أحمد حسن، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، (د.ط،د.ت)، ص٩٤-٩٥.

(٣)ابن الأثير، المثل السائر ، ١/ ٢٧٥ –٢٧٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وثانيتهما: أن الجزالة لا تعني الغرابة والتوعر، ولا تمنع العذوبة واللذاذة ، كما أن الرقة يجب أن تبعد عن الركاكة والإسفاف ،فهي لا تتناقض مع قوة الأسر ومتانة النسج[1] فقد أدرك ابن الأثير العلاقة بين التشكيل الصوتي للمفردات ، وبين الموضوع الذي يتناوله الحديث . وعليه فإنه يجب أن يتلاءم التشكيل الموسيقي والصوتي مع طبيعة الموقف الذي يتناوله القرآن. وقد كان للإمام البارزي[2]دور في محاولة إلقاء الضوء على كل من مفهومي الخفة والثقل.

وأما دراسة هذا الموضوع عند المعاصرين، فقد كان للرافعي أثر بارز كذلك، فقد قام بدراسة بعض المفردات في بعض الآيات مبيناً أن طريقة ترتيبها في الآية كان مراعى فيه جانب الخفة والثقل ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ الأعراف: ١٣٣ إذ يقول: "فإنها خمسة أسماء ، أخفها في اللفظ (الطوفان والجراد والدم) وأثقلها (القمل والضفادع) فقدم (الطوفان) لمكان المدَّيْن فيها ، حتى يأنس اللسان بخفتها؛ ثم الجراد وفيها كذلك مد ، ثم جاء باللفظين الشديدين مبتدئاً بأخفهما في اللسان ، وأبعدهما في الصوت لمكان تلك الغنة فيه ، ثم جيء بلفظة (الدم) آخراً وهي أخف الخمسة وأقلها حروفا ليسرع اللسان فيها ويستقيم لها ذوق النظم ، ويتم بها هذا الإعجاز في التركيب. وأنت فمهما قلبت هذه الأسماء الخمسة، فإنك لا ترى لها فصاحة إلا في هذا الوضع لو قدمت أو أخرت لبادرك التهافت والتعثر... ثم لخرجت الأسماء في اضطراب النطق عن ذلك بالسواء ، ليس يظهر أخفها من أثقلها" [3] .

والرافعي في هذا متابع لابن الأثير، وإن كان الرافعي أكثر وضوحا وشرحا وتفصيلا . ومما يؤخذ على الرافعي أنه لم يبين سبب الشدة في لفظي القمل والضفادع أو لم قدم القمل على الضفادع.

أقول : ولعل السر في أن لفظة (القمل) أخف (لمكان) الغنة التي في الميم ، ولوجود حروف لينة سهلة كالميم واللام فيها، وأما لفظة (الضفادع) ففيها الضاد الذي هو من حروف الإطباق والجهر ثم تلاه حرف الفاء المشدد ثم كثرة حروف لفظة (الضفادع) بالنسبة إلى لفظة (القمل) .

ولعل سر ترتيب هذه المفردات على النحو الذي جاءت عليه في الآية الكريمة هو حصولها في الواقع على هذا الترتيب.

---

(١)انظر:البيومي، محمد رجب، البيان القرآني ، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر ، السنة الثالثة، كتاب ٣١ ، ١٩٧١م، ص ٣٣ .

(٢)لعله عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبه الله الجهني، أبو محمد ، نجم الدين المعروف، بابن البارزي، ت٦٨٣ . أو ابنه هبة الله بن عبدالرحيم ، أبو القاسم، شرف الدين، ومعروف بابن البارزي أيضاً ت ٧٣٨ ، انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ٥/ ٣٨١-٣٨٢ ، ٦/ ١١٩

(٣)الرافعي ، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص٢٣٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وذكر الرافعي رحمه الله كذلك أن القرآن لم يستخدم بعض الألفاظ لمكان ثقلها في النطق كلفظة (الآجر) أو لفظة (الأرضين) كما أن القرآن لم يستعمل بعض الألفاظ إلا مفردة، وأخرى لم يستعملها إلا مجموعة لهذا الاعتبار(١) .

وقد تحدث عبدالكريم الخطيب عن قوة الصوت في القرآن ، فراح يرصد الأحرف المتكررة في القرآن ، ليستشف منها ظلالاً فنية. يقول عند قوله تعالى :﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ آل عمران: ١٨١

اجتمع في الآية الكريمة عشرة قافات ، ومنها سبعة في المقطع الأخير منها ، ومع هذا، فلا نشعر بنبو ولا جسأة فيها. واللام قد عارضت حرف القاف فيها، فكانت عدّتها أحد عشر لاما ، وعلى الرغم من أن اللام يعد من الحروف الثقيلة إلا أنه أقل ثقلا من القاف التي تعد من أثقل الحروف نطقاً لأن مخرجها من أقصى الحلق إلى ملتقى الشفتين (٢).

فوجود اللام والقاف بانسجام وتجاور رفيع هو الذي أوجد سهولة النطق .

وقد أكد الدكتور نور الدين عتر المناسبة بين الصوت والموقف المراد التعبير عنه في القرآن الكريم، ويرى أن هذه الخاصية مبثوثة في القرآن كله مكيّه ومدنيّه، بل في السورة الواحدة. يقول أثناء تفسيره لأوائل سورة البقرة : "ففي الحديث عن المؤمنين تجد المدات في فواصل الآيات مع الحروف السهلة ذات الوقع الخفيف على الأذن تعطي الكلام وقعاً لطيفا مناسبا للتأثير العاطفي وفي الغضب والسخط تجد الحروف قوية الوقع شديدة التأثير ، مثل الميم الساكنة في الحديث عن الكافرين ثم هذه الألفاظ (صم، بكم ،عمي) (رعد، برق)، والحركات المتلاحقة ذات الجرس القوي مثل (صواعق، ظلمات) تريح الأذن بأصداء المشهد المخيف حتى تشترك في الإحساس بما أحس به الفكر وما وقع في القلب"(٣) .

ونلاحظ على ما ذكره الدكتور نور الدين عتر ما يلي :

١ - أنه استخدم مفهوم الشدة لا مفهوم الثقل ، ولذا يستبعد قول الباحثين (حرف ثقيل) ويستبدل به (حرف شديد) ، لأن العربية قد استبعدت ما هو ثقيل عن الاستعمال، وجاء القرآن فاستبعد أخرى من اختياره للأصوات ، فالقاف ليس حرفا يتعذر النطق به لثقله، على لسان القارئ ، وفي أذن السامع .بل هو حرف قوي شديد.

---

(١)انظر: الرافعي ، مصطفى صادق إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٢٣١-٢٣٥ .وانظر: بدوي، أحمد أحمد من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ط، د.ت)ص ٦٩-٧٤ .

(٢) انظر:الخطيب، عبد الكريم، إعجاز القرآن ، دار الفكر العربي، القاهرة ط١ ، ص٢/ ٢٧٧ -٢٧٨ .

(٣)عتر ، نور الدين، القرآن والدراسات الأدبية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية. ١٩٨٩م، ص٢٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢ - يؤكد أن أصوات القرآن كلها خفيفة ، وأن هذه الخفة متفاوتة تبعا لاختلاف الموضوع والموقف[١].

وإن كنت أتفق مع الدكتور نور الدين عتر في أنه لا يوجد في العربية أو في القرآن حرف يثقل على لسان القارئ بحيث لا يستطيع أن ينطق به، إلا أنه يوجد في القرآن مفردات صيغت بكيفية نطق تنبيء عن الموقف المراد التعبير عنه، ذلك نحو (اثاقلتم) (ليبطئن). فالثقل هنا مقصود لأنه يؤدي رسالة في تصوير المعنى وإيضاحه.

ونخلص بعد هذا العرض لمواقف عدد من العلماء من مفهوم الخفة والثقل إلى :

أ - أن الخفة لا تكون مع الصوت الرخي دائما، بل تكون مع الصوت القوي، ولكل مقام ما يناسبه. وليست العذوبة في تجنب الأصوات المفخمة والقوية ، فالمقام هو الحاكم في ذلك.

ب- يرتبط الصوت في القرآن الكريم بالموقف، حيث الشدة في مواقف الترهيب، واللين في مواقف الترغيب ، فالنظم القرآني يراعي في توزيع الأصوات وتأليفها ما يناسب الأغراض والمعاني ، ونوع التأثير المراد إثارته فالفاظ القرآن " إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة " [٢] .

وما دامت الخفة والثقل (الشدة) ترجع إلى طبيعة الموضوع كما أسلفت فسأمثل على ذلك بجملة من الآيات الكريمة التي اختلف فيها الصوت تبعا لاختلاف الموضوع ، فالمثال الأول وهو الجزل من الألفاظ قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ
نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ
وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ
مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ (٧١) قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ ٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ (٧٣) وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ
نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (٧٤) ﴾ الزمر: ٦٨ - ٧٤

---

(١)باسوف ، أحمد ، جماليات المفردة القرآنية ، ص٢٠٣ بتصرف .

(٢)الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص ٣٠ .

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

قد تضمنت الآيات الكريمة مواقف مختلفة منها العنيف الصارم مثل النفخ في الصور والصعق وسوق الكافرين زمرا إلى جهنم، ومناقشة الخزنة واستحقاق الكافرين للعذاب.

ومن هذه المواقف المشرق السار مثل إشراق الأرض بنور ربها، وسوق الذين اتقوا إلى الجنة زمرا وترحيب الخزنة بالقادمين، وحمدهم الله إذ صدقهم وعده فأورثهم الجنة يتبوؤن منها حيث يشاءون منها فنعم أجر العاملين .

فاقتضى هذا التنوع مزج الجزالة بالرقة على النحو الذي تشرئب له الأعناق .

مثال آخر : قوله تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾ الحج: ١٩ - ٢١.

هذا مشهد عنيف من مشاهد العذاب، ترتسم صورة العنف في مناظره : من تقطيع ثياب من نار للمعذبين ، ومن صب الحميم فوق رؤوسهم ليصهر به ما في بطونهم والجلود ، ومن مقاطع الحديد يقمعون بها بالعذاب " وقد رسمت هذه الصورة بالألفاظ المناسبة التي تألفت من الأصوات القوية والشديدة كالطاء المشددة والقاف المضمومة في (قُطِّعَتْ) والباء المشددة المضمومة، والصاد (يُصَبُّ) والهمزة المضمومة الممدودة في (رُءُوسِهِمُ) والباء والطاء المضمومتين في (بُطُونِهِمْ) والجيم المضمومة في (وَٱلْجُلُودُ) و(أن يخرجوا) ، والدال المكسورة والمضمومة في (مِنْ حَدِيدٍ) (وأرادوا) و(أعيدوا)، والقاف المضمومة والمكسورة (في ذوقوا) (الحريق) وصوت القلقلة الذي تكرر في حروف الفاصلة وهو الدال (من الجلود) والدال الأخيرة من (حديد) والقاف من (الحريق) .وهكذا جمعت الألفاظ وأصواتها في هذا المشهد بصفات الجهر والشدة، والاستعلاء ، والتفخيم، والإطباق والقلقلة، وهي كلها من صفات القوة في الأصوات .

وزاد توزيع الحركات في التركيب، الصوتي للآيات من قوة التعبير وعنف المشهد ، فالضمة كثيرة التردد في هذا التركيب وقعت على الميم ، والقاف والباء والهمزة الممدودة والراء ... وكلها أصوات ذات جرس قوي" (١) .

وأما الآيات التي ترد في مقامات الترغيب والتسلية والتلطف فإن الرضا والمحبة اللذين يغمران المكان تنعكس آثاره على الألفاظ والعبارات وتجعلها رقيقة رخية الإيقاع ، وهذا اللون كثير في القرآن ، وحسبي أن أذكر بعض الأمثلة، وأحيل على القرآن كله .

١ - يقول الله تعالى مخاطبا نبيه المصطفى ﷺ : ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا

---

(١)أبو زيد ، أحمد، التناسب البياني في القرآن ، ص٣٠٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ طه: ١ - ٧. فهذا خطاب يفيض رقة ولطفا، تردد فيه من أصوات اللين والمد ما جعل إيقاعه رخيا وزاد صوت الغنة الذي تردد مع التنوين والنون الساكنة هذا الإيقاع عذوبة ورشاقة .

٢ -قوله تعالى على لسان عبده زكريا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ مريم: ٤ - ٦.

إنّ النغم الصاعد في القرآن بهذا الدعاء يثير بكل لفظة صورة ، وينشئ في كل لحن مرتعاً للخيال فسيحا: فنتصور مثلا – ونحن نرتل دعاء زكريا – شيخا جليلا مهيبا. على كل لفظة ينطق بها مسحة من رهبة وشعاع من نور، ونتمثل هذا الشيخ الجليل – على وقاره – متأجج العاطفة، متهدج الصوت، طويل النفس، ما تبرح أصداء كلماته ، تتجاوب في أعماق قلوبنا شديدة التأثير .

بل إن زكريا في دعائه ليحرك القلوب وهو قائم يصلي في المحراب لا ينِي ينادي اسم (ربه) نداء خفيا، ويكرر اسم (ربه) بكرةً وعشيا، ويقول في لوعة الإنسان المحروم وفي إيمان الصديق الصفي : ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ مريم: ٤ – ٦. وإن البيان لا يرقى هنا إلى وصف العذوبة التي تنتهي في فاصلة كل آية بيائها المشددة وتنوينها المحول عند الوقف ألفا لينة كأنها في الشعر ألف الإطلاق. فهذه الألف اللينة الرخية المنسابة تناسقت بها (شقيا – وليا- رضيا) مع عبدالله زكريا، ينادي ربه نداء خفيا[1] .

ونختم هذا المبحث بالإجابة على شق السؤال الثاني ، هل الثقل في المفردات يتنافى مع الفصاحة؟ وللإجابة نقول :

بعد أن أوضحنا فيما سبق أن المفردة بنية وهيئة وأصواتاً وحركات تتناسب مع طبيعة الموضوع والموقف الذي ترد فيه ، فما دام أن الأمر كذلك فنقرر أن صعوبة "اللفظ أو ثقله ليس أمرا ينافى فصاحته ، لأنه قد يوافق السياق ، ويطابق المقام بتلك الصعوبة وذلك الثقل، وإلا للزم قائل هذا[2] . أن يقول بعدم فصاحة الكتاب العزيز لاشتماله على كثير مما وصف أمثاله بأنه ثقيل أو صعب في نطقه كقوله تعالى :(اثاقلتم، أنلزمكموها، فسيكفيكهم وأشباهها) ومع هذا فهذه الألفاظ في سياقاتها في

---

(١)انظر: الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ١١، ١٩٧٩م،ص٣٣٧ –٣٣٨

(٢)أي القائل : بأن صعوبة اللفظ أو شكله تتناقض مع فصاحته .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

درجة عالية من الفصاحة مع إنها ثقيلة، صعبة في نفسها وعليه فلا تلازم بين صعوبة الكلمة في النطق أو ثقلها وبين فصاحتها" [1] .

والدليل على أنه لا تلازم بين صعوبة نطق المفردة أو ثقل جرسها وعدم فصاحتها أننا لو أستبدلنا قوله تعالى ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ بـ (أنلزمكم بها) (أو أنلزمكم إياها) في قوله تعالى ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ هود: ٢٧ - ٢٨ لما أوحت (أنلزمكم بها) أو (أنلزمكم إياها) بما توحي به (أنلزمكموها) من الثقل وصعوبة التحمل والإكراه على حمل شيء ينفر هذا المدعو إليه من حمله، ويستثقله بل ويأنف منه، وتشمئز نفسه منه [2].

وجميع الكلمات التي قيل إنها ثقيلة لو درست ضمن سياقها لرأينا أنها متناسبة تناسبا كبيرا مع المعنى المراد تصويره .

(١)هنداوي، عبد الحميد ، الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٩، وانظر: أبو موسى، محمد محمد، خصائص التراكيب،دراسة تحليلة لعلم المعاني ،مكتبة وهبة ، القاهرة : د.ط ، د.م ، ص٣٣ .

(٢)هنداوي، عبد الحميد ، الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، ص٣٠.

الباب الأول
تناسق الأداء مع المعنى في القرآن الكريم

الفصل الأول: أثر الأداء القرآني في النفس البشرية
الفصل الثاني: أثر التجويد القرآني في تناسق الصوت والمعنى
الفصل الثالث: أثر التنغيم على المعنى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول
أثر الأداء القرآني في النفس البشرية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول
أثر الأداء القرآني في النفس البشرية[1]

إن القرآن الكريم هو النموذج الأسمى في الأداء؛ لما اشتمل عليه من تآلف بين مخارج الحروف وصفاتها، وانسجام بين الأصوات ومعانيها، وتناسق بين حركاته ومداته وغننه، وفواصله، مما أسهم في إبراز جمالية القرآن الصوتية، وما لها من تأثير عجيب في النفوس، وروعة بالغة في القلوب؛ لذا كان حسن الأداء في القرآن سبيلاً لحسن الاستماع، الذي يؤدي لحسن التدبير والانتفاع.

ولما كان القرآن الكريم يخاطب النفوس البشرية على اختلاف طبائعها وميولها وأمزجتها، لينفذ إلى أعماقها اعتمد على الصوت اعتماداً كبيراً في التأثير فيها، إذ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي كما يقول الرافعي.[2]

" وهذا الانفعال بطبيعته هو السبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه...وبما يهيء له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها...وما تحدثه العبارة من جرس في الأسماع لم يلبث أن يتعمق بالوجدان ويمتزج بالمشاعر والأحاسيس... فيستجيب العقل والوجدان لداعيها، ثم لم يلبث أن تصحبها مواقف نفسية متأثرة بها منفعلة لها. "[3]

ونتيجة لذلك كان للقرآن أثره البليغ في النفوس، وسحرُه العظيم الذي تخشع له القلوب. وقد وصف القرآن نفسه أثرَ روعته على النفوس في غير موضع. ومن قراءة النصوص يتبين لنا أن تأثير القرآن شمل المؤمن والكافر، الإنس والجن، الحي والجماد، على حد سواء. قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣ .

وقال الله في وصف المؤمنين ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ مريم: ٥٨

وقال تعالى ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ المائدة: ٨٢ - ٨٣ .

---

(١) أفدت في دراسة هذا المبحث من كتاب أستاذنا الدكتور عبد الله الجبوسي (التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.

(٢) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢١٥.

(٣) عبدالتواب، صلاح الدين محمد، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص ٧٤-٨١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن تأثيره في الجماد ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ الحشر: ٢١. وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ الرعد: ٣١، أي لكان هذا القرآن.ولم تتمالك الجن إذ سمعته أن تقول﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ الجن: ١

ولم تخف روعة القرآن وسطوته على النفوس على الكافرين، لذلك وصفوه بأنه سحر، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ سبأ: ٤٣

وقال على لسان أحد كبرائهم بعد أن راز نفسه وفكر وقدر﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ المدثر: ٢٤ جحوداً واستكباراً.

بل إن الكافرين لما رأوا أن فطرهم تدفعهم إلى استماع القرآن والميل إليه، تواصوا فيما بينهم قائلين ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ فصلت: ٢٦

ولما كان للأداء القرآني كل هذا التأثير، حث القرآن على استخدامه وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، فطالب المسلمين أن يتلوه على الكافر المستجير، وأن يسمعوه إياه، ليتأثر به، ثقةً من القرآن بأثره البليغ في النفوس.

قال تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾التوبة: ٦ ولكن كيف يكون الإسماع وتبليغ القرآن؟

في آيات القرآن الكريم إجابة عن ذلك، يقول تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٦ ،وقال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل: ٤.

"وهنا نلاحظ أمرين:

أولهما: أن أمره تعالى بالترتيل جاء في أوائل السور المنزلة، وهذا يشير إلى أهمية صوت القرآن وضرورة الإفادة منه في التأثير في الناس، وقد نزل القرآن مسموعاً لا مكتوباً.

ثانيهما: خاصية القرآن في القراءة وهي ما اختص به علم التلاوة أو التجويد، حتى عُدت قراءة القرآن بغير تجويد لحناً ". [1]

وتنفيذاً لهذا الأمر، وتوظيفاً له في الدعوة نجد أن النبي ﷺ كان رائد الأداء الأول. فكان ﷺ يأخذ بألباب السامعين بحسن أدائه، وروعة بيانه.

---

(1) الكواز، محمد كريم، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ط١، ١٤٢٦هـ ، ص ٣٢٨.

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

وليس أدل على ذلك من تسلل نفر من المشركين يستمعون قراءته ﷺ خلسة لما أخذهم من روعة القرآن، وجاذبية أداء المصطفى ﷺ[1].

كما تذكر كتب السيرة أن النبي ﷺ قرأ الآيات الأولى من (حم فصلت)؛ فلما سمعها عتبة ابن ربيعة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما، ثم انتهى النبي ﷺ إلى السجدة فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك... فلما عاد لأصحابه وسألوه ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة... فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.[2] وما خبر الوليد بن المغيرة بخفي عنا في حق القرآن.[3]

وحسن أدائه ﷺ هو الذي جعل الصحابة -رضي الله عنهم- يقفون وراء النبي ﷺ في الصلاة، وهو يطيل القراءة فيها، دون ملل أو تعب، فقد روي أنه كان يقرأ بهم في بعض الصلوات البقرة وآل عمران والنساء في الركعة الواحدة[4].

وقد سمعه جبير بن مطعم ﷺ يقرأ بالمغرب بالطور، فقال: كاد قلبي يطير[5].

وحرص عليه السلام أن يكون للأداء أثره في جذب الناس إلى الإسلام؛ لذا حث على حسن الصوت والأداء، فقال عليه الصلاة والسلام (ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي يتغنّى بالقرآن)[6].

---

(1) أخرجه البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي في دلائل النبوة، (٢/ ١٩٨)حديث رقم(٥١١).مرسلا عن الزهري. وانظر: القصة في ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٢، ١٩٥٥م، (١/ ٣١٥).

(2)انظر:المرجع السابق، ١/ ٢٩٢-٢٩٤.

(3)انظر:المرجع السابق، ١/ ٢٦٩.وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٠٦) وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه »ووافقه الذهبي.

(4)النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٦،كتاب الافتتاح، باب مسألة القارئ إذا مرّ بآية رحمة، (حديث رقم ١٠٠٩).

(5) انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري المسمى (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه، ترقيم: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم – بيروت ، د.ط، د.ت، كتاب تفسير القرآن، حديث (٤٨٥٤) دون قوله (كاد قلبي يطير) والزيادة عند ابن ماجه، انظر: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتاب العربية، ١٩٨٧م، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القراءة في صلاة المغرب، حديث (٨٣٢).

(6) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب (من لم يتغن بالقرآن)، حديث رقم (٥٠٢٣).

جاء في الإتقان للإمام السيوطي حول مسألة تحسين الصوت قوله :يسنُّ تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها لحديث ابن حبان وغيره: (زينوا القرآن بأصواتكم). وفي لفظ عند الدرامي: (حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً). وأخرج البزار وغيره حديث (حسن الصوت زينة القرآن) وفيه أحاديث صحيحة كثيرة. فإن لم يكن حسن الصوت حسّنه ما استطاع بحيث لا يخرج إلى حد التمطيط.

وأما القراءة بالألحان؛ فنص الشافعي أنه لا بأس بها. وعن رواية الربيع الجيزي أنها مكروهة. قال الرافعي: قال الجمهور: ليست على قولين، بل المكروه أن يفرط في المد، وفي إشباع الحركات، حتى يتولد من الفتحة ألف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء، أو يدغم في غير وضع الإدغام، فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد جاء في صفة تلاوته ﷺ ما رواه أنس بن مالك عندما سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال (كان يمد صوته مداً)[1].

ودلالة هذا أن الصوت بقراءة النص القرآني له خصائص المد والتمهل والخشية التي تضفي على النص حسناً على حسن.

وكان من طرق أدائه ﷺ الترجيع أي ترديد الصوت، فقد روي أنه قرأ سورة الفتح يوم الحديبية يُرَجِّعُ بها[2].وقال مثنياً على أداء أبي موسى الأشعري ﷺ لما سمعه يقرأ " لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود "[3].

وقوله في حق عبدالله بن مسعود ﷺ (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد)[4].

وقد أورد ابن الجزري خبراً يبين فيه ما امتاز به عبدالله بن مسعود ﷺ من حسن الأداء، فقال: عن أبي عثمان الهندي، قال:صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④ ﴾ الإخلاص: ١ - ٤ ، فوالله لوددت أنه قرأ سورة البقرة من حسن صوته وتلاوته.[5]

وقد اشتهر أناس كثيرون من الصحابة وغيرهم بحسن الأداء الذي تشرق له القلوب، وتتشنف به الأذان. فقد أورد ابن الجزري –رحمه الله- خبراً يقول فيه: إن الإمام محمد بن عبدالله بن علي البغدادي المعروف بسبط (الخياط)[6]. مؤلف المبهج وغيره من القراءات –رحمه الله- أنه كان قد أعطي

قال في زوائد الروضة: والصحيح أن الإفراط على الوجه المذكور حرام يفسّق به القارئ ويأثم المستمع؛لأنه عدل به عن نهجه القويم. قال: وهذا مراد الشافعي بالكراهة

قال النووي: ويستحب طلب القراءة من حسن الصوت والإصغاء إليها للحديث الصحيح، ولا بأس باجتماع الجماعة في القراءة ولا بإدارتها، وهي أن يقرأ بعض الجماعة قطعة ثم البعض قطعة بعدها. .(انظر: السيوطي،جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمود القيسة، محمد الأتاسي، مؤسسة النداء، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٣م. انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١/ ٥٠٥-٥٠٧).

وللاطلاع على حكم التغني بالقرآن ، والوقوف على آراء العلماء في ذلك، انظر: كتاب التغني بالقرآن (بحث فقهي تاريخي) ، لبيب السعيد، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.

(1)النسائي، السنن، كتاب الافتتاح ، باب مد الصوت بالقراءة حديث رقم (١٠١٤).

(2)انظر:البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب الترجيع، حديث رقم (٥٠٤٧).

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: حسن الصوت بالقراءة، حيث رقم (٥٠٤٨)

(4) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فضل عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- حديث رقم (١٣٨).

(5) أخرجه ابن أبي شيبه، عبدالله بن محمد الكوفي في مصنفه، ضبطه وعلق عليه، سعيد اللحام، دار الفكر، دمشق. (١/ ٣٩٤).

(6) انظر ترجمته في، الذهبي، شمس الدين، معرفة القراء الكبار، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ (١/ ٤٩٤) ترجمة رقم (٤٤٣).

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

من ذلك حظاً عظيماً (أي من الأداء الحسن)، وأنه أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته.[1]

وذكر ابن الجزري أيضاً أنه أدرك من شيوخه من لم يكن له حسن الصوت، ولا معرفة بالألحان، إلا أنه كان جيد الأداء فيما يلفظ، فكان إذا قرأ أطرب السامع، وأخذ من القلوب بالمسامع، فكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع عليه من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربية ومن لا يعرفها من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان، لخروجهم عن التجويد والإتقان.[2]

وإن أخبار الذين تأثروا بالقرآن وتلاوته قديماً وحديثاً أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تذكر. فإن الناس يشاهدون ويسمعون كثيراً ممن يدخلون في الإسلام لتأثرهم بكتاب الله في واقعنا المعاصر.[3]

استرعى أداء القرآن العالي أنظار العلماء قديماً وحديثاً وأدركوا ما له من سطوة على النفوس، وروعة في القلوب، حتى ذهب عدد غير قليل منهم إلى عده وجهاً من وجوه الإعجاز، فقد ذكروا جملة من الوجوه منها: تلك الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته.

ومنها: أن قارئه لا يَمَلُّه، وسامعه لا يمجه، بل الانكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، ولا يزال غضاً طرياً. وغيره من الكلام، ولو بلغ في الحسن مبلغه، يُمَلُّ مع الترديد، ويعادى إذا أعيد.[4]

ولعل أول من التفت إلى هذه الوجه، وإن كان معلوماً بالفطرة قبله، الإمامُ الخطابي –رحمه الله– إذ يقول في رسالته: " قلت: في إعجاز القرآن وجها آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم. وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن – منظوما ولا منثورا– إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة، والحلاوة في حال. ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه. تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور. حتى إذا أخذت حظها منه عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفَرَق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفُتَّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في

---

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ١/ ١٦٩.

(2) المرجع السابق (١/ ١٦٨-١٦٩).

(3) للمزيد من هذه الأخبار انظر، قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن ١١-٢٤؛ وانظر: الخالدي، صلاح، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص ٤٩٢-٤٩٩.

(4) انظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، (٢/ ١١٤)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً " [1].

ومن ذهب إلى هذا الوجه أيضاً القاضي عياض والباقلاني[2]. والزركشي[3]. وابن القيم الجوزية[4]. وغيرهم

يقول القاضي عياض: " ومن وجوه إعجازه الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وأنافة خطره، وهي على المكذبين به أعظم، حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً، ويودون انقطاعه لكراهتهم له. وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذاباً وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر: ٢١.

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر: ٢٣، وهذا شيء خُصَّ به حتى إنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره، كما روي عن نصراني أنه مرَّ بقارئ فوقف يبكي، فقيل له: مما بكيت؟ قال: للشجا والنظم. وهذه الروعة اعترف بها جماعة قبل الإسلام وبعده " [5].

وقد تابعهم في هذا عدد من المعاصرين منهم الشيخ الزرقاني إذ يقول: " والوجه الرابع عشر للإعجاز تأثير القرآن ونجاحه، ومعنى هذا: أن القرآن بلغ في تأثيره ونجاحه مبلغاً خرق به العادة في كل ما عرف من كتب الله والناس، وخرج عن المعهود في سنن الله من التأثير النافع بالكلام وغير الكلام، وبيان ذلك: أن الإصلاح العام الذي جاء به القرآن، والانقلاب العالمي الذي تركه هذا الكتاب، ما حدث ولم يكن ليحدث في أي عهد من عهود التاريخ، قديمه وحديثه، إلا على أساس من الإيمان العميق، القائم في وجدان قوي، بحيث يكون له من السلطان القاهر على النفوس، والحكم النافذ على العواطف والميول، ما يصد الناس عن نهجهم الأول، في عقائدهم التي توارثوها، وعباداتهم التي ألفوها،

---

(1) الخطابي، البيان في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز) ص ٧٠.

(2) انظر: الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، ص٤٢.

(3) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢/ ١١٤.

(4) ابن القيم الجوزية، شمس الدين، الفوائد، تحقيق: محمد عثمان الخشب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ ص ١٥-١٨.

(5) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: مجموعة من العلماء، مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن، دمشق، (١/ ٥٢٩-٥٣٠).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأخلاقهم التي نشأوا عليها، وهذا الأساس الذي لا بد منه تقصر عنه في العادة جميع الكتب التعليمية التي يؤلفها العلماء والمصلحون، وتعجز عن إيجاده القوانين البشرية كلها التي يضعها القادة والمشرعون، وتحدث في هذا الوجه عن تأثير القرآن في قلوب الأعداء وقلوب المؤمنين "[1].

وذهب إلى هذا الرافعي[2]. وعبد الكريم الخطيب[3]، وسيد قطب[4]. والشيخ محمد الغزالي[5]. رحمهم الله جميعاً.

ولسائل أن يسأل ما سر هذه الجاذبية العجيبة للنص القرآني وما أسباب روعته وتأثيره؟

وللإجابة يمكن القول:

اتفقت كلمة العلماء الذين عنوا بدراسة مناحي الإعجاز القرآني على أن السر في جاذبية النص القرآني موجودة في القرآن ذاته، تنبع من حروفه وألفاظه وتراكيبه.

ولكنهم في الوقت ذاته اختلفوا في تحديد أسبابها ومصادرها. فذهب فريق إلى التماسها في جمال التعبير والصياغة اللفظية، والتناسب الصوتي والإيقاعي. وممن يمثل هذا الفريق الرماني والقاضي عبد الجبار وابن سنان وغيرهم.

وذهب الفريق الآخر إلى التماسها في النظم. ومن أنصار هذا الفريق الجرجاني والخطابي والباقلاني وغيرهم.

فاهتم الفريق الأول بالإيقاع القرآني وعناصره، كالتلاؤم، والفواصل وتناسب المقدار والترجيع وغيرها من فنون البديع.

واهتم الفريق الثاني بالبحث في المعاني التركيبية، وأحوال الجمل، ولم يعيروا اهتماماً لمسألة الإيقاع والنظام الصوتي في القرآن.[6]

مما سبق يلحظ أن درس علماء الإعجاز القدامى لم يغفل الجانب الموسيقي للقرآن، وإن لم يتعمقوا في درسه وذكر مصطلحاته.

أما جمهور المحدثين فيرون أن من أهم أسباب روعة القرآن، حلاوة الجرس، وعذوبة الإيقاع. واتفقوا على أن القيمة الإيقاعية التي تحملها الألفاظ ليست مما يستهان بها في التعبير الأدبي، وفي النظم القرآني، لما لها من أثر في تحريك النفوس وتهيئتها لقبول المعاني:

---

(1) الزرقاني، عبد العظيم، مناهل العرفان، في علوم القرآن خرج آياته، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، (٢/ ٤٣٥-٤٣٦) بتصرف.

(2) انظر:الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢١٣ وما بعدها.

(3) انظر: الخطيب، عبد الكريم، إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها الإعجاز في مفهوم جديد، دار المعرفة –بيروت، ط٢، ١٩٧٥م، ٢/ ١٨٥ وما بعدها.

(4) انظر: قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن ص ١١-٢٤.

(5) انظر: الغزالي، محمد، نظرات في القرآن، مطبعة حسان، القاهرة، ط٥، ص ١٢٢-١٢٨.

(6) أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآن، ص ٢٤٠-٢٤١ بتصرف.

ومن أبرز المحدثين الذين يرون هذا الرأي: ودراز وسيد قطب والرافعي الذي يرى أن سر تلك الروعة يكمن في موسيقى القرآن الناشئة عن اتساق ألفاظ القرآن، وتآلف حروفه، وانسجام حركاته وسكناته ومداته وغننه. ويبيّن أن تأثر العرب بالقرآن إنما كان لأنهم " لما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ألحاناً لغوية رائعة، كأنما لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها... حتى إن من عارضه كمسيلمة جنح في خرافاته إلى حسبه نظماً موسيقياً أو باباً منه، وطوى عما وراء ذلك من التصرف في اللغة ومحاسنها ودقائق التركيب البياني، كأنه فطن إلى الصدمة الأولى للنفس العربية إنما هي في أوزان الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها. "[١]

ويرى أن مما انفرد به القرآن الكريم مبايناً سائر الكلام، أنه لا يَخلَق على كثرة الرد، ولا تمل منه الإعادة، ولا يشبع منه العلماء، ويرى أن السبب في ذلك " ما قدمنا من إعجاز النظم بخصائصه الموسيقية، وتساوق هذه الحروف على أصول مضبوطة من بلاغة النغم، بالهمس والجهر والقلقلة والصفير والمد والغنة ونحوها، ثم اختلاف ذلك في الآيات بسطاً وإيجازاً، وابتداء ورداً، وإفراداً وتكريراً"[٢].

وتحدث الزرقاني عن خصائص النظم القرآني وجعل على رأسها ما أطلق عليه (مسحة القرآن اللفظية).

فقال: " إنها مسحة خلابة عجيبة، تتجلى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي ".

وقال: " وهذا النظام الصوتي أو التوقيعي هو أول شيء أحسته الأذن العربية أيام نزول القرآن، ولم تكن عهدت مثله. فيما عرفت من منثور الكلام، سواءٌ أكان مرسلاً أم مسموعاً، حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر، لأنهم أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة، وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع والترجيع هزة لم يعرفوا شيئاً قريباً منها إلا في الشعر " [٣].

ويرى الأستاذ سيد قطب أن في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو، ويؤدي وظيفة أساسية في البيان.

وهذا الإيقاع ينبع من انسجام الحروف في الكلمة المفردة، ومن انسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة.

ثم تحدث عن مدى تأثر العرب بالقرآن، وأن الذي راع خيالهم ما فيه من تصوير بارع، وأن الذي سحر وجدانهم ما فيه من منطق ساحر، وأما الذي أخذ أسماعهم ما فيه من إيقاع جميل.

وبين أن القرآن الكريم جمع بين مزايا الشعر والنثر جميعاً، لكنه لما تخلص من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، نال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع الأغراض العامة مع تمتعه بأحلى

---

(١) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٣) الزرقاني، عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/ ٣٣١-٣٣٢).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خصائص الشعر المتمثلة بالموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة والمتماثلة وزناً وقافية، وما تؤديه من تلاحم بالجرس والإيقاع والنغم، وحيثما تلا الإنسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه يلحظ في بناء النظم القرآني(١).

وذكر الدكتور عبد العظيم المطعني أن الذي ساعد على روعة النغم القرآني أو الإيقاع الصوتي لألفاظه عوامل أهمها:

أولاً: فواتح سورة مثل ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ ومثل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾...

ثانياً: فواصل الآيات.

ثالثاً: أدب تلاوته من مد وإدغام وغن وقلقلة ووصل ووقف وإظهار وإخفاء وتفخيم وترقيق.

رابعاً: بناء جملة بناءً موسيقياً شجياً من تقابل الكلمات، وتساوٍ بينها في الحروف، مثل ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ ﴾ النبأ: ١ - ٣.

فبين كل كلمة وأخرى تقابل موسيقي في عدد الكلمات والحروف والحركات.

خامساً: والعبارات تتألف من جمل ليست مرسلة تماماً، ولا مسجوعة تماماً. إذ ليس في آخرها قرائن، ولا تخلو من التقسيم الذي يشبه جمل السجع(٢).

وقد بحث بعض المستشرقين في أسباب روعة القرآن، وعوامل تأثيره في النفوس، فبينوا أن سبب ذلك يرجع إلى جمال الإيقاع القرآني ومن هؤلاء (هاملتون جب) . إذ يرى أن الموسيقى المنبعثة من الأصوات القرآنية لها دور هو فوق التعريف في تكييف عقل السامع، وتهيئته لتلقي الدعوة، وأن الجمال في القرآن هو رأس ما جذب العرب إلى الإسلام.

وقال: فالقدرة على تحريك قلوب الناس، والتأثير في تغيير مجرى حياتهم، كما يصدران عن القرآن، ولا تفسران بمضمون المذاهب القرآنية، وبما يحض القرآن عليه بصورة مجردة عادية، بل إنهما يرجعان إلى زينة القرآن اللفظية الحية، ذلك أن للقرآن مثله مثل كتب الأنبياء في العهد القديم، إنما يتكلم لغة الشعر على الرغم من تحرره من نبر الوزن والعروض.

وقال: وليس هذا الرأي بمحض فرض يستدل عليه بتجربتي الشخصية وحدها، بل إنه في الواقع عقيدة الإعجاز، أي الإيمان بأن القرآن معجز، والاستناد في ذلك إلى خصال القرآن الفنية البديعية بقدر الاستناد إلى جوهر مضمونه(٣).

وبعد هذا العرض لبعض آراء المتقدمين والمحدثين حول الأسباب الموضوعية لتأثير القرآن وروعته، نخلص إلى أن جمال الإيقاع وتناسب الأصوات في النظم القرآني من أهم الأسباب المؤدية إلى

---

(١) انظر: قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص ١٠١-١٠٣.

(٢) المطعني، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ٢٩٦-٢٩٧).

(٣) أبو زيد، احمد، التناسب البياني في القرآن، ص ٢٤٥؛ وللمزيد انظر: أبو ليلة، محمد محمد، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية، دار النشر للجامعات، مصر، ط١، ٢٠٠٢، ص ٢٨٥، وما بعدها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذلك، آخذين بعين الاعتبار أن روعة القرآن وتأثيره العجيب في نفوس السامعين لا يظهر إلا إذا كانت قراءته مرتلة، وتأديته على غاية من الحسن والجمال، لأن " الترتيل هو الذي يهيء لنظم القرآن أن يطلق ما يمكن في أصواته وحركاته ومقاطعه وفواصله من جمال إيقاعي " [1].

وهذا يؤكد أهمية الأداء القرآني في النفس، ودوره في القيام بالدعوة. وعليه: فإن النظم الجيد إذا رافقه أداء جيد آتى أُكُلَه، وظهرت ثماره يانعة.

ومع كل الذي قدمت فإن منابع التأثير في القرآن كثيرة قد يصعب تحديدها؛ لذا يجمل أن أختم هذا الفصل بما جاء عند الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- إذ يقول:

" إن في هذا القرآن سراً خاصاً، يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها. إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن. يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن. يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً، ولكنه على كل حال موجود.

هذا العنصر الذي ينسكب في الحس، يصعب تحديد مصدره: أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصور والظلال التي تشعها؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟ أهي هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم إنها هي وشيء آخر وراءها غير محدود؟!.

ذلك سر مودع في كل نص قرآني، يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء. ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله " [2].

إن سر تأثير القرآن الكريم فيه كله في عباراته ومعانيه وصوره وظلاله ومفرداته وإيقاعه وفواصله وأسلوبه، وشيء استأثر به ربنا سبحانه قد يُطْلِع عليه من يشاء من عباده.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

([1]) المرجع السابق، ص ٢٤٦.

([2]) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٢٥، ١٩٩٦م، (٦/ ٣٣٩٩).

الفصل الثاني
أثر التجويد القرآني في تناسق الصوت والمعنى

المبحث الأول: أثر أحكام التجويد في تناسق الصوت والمعنى
المبحث الثاني: أثر المدّ في تناسق الصوت والمعنى
المبحث الثالث: أثر الوقف والابتداء في تناسق الصوت والمعنى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول:
أثر أحكام التجويد في تناسق الصوت والمعنى

المطلب الأول: أحكام النون والميم الساكنتين والتنوين وعلاقتها بالمعنى

المطلب الثاني: علاقة صفات الحروف بالمعنى

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الأول:
أثر أحكام التجويد في تناسق الصوت والمعنى

يمتاز القرآن الكريم بقراءته على طريقة مرتبة، وعلى أصول منظمة، تراعى فيه قواعد القراءة، وأصول الأداء. وقد ورد بذلك قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ المزمل: ٤ فمنذ نزلت آياته نغمت تنغيما، ورتلت ترتيلا " إذ كان من طبيعة نسقه الجميل أنه يتواءم مع النغمة ويتساوق مع اللحن" (١)

فهناك قواعد تتصل بالأداء القرآني لا بد من مراعاتها كأحكام التجويد، وإتقان مخارج الحروف وصفاتها، وإشباع الحركات، وتطبيق قواعد الوقف والابتداء، مما يزيد من تأثيره في النفس، خاصة إذا رافق ذلك صوت حسن.

وتعد أحكام التجويد- التي لا بد من مراعاتها- أحد أسرار التوازن والتناسق في القرآن الكريم ، وأحد أسرار ذلك الإيقاع الذي يشد الأسماع إليه فلا تكاد تخلو آية من حكم ما : من غنة تارة أو مدّ أو إخفاء أو غير ذلك من الأحكام التي تفرض على السامع لونا معينا لا يعهد في الكلام الاعتيادي، وإذا علمنا أن قراءة القرآن لا تجوز بحال دون مراعاة لهذه الأحكام، أدركنا أن ذلك سر كامن في كتاب الله؛ هذا الذي يجعل النفس تنجذب إليه، حتى ولو كان السامع لا يفقه ما يسمع.

وقواعد التجويد هذه هي قواعد اللغة العربية إلا أن لها وظيفة التزيين والتوضيح ودقة التصوير، والسر في ذلك أن هذه الغنن والمدود صالحة للتطبيق النغمي والتمويج الصوتي. هذا التنغيم وهذا التمويج الصوتي الناشيء من تطبيق هذه الأحكام في حقيقة الأمر، يعد لونا من الوان الوقع الصوتي للقرآن...ومما يؤكد أن هذه الأحكام تعد سرا من أسرار القرآن الكريم أن هذه القواعد غير متكلفة ولا جافية بل هي منقادة لألفاظ القرآن، فالقاريء لا يجد عنتا ومشقة في تطبيقها ، ولا يبذل جهدا كبيرا في تعلم أصولها وقواعدها؛ ولعل هذا هو السر الذي يكمن في أن الأطفال يتقنون هذه الأحكام دون معرفة لتلك القواعد، فهي قواعد تتلقفها الآذان وتستقر في الأذهان.وكل هذا يؤكد أن أحكام التجويد جاءت منسجمة تماما مع ألفاظ القرآن(٢).

ويقوم علم التجويد على المشافهة،فالرسول ﷺ تلقى القرآن مشافهة من جبريل – عليه السلام- وأخذه الصحابة مشافهة عن رسول الله ﷺ ، وأخذه التابعون عن الصحابة بالكيفية ذاتها ...وهكذا ظل التلقي بالمشافهة هو السائد، وعليه المعتمد في قراءة القرآن،إلى يومنا هذا.

---

(١) البغدادي، جلال الدين حنفي، قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، لجنة إحياء التراث الإسلامي،العراق، (د.ط)، ١٩٨٧م، ص٣٦٩.

(٢) انظر: الجيوسي، عبد الله، التعبير القرآني والدلالة النفسية، ص١٦٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والواضح من بعض أحكام التجويد أنه لا يمكن تعلمها إلا مشافهة مثل (الرَّوم والإشمام والتفخيم والترقيق) فهذا التلقي إذن مبني على أصول وقواعد مرسومة، فللمسلمين في التلقي الشفوي مناهج دقيقة، وكأنما كانوا يعدون أفواه الرجال أهم مستودعات العلم الحقيقية، ويرون أن النقل السليم هو الذي يظهر كل زيف يعتريه. روي عن يحيى بن معاذ[1] قوله: " أفواه الرجال حوانيتها، وأسنانها صنائعها، فإذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من البيطار، والتمار من الزمار"[2].

بعد هذا نخلص إلى أن قواعد التجويد هذه هي التي يكمن فيها هذا الأثر المتوازن والإيقاع الموسيقي الذي يشتمل عليه القرآن الكريم. ولا يخفى أن كل حكم من أحكام التجويد وقواعده ينطوي على هذه المعاني المتناسقة، ويسهم في هذه الموسيقية ؛إذ تعد أحكامه معينا لا ينضب.

يقول دراز: " إن أول شيء أحسته تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيما منوعا يجدد نشاط السامع لسماعه، ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعا بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به، وتهاوي النفس فيه آنا بعد آن، إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى، فيجد عندها راحته العظمى." [3]

ومبحث كهذا يحتاج في بسطه وشرحه إلى رسالة مستقلة، وذلك تبعا للجوانب الموسيقية في أحكام التجويد، فما من قاعدة ولا حكم إلا وفيه إيماءة إلى هذا الجانب، يستوي في ذلك ما كان تابعا لأحكام النون الساكنة والتنوين، أو ما كان تابعا لأحكام الميم الساكنة، أو ما كان تابعا للمدود بأنواعها، أو مخارج الحروف وصفاتها، أو التفخيم والترقيق أو غير ذلك من الأحكام.

والأمثلة التي تدعم هذه الفكرة ماثلة في كل آية من كتاب الله، والناظر في القرآن يقف حائرا أمام هذا الحشد الهائل من الشواهد القرآنية، أي منها يضرب به المثل، ومع هذا فإن الباحث لن يسلم من نقد القارىء في المثال الذي يختاره؛ خاصة أن ظهور الفكرة يختلف بروزا ووضوحا ودقة وخفاء من نص لآخر، لكن يكتفي الباحث بعرض بعض الأمثلة والشواهد الدالة على إسهام أحكام التجويد في جمالية الإيقاع في القرآن، وعلى إسهامها في إيضاح معاني النص القرآني.

---

(1) أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة توفي في سنة ٢٩٨ في نيسابور، انظر: الذهبي شمس الدين بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٩٩٣، (١٣/ ١٥) ترجمة رقم (٨) . وانظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، ١٩٠٠، (٦/ ١٦٥) ترجمة رقم (٧٩٤).

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢/ ١٦٩

(3) دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم،ص١٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الأول: أحكام النون والميم الساكنتين والتنوين وعلاقتها بالمعنى

١- علاقة الإظهار بالمعنى :

لبيان علاقة الإظهار - الذي يعني البيان والوضوح - بالمعنى ؛ سنحتاج لسرد بعض الآيات التي ورد فيها حكم الإظهار ، ثم ننظر في معنى هذه الآية معتمدا في ذلك على كتب التفاسير - في حالة توافر دلالة تشير إلى ذلك - أو الفهم العام لمعنى الآية بما لا يمثل لياً لعنق الآية ، أو تعسفاً في التأويل.

١. قال الله تعالى حاكياً ما قاله رسله لأقوامهم كل على حده : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ الأعراف: ٥٩

الإظهار في موضعين :

نون ساكنة بعدها همز في : ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ .تنوين بعده غين في : ﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ .

معنى الآية (مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ) أي ليس لكم رب سواه [١] والجملة بيان للعبادة التي أمرهم بها، أي: أفردوه بالعبادة دون غيره ، إذ ليس غيره لكم بإله [٢]

فمعنى الآية واضح كل الوضوح ، بين كل البيان ، وشواهده أكثر من أن تعد وتحصى ، فكل ما في الكون يدل بجلاء على أنه ليس لنا من إله غيره سبحانه .فإن له في كل شيء آية تدل على أنه واحد و﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء: ٢٢ ، فظهور المعنى تناسب مع الإظهار كما ترى.

٢. ومنها قول الله سبحانه على لسان نوح عليه السلام لقومه : ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأعراف: ٥٩ الإظهار في موضعين : ميم ساكنة بعدها عين في ﴿عَلَيْكُمْ عَذَابَ﴾. تنوين بعده عين في ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

معنى الآية: إعلان نوح عليه السلام لقومه أنه يخاف عليهم عذاب يوم القيامة ، أو يوم الطوفان كما ذكر المفسرون [٣].

---

(١) السمرقندي ،أبو الليث نصر بن محمد ، بحر العلوم ، تحقيق: علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص ٥٤٨ .

(٢) النحاس،أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن ، تحقيق: زهير زاهد ،عالم الكتب ، بيروت، ط٣ ، ١٩٨٨ ١٤٢/٢.

(٣) السمرقندي ، بحر العلوم ص ٥٤٨ .والزمخشري،أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٥م ١٠٩/٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وهذا الأمر واضح وظاهر ، فلأنه يخاف عليهم عذاب يوم عظيم فقد قام بإنذارهم وتبليغهم .

ثم الأمر واضح وظاهر أيضاً أنه كان يوماً عظيماً هو يوم الطوفان ، فإن كان المقصود يوم القيامة فعظم ذلك اليوم أشد وضوحاً .

٣- قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝ ﴾ الزلزلة: ٧ – ٨

ففي قوله تعالى: ﴿ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾ إظهار ، وهو يوحي بإظهار هذا الخير، أو برغبة الإنسان في إظهاره، وهي رغبة فطرية، مم جبلت عليه النفس الإنسانية.

وفي قوله تعالى: ﴿ذَرَّةٍ شَرًّا﴾ إخفاء، وهو يوحي برغبة الإنسان بإخفائه؛ لأن إظهار الشر مما يتنافى مع الفطرة السليمة.

٢- علاقة الإدغام بالمعنى :

نذكر بدءاً بأن معنى الإدغام هو: إدخال حرف في حرف .

١. قول قوم نوح لنوح عليه السلام : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الأعراف: ٦٠ الإدغام في موضع واحد : التنوين بعده ميم في ﴿ ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ .

ومعنى الآية : أنهم أدخلوا نوحا عليه السلام في الضلال ، وأن هذا الضلال متمكن منه ، وزاد حرف (في) الذي يفيد الظرفية المعنى إحاطة . يقول ابن عاشور:وظرفية﴿فِى ضَلَـٰلٍ﴾ مجازية تعبيراً عن تمكن وصف الضلال منه، حتى كأنه محيط به من جوانبه إحاطة الظرف بالمظروف.[1]... فإدخال نوح في الضلال كإدخال الظرف في المظروف ، وهل الإدغام إلا إدخال الشيء في الشيء .

٢.قول نوح عليه السلام رادا على قومه : ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ﴾ الأعراف: ٦١

الإدغام في :

أ. تنوين بعده واو في ﴿ ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى ﴾ .

ب. تنوين بعده ميم في ﴿ رَسُولٌ مِّن ﴾ .

ج. نون ساكنة بعدها راء في ﴿ مِّن رَّبِّ ﴾ .

... معنى الآية :أن نوحا –عليه السلام- نفى عن نفسه الضلالة وأثبت أنه رسول من رب العالمين ، فهل هناك علاقة للإدغام ؟

([1]) ابن عاشور، التحرير والتنوير ،٥/ ١٩٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يلحظ تداخل معنى الجملتين مع بعضهما لإفادة أنه رسول من الله ؛ فكونه ليس به ضلالة فهو إذاً رسول ؛ وكونه رسولاً إذا ليس به ضلال . فهذا تداخل في المعنى أحسبه يتناسب مع الإدغام الأول .

أما الإدغامان الآخران في ﴿ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

فهذا الإدغام أدخل طاعة الرسول في طاعة الله ؛ لأن من أطاع الرسول فقد أطاع الله ، ومن يعص الرسول فقد عصى الله .

٣- قوله تعالى: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ القلم:١١

يوحي الإدغام في قوله ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ ﴾ بشدة التمازج والالتصاق بين صفتي الهمز والمشي بنميمة، فكل واحدة من الصفتين آخذة بحجز الأخرى، لا تنفك عنها بحال.

٤- قوله تعالى: ﴿ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ٢٤٦

في قوله تعالى ﴿ مَلِكًا نُّقَٰتِلْ ﴾ إدغام أي: امتزاج صوتي، وهذا الامتزاج يعكس امتزاجا دلاليا في رؤيتهم للأمر: بين مقاتلتهم أعداءهم، ووجود الملك بين ظهرانيهم. فأمر مقاتلتهم للأعداء- وهو جواب الأمر- متوقف على بعث ملك إليهم، وهذا فعل الأمر.أي: أنهم لن يقاتلوا عدوهم إلا في حالة وجود الملك معهم[1].

٣-علاقة الإخفاء بالمعنى :

١. قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأعراف: ٦٣ الإخفاء في ثلاثة مواضع :

أ. نون ساكنة بعدها جيم في ﴿ أَن جَآءَكُمْ ﴾ .

ب. نون ساكنة بعدها كاف في ﴿ مِّنكُمْ ﴾ .

ج. نون ساكنة بعدها ذال في ﴿ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ .

معنى الآية : يذكر نوح عليه السلام الأمور التي يتعجب منها قومه وينكرونها ؛ وهي مجيء ذكر من الله ، ثم أن يأتي هذا الذكر على رجل منهم ، ثم إنذار هذا الرجل لهم.

... يقول الفخر الرازي : " إنهم استبعدوا أن يكون لله رسول إلى خلقه ؛ لأجل أنهم اعتقدوا أن المقصود من الإرسال هو التكليف . والتكليف لا منفعة فيه للمعبود لكونه متعالياً عن النفع والضرر ، ولا منفعة فيه للعابد .... ثم وإن جوزوا التكليف إلا أنهم قالوا : ما علم حسنه

---

(١) انظر: بني دومي، خالد قاسم، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٣٣ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بالعقل فعلناه، وما علم قبحه تركناه ، ولما كان رسول العقل كافياً فلا حاجة إلى بعثة رسول آخر . ثم إذا كان لا بد من الرسول فإن إرسال الملائكة أولى ؛ لأن مهابتهم أشد وطهارتهم أكمل ، فهذه الوجوه التي لأجلها أنكر الكفار رسالة رجل معين "[1]

الا ترى أن الإخفاء جاء في المعاني التي خفيت على القوم ، فعلة مجيء الذكر من الله خافية عليهم، ثم علة أن يأتي هذا الذكر على رجل منهم خافية عليهم أيضا ، ثم علة إنذاره لهم خافية عنهم كذلك.

٢. قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام : ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ هود: ٨٩

الإخفاء في موضعين :

... أ. نون ساكنة بعدها كاف في ﴿ مِّنكُم ﴾.

... ب. ميم ساكنة بعدها باء في ﴿ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ .

... يقول المفسرون في معنى الآية : إن شعيباً عليه السلام اراد تذكير قومه بما حدث لقوم لوط الذين كانوا قريبين منهم ، لكنه لم يحدد وجه القرب . هل هو قرب مكاني أو زماني أو عملي [2]

... اي أن وجه التقارب خفي ، فلا ندري هل القرب المقصود هو قرب مكانهم منهم ، أو قرب زمانهم ، أو قرب أعمالهم من بعضهم من حيث كفرهم بالله والتعدي على حقوق الناس وأعراضهم .

... ثم لعل هنالك معنىً آخر من خلال النظر في الآية حيث نجد أن شعيباً عليه السلام ذكر قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح في قوله : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ هود: ٨٩

وهنا مواطن إظهار في جميعها ، فلما وصل إلى قوم لوط جاء الإخفاء ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ .وعلة ذلك - فيما يظهر - هو ظهور آثار ما حل بقوم نوح وقوم هود وقوم صالح ، بينما اختفت آثار قوم لوط ؛ لأننا نعلم أن الله جعل عليهم الأرض عاليها سافلها ، أي أخفاهم وأخفى آثارهم من على وجه الأرض[3]..

٣- قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ فاطر: ١٢

---

(1) الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفتاح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ، ٧ / ١٥٨ .

(2) انظر:الزمخشري، الكشاف ،٢ / ٤٠٧ ،وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٨/ ١٢٤.

(3) انظر: السودي،، لحبيب علي عبدالله، الإعجاز البياني في الصوت القرآني، مؤتمر كلية الشريعة السابع(إعجاز القرآن الكريم)، جامعة الزرقاء،٢٣-٢٥/آب،٢٠٠٥م، ص١٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في قوله تعالى: ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ ثلاثة غنات للإخفاء، وهذه الغنات الثلاث يستدعي اداؤها مدة زمنية، وهو أمر يتفق مع تذوق الماء السائغ شرابه.

واما قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ فالحكم فيه هو الإظهار؛ ليدل على سرعة لفظ هذا الماء، وعدم مقدرة الشارب على إخفاء ملوحته، فهو بمجرد أن يضع شيئا منه في فمه يسارع إلى لفظه، والتخلص منه.

٤- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾ قريش: ٤

يلحظ في هذه الآية الكريمة مجيء الإخفاء في قوله تعالى ﴿مِّن جُوعٍ﴾، ومجيء الإظهار في قوله تعالى: ﴿مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ فيدل الإخفاء على وجود مدة للإطعام من الجوع، وأنه يأتي مرة تلو الأخرى.أما الإظهار فيدل على فورية الأمن من الخوف؛ إذ المنة تتحقق بإزالة الخوف دفعة واحدة.[1]

ولعل الإخفاء يدل على أن الجوع مسألة جسدية يمكن تحملها وإخفاء أثرها، في حين أن الإظهار يدل على صعوبة كتمان الخوف فهو حال نفسية[2]

٤- علاقة الإقلاب بالمعنى :

١. قوله سبحانه وتعالى ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ الأعراف: ٦٩

الإقلاب في موضع النون الساكنة بعدها باء في ﴿ مِنۢ بَعْدِ ﴾.

معنى الآية : قال الزمخشري: " أي: خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكاً في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم "[3].

فيلحظ من الآية الكريمة أن ورقة قوم نوحٍ قد طويت وقلبت، وتحول القوم عما كانوا فيه، وجاء بعدهم قوم هودٍ عليه السلام ليعمروا الأرض من خلفهم .

فالإقلاب الذي في الآية يناسب القلب الذي حدث لقوم نوح.

٢. ومن الشواهد قوله تعالى :

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ هود: ٢٧...

الإقلاب في التنوين بعده باء في ﴿ فَضْلٍۭ بَلْ ﴾ .

([1]) انظر: شملول، محمد ، تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان،ط٢،ص٢١٩.

([2]) هذا مما أفادني به استاذنا عبدالله الجيوسي تعليقاً على هذا الموضع.

([3]) انظر:الزمخشري، الكشاف، ٢ / ١١٢ ،وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٨/ ٢٠٥

© Arabic Digital Library Yarmouk University

... لقد قالوا له: إنك بشرٌ مثلنا واتبعك أراذلنا وليس لكم فضل؛ كل ذلك ليطعنوا في رسالته وفي صدق ما يدعيه ، ثم أضربوا عن ذلك ، وحولوا الأمر عن حقيقته ، وانتقلوا إلى ظنهم المجرد عن الحقيقة باتهامه بالكذب هو وأتباعه.... إنه تحويلٌ للكلام عن وجهه ، وهو قلبٌ للحقائق وتحويل الصادق إلى كاذب.

قال الشوكاني : خاطبوه منفرداً ثم خاطبوه مع متبعيه ، أي: ما نرى لك ولمن اتبعك من الأراذل علينا من فضل تتميزون به وتستحقون ما تدعونه ، ثم أضربوا عن الثلاثة المطاعن ، وانتقلوا إلى ظنهم المجرد عن البرهان الذي لا مستند له إلا مجرد العصبية والحسد واستبقاء ما هم فيه من الرياسة الدنيوية [1]

٥- علاقة القلقلة بالمعنى

إن النبر الذي يظهر لأصوات القلقلة حين النطق بها يعد زيادة في بنية المفردة، وهذه الزيادة في المبنى تستدعي زيادة في المعنى.

ومن الشواهد على ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ ق: ١٩

توحي القلقلة في حرف الدال في قوله تعالى:﴿تَحِيدُ ﴾ بالحركة، وفيها إشارة إلى محاولة الهروب من وطأة الموت.

٢- قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ الحشر: ٢

تدل قلقلة الباء في حال الوقف في قوله ﴿الرُّعْبَ ﴾على الارتعاش والارتعاد والاضطراب من شدة ما وقع في قلوبهم من الخوف.

٣- قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الملك: ٤

ترصد القلقلة في قوله تعالى ﴿يَنقَلِبْ ﴾ حركة ارتداد البصر وانكفائه، وتصور عجزه عن إدراك أي خلل.

---

[1] انظر: الشوكاني،محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ،دار ارلخير، ط١،١٩٩١م، ص٧٩٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني : علاقة صفات الحروف بالمعنى :

الغرض المروم من هذا المبحث هو بيان علاقة الحروف المتصفة بالقوة بمواقف القوة، ، والحروف المتصفة بعلامات الضعف بمواقف الضعف ، والحروف المتصفة بالاستعلاء بمواقف الاستعلاء ، والحروف المتصفة باللين بمواقف اللين .

بحث علماؤنا العلاقة بين صفات الحروف والمعنى، وتحدثوا عنها على مستوى الكلمة المفردة . ومن الشواهد على ذلك ما جاء عند ابن جني في خصائصه، يقول:

" فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث ، فباب عظيم واسع ، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون من أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها ، فيعدلونها بها ، ويحتذونها عليها ، وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره . من ذلك قولهم: خضم وقضم . فالخضم لأكل الرطب ؛ كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب . والقضم للصلب اليابس .... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث "[1]

... فانطلاقاً من هذا المبدأ نتأمل نصوص المحاورات لنرى مدى ارتباط صفات الحروف بالمعنى العام والجو العام للنص .

ومن الأمثلة على ذلك:

ما نجده في محاورة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه في سورة مريم :

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ مريم: ٤٢ – ٤٥

الموقف هنا هو موقف محاورة من ولدٍ لأبيه ، وهو موقف دعوة في بدايتها ، فنحس أن الجو العام هو جو اللين والانخفاض من جانب إبراهيم عليه السلام. فهل لهذا الجو ظلال على النص من خلال صفات الحروف ؟

للإجابة نحتاج إلى إحصاء للحروف الواردة في هذا النص ، وهي على النحو الآتي :

الياء: ٢٣ ، النون: ٢٠،اللام: ١٦ ، الميم: ١١،الهمزة: ١٢ ، الصاد : ٣ ، القاف:١ الغين: ١،الخاء : ١ ، الطاء : ١ ، الضاد : لا شيء ، الظاء: لا شيء

([1]) ابن جني، الخصائص٢/ ١٥٧-١٥٨. وانظر مجموعة من أقواله في الخصائص : (فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف) (١/ ٦٥) (وكأنهم خصوا هذا المعنى بالمهزة لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس) (٢/ ١٤٦). (ومن ذلك قولهم : الوسيلة والوصيلة ، والصاد كما ترى أقوى صوتاً من السين لما فيها من الاستعلاء ، والوصيلة أقوى من الوسيلة ،فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى والسين لضعفها للمعنى الأضعف . (٢/ ١٦٠)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

... بالنظر إلى الإحصاء أعلاه نجد حضوراً واضحاً لحروف اللين وحروف الاستفال ، وكذا ندرة في بعض حروف الاستعلاء وغياب لبعضها الآخر . وإنما تكررت الصاد ثلاث مرات لما فيها من الهمس .فنلحظ أنه لما كان المقام مقام وداعة ولين وظف من صفات الحروف ما يناسب ذلك، وهذا من أسرار القرآن المعجزة.

شاهد آخر نسوقه لنبين مدى الارتباط بين صفات الحروف والجو العام للنص الذي وردت فيه تلك الأصوات ، هو ما أخبرنا به الله عزّ وجل عن نبي الله نوح عليه السلام عندما أعلن البراءة من قومه وتحديه لهم :

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ يونس: ٧١ - ٧٢.

إن الموقف هاهنا موقف تحدٍ واضح وصارخ ، تجد وضوحه في هذه الإظهارات المتابعة في النص (أمركم وشركاءكم ، شركاءكم ثم ، لا يكن أمركم ، أمركم عليكم ، عليكم غمة ، توليتم فما ، من أجرٍ ، أجرٍ إن ، إن أجري ، أن أكون) إنها عشرة إظهارات في هذا النص ، فهو نص واضح لكن هل هو واضح في التحدي أم واضح في اللين ؟

بنظرة في الأصوات الموجودة نلحظ الآتي :

... حضور ملحوظ لأصوات الشدة والاستعلاء ممثلة في (الكاف: ١٣ ، الهمزة: ١٧ ، التاء: ١٠ ، العين: ٥ ، والجيم: ٣ ، القاف: ٣، الباء: ٢ ، الغين: ١ ، الضاد: ١ ، الظاء: ١) .

... فجميع هذه الأصوات تضافرت فيما بينها لترسم جو هذا الموقف ، موقف التحدي والاستعلاء من نوح عليه السلام .

ثم لننظر ونتأمل موقف هود عليه السلام يوم أن وقف أمام قومه قائلاً لهم : ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾ هود: ٥٤ - ٥٦. موقف نلمح فيه جو التحدي والجهر بهذا التحدي ، فهو يعلن لهم براءته مما يشركون من دون الله . ويعلن لهم ويتحداهم أن يكيدوه جميعاً ولا يتأخرون عن مكيدته . يعلن لهم توكله على الله المالك القاهر لدواب الأرض جميعاً وما هم إلا جزء من هذه الدواب التي تسير على وجه هذه الأرض ، ويجهر لهم أنه في

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حالة توليهم فإن الله سبحانه وتعالى سيأخذهم ويستخلف قوماً غيرهم وهم لا يملكون ضره في شيء[1]

هذا الجو العام تداخلت فيه حروف الشدة والجهر والاستعلاء لرسم هذه الصورة المعبرة وهذا الموقف الحي الذي كأننا نعيشه ونراه ونسمعه من خلال هذا النص .

... ألا ترى حضور الباء :١٦ ، التاء: ١١ ، الهمزة: ١٣ ، الكاف :٩ ، الخاء: ٢ ، الصاد: ٢ ، الغين: ٢ ، القاف: ٣ ، الظاء: ٢ ، الدال: ٦ ، الضاد: ١ ، الجيم: ١ ، هذه الحروف التي من صفاتها الشدة والقوة والاستعلاء ناسب حضورها هذا الموقف القوي المستعلي من نبي الله هود عليه السلام .

... هذه شواهد تحاول إبراز أن هناك علاقة بين أحكام التجويد بوصفها أحكاماً تختص بأصوات القرآن ، وبين المعنى العام للآية . إلا أن الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث والتأمل[2]..

---

(1) انظر :قطب،سيد، في ظلال القرآن،٤/

(2) انظر: السودي،، لجيب علي عبدالله، الإعجاز البياني في الصوت القرآني، ص ٣٣-٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني :
أثر المدّ في تناسق الصوت والمعنى

المطلب الأول: أثر المد المتصل في تناسق الصوت والمعنى

المطلب الثاني: أثر المد المنفصل في تناسق الصوت والمعنى

المطلب الثالث: أثر المد اللازم في تناسق الصوت والمعنى

المطلب الرابع: أثر مد الصلة في تناسق الصوت والمعنى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني :
أثر المدّ في تناسق الصوت والمعنى

يعد المد من أهم مباحث علم التجويد؛ نظراً لما له من دور كبير في تحسين الأداء، وتزيين التلاوة.

والناظر في كتب علم التجويد، وبعض كتب القراءات، لا يكادُ يجد كتاباً قد خلا من الحديث عن المد وأسبابه وأنواعه.

فقد " استطاع القُراء وعلماء اللغة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً أن يُحْكِمُوا مواضع المد، ويبينوا زمنه، ويحددوا آماده – من دون أجهزة تعينهم على ذلك- بعين عبقريتهم وحسهم اللغوي مستقين ذلك توقيفاً عن المعلم الأكبر رسول الله ﷺ " [1].

المطلب الأول: أثر المد المتصل في تناسق الصوت والمعنى

وهو أن يأتي بعد حرف المد همز متصل به في كلمة واحدة، سواءً كان الهمز في وسط الكلمة أم كانت في آخرها.[2]

والأمثلة على المد المتصل في القرآن كثيرة، وسنقف على جملة من النماذج توضح العلاقة بين المد المتصل والمعنى.

١- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ البقرة: ٥

تبين الآية الكريمة جزاء أولئك المتصفين بتلك الصفات العظيمة، وأنهم إنما استحقوا هذا التكريم، وهذه المنزلة لتمسكهم بعرىً وثيقة من الإيمان بالله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرسالات السابقة، فجاءت الإشارة لتبين أنهم متميزون بذلك أكمل تمييز.

وقد أسهم في بيان عظم الجزاء لهؤلاء المؤمنين أمران:

أ- ما في الإشارة من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل[3].

---

(١) ظبيان، نشأة محمد رضا، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٧، ص ٥٦.

(٢)انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١/ ٢٤٦ والحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ضبطه محمد طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٥، ٢٠٠١م، ص ٢١٤.

(٣)أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، د.ت ، (١/ ٣٣).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب- المد المتصل في اسم الإشارة، والذي تتمثل دلالته في الإشارة إلى علو مكانتهم، فالمدة الزمنية التي تستغرق في نطق المد في ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ توحي بعظم المنزلة، وعلو الدرجة.

فالإشارة مع المد يسهمان في المكانة العظيمة الذي استحقه هؤلاء المؤمنون.

وكما يسهم المد مع اسم الإشارة في بيان عظم مكانة المؤمنين، فهو كذلك يسهم في بيان حقارة المكذبين، وبعدهم عن رحمة الله، بل بعدهم عن أي مظهر من مظاهر الإنسانية كما في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٩. وفي كل موضع وردت فيه لفظة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يمكن أن نتلمس سر مجيئها في سياقها[١].

٢-قوله تعالى: ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الحاقة: ١٧

إن المد المتصل في قوله ﴿ أَرْجَائِهَا ﴾ جاء معبراً تعبيراً وافياً عن مدى انتشار الملائكة في جميع أطراف السماء في ذلك اليوم العظيم، فما من موضع من السماء أو الأرض إلا وفيه ملك مأمور من قبل الله.

فجاء هذا (المد) في ﴿ أَرْجَائِهَا ﴾ ليسهم في رسم صورة التهويل من ذلك اليوم العظيم، وأنه لن يستطيع أحد أن يفر من قبضة الله، كيف يفر، والملائكة محكمون قبضتهم على منافذ السماء والأرض وهم لا يعصون الله ما أمرهم.

ولعل مجيء المفردة بصيغة الجمع يتواءم مع معنى الإحاطة والشمول الذي أوحى به المد.

٤- ﴿ هَاؤُمُ ﴾ اسم فعل أمر بمعنى خذ[٢]. أو اقبل وتعال[٣].

وهذه المفردة لم تذكر في القرآن إلا مرة واحدة فهي من فرائد القرآن، وهي موضوعة لإجابة الداعي عند النشاط والفرح كما ذكر ذلك بعض المفسرين[٤].

وقد جاء المد فيها متسقاً تماماً الاتساق مع مشهد الناجي في ذلك اليوم العصيب، وهو ينطلق في فرحة غامرة، بين الجموع الحاشدة، تملأ الفرحة جوانحه، وتغلبه على لسانه فيهتف﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾[٥].

---

(١) وردت لفظة (أولئك) في القرآن في (١٨٩آية).

(٢) انظر: ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م، ص ٤٥٥.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٧٥).

(٤)انظر: المرجع السابق (١٨/ ١٧٥).

(٥) قطب، سيد، في ظلال القرآن (٦/ ٣٦٨١) وانظر: المطعني، عبد العظيم، دراسات جديدة في إعجاز القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، ص ٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول الإمام البقاعي -رحمه الله-: " فيقول: لما رأى من سعادته تبجحاً بحاله، وإظهاراً لنعمة ربه، -لأن الإنسان مطبوع على أن يظهر ما آتاه من خير تكميلاً للذته بكبت أعدائه وتفريح أوليائه، قيل: إنه تكتب سيئاته في باطن صحيفته، وحسناته في ظاهرها، فيقرأ الباطن، ويقرأ الناس الظاهر، فإذا أنهاه قيل له: قد غفرها الله، اقلب الصحيفة، فحينئذ يكون قوله- : ﴿ هَآؤُمُ ﴾ أي: خذوا أيها الحاضرون من الخلائق الملائكة وغيرهم، فيها أي: في ﴿هَآؤُمُ﴾ صوت يفهم منه معنى: خذوا. ويوصل تارة بالكاف وتارة بالهمزة، اسم فعل، وإنما اختارها هنا ليعلم أن خطابها لجميع أهل الموقف، من كان منهم باطناً من الملائكة والجن وغيرهم، ومن كان منهم ظاهراً " [1].ويمكن القول كذلك: إن المد في هذه المفردة يشير إلى الذهول الشديد الذي يصيب الناجين نتيجة الفرح.

٥- قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ١٤.

إن المد في قوله ﴿ خَلَـٰٓئِفَ ﴾ يوضح سعة النعمة، واتصالها عبر القرون، وعظم المنّة في تساميها وارتقائها [2].

ووجه النعمة والمنة أن الله -سبحانه وتعالى- قد امتن على المخاطبين بأنْ أورثهم الأرض يتبوؤن فيها، وليبين لهم أن مقصد هذا الاستخلاف هو ليبلوهم فيما آتاهم، وأنهم ينبغي أن يعتبروا بما جرى مع الأقوام السابقة، فلا يغتروا ولا ينخدعوا بما أعطوا، بل ينبغي عليهم أن يحسنوا العمل، ويقوموا بواجب الاستخلاف الذي أوكل إليهم. كما يمكن القول: إن المدّ يشير إلى كثرة الأجيال المتعاقبة.

٦- ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٠

إن لفظة ﴿ سَيْنَآءَ ﴾ ولفظة (سينين) لغتان بمعنى واحد. وهما تدلان على اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى، أو تعنيان المكان المرتفع، أو المكان الحسن المبارك الكثير الأشجار [3].

وجاءت ﴿ سَيْنَآءَ ﴾ بالمد المتصل في سورة (المؤمنون) لأن السياق في الحديث عن الإمداد بالنعم [4]. فكان في المد إشارة إلى سعة المكان الذي تخرج منه هذه الشجرة المباركة، وكأنها تخرج من كل موضع فيه، فأينما أدار المرء نظره فيه رأى تلك الشجرة المباركة، وقد يكون في المد إشارة إلى علو الجبل وارتفاعه.

---

(1) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج أحاديثه، عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥، (٨/ ١٣٠-١٣١).

(2) ظبيان، نشأة محمد رضا، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، ص ١٢٣.

(3) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، راجعه، السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، (٤/ ٥٠).

(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٥/ ١٩١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأما مجيء ﴿ سِينِينَ ﴾ بدون مد في (التين: ٢) ذلك -كما يقول البقاعي- لأن الكلام في السورة عن التقويم وحُسْنه، فكان المناسب لهذا، الإتيان بصورة جمع السلامة ﴿ سِينِينَ ﴾ ، والمعنى: أي وما كان بالجبل ذي النبت الحسن[1]. مع ما في ﴿ سِينِينَ ﴾ من مراعاة للفاصلة قبلها وبعدها.

٧- ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ البقرة: ٤٩

إن المد المتصل في قوله ﴿ بَلَاءٌ ﴾ يدل دلالة واضحة على عظم ما لحق بني إسرائيل من عذاب فرعون، وعلى طول زمن العذاب وشدته، وشموله للأجسام والأنفس والأرواح، ولم يستثن من ذلك ذكر ولا أنثى، ولا صغير ولا كبير.

فالمد مع وصف البلاء بالعظمة يرسمان حجم تلك المشقة والمعاناة اللتان أصابتا بني إسرائيل جزاء عذاب فرعون، وهذا إن حملنا البلاء على معنى الشدة والقهر والمشقة.

وإن حملنا ﴿ بَلَاءٌ ﴾ على معنى النعمة[2]. يكون في المد إشارة إلى عظم النعمة التي منّ الله بها على بني إسرائيل بإنجائهم من العذاب المهين من فرعون، فإن التخلص من ذُلّ العبودية، وامتهان الخصم نعمة ما بعدها نعمة.

وكأن المد في ﴿ بَلَاءٌ ﴾ فيه انفراج وتنفيس وراحة مما كان يجثم على صدورهم من عذاب فرعون، واستعباده إياهم.

وهذا يشبه قول المرء الذي ارتاح من مشقة كبيرة، وتخلص من معاناة عجيبة: (الحمد لله) فيمد لفظ الجلالة معلناً انتهاء تلك الفترة الشاقة .

٨- ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ آل عمران: ٦١.

في هذه الآية الكريمة أكثر من مد متصل، فقد جاء المد في قوله ﴿حَاجَّكَ﴾، ﴿ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ ، ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ وسأحاول تبين علاقة هذا المد بالمعنى.

من المقرر أن هذه الآية جاءت في سياق نفي الألوهية عن عيسى وأمه – عليهما السلام- التي أدعاها لهما النصارى.

وقد بين الله سبحانه وتعالى لهم بالحجج القاطعة، والبراهين الساطعة بطلان قولهم، وفساد مذهبهم في ما ادعوه من ألوهية عيسى -عليه السلام- ولكنهم أصروا على موقفهم الباطل، فقال الله

---

[1] المرجع السابق (٨/ ٤٧٠-٤٧١).

[2] انظر: القمي النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، (١/ ٢٨٤)

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مخاطباً نبيه – عليه السلام- فمن حاجّك: أي من النصارى في شأن عيسى -عليه السلام- وأمه من بعد ما أنزلنا إليك، وقصصناه عليك في شأنهما فادعوهم إلى المباهلة، بأن يدعو كل فريق أهله؛ أي أن يلعن كل منا الكاذب في أمر عيسى[1].وقد أسهمت المدود في توضيح هذا المشهد.

فالمد في ﴿ جَآءَكَ ﴾ يشير إلى المصدر الذي استقى منه النبي ﷺ خبر عيسى -عليه السلام- وأنه مصدر علوي، لا يصل إليه إلا من هيّأه الله لذلك، وهذا مصداق لقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ٤٤.

وأما المدود في ﴿ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾ و﴿ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ ﴾. فهي تسهم مع دلالة الجمع على الإحصاء والاستقصاء اي فليأت كل فريق بكل أبنائه الذكور والإناث من قرب منهم ومن بَعُد، وبكل النساء: الزوجات والأخوات والبنات والعمات والخالات....

وفي هذا دليل على كمال الأمن، وتمام الثقة، وقوة اليقين في جانب الحق، والثبات عليه[2].

٩-قوله تعالى: في وصف جزاء المتقين: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ النبأ: ٣٦.

وقع المد المتصل في كلمتين هما ﴿ جَزَآءً ﴾، و﴿ عَطَآءً ﴾ فما دلالته؟

يطلق الجزاء ويراد به ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. كقوله ﴿ فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الكهف: ٨٨ ، وقوله ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ الشورى: ٤٠[3].

وأما العطاء فيدل على الإنالة، والعطاء للغني والفقير والناس لا يحصون[4]. كقوله ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ الإسراء: ٢٠.

مما سبق يمكن القول:إن الدلالة اللغوية للمفردتين تشتركان مع المد في الدلالة على عظم الجزاء والعطاء الممنوح للمؤمنين من الله -سبحانه وتعالى-، فهو جزاء ممتد، وعطاء كثير غير محدود.

فإذا كان في ﴿ جَزَآءً ﴾ معنى المكافأة على ما قدموا من عمل، فإن في ﴿ عَطَآءً ﴾ معنى التفضل الممتد المتواصل المتتابع بغير حساب ولا جزاء. وإلى جانب الدلالة المعنوية للمدّين، فإن هناك تناسقاً موسيقياً وأناقة ناشئان من التقسيم والتناسب بين المدّين في ﴿ جَزَآءً ﴾ و﴿ عَطَآءً ﴾[5].

---

(1) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢/ ٤٦).

(2) المرجع السابق، (٢/ ٤٦)؛ وانظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٢/ ١٠٦-١٠٧).

(3) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص١٠٥، (جزي)

(4) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م، ص ٦٥٤.

(5) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٨٠٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٠-قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ يس: ٢٠ .

" أغلب المعاجم اللغوية تجمع على أن (جاء) بمعنى (أتى) فهل هما كذلك فعلاً؟ لننظر في ذلك.

﴿ وَجَآءَ ﴾ فعل ماض ممدود مداً متصلاً، و(أتى) فعل ماضي مقصور آخره الف مقصورة. وكلاهما يفيد معنى الحضور، ولكن هل المجيء بما فيه من مد متصل يمكن أن يطلق على نفس الحدث الذي يدل عليه الفعل المقصور (أتى).

ومن وحي العلاقة التي نقرر وجودها بين المد والمعنى يمكننا القول بوجود فرق بين (جاء وأتى).

(فجاء) بما فيها من مدٍّ يمكن أن تطلق على حدث الحضور من مسافة ممتدة، أو الحضور مع صعوبة ومشقة يواجهها المرء في حضوره، أما (أتى) بما فيها من قصر فيمكن أن تطلق على حدث الحضور من مسافة قصيرة حضوراً ليس فيه مشقة ولا تعب.

الا ترى معي إلى قول الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ يس: ٢٠

قال القرطبي: (ومنزله عند أقصى باب من أبواب المدينة)[١].

وقال الألوسي: " وجاء من أقصى المدينة أي من أبعد مواضعها "[٢]. وكذلك عندما بعث فرعون في المدائن حاشرين ليأتوه بكل سحار عليم: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ الشعراء: ٤١ ، لقد كان مجيئهم من المدائن البعيدة، فهو مجيء من مسافة ممتدة.

أما (أتى) فانظر معي إلى هذه الآية: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾ طه: ٦٠ ، إن هذه الآية الواحدة القصيرة تحكي حدوث ثلاثة حركات متواليات: ذهاب فرعون وتوليه، وجمع الكيد، والإتيان به. والإتيان كان من قصْر فرعون إلى المكان المتفق عليه وهو ميدان الاحتفال بالعيد.

وفي ضوء ما ذكره ابن عاشور من أن قلب المدينة هو مسكن حكامها، إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة[٣].في ضوء هذا نعتقد أن المسافة بين قصر فرعون وميدان الاحتفال مسافة قصيرة ليست بالممتدة؛ لذلك جاء فعل (أتى) المقصور.

ثم للنظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ النحل: ١. ومن هنا أيضاً ندرك مدى العلاقة التي تربط نوع المد بالمعنى، وهذا واضح لمن تأمله."[٤].

١١-قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ الضحى: ٩ - ١٠ .

---

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٥/ ١٤).

(٢) انظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ضبطه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤، (١١/ ٣٩٧).

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٢/ ٣٦٥).

(٤) السودي، نجيب علي عبدالله، الاعجاز البياني في الصوت القرآني، ص ٣٣-٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" فالملاحظ هنا أن المدّ لحق كلمة ﴿ٱلسَّآئِلَ﴾ ولهذا المد -بلا شك- دلالة؛ وهي - كما أراها- تمثل واقع هذا السائل وترصد حركته؛ إذ من عادة السائل أن يجوب الشوارع، ويتنقل بين البيوت، ويسأل هذا ويستعطف ذاك، فالتشكيل الصوتي في كلمة ﴿السآئل﴾ بورود المد فيها، يوحي بواقع السائل، الذي يتخذ من الحركة والتطواف وكثرة السؤال وَسائلَ للحصول على ما يسد جوعه.

ولعل مجيء التعبير بالصفة المشبهة ﴿ٱلسَّآئِلَ﴾ التي هي على صيغة اسم الفاعل، يدعم الرأي الذي ذهبت إليه؛ فهذه الصيغة تدل على أن سؤال الناس صار صفة ملازمة له، أو قل: إن سؤال الناس تحوّل لديه إلى مهنة يكسب بها قُوْته وقوت عياله.

على حين أن كلمة ﴿ٱلْيَتِيمَ﴾ لم تستدع مثل هذا المد؛ لأن له واقعاً آخر مختلفاً عن واقع السائل. "[1]

ويؤكد المعنى السابق ما ذكره الفراء من معنى السائل: فقال: " فأما السائل فالطَّوّاف على الأبواب " [2].

١٢-قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ البقرة: ٢٢.

" في الآية مدان متصلان يظهران في قوله ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ وقد شبهت السماء بالبناء على طريقة التشبيه البليغ.

ويبدو لي أن المد في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ إشعار بارتفاع السماء وامتدادها وبعدها، وبعظم البناء واتساعه وشموخه، وهذه الدلالات مجتمعة أظهرها لنا المد الذي لحق الكلمتين"[3].والمعنى السابق هو ما أشار إليه أبو حيان في تفسيره[4].

١٣-قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ البقرة: ١٢٥.

" تشير الآية إلى أصناف المتعبدين في البيت الحرام في عهد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام- من طواف واعتكاف وصلاة، ويلاحظ أن واحداً فقط من هذه الأصناف روعي فيه المد، وهو صنف ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ ؛ حيث جاءت صيغة الكلمة على المد المتصل.

---

(1) بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص ١١٣-١١٤.

(2) الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، (٣/ ٨٤).

(3) بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص ١١٤.

(4) انظر: أبو حيان،محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، (١/ ٢٣٧-٢٣٨).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وتتمثل دلالة المد في كلمة ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ في أن عملية الطواف تقتضي حركة منحنية، ودوراناً حول الكعبة؛ ولذا جاء المد فيها معبراً عن هاتين الدلالتين، وراصداً مشهد الطواف المهيب، حيث تبدو حركة الناس- ولا سيما للناظر من مكان مرتفع- وكأنها أمواج تتحرك بانسياب واندفاع وتدفق.

أما العكوف والصلاة -المعبر عنها بـ ﴿ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ - فلا يقتضيان حركة؛ إذ العكوف هو الملازمة بقصد التقرب والتعبد، والركوع والسجود ركنان من أركان الصلاة يقتضيان حركة موضعية منحنية تتجه إلى أسفل، على تباين في درجة الانحناء فيهما، وينتهي كل منهما عادة إلى ثبات واستقرار. ومن هنا تبرز دلالة المد في ﴿لِلطَّآئِفِينَ ﴾ من بين أصناف التعبد الأخرى " (1).

أقول: وفي القرآن الكريم آية أخرى شبيهة بهذه الآية وهي قوله﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ الحج: ٢٦.

ونلحظ هنا أن المد المتصل جاء في كلمتين هما ﴿لِلطَّآئِفِينَ ﴾ و ﴿ وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾.

وإن دلالة المد في ﴿لِلطَّآئِفِينَ ﴾ تظهر من طبيعة الطواف وأنه حركة دورانية متشابهة كما مر سابقاً.

وأما دلالة المد في قوله ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾.فتدرك من المعنى الذي تدل عليه ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾. فقد ذكر المفسرون أن المقصود بالقائمين هنا أحد معنيين(2). إما القيام في الصلاة، وعليه تكون دلالة المد ظاهرة في الدلالة على طول القيام، بل إن القائم في الصلاة يشبه الألف التي في ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾.

وإما أن تكون من الإقامة في مكة، وعليه تكون دلالة المد ظاهرة في الدلالة على طول المكث والملازمة للبيت الحرام.

١٤-قال تعالى: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ القلم: ١١

جاء المد المتصل في لفظة ﴿ مَّشَّآءٍۭ ﴾ والتي تصف ذلك الشخص الذي يسعى بين الناس بما يفسد قلوبهم، ويقطِّع صِلَاتِهم، ويذهب بموداتهم، وذلك بأن ينقل الحديث من قوم إلى قوم على وجه الإفساد.

وجاءت هذه اللفظة على بناء المبالغة، والتي توحي بالإصرار على الإفساد، والاستمرار بهذه الممارسات والسلوكات القبيحة(3).

---

(1) بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص١١٢-١١٣.

(2) انظر: ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عمر الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥، (٤/٤٠٨).

(3) انظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المُنْزَل، دار لأميرة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،ط١، ٢٠٠٥م، (١٨/٣٣٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولما كان عمل النَّمَّام هو المشي للإفساد، جاء المد في هذه الكلمة مصورا رحلة النمام الخبيثة في الإفساد بين الناس، فهي رحلة لها هدف وغاية، رحلة لا يَمَلُّها صاحبها، ولا يتوانى عن القيام بها كلما سنحت له الفرصة.

ولعل في صوت الشين (تفشيها) ما يدعم دلالة المد في توضيح هدف النمام من نقله الكلام بين الناس وهو تفشي الفساد، ونشره بين الناس. فنرى أنه قد اجتمعت في هذه اللفظة ثلاثة أمور أسهمت كلها في رسم صورة لسعي هذا النمام وهي:

أ-بناء الكلمة على المبالغة ب- صوت الشين ج-المد المتصل.

١٥-قوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ النساء: ٤

يخاطب الله -سبحانه وتعالى- الرجال قائلاً لهم: فإن وهب لكم – أيها الرجال- نساؤكم شيئاً من صدقاتهن طيبة بذلك أنفسهن فكلوه هنيئاً مرئياً[١].

والهنيء: الطيب المُسَاغ الذي لا ينغّصه شيء.

والمريء: المحمود العاقبة التام المضم الذي لا يضر[٢].

فالمد في المفردتين يوحي بحلِّ الأكل، والمبالغة في الإباحة، وإزالة التبعة[٣]. مما يعطي الزوج راحة نفسية إزاء هذا التصرف. كما يوحي المد فيهما بأن هذا المأكول طيب من أوله إلى آخره لا يترتب عليه ضرر في أوله كما أنه مأمون العاقبة. فإطالة الصوت في المفردتين مع ما بينهما من إدغام يدل على عمق الاتصال بينهما.

المطلب الثاني:أثر المد المنفصل في تناسق الصوت والمعنى

وهو أن يأتي بعد حرف المد همز، ويكون حرف المد في كلمة، والهمز في أول الكلمة التي تليها، سواء كان حرف المد ثابتاً لفظاً ورسماً نحو ﴿ بِمَآ أُنزِلَ ﴾ ، أم كان حرف المد ثابتاً في اللفظ دون الرسم نحو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾[٤].

وأمثلة المنفصل في القرآن من الكثرة بمكان، وسنمثل هنا بجملة من النماذج تجلي علاقة المد المنفصل بالمعنى.

---

(١) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تاويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠، (٧/ ٥٥٥).

(٢) انظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ط٤، ١٩٩٧م، (٢/ ١٦٣-١٦٤).

(٣) الزمخشري، الكشاف، (١/ ٤٦١).

(٤)انظر:ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١/ ٢٤٦. والحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ص ٢١٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١-قوله تعالى﴿ :قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ التحريم: ٦.

" تخاطب الآيات السابقة جميع المؤمنين ، وترسم لهم المنهج الصالح لتربية الزوجات والأولاد والأسرة بشكل عام، فهي تقول أولاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ التحريم: ٦.

وذلك بحفظ النفس من الذنوب وعدم الاستسلام للشهوات والأهواء، وحفظ العائلة من الانحراف بالتعليم والتربية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتهيئة الأجواء الصالحة والمحيط الطاهر من كل رذيلة ونقص.

وينبغي مراعاة هذا البرنامج الإلهي منذ اللحظات الأولى لبناء العائلة، أي منذ أول مقدمات الزواج، ثم مع أول لحظة لولادة الأولاد، ويراعي ويلاحظ بدقة حتى النهاية.

وبعبارة أخرى: إن حقوق الزوجة والأولاد لا تقتصر على توفير المسكن والمأكل، بل الأهم تربية نفوسهم وتغذيتها بالأصول والتعاليم الإسلامية وتنشئتها نشأة تربوية صحيحة.

والتعبير بـ﴿ قُوٓاْ ﴾ إشارة إلى أن ترك الأطفال والزوجات دون أية متابعة أو إرشاد سيؤدي إلى هلاكهم ودخولهم النار شئنا أم أبينا. لذا عليكم أن تقوهم وتحذروهم من ذلك"[1].

نستشف من هذا الكلام الدور الذي يؤديه المد المنفصل في قوله ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ والذي يتمثل باتباع جميع أنواع الوقاية، واتخاذ جميع السبل والأساليب التي تكفل للإنسان وأسرته النجاة من النار.

٢. قوله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ الحج: ٢٤

إن المد المنفصل في قوله﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ ﴾ وقوله﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ يوحي بسهولة هدايتهم إلى الطريق الحق فكأن المعنى: وهدوا، أي: بأسهل أمر بهداية الله لهم وللأتقياء منهم.

كما يَشي هذا المد بدوام هداية الله لهم في الأقوال والأفعال في الدنيا والآخرة، فكأن الهداية مرافقة لهم في كل حال.

وساعد على هذا المعنى أيضاً بناء الفعل ﴿ وَهُدُوٓاْ ﴾ للمجهول الذي يشير أيضاً إلى سهولة الهداية لهم[2].

٣.قوله تعالى:﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴾ النمل: ٣٦

في الآية الكريمة مدان منفصلان:

الأول: ﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ ﴾ وهو مشعر بالاعتزاز والتقديس للذات العلية التي منحته أفضل شيء في الوجود العلم والنبوة.

---

(1) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (١٨/ ٢٨٧).

(2) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ١٤٤).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثاني: ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾، وفي رده استهزاء بالمال، واستنكار للاتجاه إليه في مجال غير مجاله[1].

٤. قوله تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ الروم: ٥٠.

في الآية الكريمة مد منفصل في قوله ﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ﴾ ويرشدنا هذا المد إلى ضرورة إجالة النظر في مواقع الغيث، هنا وهناك، وتتبين كيف يصنع هذا الغيث بالأرض التي يقع عليها. ليكون ذلك معيناً لنا على فهم فكرة البعث، وكأن (المد) يخبرنا بأن مسألة إحياء الأرض بالمطر مسألة من الوضوح بمكان يكفى أن يطلق المرء نظره في الكون ليدركها ففي المد دعوة للتأمل في ملكوت الله.

٥. قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

فالمد في ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا ﴾ يشير إلى ديمومة وجود ثمرتها، وكثرة عطائها، وأنه ينتفع بها في كل وقت، وفي كل ساعة ليلاً أو نهاراً أو شتاءً أو صيفاً[2]. فهي شجرة كثيرة الثمر لا كالأشجار الذابلة العديمة الثمر.

٦. قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم: ٢١.

يوحي المد في قوله ﴿ لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ إلى أن في الزواج سكن من عدة جهات: جسمياً وروحياً ونفسيا واجتماعياً.

ففي الزواج سكن على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة، لذا كان الزواج آية من آيات الله العظيمة في الأنفس.

٧- قوله تعالى: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ النبأ: ٢٣

إن المد المنفصل في قوله ﴿ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾ يدل على تلك المدة الطويلة التي سيلبثها الكفرة في جهنم في قعرها، وفي دَرَكِها الأسفل. فالمد في ﴿ فِيهَآ ﴾ يوحي كذلك بأنهم في مكان بعيد في جهنم يصعب عليهم مفارقته أو الخروج منه.

---

[1] انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٤٠)؛ وانظر: ظبيان، نشأة محمد رضا، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، ص ١٢٢.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، (١٩/ ٩٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي هذا من الأثر النفسي على نفوس المكذبين الشيء الكثير.

٨-قوله تعالى على لسان ابن نوح ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾هود: ٤٣.

" تأمل في الآية الكريمة، كيف يشارك المد في التعبير عما في نفس (ابن نوح)، إذ المد هنا يلقي بظلاله على مدى البعد المكاني وعلو الجبل، الذي ينشده المتكلم ليفر وينجو به من الطوفان، وهو تعبير عما في النفس "[1].

٩-قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ الكافرون: ١ – ٦

" في هذه الآيات الكريمة سبعة مدود منفصلة، واحد منها مكرر. وهو قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ﴾ ولكل من هذه المدود دلالة خاصة؛ فالمد في قوله: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ نداء للكافرين طويل وبعيد وعميق، والمد في قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ وقوله: ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ تعظيم وتقديس وإجلال للمعبود، وهو الله -عز وجل- وفي المقابل لا يوجد مد على كلمة ﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ التي خوطب بها الكافرون، وهذا دليل على حقارة ما يعبدون. وقد جاء التكرار ليؤكد هذه الدلالات، ويمنحها عمقاً وحياة. "[2]

يوحي المد المنفصل في الصورة حقيقة الانفصال الذي لا يرجى مع اتصال، فالعبادة غير العبادة والمعبود غير المعبود[3]

١٠-قوله تعالى: ﴿إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٥٣﴾ يونس: ٥٣.

يوحي المد في قوله ﴿إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ بالتعظيم والتأكيد فإن المد مع القسم يدلان على هذا المعنى.

١١-قوله: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَـٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾فاطر: ٣٧.إن المد المنفصل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا﴾ يصور لنا لحظات الندم العميق الذي دفعهم لأن يصرخوا بصوت عالٍ طالبين من ربهم أن يعيدهم إلى الدنيا ليعملوا صالحاً.

١٢. قوله تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمۡ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ البقرة: ١٦٣. أفاد المد المنفصل في قوله ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ المبالغة في نفي إلهية سوى الله -سبحانه وتعالى- ويشترك مع هذه الآية كل مثيلاتها كقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ آل عمران: ١٨.

---

(١) الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، ص١٧٤

(٢) بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص ١١٥-١١٦.

(٣)انظر: قطب، سيد في ظلال القرآن، (٦/ ٣٩٩١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٣-﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ لقمان: ١٥.

والمعنى في هذه الآية: وإن جاهداك -أيها الإنسان- والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري، فما لا تعلم أنه لي شريك- ولا شريك له تعالى ذكره علواً كبيراً- فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي[1].

في الآية الكريمة مد منفصل في قوله ﴿ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ ﴾ ويشير هذا المد إلى مقدار ما يبذله الوالدان المشركان من جهد وجهاد، ومن مغالبة ومن إقناع لصرف ولدهما عن الحق إلى طريق الضلال والشرك، فالمد يوحي بعظم الوسائل المتبعة وتنوعها من قبل الوالدين من أجل إبقاء ولدهما على الشرك.

١٤-﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم ﴾البقرة: ٧٦.

في الآية الكريمة مدان منفصلان هما: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ و ﴿ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم ﴾.

والمد الأول هو على لسان المنافقين خطاباً للمؤمنين.

ويوحي هذا المد بمدى ثقة القائلين بإيمانهم، وأنهم ليسوا محط ريبة ولا شبهة، ولذا قالوا قولتهم ﴿ ءَامَنَّا ﴾ بدون تأكيد تفنناً في أساليب النفاق وإتقاناً لها[2].

وأما المد الثاني فهو على لسان بعض المنافقين يعاتبون ويلومون القائلين للمؤمنين،﴿ ءَامَنَّا ﴾.

فيظهر المد مقدار ذلك العتب واللوم، وأنه عتب ولوم طويلان قاسيان.

ولما كان المد المنفصل مختلفاً فيه بين المد والقصر، فيمكننا أن نفسر بعض الأمثلة وفق هذه الحقيقة. ومن الأمثلة التي توضح ذلك:

١ - يقول تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام:﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ هود: ٥٢ المد في: ﴿ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ إنه أمر بالتوبة، فهل جميع الناس تتوب؟

إن بعضاً منهم يتوب، وبعضاً لا يتوب، وكذلك المد بعضهم يمد، وبعضهم لا يمد، كما أنه مد منفصل، وهذا واضح أيضاً فالتوبة لكي تنفع صاحبها لا بد من أن تقبل، فالتوبة من العبد والقبول من الله، فإذا لم يوجد القبول فلن يتحقق الغرض من التوبة، كذلك المد، فحرف المد في كلمة والهمز في آخر، ولو لم يوجد الهمز لما تحقق المد.

٢- قال تعالى: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٣.

---

(1) انظر: الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٠/ ١٣٩)

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١/ ٢٩١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المد في ﴿ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾.والسؤال هنا: هل كل صدقة يتبعها أذى؟ الإجابة: لا، فهناك صدقات يتبعها أذى، وهناك صدقات لا يتبعها أذى. إذا فالمسألة مختلف فيها كما هو الحال في المد الجائز.

قال القرطبي: (والمراد الصدقة التي يمن بها ويؤذى، لا غيرها، والعقيدة أن السيئات لا تبطل الحسنات ولا تحبطها، فالمنُّ والأذى في صدقة لا يبطل صدقة غيرها)[1].

ثم إن الحكم الذي تقرره الآية من أن قول المعروف والمغفرة خير من الصدقة لا يكون إلا في حالة وجود الأذى بعدها. وكذلك هو المد لا يكون في الحرف إلا إذا اتبعه همز، فإذا لم يتبعه همز فلا يتحقق المد، وتلك كذلك فالصدقة إذا لم يتبعها أذى خيرٌ من قول معروف ومغفرة "[2].

المطلب الثالث:أثر المد اللازم في تناسق الصوت والمعنى

وهو أن يأتي بعد حرف المد حرف ساكن سكونه لازم وصلاً ووقفاً، على أن يكون حرف المد والحرف الساكن في كلمة نحو ﴿ الطَّآمَّةُ ﴾ النازعات: ٣٤ [3].

وسمي لازماً للزوم سببه، وهو السكون، أو للزوم مده بمقدار ست حركات باتفاق القراء[4].

ومن شواهد المد اللازم وصلته بالمعنى:

١- قول الله سبحانه وتعالى لأم موسى: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص: ٧

هذه الآية فيها وعد من الله -عز وجل- لأم موسى أنه سيرد إليها ولدها موسى -عليه السلام- بعد أن تلقيه في اليمّ، ونهاها عن الخوف والحزن، والجملة في موقع العلة للنهيين، لأن ضمان رده إليها يقتضي أنه لا يهلك، وأنها لاتشتاق إليه بطول المغيب[5].

قال الإمام البقاعي -رحمه الله- : " ولما كان الخوف عما يلحق المتوقع، والحزن عما يلحق الواقع، علل نهيه عن الأمرين، بقوله في جملة اسمية دالة على الثبات والدوام، مؤكدة لاستبعاد مضمونها ﴿إنا رآدُّوه إليك﴾ فأزال مقتضى الخوف والحزن " [6].

فكان لزاماً تحقق الوعد وإيفائه، لأنه وعد من الله ووعد الله حق، وقد كان ذلك ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ القصص: ١٣.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣/ ٢٠٢).

(٢) السودي، نجيب عبدالله، الإعجاز البياني في الصوت القرآني، ص٣٦.

(٣) انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢٤٦/١. والحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ص ٢١٧.

(٤) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٠/ ٧٥).

(٦) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٤٦٦).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فالمد لازم، وإيفاء الوعد لازم، وتحقق الرد لازم، وهذه هي العلاقة بين نوع المد والمعنى واضحة جلية.

٢-قول المولى عز وجل: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ البقرة: ٢٨٢.

"في الآية نهي عن المضارة، وفيها قراءتان (يضارِرْ، يضارَرْ)[1]. فتكون مع الإدغام والتشديد محتملة لأن تكون مبنية للفاعل أو مبنية للمفعول. فعلى المعنى الأول يكون النهي للكاتب والشاهد عن ترك الشهادة، وترك الإجابة إلى ما يطلب منهما، وعن التحريف والزيادة والنقصان، وعلى الثاني النهي عن الإضرار بهما بأن يعجلا عن مهم، أو لا يُعطي الكاتب حقه، أو يُحمِّل الشاهد مئونة المجيء من بلد إلى بلد. إذاً أصبح عدم الإضرار بالكاتب والشاهد أو منهما لازماً لأنه لو حدث ذلك فهو فسوق وعصيان. فناسب هذا المعنى هذا المد اللازم في هذه الكلمة"[2].

٣- قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ الأنعام: ٨٠

في الآية الكريمة ثلاثة مدود لازمة:

الأول: في قوله ﴿وَحَآجَّهُۥ﴾ وهو يدل على طول مجادلة قوم إبراهيم لإبراهيم، وعنادهم على موقفهم، وأنهم يبذلون جهدهم، وجميع ما يملكون من إمكانات مادية وعقلية لصرفه عن عقيدته.

والثاني والثالث في قوله: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾ وهي على لسان إبراهيم –عليه السلام– استنكاراً منه لفعلهم وكأنه يقول: " لما ثبت بالدليل الموجب للهداية واليقين صحة قولي، فكيف يلتفت إلى حجتكم العليلة، وكلماتكم الباطلة. "[3]

فالمد اللازم في الموضعين من الكلمة مع الغنة المشددة يعبر تمام التعبير عن حالة إبراهيم النفسية في التعجب والدهشة من حالهم[4].

٤-قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾ الحشر: ٤

في قوله ﴿وَمَن يُشَآقِّ﴾ مد لازم، والآية حديث عن اليهود وموقفهم من الدين وعداوتهم له.

فجاء المد مشعراً بطول عهد هؤلاء اليهود ومن على شاكلتهم في المشاقة والمعاداة للدين، فقد كان هؤلاء مجددين في ذلك ومستمرين عليه. فالمد هنا يعطي للوقف على (القاف) قوة تفيد في تجسيم موقف المشاقة[5].

---

(1) قرأ ابن كثير والبصريان بضم الراء، وقرأ الباقون بفتحها وقرأ أبو جعفر بالإسكان، انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٢/ ١٧١).

(2) السودي، نجيب عبدالله، الإعجاز البياني في الصوت القرآني، ص ٣٩.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، (١٣/ ٤٨).

(4) انظر: الجيوسي، عبدالله، التعبير القرآني والدلالة النفسية، ص ١٧٤.

(5) انظر: بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص ١٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما أن المد اللازم هنا يفيد في أن عداوة اليهود للدين أياً كان نبيه عداوة تاريخية طويلة.

٥- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ الملك: ١٩.

إن الذي يحققه المد اللازم في قوله ﴿ صَافَّاتٍ ﴾ هو رسم صورة لحركة الطائر الانسيابية حين يبسط جناحيه في الفضاء عدة لحظات؛ قبل أن يقبضهما[1].

فطول المد يمثل بسط الأجنحة، وسهولة الحركة لذلك الطائر .

٦- قوله: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ ﴾ النازعات: ٣٤

إن " وجود المد في كلمة ﴿ الطَّامَّةُ ﴾ مطلوب بشدة لتحقيق الدلالات التي تناسب المقام، والمتمثلة في غمر الأشياء والإتيان عليها واعتلائها والإحاطة بها إحاطة تامة في شدة وَهَدَّة وصيحة وداهية. وهذه الدلالات مجتمعة ما كان لها أن تتحقق إلا مع هذا المد الذي منح الكلمة جرساً قوياً هادراً يناسب ما تتضمنه من شدائد وأهوال؛ عدا عما تؤديه أصوات الكلمة الأخرى: الطاء - الاستعلائية- المشددة، الميم المشددة، والتاء المربوطة من دلالات " [2].

وتشترك مع هذه الكلمة كلمات أخرى كـ (الحاقة) و(الصاخة) فكلها أوصاف ليوم القيامة وكلها تمتاز بتوجه الفكر نحوها في تساؤل، واصطكاك السمع بصداها المدوي، وأخيراً بتفاعل الوجدان معها مترقباً: الأحداث، المفاجئات، النتائج المجهولة.

وهذه الألفاظ تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي، والأداء الجهوري لسماع رنتها مما يتوافق نسبياً مع إرادتها في جلجلة الصوت، وشدة الإيقاع[3].

٧-قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ هود: ٦

قال ابن عطية: " والدابة ما دبَّ من الحيوان، والمراد جميع الحيوان الذي يحتاج إلى رزق، ويدخل في ذلك الطائر والهوامُّ، وغير ذلك كلها دواب " [4].

فالمد اللازم في قوله ﴿ دَابَّةٍ ﴾ شمل الخلائق كلها، وأصناف الأجناس المرئية وغير المرئية.

فالمد أوحى بالشمول. وساعد في تحقيق هذا المعنى (من) الاستغراقية الواقعة في سياق النفي.

٨-قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سبأ: ٢٨.

يقول الإمام الطبري -رحمه الله- موضحاً معنى هذه الآية:

---

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف، (٤/٥٦٨-٥٦٩).

(2) بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص ١١٨.

(3) انظر: الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٦٨.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٣/١٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك -يا محمد- إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين، العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيراً من أطاعك، ونذيراً من كذبك " [1].

فدل المد في قوله ﴿ كَآفَّةً ﴾ على أن النبي ﷺ لم يختص بزمنية، ولم يبعث لطبقة خاصة، فتخطى برسالته حدود الزمان والمكان، فكانت عالمية السيرور، إنسانية الأحياء، البشارة في يد، والنذارة في يد، لينقذ العالم أجمع من خلال هاتين [2]، كما يدل على الشمول .

٩-قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١ ﴾ يونس: ٥٠ – ٥١

وقوله ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١ ﴾ يونس: ٩٠ – ٩١

فالمد اللازم في قوله ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ في الموضعين يحمل دلالة تتناسب مع السياق الذي وردت فيه.

فالمد في الآية الأولى يوحي بتعظيم العذاب، واستغراب التوبة بعد توقيتها وفي غير زمنها. ففي المد توبيخ لهم على ما صدر منهم [3].

قال الرازي –رحمه الله تعالى-: " آلان تؤمنون وترجون الانتفاع بالإيمان مع أنكم كنتم قبل ذلك به تستعجلون، على سبيل السخرية والاستهزاء " [4].

وأما المد في الآية الثانية فإنه قد تجاوز مدين تامين من مدود الألف، لأن الدهشة تستدعي مداً، والاستنكار يستدعي آخر [5].

١٠-ويمكن أن نلحق بهذا المثال قوله (ءالذكرين) الذي جاء في قوله تعالى ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٤٣ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٤ ﴾ الأنعام: ١٤٣ – ١٤٤.

---

(١) الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٠/ ٤٠٥).

(٢) انظر: الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن ، ص١٧١.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٣/ ١٢٥.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٧/ ٨٩.

(٥) انظر: ظبيان، نشأة محمد رضا، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، ص١٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالمد في الموضعين، يدل على المبالغة والإيغال في الاستغراب واستنكار الضعف البشري، وتسفيه لما أوجد العقل الغوغائي لادعاءات لا تتلاءم مع السنن والأعراف والقانون الإلهي[1].فيحمل المد دلالة المبالغة في التوبيخ والاستنكار.

١١-قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يونس: ١٠٧. إن المد اللازم في قوله ﴿ فَلَا رَادَّ ﴾ يوحي بالقوة والمنعة واللزوم وصعوبة رده ، وأنه لا يملك أحد أن يدفع ما أراده الله -سبحانه وتعالى- مهما حاول وبذل من جهد. فكأن المد قد استوعب كل المخلوقات وكل الممكنات، وخرج بهذه النتيجة. وفي هذا ترسيخ لجذور العقيدة الإسلامية في قلوب أتباعها.

قال أبو السعود: " أي لا أحد يقدر على رَدِّه كائناً ما كان فيدخل فيه الأصنام دخولاً أولياً، وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه، المستلزم لعدم ضرها برفعه أو بإيقاع المكروه استلزاماً جلياً " [2].

١٢-قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَّيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ البقرة: ٢٦٧

وهذا على رواية البزي[3]عن ابن كثير[4]وهي من القراءات السبع المتواترة[5].

وسبب المد هنا هو السكون الذي في التاء الأولى فهو من قبيل المد اللازم بالإجماع[6].

ويوحي هذا المد بالمبالغة في نفي القصد إلى الخبيث للإنفاق منه، أي لا ينبغي أن تعمدوا إلى إنفاق الخبيث. وفي هذا أيضاً تأكيد لمعنى الأمر قبله وهو ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾.

١٣- قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ آل عمران: ١٠٣.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٢.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤/ ١٨٠).

(٣) البزي: أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، أبو الحسن البزي المكي المقرئ، قارئ مكة ومؤذن المسجد الحرام، مولى بني مخزوم، ولد سنة ١٧٠، ت ٢٥٠هـ أخذ القراءة عن ابن كثير بالواسطة من طريق عكرمة بن سليمان. انظر: الذهبي، شمس الدين، معرفة القراء الكبار، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ (١/ ١٧٤-١٧٨) ترجمة رقم (٧٧).

(٤) ابن كثير: عبدالله بن كثير بن المطلب الإمام أبو معبد مولى عمرو بن علقمة الكتاني الداري المكي، إمام المكيين في القراءة، أصله فارسي، وكان دارياً بمكه وهو العطار، وهو من كبار التابعين ولد سنة ٤٥هـ وتوفي ١٢٠هـ وعاش ٧٥ سنة، انظر: المرجع السابق، (١/ ٨٦-٨٨) ترجمة رقم (٣٤).

(٥) انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٢/ ١٧٤-١٧٥) وانظر ابن زنجلة، عبدالرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، (١/ ١٤٦).

(٦) انظر: المرصفي، عبد الفتاح، هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، دار الفجر الإسلامية ،المدينة المنورة ، ط١،٢٠٠١م ، ص ٣٤٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا أيضاً على رواية البزي عن ابن كثير[1].

وفي هذا المد مبالغة في الدعوة إلى التماسك ونبذ التفرق فقد جاء هذا المد بما فيه من المبالغة للدعوة للتآلف والاجتماع مؤكداً مضمون قوله ﴿ وَٱعْتَصِمُوا ﴾.

فكأن المعنى: أنه ينبغي عليكم الاعتصام بدين الله، ومجانبة كل ما من شأنه أن يفضي إلى التفرق والتشرذم والتنازع لما في ذلك من ذهاب الريح، وتمزق الكلمة، وانهزام الأمة.

ويمكن إدراج كل ما قرأه البزي –رحمه الله– على هذا النحو تحت هذا الفصل.

المطلب الرابع: أثر مد الصلة في تناسق الصوت والمعنى

ويقصد به مد هاء الكناية: وهي الهاء الزائدة، التي يكنى بها عن المفرد الغائب[2].

وهي نوعان: [3].

أ- كبرى: وهو أن يأتي بعدها همزة في كلمة ثانية نحو ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ الهمزة: ٣.

ب- صغرى: وهي أن تقع بين حرفين متحركين الثاني غير همز فتشبع حركتها نحو ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ الانشقاق: ١٥. وانفرد ابن كثير –رحمه الله– بإشباع حركة هاء الكناية إذا وقت بين ساكن ومتحرك حيثما وقعت، ووافقه حفص في قوله تعالى ﴿ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾[4].الفرقان: ٦٩ .

ومن الأمثلة التي تبين علاقة هذا المد بالمعنى ما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٧

فالمد الذي لحق الهاء في كل من: ﴿ بِهِۦٓ ﴾ ﴿ قَبْلِهِۦٓ ﴾ وهو مد الصلة الكبرى يشير إلى جلال قدر المذكور، المكني عنه بالهاء، فضلاً عن الياء المذكورة بعد حذف[5]. وهو: القرآن الكريم.

٢-قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ البقرة: ١٣١،

وقوله ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ الحج: ٧٤، فالمد في الآية الأولى إشعار بعظمة الرب –سبحانه وتعالى–، وفي الثانية إشعار بعظمة قَدْرِه –جل شأنه–.[6]

---

(1) انظر: الدمياطي، شهاب الدين، أحمد بن محمد، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م. ص ٢٢٧.

(2) القضاة، محمد عصام، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس، الأردن، ط٣، ١٩٩٨، ص ٩٥.

(3) انظر: شكري، أحمد، وزملاؤه، المنير في أحكام التجويد، المطابع المركزية، عمان، ط٤، ٢٠٠٣م، ص ٩٦.

(4) انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١/ ٢٣٩-٢٤٠.

(5) ظبيان، نشأة محمد رضا، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، ص ١٢١.

(6) بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص ١٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ يونس: ١٢

فمد الصلة في قوله: ﴿ لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ ﴾ يوحي بإلحاح الإنسان على ربه، وارتفاع صوته بالدعاء. ويشعر بفسحة الأمل الذي يرتجيه من ربه[١].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ الفرقان: ٦٩ .

إن إشباع هاء الصلة في قوله ﴿ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ لتصبح (فيهي مهاناً)، فيه دلالة على انغماسه الشديد في العذاب.فهذا الإشباع زاد من مهانة المُعذّب وذلته[٢].

٥- قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ الحاقة: ٣٠ - ٣٢ .

تصور هذه الآيات الكريمة مشهد العقاب لذلك الذي أوتي كتابه بشماله، مصحوباً بالحيثيات المسوغات التي هي أشد وقعاً على النفس من العذاب ذاته فيسود هذا المشهد جو من العنف والشدة والغلظة أسهمت فيه المدود بنصيب وافر.

فبالنظر في المدود الطبيعية مع إشباع الصلة يشعر المرء كأن الكون في حالة سباق مع الزمن لتنفيذ أمر الله الصادر بشأن هذا الظالم. كما في إشباع الصلة مزيد تصوير لحالة المهانة والذلة التي لحقت هذا المجرم.

ويشعر المد كذلك بمدى المبالغة في الأمر بتعذيب الكافر وأخذه كأنه قال: خذوه أخذا شديدا، وغلوه غلا وثيقا.كما يوحي بحالة الشدة وهيئة البطش، وجبروت الانتقام التي يكون عليها الآمر بالعذاب يوم القيامة[٣].

(١) انظر: ظبيان، نشأة محمد رضا، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، ص ١٢٢.

(٢) انظر: فحو هذا المعنى عند: الخالدي، صلاح، لطائف قرآنية، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٨، ص ٥٠-٥١

(٣) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ص ١٢١.

المبحث الثالث:
أثر الوقف والابتداء في تناسق الصوت والمعنى

المطلب الأول: أثر الوقف على الفاصلة القرآنية في تناسق الصوت والمعنى.

المطلب الثاني: أثر الوقف على غير الفاصلة في تناسق الصوت والمعنى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث:
أثر الوقف والابتداء في تناسق الصوت والمعنى

يعد الوقف ظاهرةً صوتيةً أدائيةً تصاحب الخطاب المنطوق على وجه الخصوص، وقد شاع إطلاقه على هذه الظاهرة مرتبطاً بقراءة القرآن الكريم.

والوقف من الظواهر الصوتية ذات الشأن في توجيه المعنى على مستوى التركيب، وهو في هذا قسيم لظواهر أخرى تلعب نفس الدور، كالنبر والتنغيم؛ لذا كان للعلماء عناية فائقةً بمبحث الوقف سواءً على مستوى التنظير أم على مستوى التطبيق.

ومن مظاهر عنايتهم به أن وصفوه وصفاً علمياً دقيقاً، وأفردوا له مؤلفات كاملة[1]. وتتبعوه موضعاً موضعاً على امتداد النص القرآني بعد أن عرّفوا به، وحددوا أنواعه، وفصلوا القول في أهميته في توجيه المعنى والتأثير عليه.[2]

المطلب الأول: أثر الوقف على الفاصلة القرآنية في تناسق الصوت والمعنى

من المعلوم أنّ خير الوقوف هو الوقف على رؤوس الآي، سواءً أكان الوقف عليها تامّ المعنى أم غير تام؛ وما ذاك إلا لأنه نهج النبي - ﷺ-.

وإنّ من أجل ما تميز به أسلوب القرآن فواصلَه التي يقف عندها القاريء، لشعوره بتمام المعنى، وحاجاته إلى أن يستريح نَفَسُه، ويستوعب الخطاب الموجّه إليه، ثم يستأنف القراءة إلى الفاصلة التالية... وهكذا.

وتعد الفاصلة من أهم قواعد التشكيل الإيقاعي لهذا الكتاب المعجز؛ ونظراً لهذه الأهمية فقد أولاها العلماء قديماً وحديثاً عناية كبيرة على الجانبين البلاغي والإيقاعي، فأشاروا إلى أثرها في تحقيق التوازن الصوتي والتناغم الإيقاعي، وما لهما من أثر في التمكن من التطريب، وإراحة النفس، ورفع السآمة والرتابة.

إذ : " إنّ هناك ميلاً غريزياً في كل كتلة من عدّة مقاطع تشبه الفقرات القصار أو العبارات الصغيرة... فإذا ترددت في أواخر الكتل الصوتية مقاطع بعينها شعرنا بسهولة ترديدها... والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباهاً عجيباً، وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصّة تنسجم مع ما نسمع به من مقاطع... "[3].

---

(1) للاطلاع على عدد هذه المؤلفات، ينظر، مقدمة تحقيق كتاب (المكتفى في الوقف والابتدا) لأبي عمرو الداني، فقد أحصى الأستاذ يوسف المرعشلي (٧٨) ثمانية وسبعين كتاباً مبيناً المخطوط منها والمطبوع، ص ٦٠-٧١، الداني أبو عمرو، المكتفي في الوقف والابتدا، تحقيق، يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

(2) حبلص، محمد يوسف، أثر الوقف على الدلالة التركيبية، دار الثقافة العربية القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٥-١٩ بتصرف.

(3) أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ط٦،١٩٨٨ .ص١١-١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مما سبق يمكننا أن ندرك أن الوقف على الفاصلة القرآنية يحقق أمورا جليلة تسهم في الكشف عن شيء من سر تأثير هذا الكتاب الخالد، ومن هذه الأمور:

أولاً: تحقيق التوازن والتناغم الإيقاعي بين الفواصل المختلفة في حركاتها الإعرابية.

ذلك أنه لما كان مبنى الفواصل القرآنية على الوقف في مختلف صورها مرفوعة ومجرورة ومنصوبة اسماً كانت أو فعلاً، مفرداً أو جمعاً، مذكراً أومؤنثاً، فقد شاع في فواصل الآيات القرآنية مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون، وقارن فيما يأتي من الآيات، وهي تقف عند السكون صوتاً في غير الدرج، وإن كانت فواصلها متعاقبة على الرفع والجر أو الجر والرفع من حيث الموقف الإعرابي، والرسم الكتابي:

مقابلة المجرور والمرفوع طرداً وانعكاساً والمجرور بالمفتوح:

- قال تعالى: ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١ ﴾ الصافات: ٨ – ١١

فالمفردة (جَانِبٍ) وهي مجرورة في الفاصلة الأولى تتبعها (وَاصِبٌ) في الفاصلة الثانية، وهي مرفوعة. والمفردة (ثاقب) مرفوعة تتبعها في الفاصلة التي تليها (لَّازِبٍ) وهي مجرورة، وقد جاءت الفواصل جميعها على نبرة صوتية واحد نتيجة الوقف عندها.

قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ القمر: ١١ - ١٤

فالمفردة(مُّنْهَمِرٍ) وهي مجرورة تبعتها في الفاصلة التي تليها (قُدِرَ) وهي مفتوحة. والمفردة (وَدُسُرٍ) وهي مجرورة تبعتها في الفاصلة التي تليها (كُفِرَ) وهي مفتوحة، وقد تمت تسويتها الصوتية على ونبرة نغمية واحدة ضمن نظام الوقف في الفواصل فنطقت ساكنة.

وفي سورة الرعد ورد اقتران المنون المجرور بالمنصوب، يليه المجرور غير المنون، في قوله تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ۝١١ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝١٢ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ الرعد: ١١ – ١٣.

فالكلمة (وَالٍ) منونة وهي مجرورة، تبعتها في الفاصلة التي تليها (الثِّقَالَ)، وهي مفتوحة منصوبة غير منونة، تليها (الْمِحَالِ) وهي مجرورة غير منونة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبدت الآيات في تراصفها الصوتي مختتمة باللام الساكنة، دون تنوين أو فتح أو كسر بفضيلة الوقف.

وفي سورة المدثر يقترن المرفوع المنون، بالمجرور المنون، يليه المنصوب المنون، ولا نحس لذلك فرقاً في سياق واحد في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾ المدثر: ٥٠ ـ ٥٢.

فالكلمات: (مُّسْتَنفِرَةٌ) مرفوعة منونة ، تلتها (قَسْوَرَةٍ) مجرورة منونة، تلتها (مُّنَشَّرَةً) منصوبة منونة، ولم تنطق صوتياً عند الوقف بكل هذه التفصيلات، بل يوقف عليها الهاء.

وفي سورة القيامة يقترن الاسم المنصوب في الفاصلة بالظرف مع الاسم المجرور بسياق واحد متناسق لا يكاد يختلف في نبر، ولا يختلط في تنغيم، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ ﴾ القيامة: ٤ ـ ٦.

فالألفاظ: (بَنَانَهُ) مفعول به منصوب مضاف إلى الهاء، و(أَمَامَهُ) ظرف مضاف إلى الضمير، و(الْقِيَامَةِ) مجرورة مضاف إليه . وجاءت الأصوات متقاطرة بالهاء عند الوقف[1].

ولا تتحكم هذه القاعدة في الفواصل التي تلتزم حرفاً واحداً في أواخرها، كما في الأمثلة السابقة بل تتعداها إلى أجزاء أخرى من الفواصل، المختلفة الخواتيم، وقارن بين الآيات التالية الذكر:

ورد اقتران المجرور بالمرفوع المنوّن، واقتران المرفوع المنون بالمنصوب في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٠ ـ ٣٢.

فالألفاظ : (النَّارِ)وهي مجرورة دون تنوين، و(خِلَالٌ)وهي مرفوعة منونة، و(الْأَنْهَارَ) وهي منصوبة مفتوحة، وقد تلاقت الكسرة والضمة والفتحة في سياق قرآني واحد، دون تقاطع النبر الصوتي، أو اختلاف النظام الترتيلي.

وقد جاء التنوين في حالة الجر إلى جنب الرفع غير المنون في فاصلتي في قوله تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ فاطر: ١٤ ـ ١٥.

---

(1) انظر: الصغير،محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن،١٠٩-١١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالكلمتان (خَبِيرٍ) وهي مجرورة منونة مختتمة بالراء، تبعتها في الفاصلة التي تليها (ٱلْحَمِيدُ) وهي مرفوعة دون تنوين مختتمة بالدال، انسجما صوتياً مع اختلاف الفاصلة والهيأة نتيجة لهذا الوقف الذي قرب من الصوتين.

ومما يمكن إلحاقه بما سبق، هو أن الوقف على الفاصلة القرآنية يحقق نوعاً من التطريب الذي تستلذه النفس، وتأنس به الأسماع.

فقد حكي عن سيبويه أنه قال: " أما إذا ترنّموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينوّن وما لا ينوّن، لأنهم أرادوا مدّ الصوت "[1]

وإنّ قيمة الفاصلة في تحقيق هذا الأمر تتجلى أكثر ما تتجلى في حروف المد واللين وفي حرف الرّوي.

ويقول ابن جني مبيناً سبب كون المد لا يتمكن إلا فيما يجاور الطرف : " إنما جيء بالمد في هذا الموضع لِنَعْمِتِه وللين الصوت به، وذلك أن آخر الكلمة موضع الوقف، ومكان الاستراحة والأوْن. فقدموا أمام الحرف الموقوف عليه ما يؤذن بسكونه، وما يخفض من غلواء الناطق... ، ولذلك كثرت حروف المد قبل حرف الروي، كالتأسيس والرّدف، ليكون ذلك مؤذناً بالوقوف ومؤدياً إلى الراحة والسكون، وكلما جاور حرف المد الروي كان آنس به وأشد إنعاماً لمستمعه."[2]

" والمدود في الفواصل هي نهايات الدفقات الصوتية للجمل عند الوقف، نجد لها في القرآن الكريم من الحلاوة والإطراب حظاً يثير الإحساس بأن لها دخلاً كبيراً في الإعجاز، وهي إمّا مدود مطلقة، يوقف عليها بصوتها، وإما ملحقة بحرف صائت تسبقه، وقد تتكرر كلمة الفاصلة، فيضاعف التكرير قيمتها بما لا يخفى جماله وأسرار إيقاعه."[3]

وقد أُجْرِيت دراسةٌ إحصائيةٌ للفواصل القرآنية أظهرت أنها قد جاءت على جميع حروف الهجاء ما عدا الخاء، فلا توجد في القرآن فاصلة منتهية بحرف الخاء.

ومما تم أخذه من هذا الإحصاء أن صوت النون قد تفرد بالقمة، فقد زاد وروده على نصف فواصل القرآن (٣١٥٢) فاصلة، فإذا ما ضمت فواصل الميم والراء إلى فواصل النون، فإنها ستبلغ (٤٦٥٧) أي أنّ أكثر من ٧٤% من الفواصل القرآنية تتقاسم بين هذه الأحرف الثلاثة(النون، الميم، الراء) وهي من الأصوات المتوسطة المتميزة بموسيقيتها؛ لما في طبيعتها من الاستمرارية المنتظمة، وقوة إسماعها.

---

(1) سيبويه،أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار العلم،١٩٦٦م، (٢/ ٢٩٨).

(2) ابن جني، الخصائص، ١/ ٢٣٣-٢٣٤.

(3) السيد، عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، ص٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقد قرر علماء الأصوات أن أعلى الأصوات اللغوية إسماعاً هو الحركات ، يليها الأصوات المتوسطة، ثم بقية الأصوات على تفاوت [1]

ويعلل الدكتور عبد الصبور شاهين لكثرة ختم الفواصل القرآنية بهذه الحروف فيقول:

" ولما كان الهدف من النطق هو توصيل رسالة لغوية وتبليغها إلى المخاطب، فإن أنسب ما يستخدم في هذا التبليغ هو الأصوات المنطلقة(أي: الحركات) وهي أقوى الأصوات إسماعاً، تليها الأصوات المتوسطة – أو بعبارة أخرى _ أصوات الذلاقة.

وقد ذكر القدماء أنّ حروف الذلاقة هي أخفُّ الأصوات وهي ستة، ثلاثة من طرف اللسان وهي: (الراء والنون واللام)، وثلاثة من الشفتين، وهي: (الفاء والباء و الميم).

ومما تتميز به هذه الأصوات أيضاً أنّ نطقها يصحبه رنين يأخذ شكل (الغنّة) الأنفية في النون والميم، ويأخذ شكل (التكرير المرتعن) في صوت الراء، ويأخذ شكل (الانطلاق) في صوت اللام.

وعلى الرغم من تميز كل صوت عن الآخر في هذه المجموعة، فإنها تلتقي في صفات الرنين العالي، والاستمرارية والانتظام، وهذه هي الموسيقية التي جعلت اللغة تزيد من ترديدها أكثر من غيرها من الأصوات.

إنّ هذا الاتجاه في استخدام الأصوات الرنانة شائع في أسلوب القرآن كله، كما هو متحقق في فواصله، ومن ثمّ توفر فيه هذا القدر الكبير من الموسيقى... " [2].

ثانياً: تناسق الصوت والمعنى في الوقوف على الفاصلة القرآنية

إنّ زيادة حرف ما في الفاصلة عناية للبعد الصوتي، وعناية بنسق البيان في سر اعتداله، ليؤثر في النفس تأثيره الحسّاس، حين يتواصل النغم بالنغم، ويتلاحم الإيقاع بالإيقاع، وأبرز مظاهر هذه الظاهرة ألف الإطلاق- إن صح التعبير بالنسبة للقرآن -، فقد ألحقت الألف في جملة من الآيات بأواخر بعض الكلمات ، وكان حقها الفتح مطلقاً، دون مدّ الفتحة حتى تكون ألفاً، وكأن ذلك معني بحد ذاته ومقصود إليه لا ريب، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ الأحزاب: ١٠، وقوله تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ الأحزاب: ٦٧، وقوله تعالى: ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ الأحزاب: ٦٦. [3]

ويبدو أن إلحاق هذه الألف في (الظنون) (السبيل) (الرسول) يشكل تلقائياً ظاهرة صوتية تدعو إلى التأمل ، وإلا فما يضير الفتح لولا الملحظ الصوتي " لأن فواصل هذه السورة منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل"[4]

---

(1) انظر: شاهين، عبد الصبور، حديث عن القرآن، دار أخبار اليوم، كتاب اليوم، عدد ديسمبر/ ٢٠٠٠م، ١٤١-١٤٣.

(2) المرجع السابق، ص١٤٣-١٤٤.

(3) انظر: الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص ١٥٢-١٥٣.

(4) الباقي، نعيم، قواعد تشكيل النغم القرآني، مجلة التراث العربي، ع ١٥، ١٩٨٤م، ص

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن هذه المفردات الثلاث من السورة ذاتها أضيفت إليها جميعاً ألف الإطلاق الممتدة فتحول الحرف الذي يخفي وراءه ساكناً، إلى مقطع طويل وموضع ارتكاز لإحداث النغم المقصود، وهذه الألف لا تكمن فائدتها في مجرد الوقوف والدلالة على أن الكلام قد انقطع، وأن ما بعده مستأنف فحسب بل تكمن في الجمال الصوتي والتناسق الذي تحدثه في الآية إلى جانب المدات الطويلة المتابعة المنطلقة صاعدة في السماء، وتسهم إسهاماً كبيراً في الدلالة المعنوية أيضاً، وهي تصور نوعاً من الآهات أو الغصات المتحشرجة في حناجر الكافرين، وهم ينادون رب العزة، ويعضون أصابع الندامة على ما فرطوا في جنب الله، وإذا كان النفس مع هذه المدات يتعالى ويتسق فإنه مع ألف الإطلاق الأخيرة في الفاصلة يجعل الفم مفتوحاً فلا يحبس الصوت وإنما يتركه ينساب من المجرى رخياً متصلاً دون انقطاع[1].

وقيل زيدت الألف في قوله: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ لبيان أن (الظنونا) كثيرة ومتشعبة، وجمعت لبيان كثرة خلافهم وتشابكهم[2].

وتسهم هاء السكت في نقل القارىء والمستمع إلى الجو النفسي المعبر عن حالة المكروب وزفراته وآهاته. فعند قراءتنا قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحاقة: ٢٥ – ٢٩

نلاحظ أن الفواصل: (،كِتَٰبِيَهْ، حِسَابِيَهْ ، مَالِيَهْ ، سُلْطَٰنِيَهْ)، قد أزيدت فيها هاء السكت رعاية لفواصل الآيات المختومة بالتاء القصيرة والتي اقتضى السياق نطقها هاء للتوافق. فالهاء أشبه بأنّات (المتعبين) تصور المشهد الذي هم فيه جميعاً من تعب وعناء. فاختارها سبحانه لمراعاة الموقف الذي هم فيه، كما اختار الألف في البكاء سابقاً. إذن استخدام حرف الهاء في فواصل هذه السورة يدل على التعب والعناء والألم والهاء مأخوذة من الآه.

وما زلنا عند الهاء، وهي ضمير ملصق بالفواصل غير زائد بل أصلي الورود، وقد حقق بذلك وقعه في النفس، وجرسه في الأذن، وقوته في امتلاك المشاعر. قال تعالى:﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾ المعارج: ١١ – ١٤

فلا زيادة في هذه الهاء، وهي ضمير في الفواصل كلها، وقد حققت صوتياً مناخ الانتباه، ورصد مواضع الإصغاء من النفس الإنسانية.

---

(١) انظر: اليافي، نعيم، قواعد تشكيل النغم القرآني، مجلة التراث العربي، ع ١٦،١٥، ١٩٨٤م، ص ٢١.

(٢) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٢/ ٤٠٧).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن الأمثلة الدالة على تناسق الصوت والمعنى في الفاصلة القرآنية الوقوف على قوله تعالى ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝٢٢ ﴾ النجم: ٢٢ فلسائل أن يسأل عن سر العدول عن الكلمات المرادفة لها كجائرة وظالمة إلى هذه المفردة الغريبة.

والجواب على هذا السؤال من وجهين:

الأول: من جهة حسن النظم والتناسق، فإن سورة النجم تنتهي فواصلها بالألف المقصورة فناسب أن تكون الفاصلة كلمة ﴿ ضِيزَىٰ ﴾ لا كلمة جائرة أو ظالمة.

الثاني: إن نسبة البنات إلى الله ونسبة الأولاد إليهم أمر في أشد الغرابة تناسب أن يعبر عنه بلفظ غريب تنبيهاً على غرابة القسمة[1].

ومن الأمثلة كذلك: الوقوف على فاصلة سورة محمد ﷺ والتي انتهى غالبها بحرف الميم الساكنة. (أعمالهم، بالَهم، أمثالهمْ، أهواءَهمْ، أضغانهمْ، أمعاءهم)

وإن الوقف على هذه الفاصلة وما يتبعها من انطباق الشفتين على الميم الساكنة مشعر بقوتها وكأنها القذائف الثقيلة، كما توحي بأن قدرة الله مطبقة عليهم إطباقاً شديداً كإطباق الشفتين لإخراج الميم .

كما يشعر الوقوف على الفاصلة المنتهية بالألف والهاء في نفس السورة (أوزارها، أمثالها، أقفالها) بما يشبه تلويح السيوف في الهواء[2].

ومن الأمثلة أيضاً، الوقوف على الفاصلة في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ ﴾ نوح: ٥ – ١٠.

فالفاصلة التي تنتهي بها هذه الآيات تتألف من مقطع يتكون من صوت متحرك هو الرّاء، ومن صوتين ممدودين هما الألف التي قبل الرّاء والألف التي بعدها. ولهذين المدين وظيفة إيقاعية ووظيفة دلالية. أما الأولى فيؤديانها بالسماح للصوت بالارتفاع والامتداد في نهاية كل آية بمقدار متناسب.

وأمّا الثانية فيؤديانها بالإسهام في الإيحاء بصورة الجهد الضخم، والزمن الطويل الذي أمضاه نوح- عليه السلام- في دعوة قومه. [3]

---

(1) انظر: بدوي أحمد، أحمد، من بلاغة القرآن، ص ٨٧.

(2) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن ،(٦/ ٣٢٨٠).

(3) أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآن، ص ٣٥٤-٣٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومثال آخر: قال الله تعالى :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴾ المدثر: ١١ - ١٤ .

تنتهي هذه الآيات القصيرة بفاصلة مؤلفة من مقطع مركب من صوت متحرك وهو الدال، ومن صوتين ممدودين هما الياء والألف، أو الواو والألف.

والآيات في توعد رجل كفر نعمة الله، فلم يقدّرها حقّ قدرها. بدأت ببيان ما أكرم الله به ذلك الرجل من النعم الكثيرة ، وما أفاض عليه من الخير العميم. وجاءت الفاصلة المشتملة على صوتين ممدودين لتسهم بإيقاعها في الإيحاء بصورة النعمة السابغة والكرم الغامر. لأن امتداد الصوت مرتين في نهايات هذه الآيات القصيرة يسمح للإيقاع الممدود بالوضوح التام في الإسماع، فيوحي إليها بصورة الامتداد والاتساع، وهي صورة المعنى المقصود[1].

ومن وجوه التناسق بين الصوت والمعنى في الفاصلة القرآنية تكرار حرف الروي في فواصل بعض السور حيث يكون في ذلك ارتباط وثيق بموضوع السورة، والقضايا التي جاءت لتعالجها.

ومن الأمثلة على ذلك: تكرار حرف الرّاء بصورة مطردة في فواصل سورة القمر الخمسة والخمسين دون استثناء.

ولعل السر في هذا التكرار الصوتي للرّاء في هذه السورة هو أنها قد اتخذت من التكرار وسيلة وغاية في الوقت نفسه. فالغرض هو تكرار الحجج والبينات والآيات والزواجر والنذر على مسامع هؤلاء الغافلين، حتى قد جاء التكرار فيها بصور شتى؛ وعليه يمكن أن نسمي سورة القمر بسورة التكرار. ومن ثمّ فليس ثمة حرف أنسب لفواصل هذه السورة من حرف الرّاء لاشتماله على سمة التكرارية كسمة لازمة له في طبيعة النطق، ومن ثم يأتي هذا الحرف بهذه السمة الصوتية متناغماً تمام التناغم مع سياق هذه السورة وغرضها البلاغي.

ومن الأمثلة كذلك: تكرار حرف (الهاء) في فواصل سورة الحاقّة جميعاً، سواء ما كان أصلها التاء في (عاتية) ، (خاوية) ، (باقية). أو ما زيدت للسكت في (كتابيه، حسابيه، ماليه، سلطانيه) ، وهي أوقع، وذلك لأنها تدل على أنّ السورة قد قصدت قصداً إلى توظيف (الهاء) بما لها من دلالة صوتية ظاهرة في تلك الآيات نستشعر فيها معنى التحسر والندب والنحيب، خاصة في المقطع الأخير منها، المعبّر تمام التعبير عن ذلك المعنى في تصويره الحالة النفسية للكافر حينما يلاقي صحائفه السوداء، ويوقن بوقوعه في الهلاك والعذاب فيقول: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحاقة: ٢٥ - ٢٩ .

---

[1] المرجع السابق، ص ٣٥٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وإذا كانت الهاء قد وظفت في أغلب فواصل هذه السورة للإيحاء بهذا المعنى: معنى التحسر والتفجع والنحيب، فإنّ الإعجاز الصوتي للقرآن تجلى في توظيف تلك الهاء نفسها بدلالة مخالفة تمام المخالفة لتلك الدلالة السابقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) ﴾ الحاقة: ١٩ - ٢٤ .

إننا نستشعر في نطق الهاء في هذه الآيات إيحاء بطمأنينة القلب، وقرار العين والنفس، وبهناءة العيش ونعومته، وسكونه وهدوئه، ويساعد على إبراز هذا المعنى ما في الهاء من سمات الهمس والرّقة[١].

ومن المظاهر الواضحة للتكرار في فواصل السور، تكرار سمة القلقلة في غالب فواصل سورة (ق).

فمن المعلوم أن السمات الصوتية المصاحبة لحروف القلقلة هي الانفجار بما له من دوي وقلقلة واهتزاز.

وبتأمل سياق السورة نجد أنها تعالج ما عليه نفوس هؤلاء المشركين من شك وتكذيب واهتزاز وتقلب في أمر العقيدة. وقد عبّرت السورة عن هذا الاهتزاز والتقلب معجمياً بقوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥) ﴾ ق: ٥ .

وتواجه السورة ذلك الشك والافتراء والاهتزاز في أمر العقيدة بالآيات الكونية الثابتة الشامخة، وبمشاهد القيامة المروعة بما تحدثه من دوي وانفجار هائل يهزّ كيان الكون، ويقلب أوضاعه ويقلقل كل ثابت، ويحرك كل شيء في هذا الكون.

ومن هنا تأتي حروف القلقلة بسماتها الصوتية السابقة متسقة مع سياق الآيات تمام الاتساق سواءً على مستوى الغرض الأول المتمثل في التعبير عن افتراء الكافرين وتقلبهم في أمر العقيدة وتكذيبهم بالبيانات وقوارع التخويف. أم على مستوى الغرض الثاني المتمثل في التعبير عن الانفجار الشديد الهائل الذي يقلقل ويزلزل كل شيء[٢].

وقد يتنوع جرس الفاصلة بين الرخاوة والشدة تبعا للجو والموضوع الذي تعالجه السورة أو المقطع مما يؤكد صلتها بالمعنى. ومن ذلك تنوع فواصل سورة مريم، فالقاريء لهذه السورة يحس أن لها إيقاعاً موسيقياً خاصاً. فحتى جرس ألفاظها فيه رخاء وفيه عمق: رضيا . سريا. حفيا. نجياً. فأما المواضع التي تقتضي الشدة والعنف، فتجيء فيها الفاصلة مشددة دالاً في الغالب . مدّاً،ضداً. إدّاً، هدّاً.او زاياً نحو: عزّا، ازّاً.

---

(١) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص١٢٠-١٢١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٢٢-١٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهي تبدأ بقصة زكريا ويحيى فتسير الفاصلة والقافية هكذا: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ... ﴾ مريم: ٢. وتليها قصة مريم وعيسى فتسير الفاصلة والقافية على النظام نفسه : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ... ﴾ مريم: ١٦ .

إلى أن ينتهي القصص، ويجيء التعقيب، لتقرير حقيقة عيسى ابن مريم ، وللفصل في قضية بنوته. فيختلف نظام الفواصل والقوافي وتطول الفاصلة، وتنتهي القافية بحرف الميم أو النون المستقر الساكن عند الوقف لا بالياء الممدودة الرخية. على النحو التالي: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ مريم: ٣٤

حتى إذا انتهى التقرير والفصل وعاد السياق إلى القصص عادت القافية الرخية المديدة: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ... ﴾ مريم: ٤١ ، حتى إذا جاء ذكر المكذبين وما ينتظرهم من عذاب وانتقام، تغير الإيقاع الموسيقي وجرس القافية: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾ مريم: ٧٥ ، وفي موضع الاستنكار يشتد الجرس والنغم بتشديد الدال: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا .. ﴾ مريم: ٨٨ ، وهكذا يسير الإيقاع الموسيقي في السورة وفق المعنى والجو؛ ويشارك في إبقاء الظل الذي يتناسق مع المعنى في ثنايا السورة، وفق انتقالات السياق من جو إلى جو ومن معنى إلى معنى[1].

المطلب الثاني: أثر الوقف على غير الفاصلة في الانسجام الصوتي

ويتمثل ذلك فيما يلي:

أولا: حسن تقسيمه للآيات على مقادير متناسبة، بما يعطي حلاوة في الإيقاع وجمالاً في السمع، وقبولاً في النفس.

فإن القارئ لما لم يكن في مقدوره أن يقرأ القرآن كله على نفَس واحد، كان لا بد له من أن يقف في بعض المواضع ليستريح فيها، وليعطي فرصة للتدبر والإفهام؛ ولما كان الأمر كذلك، فإن الآيات نتيجة للوقف انقسمت أقساماً متنوعة، فمنها ما انقسم إلى قسمين،ومنها ما انقسم إلى ثلاثة، ومنها ما انقسم أكثر من ذلك.

([1]) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن ،(٤/ ٢٢٥٠)؟.وانظر: قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن،ص١٠٨-١٠٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذه الأقسام تختلف طولاً وقصراً، مراعىً فيها تناسب المقدار، وتقارب الأوزان[1].

قال ابن الجزري: "ربما يراعى في الوقف الازدواج، فيوصل ما يوقف على نظيره مما يوجد التمام عليه، وانقطع تعلقه بما بعده لفظاً، وذلك من أجل ازدواجه نحو: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مع ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ البقرة: ١٣٤ ،ونحو: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ مع ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ البقرة: ٢٠٣ ونحو: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ مع ﴿وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ آل عمران: ٢٧، ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ آل عمران: ٢٧ مع ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ آل عمران: ٢٧ ونحو: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ مع ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ فصلت: ٤٦"[2].

ومن الآيات التي قسمت بالوقف إلى مقادير متناسبة قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)﴾ لقمان: ١٧ - ١٩.

وقد تنقسم الآية الواحدة إلى وحدتين متناسبتين، يفصل بينهما وقف، وتختم بتعقيب مناسب، ينتهي عنده التقسيم الإيقاعي، ومن الأمثلة على ذلك:

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن
يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ مُّقِيتًا (٨٥)﴾

النساء: ٨٥

وقوله ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ
وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)﴾

البقرة: ٢٢٥

وقوله:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي
حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا
لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠)﴾

الشورى: ٢٠

---

(1) انظر: أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآن، ص ٣٣٨-٣٣٩.

(2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (١/ ١٨٧).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقوله:

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ
سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ
خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فاطر: ١٤

وقوله:

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ
يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ فاطر: ٨

وقوله:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا
تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ
اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ القصص: ٧٧

وقوله تعالى:

﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ
الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ
اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ فاطر: ٤٣

وقد أشار ابن القيم إلى صلة الوقف بالتقسيم في نظم الآية القرآنية، عند حديثه عن فن (التوشيح) وقال: " وهذا النوع، في القرآن العظيم ما يشبهه، وهو ما ورد في الآيات من الوقف الكافي والتمام، إن وقفت على الوقف الكافي كان حسناً، وإن وقفت على التمام كان أجود، كقوله تعالى:

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ③ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ④ ﴾

البقرة: ٣ - ٤ ، الوقف على ﴿ مِن قَبۡلِكَ ﴾ كاف، وعلى ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ تمام له[1].

وعلق الدكتور أحمد أبو زيد على نص ابن القيم فقال:" والوقف الكافي الذي أشار إليه ابن القيم له قيمة واضحة في حفظ التناسب الإيقاعي في الآيات الطويلة، التي تختم بتعقيب مناسب للمعنى، ولوحدة الإيقاع في آن واحد، ويقع هذا الوقف على الكلمة التي تقع قبل التعقيب مباشرة، ووقوف القارئ على تلك الكلمة يتيح للتعقيب الذي تختم به الآية أن يظهر بصورة واضحة، فيؤدي وظائفه المعنوية والإيقاعية بصورة أحسن وأبهى كما نرى في قوله تعالى:

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ㉑ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ㉒ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ㉓ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ㉔ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ㉕ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ㉖ ﴾ الروم: ٢١ - ٢٦.

وكما نرى في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ㊾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا

([1]) ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، إشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٣١٧.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ
أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ
ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن
كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ النمل: ٥٩ - ٦٤[1].

([1]) أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآن، ٣٤١-٣٤٢.

الفصل الثالث
أثر التنغيم على المعنى

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الثالث
أثر التنغيم على المعنى في القرآن الكريم

التنغيم: "مصطلح صوتي وظيفي حل الكثير من إشكاليات الدلالة اللغوية المتعلقة بالأصوات والسياقات التنظيمية، إذ يتم تحديد الصور النطقية بموجب نمط التنغيم."[1].

وله دلالات متعددة كالتقدير والنفي ،والتعجب والتمني، والتهكم،والنصح، والأمر، والتعجيز، والترغيب، والاستفهام، والتوبيخ وغيرها من الدلالات.

وهذه الدلالات إنما تستشف من نوع النغمة وطبيعتها،صعوداً وهبوطاً واستواء.

فقد ثبت لدى علماء الصوتيات " أن نوع التنغيم ذو تأثير كبير في توجيه دلالات التراكيب اللغوية في القرآن الكريم "[2]

ومن الأمثلة التي توضح ذلك:

(١) قوله تعالى:﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾ المسد: ٢

إن (ما) هنا محتملة معنيين، الاستفهام والنفي [3] . وإن المعنى المكتنف من هذا التركيب الشريف يتباين بتباين التنغيم.

فقد يكون محض نفي، والمعنى، لم يُغْنِ عنه ماله وما كسب، فيكون هذا تأسفاً على ماله الذي لم ينفعه.وتكون (ما) في هذا السياق نافية. أو يكون استفهاماً، والمعنى: أيُ شيءٍ أغناه عنه ماله يوم القيامة [4] ومعنى الاستفهام التوبيخ والتأنيب. وتكون(ما) استفهامية في موضع نصب.

إنّ استرفاد التنغيم في هذا التركيب سواءً كان تنغيم الاستفهام أو تنغيم النفي فإنه يُؤذن بتعين المعنى، ولكنّ هذين المعنيين في هذا السياق –مع افتراقهما-يتضافران للدلالة على نفي المعنى الكلي:إمّا بالاستفهام أو النفي، وكلاهما مفضٍ إلى المعنى المتعيِّن[5]

فإذا قريء هذا النص بنغمة مستوية هابطة أفادت معنى الاستفهام وإذا قرئت بنغمة مستوية أفادت معنى النفي.

---

(1) العـزاوي،سمير،التنغيم اللغـوي في القـرآن الكريم،رسـالة ماجسـتير في اللغـة العربية،جامعـة آل البيـت، الأردن،١٩٩٩،ص٧.

(2) العزّاوي، سمير، التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في الآداب، ص١٠٦.

(3) انظر الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٨٠٩.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/ ١٦٢، وانظر: أبو حيان، البحر المحيط، (٨/ ٥٢٧)

(5) انظر: عرار، مهدي، انفتاح الدلالة في النص القرآني، مجلة إسلامية المعرفة، ع٢٧، ٢٠٠١م، ص٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(٢) قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ عبس: ١٧

إما أن تكون ما في قوله(ما أكفره) استفهامية(استفهام توقيف) على معنى: أيُّ شيءٍ جعله كافراً، بمعنى لأيِّ شيءٍ يسوغُ له أن يكفر.وإما أن تكون(ما) تعجبيه .[١]

" وليس يخفى أن ثمة انفتاحاً في دلالة الآية الشريفة، وأن مردّ ذلك إلى التنغيم، ومع هذا كله يلتقي معنى التعجب مع معنى الاستفهام ليدلا على عناد الإنسان وتماديه في الكفر، والملحظ المعجز ههنا أن الله العظيم لم يخص معنى دون معنى، بل جاءت دلالة الآية مفتوحة دون أن يفضي هذا إلى مساس بالمعنى الكلي، وهو التنبيه على كفر الإنسان وعناده، إما بالتعجب أو بالاستفهام الإنكاري"[٢].

فإذا قرئ قوله ﴿ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ بنغمة صاعدة أفادت التعجب.وإذا قرئت بنغمة مستوية هابطة أفادت الاستفهام الإنكاري.

(٣) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ﴾ التحريم: ١

" فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن جملة﴿ تبتغي ﴾ جملة استفهامية وتقدير الكلام: (أتبتغي) بحذف الهمزة والحكم أنها استفهامية إنما يرجع في حقيقة الأمر إلى تنغيم النطق بصورة توائم الأنماط التنغيمية للجمل الاستفهامية من هذا النوع"[٣]

فتنغيم قوله ﴿ تَبْتَغِى ﴾ بنغمة مستوية هابطة يفيد معنى الاستفهام الإنكاري، والمعنى : لا تحرِّم الحلال مرضاةً لأزواجك.

وخطاب النبي ﷺ بهذا هو من باب التنبيه على أنّ ما صدر منه لم يكن كما ينبغي [٤].

(٤) قال تعالى: ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يوسف: ٧٤ ـ ٧٥

" هذه الآية يكون التنغيم في جزئها الثاني محوراً رئيساً في تحديد الأبواب والتراكيب؛فالجزء الثاني تُقرأ فيه جملة ﴿ قالوا:جزاؤه؟ ﴾ بنغمة الاستفهام، وجملة: (جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ) جملة واحدة على التقرير، وتقرأ أيضاً على التعجب والاستهجان: (قالوا : جزاؤه! من وجد في رحله فهو جزاؤه)، يمكن أن تقرأ على التبرّم والانزعاج "[٥].

فقراءة قوله(جَزَٰٓؤُهُۥ) بنغمة صاعدة يدلُّ على الاستفهام المفيد لمعنى التعجب والاستهجان.

---

(١)انظر:أبو حيان، البحر المحيط، (٢/ ٤٢٠).

(٢)عرار، مهدي، انفتاح الدلالة في النص القرآني، ص٤٦-٤٧.

(٣)الغريب، أحمد أبو اليزيد، التنغيم في إطار النظام النحوي، مجلة جامعة أم القرى، ع١٤، ١٩٩٦م، ص٣٠٢.

(٤)انظر: الرازي، مفاتيح الغيب،(٣٠/ ٣٨).

(٥)الجوارنة، يوسف عبد الله، التنغيم ودلالته في العربية، مجلة الموقف الأدبي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٣٦٩، ٢٠٠٢م، www.awu-dam.org/mokifadaby/ind-mokf٣٦٩.Htm

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإذا قرئت بنغمة مستوية أفادت معنى التقرير.

(٥) قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ الإنسان: ١

ذكر أهل التفسير أنّ (هل) في الآية الكريمة على وجهين[١].

١. أن تكون على بابها من الاستفهام المحض،أو الاستفهام الذي معناه التقرير، ورفض مكي على أن تكون على بابها من الاستفهام المحض، وإنما هي للتقرير، ووافقه ابن عادل الحنبلي [٢].

٢ أن تكون(هل)بمعنى (قد)، قال الفرّاء: (هل) تكون جحداً، وتكون خبراً،فهذا من الخبر[٣].

وقال الزمخشري:(هل) بمعنى(قد) في الاستفهام خاصة والأصل(أهل) ...فالمعنى: أقد أتى؟ على التقرير والتقريب جميعاً،أي:أتى على الإنسان قبل زمانٍ قريب [٤].

وأميل إلى أن تكون (هل) هنا بمعنى (قد) ، أي على معنى الخبر المفيد للتقرير. والذي يؤيد ذلك هو النغمة التي تقرأ بها الآية الكريمة فهي نغمة مستوية، مفيدة معنى التقرير. وهنا نلحظ أنّ التنغيم أسهم في حل الإشكال بين المفسرين في معنى (هل).

(٦) قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝٢٢﴾ الشعراء: ٢٢

يتردد معنى هذه الآية الكريمة بين أسلوبين هما الاستفهام والإخبار. قال السمين الحلبي:

"﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ فيه وجهان، أحدهما:أنّه خبرٌ على سبيل التهكم، أي:إنْ كان ثمَّ نعمة فليست إلا أنك جعلت قومي: عبيداً لك.

وقيل : حرف الاستفهام محذوف لفهم المعنى أي أو تلك... "[٥].

وقال القرطبي :إنّ هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الإقرار بالنعمة؛كأنه يقول:نعم؟ وتربيتك نعمةٌ عليَّ من حيث عَبّدتَ غيري وتركتني،ولكن لا يدفعُ ذلك رسالتي.

وقيل: هو من موسى عليه السلام على جهة الإنكار، أي أتمنُّ عليَّ بأن ربيتني وليداً وأنت َ قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم؟ أي ليست بنعمة؟ لأنّ الواجب كان ألا تقتلهم ولا تستعبدهم فإنّهم قومي، فكيف تذكر إحسانك عليّ على الخصوص؟![٦].

وجمع ابن عطيّة بين الرأيين فقال:

---

(١) انظر: ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، (٢٠/٣-٤).

(٢) المرجع السابق: (٢٠/٤).

(٣)الفرّاء، معاني القرآن،(٣/٢١٣).

(٤) الزمخشري، الكشاف:(٤/٦٥٣).

(٥) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م،(٥/٢٧١).

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(١٣/ ٦٥-٦٦)).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولكلٍّ وجه ناحية من الاحتجاج، فالاستفهام ماضٍ في طريق المخالفة لفرعون ونقض كلامه كله.

وأما الإقرار فمظهرٌ إنصاف موسى عليه السلام من نفسه واعترافه بالحق، ومتى حصل أحد المجادلين في هذه الرتبة، وكان خصمه في ضدها غلب المتصف بذلك، وصار قوله أوقع في النفوس[1].

وبناء على ما سبق فإنْ قصد القارئُ الاستفهام الذي يدلُّ على الإنكار فينبغي أن تكون النغمة مستوية هابطة،لِتُشعِرَ بذلك.

وأما إذا قصد الإخبار فإنّ النغمة عندها تكون مستوية.وعندها نقول :إنّ التنغيم هو الذي يحدد قصد المتكلم من عبارته، ونرى أن التنغيم هنا يفرّق بين كون الجملة خبرية أو استفهامية.

(٧) قوله تعالى:﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ يوسف: ٢٩

في هذه الآية الكريمة المقطع الأول خطاب لرجل والثاني لامرأة، والنغم وحده هو الذي يفصل بين الخطابين، وانظر كيف خلا المقطع الأول من أداة النداء، والذي يدلُّ عليه فقط هو النغم[2].

وكما فرّق التنغيم هنا بين الخطابين، وأشار إلى النداء في قوله(يوسف) ، كذلك فإنّ تنغيم هذه العبارة يوحي باللطف والإشعار بالقرب مع ما فيه من نصح وإرشاد وتوجيه.

(٨) قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يوسف: ٨٤

ومعنى : يا أسفى على يوسف:إما أن يكون(وا أسفي) على جهة النُدْبة، وحذفت الهاء التي هي للندبة علامة المبالغة في الحزن تجلداً منه عليه السلام.

أو تكون بمعنى(يَا أَسَفَىٰ) نداء فيه استغاثة أي يا أسفي هذا أوانك فاحضر ، وهو منه شكاية لله سبحانه مما يجد[3].

إن التنغيم في قوله(يَا أَسَفَىٰ) يسهم في بيان مدى التفجع والتحسّر الذي نزل بالمندوب.

ومن أجل الإشعار بهذا المعنى فلا بد من إطالة الصوت بقوله(يا أسفى) بنغمة هابطة مشعرة بالحزن والتفجع والتألم.

وتلحظ هنا أنّ التنغيم اتخذ من المدّ وسيلة لتحقيق هذا المعنى.

(٩) ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝٦ ﴾ يس: ٦

ذكر الإمام القرطبي-رحمه الله- أنّ (ما) في قوله (مَّا أُنذِرَ) تحتمل ثلاثة معان:

١.أن تكون نافية، والمعنى لتنذر قوماً ما أتى اباءَهم قبلك نذير.

([1]) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،(٤/ ٢٢٨).

([2]) الجيوسي، عبد الله، التعبير القرآني والدلالة النفسية،ص١٥٧.

([3]) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،(٣/ ٢٧٢).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٢.أن تكون موصولة بمعنى(الذي)،والمعنى :لتنذرهم مثل ما أنذر آباؤهم.

٣.أن تكون مصدرية،والمعنى:أي لتنذر قوماً إنذار آبائهم[١].

ويسهم التنغيم في هذه الآية بتحديد المعنى ،فإن رفعَ الصوت عند(ما) يدل على أنها نافية. وأما إذا قرئت بدون رفع صوت فيها، فتكون دالّة على المعنيين الآخرين.

(١٠) ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ ﴾ الصف: ١٠

إنّ الاستفهام في هذه الآية الكريمة قد خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر، يسهم التنغيم في الكشف عن دلالته الجديدة. فإن قراءة هذه الآية بنغمة صاعدة يعطي الاستفهام معنى الترغيب والحث والإغراء.

قال الرازي-رحمه الله- : "﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ ﴾ في معنى الأمر عند الفرّاء ،يقال: هل أنت ساكت،أي اسكت.وبيانه : أنّ هل، بمعنى الاستفهام ، ثم يتدرج إلى أن يصير عرضاً وحثاً، والحث كالإغراء، والإغراء أمر "[٢].كما يمكن أن نلتمس من التنغيم معنى التشويق إلى الجواب[٣].

(١١) ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ۝٨٩ ﴾ يوسف: ٨٩

إنّ قراءة هذه الآية الكريمة بنغمة مستوية يفيد معنى التذكير.

قال الطبري-رحمه الله-" فتأويل الكلام :هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه، إذ فرقتم بينهما وصنعتم ما صنعتم إذ أنتم جاهلون؟ يعني في حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون بيوسف ، وما إليه صائر أمره وأمركم "[٤].

(١٢) ﴿ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣ ﴾ الزلزلة: ٣

إنّ (ما) في قوله(ما لها؟) لا تحتمل إلا أن تكون استفهاميّة. وعليه فإنه لا بد من رفع الصوت ب(ما) مع نغمة الاستفهام عند الوقف على (لها).

وإذا لم يفعل القاريء هذا بصوته ونغمته اختلّ المعنى وتغير، وأصبح قوله(ما لها) كلمة واحدة مأخوذة من (المال). وهذا المعنى غير مراد.

قال الطبري: " يقول الله تعالى ذكره: وقال الناس إذا زلزلت الأرض لقيام الساعة : ما للأرض وما قصتها؟"[٥].

---

(١)انظر:القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(٥١/٦)، وانظر:الدوسري، إبراهيم بن سعيد، أصول(ما) في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية على سورة يس، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل(العلوم الإنسانية والإدارية، مجلد ٤، ع١، ٢٠٠٣م،ص١١٦-١١٧.

(٢)الرازي، مفاتيح الغيب(٢٩/ ٢٧٤).

(٣)ابن عاشور، التحرير والتنوير،(٢٧/ ١٩٤).

(٤)الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(١٦/ ٢٤٤).

(٥)المرجع السابق،(٢٤/ ٥٤٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقيل: "يقول الإنسان الكافر:مالها يعني:للأرض على وجه التعجب "[١].

وقال سيد قطب: " وهو سؤال المشدوه المبهوت المفجوء، الذي يرى ما لم يعهد، ويواجه مالا يدرك، ويشهد مالا يملك الصبر أمامه والسكوت.ما لها؟ ما الذي يزلزلها هكذا ويرجُها رجًا؟ ما لها؟..."[٢].

(١٣) ﴿ قَالُوا يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ هود: ٨٧

إنّ هذه الآية الكريمة ينبغي أن تقرأ بنغمة هابطة لتوحي بمعنى التهكم والاستهزاء والسخرية المستفاد من الاستفهام.

قال القمّي النيسابوري: " فقصدوا بقولهم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾السخرية والهزء،فكأن الصلاة التي يداوم عليها ليلاً ونهاراً هي من باب الجنون والوسواس "[٣].

وقال السعدي: " قالوا ذلك على وجه التهكم بنبيهم، والاستبعاد لإجابتهم له، ومعنى كلامهم: انه لا موجب لنهيك لنا، إلا أنك تصلّي لله، وتتعبد له، أفإن كنت كذلك، أفيوجب لنا أن نترك ما يُعبد آباؤنا، لقول ليس عليه دليل إلا أنه موافق لك... "[٤].

(١٤) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ الفرقان: ٤٥

تحدثنا هذه الآية الكريمة عن آية من الآيات المظهرة لعظيم قدرة الله في خلقه، وكمال حكمته في أفعاله. وبُنيت الآيات على الاستفهام المفيد لمعنى التعجب من هذا الأمر وهذا الخلق.

قال البقاعي: " وأشار إلى زيادة التعجب من أمره بجعله في معرض الاستفهام "[٥].

وعليه فإن القاريء لهذه الآية الكريمة عليه أن يأتي بنغمة صاعدة دالة على معنى التعجب.

(١٥) ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ فصلت: ٤٠

إنّ ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ يحمل معنى الأمر ،ولكن الأمر لم يبق على معناه الأصلي ، ولكنه خرج لمعنى آخر هو التهديد والوعيد. قال الطبري:"﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ وعيد لهم من الله خرجَ مخرجَ الأمر"[٦]

([١])السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، بحر العلوم(تفسير السمرقندي)، تحقيق:محمود مطرجي، دار الفكر ، بيروت، د.ط، د.ت، (٣/ ٥٨١).

([٢])قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٩٥٤).

([٣])القُمّي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان،(٤/ ٤٥).

([٤])السعدي، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص٣٨٧.

([٥])البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،(٥/ ٣٢٣).

([٦])الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٢١/ ٤٧٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال السمرقندي: (﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾ لفظه لفظ التخيير والإباحة ،والمراد به التوبيخ والتهديد،لأنه بيّن مصير كل عامل "[1].

وعليه:فينبغي أن تكون نغمة القاريء هنا مستوية صاعدةً مشعرة بالتهديد، وموحية بالوعيد.

(١٦) ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ... فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٦

" هذا دعاء يصّور حال المؤمنين مع ربهم، وإدراكهم لضعفهم وعجزهم، وحاجتهم إلى رحمته وعفوه، وإلى مدده وعونه، وإلصاق ظهورهم إلى ركنه، والتجائهم إلى كنفه، وانتسابهم إليه، وتجردهم من كل من عداه، واستعدادهم للجهاد في سبيله، واستمدادهم النصر منه... كل أولئك في نغمة واعدة واجفة تصور بإيقاعاتها وجيب القلب ورفرفة الروح "[2].

فنغمة القاريء ينبغي أن تكون نغمة صاعدة مناسبة لمقام الضراعة والابتهال والخشوع .

وعلى هذا يمكن أن تحمل جميع آيات الدعاء.

(١٧) ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾البقرة: ١٧٥

يقول عبد الكريم الخطيب موضحاً الدهشة والاستغراب الصادرين من الناجين جرّاء صبر هؤلاء الكفرة على النار:

"﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ إنه صوت أولئك الذين نجّاهم الله من هذا البلاء-يعني الضلالة المؤدية إلى دخول النار-يعبّرون به في دهشة واستغراب عن صبر هؤلاء الأشقياء الذين تأكلهم النار وهم يتقلبون في جمرها، وإنّ كل من يطلع عليهم لا يملك إلا أن يستهول هذا الهول الذي هم فيه، ويتعجب من احتمالهم له وصبرهم عليه "[3].

(وما) في قوله(فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ) إما أن تكون تعجبية، وإما أن تكون استفهامية، والأول أظهر وعليه جمهور المفسّرين كما قال ابن عطية.[4]

ويتضح أن التنغيم بما يفيد التعجب يُحدث انفعالاً نفسياً، ودهشة شديدة تأخذ بالألباب.

(١٨) ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ ﴾ البقرة: ٢٥٩

إنّ الاستفهام في قوله ﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ ﴾ يفيد الاستبعاد والاستعظام والتعجب،والاعتراف بالعجز والقصور عن معرفة طريق الإحياء[5].

---

(١)السمرقندي، أبو الليث، بحر العلوم، (٣/ ٢١٨).

(٢)قطب، سيد، في ظلال القرآن،(١/ ٣٤٥).

(٣)الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، (١/ ١٩١).

(٤)ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١/ ٢٤٢).

(٥)انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التاويل، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت ،(١/ ٥٦١).

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

وعليه فإنّ النغمة ينبغي أن تكون موحية بمعاني الاستغراب والتعجب مصوّرة لنا مشاعر هذا الرجل أمام هذه القرية الخاوية البائدة، بنظر في أطرافها وفي مساكنها ، ويتذكر أهلها ورواحهم وغدوهم وكل ما يدفع إلى اليقين بقدرة الله سبحانه وتعالى.

(١٩) ﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠ ﴾ الحاقة: ١٩ - ٢٠

عندما يقرأ الإنسان هذه الآية الكريمة مراعياً فيها التنغيم بنغمته الصاعدة المشعرة بالفرح، ومراعياً المد، يشعر كأنه أمام مشهد من الفرح والسرور عظيم.إذ إنّ المد والتنغيم يصوّران حالة النشوة التي تعتري ذلك الذي أوتي كتابه بيمنه طائرا في ساحات القيامة وعرصاتها فرحاً مسروراً ، يريد أن يشاهد كل فرد كتابه وما فيه من أعمال صالحة.اللهم اجعلنا ممن يُؤتى كتابه بيمينه قائلاً (هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ)

مما تقدم ندرك أن تحديد المعنى وتوضيحه أحياناً يتوقف على خواص صوتية لهذا الكلام المنطوق، من أهم هذه الخواص ما يعرف بـ (موسيقى الكلام) ، تلك الموسيقى التي تلون النطق وتمنحه معاني متنوعة بحسب السياق والمقام.

" هذا، وتجدر الإشارة إلى أن تغيُّر النبر(الصوت) وتحويله ليناسب أغراض الكلام هو الرسالة التي توصل المعنى إلى المستمع، وقد نص بعض العلماء على ضرورة خفض الصوت في بعض المواطن[1] من ذلك قراءة ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ ﴾ البقرة: ١١٦، ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾ المائدة: ٦٤،﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ ﴾ المائدة: ٧٣،وقوله ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ﴾ التوبة: ٣٠ ،وقوله ﴿ هَٰذَا رَبِّيۖ ﴾ الأنعام: ٧٦،إن خرج على صيغة الاستفهام في المثال الأخير ادى إلى معنى جديد، وأمثالها في القرآن كثير، فخفض الصوت عند النطق بها يؤدي للمستمع رسالة صوتية ونغمة موسيقية، وهي أن هذا الكلام إنما خرج ادعاءً وليس له أصل أو حقيقة. فانظر كيف كان لهذا التنغيم أكبر الأثر في بيان تلك المعاني ، والله أعلم بالصواب، فعلماء التجويد كانوا على علم وتنبه لهذا، فقد كانوا حريصين على ضرورة أن يكون الأداء سليماً عند التلقي والأداء حتى لا يتغير المعنى "[2].

(٢٠) ﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ ﴾ الحاقة: ٢٥ – ٢٦

إنّ تنغيم هذه الآية الكريمة تظهر لنا حالة من الشعور بالأسف والحزن العميق الذي يشعر به الكافر نادماً على ما مضى من حياته، هذه الحالة التي تمتزج بالخوف من العقاب القادم، وكأنه يحاول أن يتشبث في سبيل الخلاص[3]. إنّ النغمة هنا نغمة هابطة مثيرة للحزن، ومظهرة للشفقة والأسف على ما فات.

---

(1)انظر: الدمياطي، احمد بن محمد، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر،ص٣٥٩..

(2)الجيوسي، عبد الله، التعبير القرآني والدلالة النفسية،ص١٦٠..

(3)العزاوي، سمير، التنغيم اللغوي في القرآن،ص١٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الباب الثاني
تناسق صوت المفردة مع دلالتها في القرآن الكريم

الفصل الأول: صوت المفردة ودلالته عند علماء العربية.

الفصل الثاني: تناسق الصوت والمعنى في المصادر والأسماء

الفصل الثالث: تناسق الصوت والمعنى في المجرد والمزيد من الأفعال

الفصل الرابع: تناسق الصوت والمعنى في المشتقات

الفصل الخامس: المفردات التي تكرر فيها الحرف

الفصل السادس: تناسق الصوت والمعنى في الآية القرآنية

الفصل السابع: توظيف الدلالة الصوتية للمفردة في الموضوعات القرآنية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول:
صوت المفردة ودلالته عند علماء العربية.

أود في هذا التمهيد أن أعرض لآراء علماء العربية من لغويين وأصوليين- حول مسألة دلالة الصوت على معناه، أو علاقة الصوت بالمعنى، ولما لاحظه هؤلاء العلماء من مناسبة الحروف لمعانيها، وما لمحوه "في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية، إذ لم يعنهم من كل حرف أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدّوال المعبرة، فكل حرف فيها يستقل ببيان معنى خاص ما دام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع، إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع"[1].

وقد ارتبط البحث في هذه المسألة بقضية البحث في نشأة اللغة، وما قام حولها من نظريات وفرضيات متباينة، لم تستطع حتى هذا الوقت حسم الخلاف حول أولية اللغة، وكيفية نشأتها[2].

وترتب على الخلاف حول نشأة اللغة خلاف آخر دار حول العلاقة بين الصوت ومدلوله، وقد نالت هذه المسألة قسطاً وافراً من اهتمام اللغويين والفلاسفة على حد سواء، بل أصبحت هذه المسألة محوراً للدراسات اللغوية الحديثة[3].

اهتم علماء العربية منذ وقت مبكر بمسألة العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها وذلك منذ واجهوا "مشكل الآيات القرآنية وإعجازها، واستخراج الأحكام الشرعية واللغوية منها، سواء عند علماء الفقه والأصوليين أو عند اللغويين؛ إدراكاً من هؤلاء لأهمية مسألة الصوت والدلالة، وقيمتها في خدمة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، وحفظ نقاء العربية وصفائها، وحل كثير من إشكالاتها الصوتية والدلالية، وبيان القيم التعبيرية للأصوات وهي منتظمة داخل البنيات أو التراكيب"[4].

وإذا تتبعنا كلام النحاة واللغويين الأوائل في هذا المضمار فإننا نستطيع أن نقف على معالم هادية ومحاولات جادة يمكننا عن طريقها الوقوف على التفات هؤلاء القدماء إلى دلالة الصوت ومناسبته لمعناه.

وهذه المحاولات الجادة في هذا السبيل نجد بعضها عند الخليل بن أحمد وكثيراً منها لدى سيبويه في كتابه، كما نجدها أكثر نضجاً عند ابن جني في خصائصه، وفي كتابات ابن الأثير من بعده.

---

(1) الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٧٨م، ص١٤٢.

(2) للاطلاع على تفصيل لهذه النظريات، انظر:: الزيدي، كاصد ياسر، فقه اللغة العربية، دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٣٨-٦٠.

(3) انظر: مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان، ١٩٨٥م، ص٢٠٣.

(4) بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فمما جاء عن الخليل في ذلك قوله: "كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا: (صر) وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: (صرصر)"[1].

ونلحظ هنا أن تضعيف الراء المشددة في (صَرّ) ينتج عنه نوع من المط والطول.

فسمة التكرارية التي في الراء توحي بالمد والاستطالة وهي المناسبة لصوت الجندب.

ولما فك الإدغام في قوله (صَرْصَرْ) فإنه أوحى بالتقطيع وعدم الاستمرارية المعبر تمام التعبير عن صوت البازي.

ومن العلماء الذي عُنوا بهذه المسألة وأصّل لها سيبويه. إذ أكد على ما ذهب إليه أستاذه الخليل، يقول: "هذا باب افعوعلت وما هو على مثاله مما لم نذكره" قالوا خشن وقالوا اخشوشن، وسألت الخليل فقال: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد، كما أنه إذا قال (اعشوشبت الأرض) فإنما يريد أن يجعل ذلك كثيراً عاماً قد بالغ"[2].

ولقد التفت الخليل وسيبويه إلى أثر زيادة المبنى في زيادة المعنى، كما قد التفتا إلى الغرض من تلك الزيادة وهو هنا المبالغة وقد عقد سيبويه لذلك باباً في كتابه سماه (ما جاء على مثال واحد حين تقاربت المعاني).

قال فيه: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النَّزَوان، والنَّقزان؛ وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثله العَسَلان والرَّتكان....

ومثل هذا الغليان، لأنه زعزعة وتحرُّك، ومثله الغثيان، لأنه تجيش نفسه وتثور. ومثله الخَطَران واللَّمَعَان، لأن هذا اضطراب وتحرك، ومثل ذلك اللَّهَبَان والصَّخَدان، والوَهَجَان، لأنه تحرك الحرِ وثؤوره، فإنما هو بمنزلة الغليان"[3].

ويُلحظ بعد هذا أن هذه المصادر قد اشتركت جميعها في بنية صوتية واحدة هي (فَعَلان) بما لها من سمات صوتية خاصة.

كما يلحظ أن هذه "المصادر التي على وزن (فَعَلان) في رأي سيبويه تنم أصواتها عن معناها أو تصور الحركات التي تصاحب الحدث، فيستشعر في (الفَعَلان) الاهتزاز والاضطراب والحركة، وينسحب هذا الحكم على مصدر جاء على هذا الوزن، فمهما كانت حروفه لا بد أن نلحظ فيه هذا

---

(1) ابن جني، الخصائص، (٢/ ١٥٢).

(2) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، د.ت، (٤/ ٧٥).

(3) المرجع السابق، (٤/ ١٢)؛ الرتكان: هو مشي الإبل خاصة. والعسلان، مشي الذئب، والصخدان: شدة الحر. والنَّقزان: هو الوثب صُعُداً في مكان واحد، وكذلك النزوان. والخطران: هو التصاول والوعيد.
انظر: ابن منظور، لسان العرب على الترتيب [حتك، عسل، صخد، نقز، نزا، خطر].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المعنى، والمبنى فيه دلالة على المعنى، فهذه صلة وثيقة وعلاقة واضحة بين الأوزان ومعانيها يعقدها سيبويه"[1].

والمتأمل للبنية الصوتية للمصادر السابقة يجد أن توالي الفتحتين ثم اتباع هاتين الفتحتين بفتحة طويلة هي ألف المد، ثم انتهاء الكلمة بالنون ذات الغنة المجهورة، والتي تزيد زمن النطق بها حيث تشبه رنة طويلة. المتأمل لذلك يجد أن هناك تناسباً بين السمات الصوتية لتلك المصادر وبين المعنى الذي تدل عليه، وهو الاضطراب والاهتزاز الذي يزداد شيئاً فشيئاً. وهذا ما تعبر عنه الحركتان القصيرتان (الفتحتان المتواليتان) ثم تأتي الحركة الطويلة (الف المد) لتعبر عن طول تلك الحركة، ثم يأتي حرف النون ليعبر عن معنى آخر، وهو أن هدوء تلك الحركة لا يكون فجأة بل يحتاج إلى زمن يسير تخفت فيه الحركة شيئاً فشيئاً حتى تهدأ، وهو ما تعبر عنه غنة النون ذات الصوت المجهور[2].

وقد كانت الإشارة الواردة عند الخليل وسيبويه بمثابة المنارة التي استضاء بها من جاء بعدهما في معالجة هذه المسألة.

ومن أبرز اللغويين الذي كانت لهم عناية فائقة بهذه القضية ابن جني –رحمه الله- في كتابه الخصائص فهو الذي بسط فيها القول، وأخذ على عاتقه تفتيقها وتفصيلها وتبيين دقائقها.

فقد عقد لها في كتابه فصولاً أربعة متلمساً هذه الصلة في ما يعرض له من ظواهر صوتية، معتمداً على قوة التصريف التي أورثته دقة نظر في الأصوات، وطبع جرس الحروف في ذهنه دلالات خاصة لطول معالجته وممارسته لها[3]. وأما الأبواب التي عقدها فهي:

١. تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني[4].
٢. الاشتقاق الأكبر[5].
٣. تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني[6].
٤. إمساس الألفاظ أشباه المعاني[7].

ومن النصوص التي تؤكد عنايته بهذه المسألة ما ذكره في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) إذ يقول:"فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج مُتْلئبٌ (أي:

---

(١) مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، ص٢٠٧.

(٢) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن،ص١٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٤) ابن جني، الخصائص، (٢/ ١١٣).

(٥) المرجع السابق، (٢/ ١٣٣).

(٦) المرجع السابق، (٢/ ١٥٢).

(٧) المرجع السابق، (٢/ ١٤٥). والمقصود من تعاقب الألفاظ التعاقب المعاني، أن الألفاظ التي تتعاقب في مخارج حروفها تكون متقاربة كذلك في الدلالة على المعنى نحو أزّ و هزّ، انظر: عبد الجليل، منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م، ص ١٣٣-١٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثابت) عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها ويحتذونها عليها. وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره"[1].

وساق على ذلك أمثله منها قوله:

"من ذلك قولهم: خضم، وقضم، فالخضم لأكل الرطب؛ كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس؛ نحو قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك. وفي الخبر (قد يدرك الخضم بالقضم) أي قد يدرك الرخاء بالشدة، واللين بالشظف، وعليه قول أبي الدرداء: (يخضمون ونقضم والموعد الله) "[2].

ثم يوضح - رحمه الله - سر الاختلاف في الدلالة بين صوت الخاء وصوت القاف، فيقول:

"فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"[3].

"ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح؛ قال الله سبحانه: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾ الرحمن: ٦٦ فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه.

ومن ذلك القَدُّ طولاً، والقَطُّ عرضاً، وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال. فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض؛ لقربة وسرعته، والدال المماطلة لما طال من الأثر، وهو قطعه طولاً"[4].

وفي باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) يرى ابن جني أن تقارب الألفاظ يقع نتيجة لتقارب المعاني، وضرب على ذلك مثالاً فقال: "من ذلك قوله الله سبحانه﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ مريم: ٨٣. أي: تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له؛ كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك"[5].

وقد أخذ ابن جني ما جاء عند سيبويه من ذكره ما تدل عليه (فَعَلان) من الحركة والاضطراب والاهتزاز، إلا أنه لم يقف عند هذا الحد ولم يكتف به، بل زاد عليه، وأضاف إليه فقال: "ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حَدّاه، ومنهاج ما مثّلاه، وذلك أنك تجد

---

(1) ابن جني، الخصائص، (٢/ ١٥٧).

(2) المرجع السابق، (٢/ ١٥٧).

(3) المرجع السابق، (٢/ ١٥٨).

(4) المرجع السابق، (٢/ ١٥٧)

(5) المرجع السابق، (٢/ ١٤٦).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير؛ نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة، والصعصعة، والجرجرة، والقرقرة.

ووجدت أيضاً (الفَعَلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة؛ نحو البَشَكَى، والجَمَزَى، والوَلَقَى؛....فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر- أعني باب القلقلة- والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها"[1].

يلمح ابن جني في هذا النص ما بين البنية الصوتية لهذه المصادرة الرباعية المضعفة ومعناها من المناسبة، إذ إنّ هذه المصادر بما اشتملت عليه من تضعيف وتكرير تناسب ما تدل عليه معانيها من التكرير المشترك بين ألفاظ تلك البنى مما يضيف إلى معناها المعجمي معنى آخر تضيفه دلالتها الصوتية.

كما يلمح ابن جني كذلك ما بين (الفَعَلى) من تكرار الحركات وتلاحقها وتتابعها، وما تدل عليه من معنى السرعة والتتابع وتوالي الحركات في الفعل كما توالت الحركات في النطق[2].

ومن إضافته كذلك حديثه عن صيغة (استفعل) فيقول:

"ومن ذلك – وهو أصنع منه – أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب؛ نحو استسقى، واستطعم، واستوهب، واستمنح، واستقدم عمرا، واستصرخ جعفرا، فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال... فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت بعدها الأصول: الفاء، والعين، واللام. فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك. وذلك أنّ الطلب للفعل والتماسه والسعي فيه والتأتي لوقوعه تَقَدَّمَه، ثم وقعت الإجابة إليه، فتبع الفعل السؤال فيه والتسبب لوقوعه. فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب، كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التي وضعت للالتماس والمسألة. وذلك نحو استخرج، واستقدم، واستوهب، واستمنح، واستعطى، واستدنى"[3].

ويتحدث ابن جني عن المناسبة بين الأصوات والمعاني، فيقول:

"ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر، وقطّع، وفتّح، وغلّق. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما؛ فصار كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها. ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها... فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل؛ كما جعلوا تقطيعه في نحو صَرْصَرْ وحَقْحَقْ دليلاً على تقطيعه... فهذا أيضاً من مساوقة الصيغة للمعاني "[4].

---

(1) المرجع السابق، (٢/ ١٥٣).

(2) هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص٢١.

(3) ابن جني، الخصائص، (٢/ ١٥٣-١٥٤).

(4) المرجع السابق، (٢/ ١٥٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويذهب ابن جني إلى أكثر من ذلك في عقد الصلات بين جرس الحروف وترتيب الأحداث، بناء على ترتيب أصواتها في الكلمة، فهو يقول:

"نعم، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر، والحكمة أعلى وأصنع. وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه؛ سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب.

وذلك قولهم: (بحث) فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لِصَحَلِهَا [البحة في الصوت] تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في لأرض، والثاء للنفث، والبث للتراب، وهذا أمر تراه محسوساً محصلاً، فأي شبهة تبقي الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث، والبث للتراب. وهذا أمر تراه محسوساً محصلاً، فأيُ شبهة تبقى بعده، أم أيُ شك يعرض على مثله، وقد ذكرت هذا في مواضع أخر من كتبي لأمر دعا إليه هناك، فأما هذا الموضع فإنه أهله وحقيق به؛ لأنه موضوع له ولأمثاله"[1]. كما بين ذلك في كل من كلمة (شد) وكلمة (جَرّ)[2].

ويدل موقف ابن جني السابق على حس لغوي دقيق، وفقه لأسرار العربية وتراكيبها عميق.

ومن العلماء الذين كان لهم اهتمام بالعلاقة بين الصوت والمعنى ابن الأثير -رحمه الله- إذ عرض لهذه المسألة في كتابه (المثل السائر) تحت عنوان (في قوة اللفظ لقوة المعنى)[3]. واهم ما تميز به بحث ابن الأثير لهذه المسألة أنه اهتم بوضع القيود والضوابط التي تحكم العلاقة بين المبنى والمعنى من حيث الزيادة والنقص مما ينم عن سعة أفقه في هذا الباب وعمق دراسته[4].

فهو يرى أنّ نقل اللفظ والعدول به من صيغة إلى صيغة أخرى أكثر حروفاً من الأولى لا بُدّ أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا ويرى أنّ هذه الطريقة لا تستعمل إلا في مقام المبالغة، فيقول:

" اعلم أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بُدّ أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً، لأنّ الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة الإنابة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه لبيانه. وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة"[5].

ومن الأمثلة التي ذكرها على ذلك . " خشن، واخشوشن، فمعنى (خشن) دون معنى (اخشوشن) لما فيه من تكرير العين، وزيادة الواو، نحو(فعل) و(افعوعل)، وكذلك قولهم: أعشب

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ١٦٢-١٦٣).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٢/١٦٣-١٦٤).

(٣) انظر: ابن الأثير، المثل السائر، (٢/ ٢٤١-٢٤٧).

(٤) انظر: هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية - بيروت ، ط١، ٢٠٠١م، ص٣٨-٣٩.

(٥) ابن الأثير، المثل السائر، (٢/ ٢٤١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المكان، فإذا رأوا كثرة العشب قالوا: (اعشوشب). ومما ينتظم بهذا السلك، قدر، واقتدر؛ فمعنى (اقتدر) أقوى من معنى (قدر) ؛ قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ القمر: ٤٢. فـ (مقتدر) ها هنا أبلغ من (قادر). وإنّما عدل إليه للدلالة على التفخيم للأمر، وشدّة الأخذ الذي لا يصدر إلاّ عن قوّة الغضب، أو للدلالة على بسط القدرة، فإنّ(المقتدر) أبلغ في البسطة من (القادر)، وذاك أنّ (مقتدر) اسم فاعل من (اقتدر)، و(قادر) اسم فاعل من (قدر)، ولا شكّ أن (افتعل) أبلغ من (فعل) "[١].

ومن ذلك تمثيله بقوله تعالى من سورة نوح عليه السلام ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ نوح: ١٠، فجرى في الآية العدول عن صيغة(غافر) لأنّ غفّاراً أبلغ في المغفرة من (غافر) من حيث دلالتها على كثرة صدور الفعل [٢].

وكان ممن ذهب إلى القول بوجود علاقة بين الصوت ومدلوله عباد بن سليمان الصيمري[٣]. فيما نقله عنه السيوطي في مزهره، يقول:

" نقل أهل أصول الفقه عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، قال: وإلا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجِّح، وكان بعض من يرى رأيه يقول: إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها؛ فسئل ما مسمى (اذغاغ) وهو بالفارسية الحجر، فقال: أجد فيه يُبساً شديداً، وأراه الحجر"[٤].

وانكر الجمهور هذه المقالة واستدلوا على مذهبهم بأنه "لو ثبت ما قاله لاهتدى كل إنسان إلى كل لغة، ولما صح وضع اللفظ للضدين؛ كالقرء للحيض والطهر، والجون للأبيض والأسود"[٥].

وعقب السيوطي على هذه المسألة بقوله:

"وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني؛ لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عباداً يراها ذاتيه موجبة، بخلافهم"[٦].

ويؤكد ابن قيم الجوزية بصورة جلية فكرة تحقق المناسبة بين اللفظ والمعنى فيقول:"والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولاً وقصراً، وخفة وثقلاً، وكثرة وقلة، وحركة وسكوناً، وشدة

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ٢٤١).

(٢) المرجع السابق، (٢/ ٢٤١).

(٣) عباد بن سليمان الضمري، من كبار المعتزلة، وكان في أيام المأمون، وهو الذي زعم أن بين اللفظ والمعنى طبيعة مناسبة فردوا عليه ذلك. وكان أبو علي الجبائي يصفه بالحذق، انظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م (٣/ ١٧٩) ترجمة رقم (٤٤٣٩).

(٤) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/ ٤٧).

(٥) المرجع السابق، نفس (١/ ٤٧).

(٦) المرجع السابق، نفس (١/ ٤٧)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وليناً، فإن كان المعنى مفرداً أفردوا لفظه، وإن كان مركباً ركبوا اللفظ، وإن كان طويلاً طوّلوه، كالقَطَنَّط، والعَشَنّق للطويل، فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه، وانظر إلى لفظ (بُحتُر)وما فيه من الضم والاجتماع، لما كان مسماه القصير المجتمع الخلق. وكذلك الحديد والحجر والشدة والقوة ونحوها، تجد في ألفاظها ما يناسب مسمياتها.وكذلك لفظ الدَّوَرَان والنَّزَوان والغَليان وبابه، وفي لفظها من تتابع الحركة ما يدل على تتابع حركة مسماها، وكذلك الدجّال والجرّاح والضرّاب والأفّاك، في تكرر الحرف المضاعف منها ما يدل على تكرار المعنى"[١].

وقد سار علماء اللغة المحدثون على نهج سلفهم في الاهتمام بدراسة هذه المسألة فقد كان الاتجاه الغالب للغويين العرب في أوائل القرن العشرين وما بَعْده هو القول بالصلة الوثيقة بين الصوت والمعنى، فنرى أحمد فارس الشدياق[٢]. يتكلم على العلاقة بين الحرف وما يرمز إليه من معنى، ويتناول الحروف واحداً واحداً منبهاً على المعاني التي يوحي بها كل حرف، وذلك في قوله: (فمن خصائص حرف الدال اللين، والنعومة والغضاضة نحو الفرهد والأملود، والميم القطع والاستئصال والكسر نحو: ازم وحسم وحطم وحلقم وخذم وخرم وخضم)[٣].

ويذهب الشيخ عبدالله العلايلي مذهب الشدياق، بل يغالي في تصوره أن لكل حرف عربي معنى "فالهمزة تدل على الجوفية، والباء تدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً، والجيم تدل على العِظَم مطلقاً، والخاء على المطاوعة والانتشار، والدال على التصلب، والذال على التفرد، والراء على الملكة وشيوع الوصف، والسين على السعة والبسطة، والشين على التفشي بغير نظام، والعين على الخلو الباطن، أو على الخلو مطلقاً. والغين تدل على كمال المعنى في الغؤور، أو الخفاء، والفاء تدل على المعنى الكنائي، والقاف على المفاجأة التي تحدث صوتاً، والميم تدل على الانجماع، والهاء على التلاشي، والواو تدل على الانفعال المؤثر في الظواهر، والياء على الانفعال المؤثر في الباطن"[٤].

---

(١) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، (١/ ١٠٨).

(٢) هو أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق، عالم باللغة والأدب ، ولد في قرية (عشقوت) في لبنان من أبوين مسيحيين مارونيين سمياه (فارساً)، رحل إلى مصر، وإلى مالطة، وتنقل في أوروبا، ثم سافر إلى تونس وبها أسلم. وتسمّى (أحمد فارس)، توفي بالإستانة، ونقل جثمانه إلى لبنان سنة ١٨٨٧م، وله آثار كثيرة منها:

كنز الرغائب في منتخبات الجوائب.

سر الليال في القلب والإبدال، جزءان، وهو في اللغة.

الساق على الساق في ما هو الفارياق، وهو في اللغة وغيرها كثير. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م، (١/ ١٩٣).

(٣) انظر: مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، ص ٢٦٣-٢٣٧.

(٤) علي، أسعد، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، دار النعمان، لبنان، ط١، ١٩٦٨م، ص ٦٣-٦٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما عباس محمود العقاد، فلإيمانه بالدلالة الصوتية الطبيعية للحروف، لم يكتف بما كتبه إليه الشاعر رشيد سليم الخوري من أن "الحاء تكاد تحتكر أشرف المعاني وأقواها: حب، حق، حرية، حياة، حسن، حركة، حكمة، حلم، حزم"[1]. ولا بما لاحظه أحد كبار المحامين وهو نجيب برادة من أن "الحاء أظهر الحروف أثراً في الإيحاء بمعاني السعة؛ حسية كانت أو فكرية، ويعمم الحكم فيسوي بين موقع الحاء في أول الكلمة وموقعها في وسطها أو آخرها"[2].وإنما يرى تنوع معاني (الحاء) ودلالتها على أكثر من معنى حسب موقعها، فهو لم يقنع لها بمعنى واحد، أو بدلالة صوتية ذاتية واحدة، بل أحياناً تؤدي نقيض هذه الدلالة. يقول عن الحاء:

"فالحكاية الصوتية واضحة في الدلالة على السعة حين يلفظ الفم بكلمات: الارتياح، والسماح، والفلاح، والنجاح، والفصاحة، والسجاحة، والفرح، والمرح، الصفح، والفتح... وما جرى مجراها في دلالة نطقة على الراحة... ولكن يجوز أن يكون البدء بهما مقصوداً به عند وضع الكلمات الأولى أن تتبعه الحركة التي تناقض معنى السعة، لتدل على الحجر والتقيد؛ فإن الجيم الساكنة بعد الحاء أشبه شيء بعلامة الإلغاء التي توضع على صورة الرجل الماشي على قدميه، ليستفاد منها أن المشي ممنوع في هذا المكان... وكذلك الباء الساكنة بعد الحاء في اسم (الحبس) فإنها تنفي السعة بعد الإشارة في أول الكلمة"[3].

وخَلُص العقاد بعد الملحوظات التي أوردها إلى النتائج التالية:

أولاً: أن هناك ارتباطاً بين بعض الحروف ودلالة الكلمات.

ثانياً: أن الحروف لا تتساوى في هذه الدلالة، ولكنها تختلف باختلاف قوتها وبروزها في الحكاية الصوتية.

ثالثاً: أن العبرة بموقع الحروف من الكلمة لا بمجرد دخوله في تركيبها.

رابعاً: أن الاستثناء في الدلالة قد يأتي من اختلاف الاعتبار والتقدير، ولا يلزم أن يكون شذوذاً في طبيعة الدلالة الحرفية .

وممن ذهب إلى هذا الرأي العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر –رحمه الله- إذ عرض رأيه في ثلاث مقالات نشرها في جريدة المقتطف تحت عنوان (علم معاني أصوات الحرف، سرٌ من أسرار العربية، نرجو أن تصل إلى حقيقته في السليقة العربية).

وكان مما قاله: "وأنا أريد بقولي (معاني أصوات الحروف)، ما يستطيع أن يحتمله صوت الحرف- لا الحرف نفسه- من المعاني النفسية التي يمكن أنْ تنبض بها موجة اندفاعه من مخرجه من

([1]) العقاد، عباس محمود، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، مصر، ط٣، ص٤٣.

([2]) المرجع السابق، ص ٤٤.

([3]) المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦ .المرجع السابق، ص ٤٨-٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحلق أو اللهاة أو الحنك أو الشفتين أو الخياشيم، وما يتصل بكل هذه من مقومات نعت الحروف المنطوق.

وليست المعاني النفسية -أو العواطف أو الإحساس- هي كل ما يستطيع أن يحتمله صوت الحرف، بل هو يستطيع أن يحتمل أيضاً صوراً عقلية مُعبّرة عن الطبيعة وما فيها من المادة، وما يتصل بذلك من أحداثها أو حركاتها أو أصواتها أو أضوائها أو غير ذلك مما لا يمكن استقصاؤه إلا بعد طول الممارسة لوحي الطبيعة في فطرة الإنسان، وبعد مدارسة اللغة ومفرداتها على أصل دقيق من هذا الباب، والاحتفال في كل ذلك للتدبر والاستقصاء ومداورة اللسان على مخارج الحروف مع حسن التفطن للمعاني الأوّلية التي يمكن اعتمادها أصلاً لمعنى الصوت في حرف حرف من حروف اللسان العربي"[1].

وفي مقالته الثانية[2]. راح يكشف عن المعاني التي تدل عليها حروف العربية مبتدئاً بحروف الحلق وبالهمزة خاصة، وأكمل ذلك في مقاله الثالث[3].

وأما الدكتور صبحي الصالح لشدة إعجابه بصنيع ابن جني الذي أدرك فيه القيمة التعبيرية للحروف العربية فيرى فيه "فتحاً مبيناً في فقه اللغات"[4].

و يؤيد الأستاذ محمد المبارك هذا المذهب باندفاع ويرى في ثقة تامة أنه إن لم يدل الحرف بصوته على المعنى قطعاً، فالصوت يوحي به على الأقل فهو يقول: "ونستطيع أن نقول في غير تردد أن للحرف في اللغة العربية إيحاءً خاصاً فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى يدل دلالة اتجاه وإيحاء، ويثير في النفس جوا يهيء لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحي به"[5].

ويعتبر الأستاذ سيد قطب من أكثر المعاصرين أخذاً بهذا الرأي، واهتماماً به تنظيراً وتطبيقاً.

والمطالع لكتابه التصوير الفني أو كتابه النقد الأدبي يجد مدى اهتمامه بهذا الموضوع[6]. وقد وظف سيد قطب العلاقة بين اللفظ ومدلوله أو الصوت ومعناه في تفسير كتاب الله - عز وجل - والقارئ لتفسيره (الظلال) يدرك هذه الحقيقة.

وذهب فريق آخر من المعاصرين إلى إنكار الصلة بين الصوت ومعناه ومن هؤلاء الدكتور إبراهيم أنيس إذ يقول:

---

(1) جمال، عادل سليمان، جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها وقرأها وقدم لها، عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٧٠٨.

(2) المرجع السابق، ص ٧١٧-٧٢٤.

(3) المرجع السابق، ص٧٢٥-٧٣٤.

(4) الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، ص١٥١.

(5) المبارك، محمد، دراسات في فقه اللغة، وخصائص العربية، ص ٢٦١.

(6) انظر: التصوير الفني ص ٩١، وما بعدها، وكتاب النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق ، ص ٣٨-٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"ولا شك أن الذين ينكرون الصلة بين الأصوات والمدلولات هم أقرب الفريقين إلى فهم الطبيعة اللغوية، فهم الذين يجردون الظواهر اللغوية من كل غموض، ثم يصنع بعد ذلك صنيع (يسبرسن) بذكره الألفاظ التي يلحظ فيها الصلة بين الصوت والمدلول ويردف بعدها قائلاً: والأمور السابقة في مجموعها لا تكفي لتأييد الارتباط بين الأصوات والمدلولات بحيث نؤمن بوثوق الصلة بين الأصوات والمدلولات صلة منطقية عقلية في الذهن الإنساني العام"(١).

ومن هؤلاء الدكتور عبده الراجحي في كتابه (فقه اللغة في الكتب العربية) إذ يقول: "غير أن اقتناع ابن جني بهذا الرأي، وإعجاب الدكتور صبحي الصالح به لا يمنع من التأكيد على أن أهل اللغة بوجه عام، يطبقون على رفضه، ويرون أنه ليست هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله، وليست هناك علاقة بين الرمز والشيء الذي يرمز إليه"(٢).

ولستُ مع الدكتور الراجحي في قوله: (على أن أهل اللغة بوجه عام، يطبقون على رفضه) والدليل على ذلك ما جاء عند السيوطي في مزهره من قوله: "وأما أهل اللغة العربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني"(٣).

فما ذهب إليه الراجحي يناقض قول السيوطي السابق. كما أن في أقوال العلماء الذي أوردنا طرفاً منها ما يؤكد عدم إطباق علماء العربية على رفض المناسبة بين الصوت ومعناه.

ويرى الدكتور محمود فهمي حجازي أن العلاقة بين اللفظ ومدلوله اصطلاحية وليست ذاتية طبيعية. حيث يقول: "إن الرموز اللغوية لا تحمل قيمة ذاتية طبيعية تربطها بمدلولها في الواقع الخارجي، فليست هناك أية علاقة بين كلمة (حصان) ومكونات جسم الحصان، والعلاقة كامنة فقط عند الجماعة الإنسانية التي اصطلحت على استخدام هذه الكلمة اسما لذلك الحيوان، ومعنى هذا أن قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف أي: على ذلك الاتفاق الكائن بين الأطراف التي تستخدمها في التعامل. وهذا معناه أن المؤثر والمتلقي متفقان على استخدام هذه الرموز اللغوية المركبة بقيمها العرفية"(٤).

وتعقيباً على مواقف العلماء المتقدمة فيما يتعلق بهذه المسألة يمكن القول:(٥)

١- إنّ فكرة العلاقة بين الصوت والدلالة لا يمكن إنكارها، وهي في العربية أظهر منها في اللغات الأخرى؛ وذلك لما امتازت به العربية من خصائص أهلتها لأن تكون أفضل اللغات على الإطلاق.

---

(١) انظر: مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، ص ٢٤٢، وانظر: أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٧٧.

(٢) الراجحي، عبده، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م، ص٦٨.

(٣) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، (١/ ٤٧).

(٤) حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م، ص١١.

(٥) انظر: بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص٧٣-٨٠، بتصرف واختصار.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢- استعمل القرآن الكريم قدراً هائلاً من الألفاظ، وقد وضعها في نسيج لغوي بلغ الغاية في الدّقة والإحكام ، وبناءً على هذه الحقيقة ، نتساءل كيف يمكن للقرآن- الذي جمع ضروب الإعجاز – أن يضيق ذرعاً بهذه المسألة، أو أن يعجز عن توظيف الصوت في تحقيق مقاصده؟!

٣- إنّ اللغة نسيج تام، وكلٌ متكامل، وهذا يعني أنه إذا ثبتت المناسبة بين الأصوات ودلالاتها في بعض الألفاظ، فإنّ هذا يعدُّ دليلاً على وجود هذه الظاهرة وصدقها في اللغة، وبالتالي لا يمكن نفيها وإلا كنّا نافين لأمر واقع.

٤- إنّ الألفاظ التي خفي علينا تلمُّس الصلة بين صوتها ومعناها، وجدنا عند علمائنا ما يمكن أن نحلّ به هذا الإشكال ، إذ أعاد علماؤنا سبب خفاء هذه الدلالة علينا لأمور منها:

أ- عدم إمعان النظر في هذه الألفاظ.

ب- وجود أصول وأوائل لهذه اللغة قد تخفى علينا.

ت- وصول علم إلى الأول، لم يصل إلى الآخر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

تناسق الصوت والمعنى في المصادر والأسماء

المبحث الأول: تناسق الصوت والمعنى في المصادر
المبحث الثاني: تناسق الصوت والمعنى في الأسماء

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول:
تناسق الصوت والمعنى في المصادر

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول:
تناسق الصوت والمعنى في المصادر

سيتناول هذا المبحث تناسق الصوت والمعنى في بعض المفردات القرآنية التي هي مصادر(1).

وهي:

١- المفردة القرآنية (رُخَآءً) في قوله تعالى:

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ ص: ٣٦.

يدور أصل هذه المادة على اللين والهشاشة والرقة لذا قيل: الرُّخْوُ، والرِّخْوُ: الهش من كل شيء، والرخاء: سعة العيش. وريح رخاء: طيبة لينة، وفي التنزيل: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصد وأراد، والحرف الرخو: هو الذي يجري فيه الصوت، الا ترى أنك تقول: المسُّ، والرشُّ، والسح، ونحو ذلك، فتجد الصوت جارياً مع السين والشين والحاء.

والحروف الرخوة: ثلاثة عشر حرفاً، وهي: الثاء، الحاء، الخاء، والذال، الزاي، الطاء، الصاد، والضاد، الغين، الفاء، السين، الشين، الهاء(2).

يقول الطبري في معنى هذه الآية الكريمة: يقول تعالى ذكره: استجبنا له دعاءه، فأعطيناه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ يعني رخوة لينة وهي من الرخاوة(3).

وقد وصف الله -عز وجل- هذه الريح مرة بأنها (عاصفة)، ومرة بأنها (رخاء)، ويعود اختلاف وصف الريح التي سخرها الله لسليمان -عليه السلام- إلى اختلاف الأحوال، فإذا أراد الإسراع في السير سارت عاصفة، وإذا أراد اللين سارت رخاء، والمقام قرينة على أن المراد المواتاة لإرادة سليمان كما دل عليه قوله تعالى (تجري بأمره) في الآيتين المشعر باختلاف مقصد سليمان منها كما إذا كان هو راكباً في البحر فإنه يريدها رخاء لئلا تزعجه وإذا صدرت مملكته بضاعة أو اجتلبتها سارت عاصفة وهذا بين بالتأمل(4).

---

(1) والمصدر: هو اللفظ الدال على الحدث، مجردا عن الزمان، متضمنا أحرف فعله لفظا.أو تقديرا أو معوضا مما حذف بغيره ، (الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، .(انظر:الغلاييني،مصطفى، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت،ط٣٠، ١٩٩٥م، (١/ ٢٠٨)،(١/ ١٦٠)

(2) ابن سيده، أبو الحسن، الحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، (رخو)، (٥/ ٢٩٥).

(3) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢١/ ٢٠١).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٦/ ١٢٣).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن هذه المفردة (رخاء) جاءت بأصواتها معبرة أتم تعبير عن طبيعة الريح التي سخرها الله – سبحانه وتعالى- لسليمان –عليه السلام- فهي رياح لينة طيبة لا إزعاج فيها، وبيان ذلك: أن هذه المفردة بنيت من حروف رخوة ولينة ومهموسة، وجميع هذه الصفات دالة على المشاشة والرقة واللين، فالراء حرف رخو، والخاء حرف رخو مهموس، والألف حرف لين وهو منقلب عن واو وهي كذلك حرف لين ومد.

ولما كانت الرخاوة تعني جريان الصوت، والهمس: يعني جريان النفس، فهما بهذا يجسدان جريان الريح لسليمان محدثة صوتاً ندياً رخياً لا إزعاج فيه، يشبه صوت الخاء في رخاوتها وهمسها، ويأتي الألف كذلك بما يتصف به من لين ومد ليصور لنا انسيابية الريح في جريانها، وأنها ذاهبة حيث تؤمر، لا انحراف في مسارها ولا خلل، كما هو المد في الألف.

وتسهم الحركات في هذه المفردة في الكشف عن دلالتها " ففي كلمة (رخاء) جزئيات الحركة المعنية، وتصوير للحدث، وذلك بعيداً عن المعنى، فالصوت هو الذي يوحي الآن، ويرسم الحركة في عملية نطق تحاكي الحدث، فإن الضمة على الراء تعني انضمام الشفتين على حرف ليس من حروف اللين، واستدارة الشفتين تتطلب جهداً، وفي هذا قوة الريح، ثم يأتي الانتقال من الضم إلى الفتح، على حرف حلقي ليدعو إلى تصور بدء سهولة، وتكثر السهولة في مد الألف، فليس هناك انقباض ولا انكماش، بل تدرج من الصعب إلى السهل، مما يمثل طواعية الريح للنبي بأمر الخالق ولا يكون هذا في كلمة سوى (رخاء) "[1].

٣- المفردة القرآنية (جُرُزًا) في قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ الكهف: ٨، ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعًا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ السجدة: ٢٧.

الجيم والراء والزاء أصل واحد، وهو القطع، يقال جَرَزْتُ الشيء قطعته، وأرض جُرُز لا نبت بها، كأنه قطع عنها. وأرض مجروزة من الجرز: وهي التي لم يصبها المطر، ويقال: هي التي أُكِلَ نباتُها من العطش والغيظ[2]، ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ: جرز، ويدل عليه قوله: ﴿فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعًا﴾[3].

فالمعنى أن الأرض التي تسمى جرزاً هي التي كانت تنبت ثم ذهب ما عليها من خير ونعمة، فانقلبت بلقعاً لا نبت فيه.

بنيت هذه المفردة من حروف مجهورة هي الجيم والراء والزاي وهذه الصفة توحي بالقوة والقسوة واليبوسة والجدب، وذلك لأنها تمنع النفس من الخروج.

---

(١) ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص (٣٢-٣٣).

(٢) انظر: ابن فارس، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (جرز)، (١/ ٤٤١).

(٣) انظر:الزمخشري، الكشاف، (٣/ ٥٠١).

ويأتي الزاي بصفيره وأزيز جهره ليصور لنا صفير الريح في هذه الأرض الجدباء اليابسة التي لا حياة فيها، فهي أرض قفار خاوية، ويشارك في رسم ملامح القسوة والجدب لهذه الأرض، حركة الضم المتتابعة على الجيم والراء، والضم أثقل الحركات. وقد عبر سيد قطب عن هذا بعبارة موجزة فقال: "وفي التعبير صرامة، وفي المشهد الذي يرسمه كذلك، وكلمة جرزاً تصور معنى الجدب بجرسها اللفظي، كما أن كلمة صعيداً ترسم مشهد الاستواء والصلادة"[1].

٣- المفردتان (رِجْز) و(رِجْس) :الرجز في مثل قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ سبأ: ٥، وقوله تعالى: ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ ﴾ الأعراف: ١٣٤، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ ﴾ الأعراف: ١٣٥.

ويظهر في أصل الرجز الاضطراب لغة، فتلمس فيه الزلزلة في ارتجاجها، والهدة عند حدوثها، والنازلة في وقوعها، ولما كان القرآن الكريم يفسر بعضه بعضها، فإننا نأنس على هذه المعاني في كل من قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ البقرة: ٥٩، وقوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٢، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ العنكبوت: ٣٤، ونستظهر في الرجز الإرسال والإنزال من السماء بضرس قاطع وأمر كائن باعتباره آخر العلاج بعد التحذير والإنذار.

وبمقارنة لفظ الرجز بمثيله معنى ومبنى (رِجْس)- وهي مكونة كتكوينها في الراء والجيم والسين كالزاي من حروف الصفير شديدة الاحتكاك في مخرج الصوت، ولها ذات الإيقاع على الأذن- نجد المقاطع واحدة عند الانطلاق من أجهزة الصوت، ونجد المعاني متقاربة في الإفادة، فقد قيل للصوت الشديد: رجس ورجز، وبعير رجّاس شديد الهدير، وغمام راجس ورجّاس شديد الرعد.

قال تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾ الأعراف: ٧١، وقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يونس: ١٠٠، كل هذه الاستعمالات متواكبة دلالياً في ترصد العذاب وصبه وإنزاله، وهذا لا يمانع من أن تضاف للرجس جملة من المعاني الأخرى لإرادة الدنس والقذارة ومرض القلوب، وحالات النفس المتقلبة، نرصد ذلك في كل من قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ المائدة: ٩٠،

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٤/ ٢٢٦٠). والصلادة هي الصلابة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، (صلد)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ الحج: ٣٠، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٣، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ التوبة: ١٢٥، فالصوت في المعاني كلها الصوت نفسه، والصدى ذات الصدى[١]، ومن هنا أورد الراغب أن الرجس يقع على أربع أوجه: إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما من جهة الشرع، وإما من كل ذلك، والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر، وقيل: إن ذلك رجس من جهة العقل، وجعل الله تعالى الكافرين رجساً من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء[٢].

وبالإضافة إلى ما سبق يمكن القول: إن هاتين المفردتين وإن كان معناهما متقارباً إلا أن بينهما فرقاً نتلمسه من الاختلاف بين السين والزاي، فالرجس: حدثه خفي مستخف، والرجز: يظهر فيه معنى القوة والقهر، والجلبة، والخزي وهذا التفريق مستفاد من دلالة الهمس في السين وهو الخفاء، ومن دلالة الجهر الذي في الزاي الدال على الإعلان والمجاهرة والقوة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾، والرجس بالكسر وبالسين المهموسة تدل على المآثم المستخفي الذي لا جلبة فيه المؤدي إلى العذاب.

أما حين أراد العليم الخبير الإشارة إلى العذاب الأليم المتأتي عن تدنس النفس بالرجس فقد نقل هذا الحرف المهموس إلى مجهورة وهو الزاي في قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، أي عذاباً من السماء.

وهكذا أوضح الله تعالى في تغير طفيف في بنية اللفظ بفاعلية الاتجاه من الذريعة إلى النتيجة الرادعة[٣]، ومن هذا الاستعمال المذهل للتلوين الصوتي قوله تعالى: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ المدثر: ٥، بضم الراء، وهي أقوى الحركات الصوتية، مع الزاي دلالة على عموم الذرائع المؤدية إلى العذاب، تمثيلاً باللفظ للفعالية النفسية والحركية الشمولية، كما في حركة الضمة في الشفاه[٤].

٤- المفردة القرآنية (بِطَغْوَىٰهَآ) في قوله تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾ الشمس: ١١.

---

(١) الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، (١٧٩-١٨١).

(٢) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (رجس)، ص٢١٢.

(٣) انظر: ظبيان، نشأت، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزة، ص١٥٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح، وهو مجاوزة الحد في العصيان، يقال هو طاغ، وطغى السيل، إذا جاء بماء كثير، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ الحاقة: ١١، يريد- والله أعلم- خروجه عن المقدار، وطغى البحر: هاجت أمواجه، والطغيان والطغوان لغة، والفعل منه طغيت وطغوت[١].

(بطغواها) بفتح الطاء مصدر من الطغيان، قلبت فيه الياء واواً فصلاً بين الاسم والصفة[٢]، وخرج على هذا المخرج لأنه أشكل برؤوس الآي[٣].

ومعنى قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١﴾، أي: أوقعت التكذيب لرسولها بكل ما أتى به عن الله تعالى بسبب ما كان لنفوسهم من وصف الطغيان، وهو مجاوزة القدر وارتفاعه والغلو في الكفر والإسراف في المعاصي والظلم، أو بما توعدوا به من العذاب العاجل وهي الطاغية التي أهلكوا بها[٤].

إن هذه المفردة بإيقاعها الموسيقي، ترسم الطغيان الذي قد بلغ منتهاه، وذلك من خلال تأليف المفردة من ثلاثة مقاطع (طغ- وا- ها) وهي مقاطع تجعل المفردة تملأ الفم عند النطق بها، بالإضافة إلى أن تعدد المقاطع فيها يزيد مدة عرض الصورة[٥].

إن بناء هذه المفردة من حرفي استعلاء هما الطاء والغين، ومن حرفي مد هما الواو والألف ومن الهاء والألف، ترسم صورة مفادها أن هؤلاء القوم قد تجاوزوا الحد في معصيتهم وعنادهم حتى بلغ من أنفسهم مبلغاً عظيماً.

إن ورود هذه المفردة بهذه الصيغة هو الذي يحقق هذا المعنى ويرسم تلك الصورة، ولذا فإنني لست مع الإمام الفراء -رحمه الله- في تعليله لسر إختيار هذا البناء (بِطَغْوَىٰهَآ) دون (بطغيانها) إذ أرجع الأمر إلى مراعاة الفواصل، وهذه هي عبارته إذ يقول:" قوله بطغواها أراد بطغيانها إلا أن الطغوى أشكل لرؤوس الآي، فاختير لذلك"[٦].

لا أنكر أن قوله تعالى: (بِطَغْوَىٰهَآ) يضفي جمالية في الإيقاع الموسيقي لتناسقه مع الفواصل في السورة نفسها، إلا أن الوقوف عند هذا التعليل وحده لا يكفي، وذلك لأنه لو عبر (بطغيانها) مكان (بِطَغْوَىٰهَآ) لما أسهمت المفردة في رسم صورة الطغيان أثناء نطقها كما تسهم به (بطغواها).

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (طغى) (٣/ ٤١٢).

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، (٨/ ٤٧٥).

(٣) انظر: الفراء، معاني القرآن، (٣/ ٢٦٧).

(٤) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٤٤٢).

(٥) انظر: الراغب، عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م، ص٣٨٩.

(٦) الفراء، معاني القرآن، (٣/ ٢٦٧).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد أدرك البقاعي سر اختيار هذا البناء دون الآخر فقال: "اختير التعبير به دون اليائي لقوة الواو، فأفهم أنهم بلغوا النهاية في تكذيبهم، فكانوا على الغاية من سوء تعذيبهم"[1].

٥- المفردة القرآنية (ضَبْحًا) في قوله تعالى:

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ ﴾ العاديات: ١.

الضبح: صوت أنفاس الفرس تشبيهاً بالضباح، وهو صوت الثعلب، وقيل: هو الخفيف العَدْوِ، وقد يقال ذلك للعَدْوِ ، وقيل: الضبح كالضبع، وهو مَدُّ الضبع في العَدْو، وقيل: أصله إحراق العود، شُبِّهَ عَدْوه به كتشبيه بالنار في كثرة حركتها[2].

وهو تصويت جهير عند العَدْو الشديد ليس بصهيل ولا رغاء ولا نباح، ولكنه صوت نَفَس[3]، عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح: أح أح[4].

والضبح مختص بالخيل واستعماله في غيرها مجاز، وعن ابن عباس ليس يضبح من الحيوان غير الخيل والكلاب، واعترض بأن هذه الرواية عنه لا تصح، وبأن العرب استعملته في الإبل والخيل والأسود من الحيات والبوم والأرنب والثعلب، ويجاب بأن استعمالها في غير الخيل مجاز وتوسع[5]، وقيل: أصله للثعلب واستعير للخيل[6].

تصور لنا هذه المفردة القرآنية صوت أنفاس الخيل عند عدوها، فإن المراقب للخيل وهي تعدو يسمع منها هذا الصوت (أحْ أحْ) وهو المعبر عنه بقوله (ضَبْحًا).

تتكون هذه المفردة من مقطعين هما (ضَبْ) و(حَا) وعند نطقنا المقطع الأول نستشعر ضغطاً قوياً على الشفتين ناتج من انطباقهما عند نطق الباء ويبقى الحال كذلك إلى أن تنطق الحنجرة حرف الحاء دون أن يشاركها اللسان في ذلك، وهي تحدث بذلك ما يشبه الضبح أو البح في الحنجرة.

إن تكوُّن المفردة من مقطعين يوحي بهيئة الخيل في عَدْوها. المقطع الأول يصور حركتها وقد أخذت نفساً فكتمته (ضَبْ) ثم تعدو للأمام مطلقة ذلك الهواء من أجوافها (حَا)، وفي هذا تناسق جميل بين حركة العدو وبين حصول الصوت.

فالمفردة فوق أنها تنقل لنا صوت الخيل أثناء عدوها، فهي كذلك تصور لنا بمقطعيها كيف يتم حصول هذا الصوت.

---

[1] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٤٤٢).

[2] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (ضبح)، ص٣٢٧.

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، (٥/ ٥١٣).

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفيحاء،دمشق، دار السلام الرياض،ط١٩٩٤،١م، (٤/ ٧٠١).

[5] اطفيش، محمد بن يوسف، تيسير التفسير للقرآن الكريم، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ١٩٨٩، ١٥/ ٢٩٧-٢٩٨).

[6] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٥٠٩).

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

٦- المفردة القرآنية (قَدْحًا) في قوله تعالى:

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ ﴾ العاديات: ١ – ٢.

القَدْح: ضرب شيء لكي يخرج من بينهما شرر النار، (فالموريات قدحا) الإيراء: إخراج النار، والقَدْح: هو الضرب والصك المعروف، يقال: قَدَحَ فَأَوْرَى: إذا أخرج النار، وقدح فأصلد إذا قدح ولم يخرجها. والمراد بها الخيل أي: فالتي توري النار من صدم حوافرها للحجارة. وتسمى تلك النار نار الحباحب، وهو اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان، فضربوا بها المثل حتى قالوا ذلك لما تقدحه الخيل بحوافرها والإبل بأخفافها[١].

توحي أصوات هذه المفردة (قَدْحًا) بلحظة انبعاث الشرر وتطايره إثر اصطدام حوافر الخيل بالحجارة القاسية في أرض المعركة، ولعل هذه الأصوات نفسها أو بعضها هي التي تنبعث لحظة اشتعال عود الثقاب في ذلك المشهد المتكرر الذي نلحظه في حياتنا اليومية[٢].

تتشكل هذه المفردة من مقطعين كذلك هما (قَدْ/حَا) ويوحي المقطع الأولى بما يشتمل عليه من صوت القاف المجهور والمشدود بالقوة أي بقوة الارتطام والاصطكاك. وتصور القلقلة التي في الدال هيئة ارتطام سنابك الخيل بالحصى والأرض التي تعدو عليها.

وهي صورة سريعة خاطفة كالسرعة في نطق القلقلة، ويأتي المقطع الثاني ليصور لنا ارتفاع الحوافر عن الأرض ويرسم المقطعين معاً صورة لهيئة الخيل عندما تضع حوافرها على الأرض وعندما ترفعها إلى أعلى، مع ما يرافق ذلك من شرر متطاير، وحصى متبعثر، وكأنها صورة ينظر إليها المرء بأم عينه.

٧- المفردة القرآنية (شَهِيقاً) في قوله تعالى:

﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ ﴾ الملك: ٧

الشين والهاء والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على علوّ. من ذلك جبلٌ شاهق، أي عالٍ. ثمَّ اشتُقَّ من ذلك الشهيق: ضدّ الزفير؛ لأن الشهيق ردُّ النَفَس، والزّفير إخراج النَفَس. والأصل في ذلك ما ذكرناه. وقال بعضهم: فلان ذو شاهق، إذ اشتدَّ غضبه. ولعله أن يكون مع ذلك صوت.[٣]

([١]) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، (١٥/ ٤٤٢).

([٢]) بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص٢٥٦.

([٣]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(شهق)،(٣/ ٢٢٢).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقد ذكر بعض المفسرين أن الشهيق لجهنم عند إلقاء الكفار فيها، تشهق إليهم شهقة البغلة للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف.[١] .

ندرك مما سبق أنّ الشهيق صوت يخرج من الجوف- بعد رد النفس إليه- عند تضايق القلب من الحزن الشديد، والكمد الطويل، فهو من أصوات المكروبين الذين يئنون من شدّة الكرب، وهو صوت مكروه السماع.

فكأنه سبحانه وصف النّار بأنّ لها أصواتاً مقطعة تهولُ من سمعها، وتصعق من قرب منها.[٢]

إنّ هذه المفردة ﴿ شَهِيقًا ﴾ تصوّر لنا بحروفها ردّ النّفس إلى الصدر محدثة ذلك الصوت المعبّر عن الغيظ والغضب الذي أصاب جهنّم عند إلقاء الكافرين فيها.

إنّ الشين بهمسها وتفشيها تنقل إلينا احتكاك الهواء أو النفس عند دخوله إلى فم الإنسان باتجاه الجوف. والهاء بما تتصف به من همس وخفاء مع ما يليها من حرف المد (الياء) يصوران لنا ذهاب النفس الداخل إلى أعمق نقطة في الجوف مما يوحي بمدى ذلك الغيظ والغضب الذي يعتري ذلك المكروب.

وأمّا وجود القاف المفخمة بمخرجها المتمثل في أقصى اللسان فيمثل انسداداً وغلقاً وسداً منيعاً أمام خروج النَّفَس مما يؤدي إلى المحباسه في الصدر، مما يزيد في رسم تلك الصورة لذلك المغتاظ فهذه المفردة تحاكي الحدث محاكاة تامّة.

٨- المفردة القرآنية (نَقبًا) في قوله تعالى:

﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ الكهف: ٩٧

النون والقاف والباء أصل صحيح يدل على فتح في شيء[٣]، وكل نقب فتح، وليس كل فتح نقباً[٤]. والنقب في الحائط ونحوه يخلص فيه إلى ما وراءه،وفي الجسد يخلص فيه إلى ما تحته من قلب[٥]، وهو كالثقب في الخشب[٦].

---

(١) انظر: الماوردي، النكت والعيون،(٦/ ٥٣).

(٢) انظر: كواز، محمد كريم، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ص٣٣٣.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (نقب)، (٥/ ٤٦٥).

(٤) انظر: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي.(د.ط.د.ت) ، (٩/ ٣٧٣).

(٥) الخليل، العين، (نقب).

(٦) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (نقب)، ص٥٩٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والنُّقْب والمَنْقَبة: الطريق في الجبل، ونقَّبُوا في البلاد: ساروا. وأصله السير في النقوب: الطرق[1].

والمعنى أي: فما استطاع قوم يأجوج ومأجوج أن يرتفعوا على ظهر السد، أو يَرْقَوا فوقه لملامسته وارتفاعه، وما استطاعوا –أيضاً– أن يحدثوا فيه نقباً أو خرقاً لصلابته ومتانته وثخانته.

إن أصل هذه المفردة يدور على خرق شيء والنفاذ منه، وهذا إنما يكون بكثرة الضرب والطرق لذاك الشيء، وهذه المفردة تنقل لنا بصوت القلقلة – التي تصاحب القاف الساكنة – صوت الفؤوس وهي تنقر وتطرق ذاك الصخر محدثة صوتاً هو أشبه شيء بصوت القلقلة، وإن القاف باستعلائها لتوحي بصلابة وقسوة ذاك الشيء المراد نقبه وهو السد الذي أقامه ذو القرنين سجناً ليأجوج ومأجوج.

٩- المفردة القرآنية (غلظة) ومشتقاتها في القرآن الكريم:

الغلظة ضد الرقة، ويقال: غِلظة وغُلظة، وأصله أن يستعمل في الأجسام لكن قد يستعار للمعاني كالكبير والكثير[2]. والغِلَظ: ضد الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك. غَلُظَ يَغْلُظُ غِلَظاً صار غليظاً، واستغلظ مثله وهو غليظ وغُلاظ، والأنثى غليظة وجمعها غِلاظ[3].

وقد ورد في القرآن في مواضع مختلفة[4]:

١. في أمر النبي ﷺ بالصلابة والتخشين على المنافقين والكافرين: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ التوبة: ٧٣.

٢. في أمر المؤمنين بذلك أيضاً: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ التوبة: ١٢٣.

٣. وفي منع النبي ﷺ عن ذلك مع المؤمنين: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ آل عمران: ١٥٩.

٤. وفي بيان قوة الإسلام وصلابته: ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ الفتح: ٢٩.

٥. وفي قوة الميثاق وإحكام العهد: ﴿وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ النساء: ٢١.

٦. وفي صفة العذاب الذي نجى منه الموحدون: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٥٨﴾ هود: ٥٨.

٧. وفي العذاب الموعود به الكفار: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٥٠﴾ فصلت: ٥٠.

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (نقب)، (٥/ ٤٦٥).

(2) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (غلظ) ص٤٠٧.

(3) ابن منظور، لسان العرب، (غلظ).

(4) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (غلظ)، (٤/ ١٤٦).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٨. وفي صفة الملائكة الموكلين بتعذيب الكافرين: ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ التحريم: ٦.

نفيد مما سبق أن أصل هذه المادة يدور على معنى الخشونة والصلابة والقوة والقسوة سواء كان ذلك في القول أو العمل أو في جميع مناحي الحياة. وإن الحروف التي بنيت منها هذه المادة في جميع تصريفاتها توحي بمعنى الشدة والقوة، فهي قد تشكلت من حرف الغين وهو حرف مستعل ومن اللام وهو حرف منحرف، والانحراف صفة قوة ومن الظاء وهو حرف استعلاء وإطباق.

إلا أن الحرف الذي يصور الشدة والقسوة هو حرف الظاء لاجتماع أكثر صفات القوة فيه، فإن الله طلب من نبيه المصطفى ﷺ أن يكون شديداً في جهاده وقوله على الكافرين والمنافقين، ونهاه أن يتصف بذلك مع المؤمنين كما أمر الله سبحانه المؤمنين أن يظهروا قوتهم وشدتهم وبأسهم على أعدائهم ليكونوا مهابي الجانب، ولما أراد الله سبحانه أن يبين عظم العهد والميثاق بين الزوجين اختار هذا البناء ليبين أن هذا الميثاق مقدس، وانه ليس محلاً للعبث.

وبين الله سبحانه كذلك أنه أعد للكافرين يوم القيامة عذاباً شديداً قاسياً، يقوم عليه ملائكة في خلقهم شدة وقوة وفي تصرفاتهم قسوة وصلابة فلا هوادة ولا ميوعة في هذا العذاب، نسأل الله أن يجنبنا إياه.

١٠- المفردة القرآنية (دَعًّا) في قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ ﴾ الطور: ١٣، وقوله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾ الماعون: ٢.

الدَّعُّ: الدفع الشديد، وأصله أن يقال للعاثر: دع دع، كما يقال له: لَعاً[1]، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ ﴾ الطور: ١٣، ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾[2] الماعون: ٢

والمعنى: أنهم يدفعون إلى النار دفعاً عنيفاً شديداً، قال مقاتل: تغل أيديهم إلى أعناقهم، وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعون إلى جهنم دفعاً على وجوههم[3].

اما قوله: ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾ ففيه ثلاثة أوجه: أحدها: بمعنى: يحقر اليتيم، الثاني: يظلم اليتيم، الثالث: يدفع اليتيم دفعاً شديداً، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ أي يدفعون إليها دفعاً.

---

(١) لعا: كلمة تقال عند العثرة ومعناهما ارْتَفِعْ من العثْرَة. انظر::الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، (لعو)، وابن منظور، لسان العرب، (علل). ومادة(لعا).

(٢) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن (دع) ص١٩٠.

(٣) انظر: الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، ص١٦٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي دفعه اليتيم وجهان: أحدهما: يدفعه عن حقه ويمنعه من ماله ظلماً له وطمعاً فيه. والثاني: يدفعه إبعاداً له وزجراً[1].

استمع إلى جرس الأصوات في لفظتي (يُدَعُّونَ) و(دَعًّا) في الآية تجدهما يصوران المشهد تصويراً دقيقاً. والمشهد كما أراه الآن، تظهر فيه نار جهنم تستعر وتزفر غيظاً وحنقاً على هؤلاء الكفار، وفي الجهة المقابلة، تبدو صورة خزنة جهنم وهم يدفعون أرتالاً من الكفار في ظهورهم دفعاً عنيفاً في جفوة وغلظة، فيصدر هؤلاء أصواتاً من أعماقهم تحكي مشاعر التوجع والتألم ينقلها صوت العين، وهو صوت حلقي رخو مجهور، ذو قيمة تعبيرية واضحة في تصوير الحركات والأصوات العنيفة[2].

يقول سيد قطب: "وهو مشهد عنيف، فالدعُّ: الدفع في الظهور. وهي حركة غليظة تليق بالخائضين اللاعبين، الذين لا يجدون ولا يتنبهون إلى ما يجري حولهم من الأمور، فيساقون سوقاً ويدفعون في ظهورهم دفعاً"[3].

ويقول أيضاً: "ومما يلاحظ هنا أن الدع هو الدفع في الظهور بعنف، وهذا الدفع في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يخرج صوتاً غير إرادي فيه عين ساكنة، هكذا: (أعْ) وهو في جرسه أقرب ما يكون إلى جرس (الدّع)"[4].

إن لفظة (يُدَعُّونَ) بجرسها وإيقاعها، وما في صيغتها من تشديد، وحركة نفسية، وضغط وثقل على النفس والنطق، توحي بهول ذلك اليوم، وبالذلة والخزي والكره المنصبِّ على أهل جهنم، وإن هؤلاء الزبانية الذين يدفعونهم من ظهورهم دفعاً، يضعون أمعاءهم على وشك الاقتلاع والاستئصال، وهم يشعرون بها وكأنها تصعد إلى فوق. وهنا يأتي دور التصوير ليجسم ظلال الصورة الحسية، ويشخص معالمها، حية متحركة: حالة مؤلمة، دفع بشدة وقوة عنيفة من وراء الظهور، وظلال من الذلة والمهانة والمسكنة.

إن اللفظة تنطق بواقع نفوسهم المخزي، وبثقل ذنوبهم وانحرافها عن فطرة الله التي فطر الناس عليها[5]. ومما يزيد في قوة تصوير اللفظة وإيحائها أمران: وجود المفعول المطلق (دَعًّا) وبناء الفعل (يُدَعُّونَ) للمجهول بما يوحي بالرهبة من وجود قوة خفية تدير الأمور وتحركها.

إن هذه المفردة (يُدَعُّونَ) بما تشتمل عليه من حروف مادة (دعَّ) تجانس الدع والدفع، وكأنها حكاية لصوت المدفوع دفعاً شديداً، ولما كان هذان الحرفان بمثابة حكاية الدفع أو المدفوع اشتملت

---

(1) الماوردي، النكت والعيون، (٦/ ٣٥٠-٣٥١).

(2) بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص٢٤١.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٣٩٦).

(4) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص٩٥.

(5) السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن الكريم، نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس،١٩٨٠م،ص١٠٥.

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

عليهما كذلك مادة (دفع)، غير أن دخول الفاء المهموسة الرقيقة في (دفع) خفف من حدة هذا الدفع وشدته، ولما كان (الدعُّ) أقوى من (الدفع) جرساً ومعنى آثرت الآية الكريمة التعبير بالدع دون الدفع[1].

١١- المفردة القرآنية (أَزًّا) في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ مريم: ٨٣.

الهمزة والزاء أصلٌ يدل على التحرك والتحريك والإزعاج[2]، قال تعالى: ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ أي: ترجعهم إرجاع القدر إذا أزت، أي: اشتد غليانها[3]، والأز أيضاً: شدة الصوت، ومنه (أزَّ المرجل أزاً، وأزيزاً) أي: غلا واشتد غليانه حتى سمع له صوت، وفي الحديث[4]: (فكان له أزيز) [5].

والمعنى: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ :ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله ﴿ تَؤُزُّهُمْ ﴾ يقول تحركهم بالإغواء والإضلال، فتزعجهم إلى معاصي الله، وتغريهم بها حتى يواقعوها (أَزًّا) إزعاجاً وإغواء[6].

ذهب الإمام الراغب إلى أن (أزّه) أبلغ من (هَزّه) [7]، وذهب الإمام الزمخشري إلى القول بترادفها فقال: "الأز، والهز، والاستفزاز أخوات، ومعناها التهييج وشدة الإزعاج، أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات"[8].

ولست أتفق مع الإمام الزمخشري فيما ذهب إليه من ترادف المفردتين؛ وذلك لأن النظرة المتدبرة لمواضع استعمال كلا المفردتين في القرآن تظهر لنا أن هناك فرقاً بينهما في المعنى.

فقد استعمل القرآن (هزّ) في قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ مريم: ٢٥، فالله –سبحانه وتعالى- مريم –عليها السلام- عقيب ولادتها أن تحرك جذع النخلة بجذبه نحوها ليتساقط عليها رطباً جنياً، وذلك إكراماً من الله لها، وعليه فإن الهز وإن كان فيه تحريك للشيء إلا أنه أقل عنفاً وشدة من الأزّ، والدليل على ذلك أن مريم –عليها السلام- ولدت لتوها

(١) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٦٥.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (أز) (١/ ١٣).

(٣) الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (أز) ص٢٣.

(٤) أخرجه النسائي في سننه كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة، حديث رقم (١٢١٤)، من حديث عبدالله بن الشخير قال: (أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل).

(٥) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٤/ ٥٢٦).

(٦) الطبري، محمد بن جرير، جامعت البيان عن تأويل آي القرآن، (١٨/ ٢٥١).

(٧) انظر: الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (أز) ص٢٣.

(٨) الزمخشري، الكشاف، (٣/ ٤٠).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بمعجزة، وأراد الله إكرامها بهذا الطعام بأقل عناء، فليس عليها إلا أن تهز جذع النخلة بجذبه إليها فيتساقط عليها رطباً جنياً، فالشدّة والعنف لا يلائمان امرأة حديثة الولادة.

فالمقصود بالهز هنا هو جذب الشيء دون عنف، هذا ما أفهمه من عبارة أبي السعود التي يقول فيها: "وهز الشيء تحريكه إلى الجهات المتقابلة تحريكاً عنيفاً متداركاً، والمراد هنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع"[1].

واستعمل القرآن (ازّ) في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ وكما بينا سابقاً فإن الأز تحريك بعنف وشدة، وهذا يتلاءم مع حرص الشياطين على إضلال الكافرين، فإن إغراء امرئ بالمعاصي وإقناعه بها مما يحتاج إلى جهد وعناء كبيرين.

ومما يدعم الفرق بين المفردتين وينفي الترادف بينهما هو اختلافهما في البنية، فإن التشكيل الصوتي لكلا المفردتين يعطي اختلافاً في الدلالة. وبيان ذلك أن كلاً من الهمزة والهاء من حروف الحلق لكن لاختلاف موضع خروج كل منهما عن الآخر في مدرج الحلق، ولتباينهما في الصفات قوة وضعفاً كانت الهمزة أقوى من الهاء، ولما كان الأمر كذلك فقد استعملت كل مفردة في مكانها الأليق بها وهذا ما أوضحه ابن جني مفرقاً بين المفردتين، فقال:" ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزاً، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك"[2].

وبعد هذا أقول: إن هذه المفردة (أَزًّا) باشتمالها على حرف الزاي المضعف الذي يتصف بالجهر والصفير تصور لنا صوت التحريك والدفع والتحريك، وكأنه أزيز مرجل شديد.

١٣- المفردة القرآنية (كَلٌّ) من قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ النحل: ٧٦.

الكَلُّ الثقيل، والكلُّ العيال، والجمع: كلول، والكَلُّ: من لا ولد له ولا والد، والكل أيضاً: اليتيم، سمي بذلك، لثقله على كافله[3].

([1]) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٥/ ٢٦٢).

([2]) ابن جني، الخصائص، (٢/ ١٤٦).

([3])انظر: ابن منظور، لسان العرب، (كلل).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال أهل المعاني: أصل الكل من الغلظ الذي هو نقيض الحدة، يقال: كَلَّ السكينُ: إذا غلظت شفرته فلم تقطع، وكَلَّ اللسان: إذا غلظ فلم يقدر على الكلام، وكل فلان عن الأمر، إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه، فمعنى ﴿ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾ أي: غليظ وثقيل على مولاه وأهل ولايته[1].

وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تعبد من دونه،فقال تعالى ذكره ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ النحل: ٧٦ يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئاً، ولا ينطق، لأنه إما خشب منحوت، وإما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه، ولا دفع ضر عنه وهو كَلّ على مولاه، يقول: وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته، فكذلك الصنم كَلٌّ على من يعبده، يحتاج أن يحمله، ويضعه ويخدمه، كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء، فهو كَلٌّ على أوليائه من بني أعمامه وغيرهم[2].

هذا أصح الأقوال في الآية وهو الذي لم يذكر كثير من المفسرين غيره ومن ذكر غيره قدمه على الأقوال ثم حكاها بعده[3].

تنهض كلمة (كَلٌّ) وهي صارخة لتوحي عادة بمعنى العالة في أبرز مظاهرها، وقد استعملها القرآن لإضاءة المعنى بما فيها من غلظة وشدة وثقل لهذا الصدى الصوتي الخاص المتولد من احتكاك الكاف وإطباق اللام على اللهاة، وما ينجم عن ذلك من رنة في الذاكرة، وشدة على السمع، فصوت الكاف في العربية – وهو من الحروف التي يلتصق بها أقصى اللسان بالحنك الأعلى فتشبه الإطباق – شديد انفجاري مهموس، وصوت اللام في العربية – وهو من حروف الأسنان واللثة – مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، وقد اجتمع المهموس والمجهور معاً في هذا اللفظ، فإذا علمنا أن المهموس هو الصوت الذي يظل النفس عند النطق به جارياً لا يعوقه شيء، وأن المجهور هو الصوت الذي يمتنع النفَس عن الجريان به عند النطق أدركنا سر اجتماع الكاف المهموسة واللام المجهورة في هذا اللفظ، وما في ذلك من عسر في اللفظ دال على المعنى وغلظته.

وذلك لأنه إذا اجتمع صوت مجهور وآخر مهموس، فقد اجتمع صوتان مختلفان لكل منهما طبيعة خاصة، والجمع بين هذين الصوتين يقتضي عضو النطق أن يعطي كل صوت منهما حقه، وفي ذلك عسر لا يخفى، فإذا تألفت كلمة وقد تجاور فيها صوتان، أحدهما مجهور، والآخر مهموس، فما يزال أحدهما يؤثر في الآخر حتى يصيرا مجهورين معاً، أو مهموسين معاً.

([1])الرازي، مفاتيح الغيب، (٢٠/ ٧٠).

([2])الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٧/ ٢٦٢).

([3]) انظر: ابن القيم الجوزية، التفسير القيم، جمعه، محمد أويس الندوي، وحققه: محمد حامد الفقي، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص٣٣٨-٣٣٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لقد ظل النفَس جارياً مستطيلاً في اللام عند مجاورتها للكاف، وزاد التشديد في استطالتها، لتوحي الكلمة بأبعادها الصوتية: بأن هذا العبد شؤم لا خير معه، وبهيمة لا أمل بإصلاحه، فهو عالة وزيادة: بل هو (كَلٌّ) بكل التفصيلات الصوتية لهذا اللفظ[1].

١٣- المفردة القرآنية (خُوَارٌ) في قوله تعالى:

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٨، وقوله: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾ طه: ٨٨.

اتفقت كلمة اللغويين والمفسرين على أن الخوار هو صوت البقر[2]. وأصل المادة يدل على معنيين هما: الصوت، والثاني: هو الضعف، ومنه الخوّار: للرجل الجبان[3].

والمعنى بالربط بين الآيتين: أن قوم موسى -عليه السلام- اتخذوا من العجل الذي صنعه لهم السامري من حليهم المسروق إلهاً، فنعى الله -سبحانه- عليهم هذا الفعل، ولامهم عليه، وأنه ما كان ينبغي أن يصدر منهم مثله وقد رأوا من آيات الله الدالة على وحدانيته ما يجعلهم ينبذون كل معبود سواه، لكنهم اتخذوا العجل وكانوا ظالمين.

وقد كان هذا العجل جسداً يحدث صوتاً. وقد اختلف المفسرون في كيفية حدوث هذا الصوت على قولين: الأول: أن هذا الصوت صدر منه لأنه انقلب حياً، والثاني: أن هذا الصوت نتيجة لدخول الريح في جوفه وخروجها من فيه[4]، ولكل قول أنصاره.

وقد ضعف أبو حيان القول الأول، فقال: " وهذا ضعيف، أعني كونه لحماً ودماً؛ لأن الآثار وردت بأن موسى برده بالمبارد وألقاه في البحر، ولا يبرد اللحم بل كان يقتل ويقطع، وقال ابن الأنباري: ذكر الجسد دلالة على عدم الروح فيه "[5].

وقال صاحب المنار: " والروايات في حياته لا يصح منها شيء؛ ولذلك وقف الحافظ ابن كثير فلم يرجح أحد القولين على الآخر، وفي تفسير القصة من سورة طه روايات كثيرة من خرافات الإسرائيليات، فيها ضروب من الكذب والضلالات"[6].

---

(١) انظر: الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص١٩١-١٩٢.

(٢) انظر: الخليل، العين، (خور)، والراغب الأصفهاني، معجم مفردات الفاظ القرآن، (خور)، ص١٧٩، والزمخشري، الكشاف، (٢/ ١٥٤).

(٣) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (خور)، (٢/ ٢٢٧).

(٤)انظر: ابن كثير،إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (٢/ ٣٣٠).

(٥)أبو حيان، البحر المحيط، (٤/ ٣٩٠).

(٦) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ(المنار)، دار الفكر، بيروت، ط٢، د. ت، (٩/ ٢٠٢).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

نلحظ من الكلام السابق للغويين والمفسرين أن هذه المفردة (خُوَارٌ) جاءت مجسدة لذلك الصوت الذي يصدر نتيجة لدخول الريح في جوف العجل وخروجها منه، أو مجسدة للصوت الصادر من البقر.

إن هذه المفردة بحروفها وطريقة ترتيبها معبرة تمام التعبير عن ذلك الصوت، فالخاء بمخرجها من الحلق توحي بأول الصوت الصادر من ذلك الحيوان، إذ السامع لذلك الصوت يلحظ ظهور شخير فيه يشبه صوت الخاء المهموسة، وإن صفة الاستعلاء فيها مصورة لضخامة أصوات هذه الحيوانات والذي أصبح من خصائصها، والواو والألف اللينة بعدها (وا) تمثل امتداد الصوت الصادر إلى أعلى ولمدة زمنية طويلة نسبياً، وتمثل الراء نهاية الصوت وقراره.

فمن تسنى له الاستماع لهذا الصوت يدرك وبسهولة أنه لا توجد كلمة معبرة عنه أفضل من (خوار)، فإن فيها محاكاة للحدث بحروفها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني:
تناسق الصوت والمعنى في الأسماء

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني:
تناسق الصوت والمعنى في الأسماء

سيتناول هذا المبحث تناسق الصوت والمعنى في بعض المفردات القرآنية التي هي أسماء[1]. وليست مصادرا وهي:

١- المفردات القرآنية (خَمْطٍ وَأَثْلٍ ، سِدْرٍ) في قوله تعالى:

﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾ سبأ: ١٦

الخمط: كل شجر له شوك وثمرته كريهة الطعم بمرارة أو حمضة أو نحوه، ومنه تخمط اللبن إذا تغير طعمه، يقال: للحامضة خمطة[٢].

والأثل: نوع من الطرفاء[٣] ولا يكون عليه ثمرة إلا في بعض الأوقات، يكون عليه شيء كالعفص[٤] أو أصغر منه في طعمه وطبعه[٥]، وللأثل أصول غليظة يتخذ منه الأبواب، وورقه كورق الطرفاء، الواحدة أثلة والجمع أثلات، وقال الحسن: الأثل: الخشب.

والسدر من الشجر سدران: بري لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول وله ثمر عفص لا يؤكل، وهو الذي يسمى الضال. والثاني سدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول يشبه شجر العناب، وقال فيه: قليل؛ لأنه كان أحسن أشجارهم فقلّله الله[٦].

وبذا يكون قد نبت محل تلك الأشجار الخضراء المثمرة، أشجار صحراوية غليظة ليست ذات قيمة، والتي قد يكون السدر أهمها، وهذا أيضاً كان نادراً بينها، ولك أن تتخيل أيّ بلاء حَلَّ بهؤلاء وبأرضهم؟!

ولعل ذكر هذه الأنواع الثلاثة من الأشجار التي بقيت في تلك الأرض المدمرة إشارة إلى ثلاثة أمور: أحدها: قبيح المنظر، والثاني: لا نفع فيه، والثالث: له منفعة قليلة جداً[٧].

---

(١) الاسم ما دل على ذات الشيء وحقيقته، وهو موضوع لتحل عليه الصفة كرجل وبحر وعلم وجهل.(الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية،١/ ٩٧.

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤/ ٤١٤).

(٣) الطرفاء: نوع من الشجر، يشبه ورقه ورق السرو، وهو أربعة أصناف منها الأثل، انظر: المرتضى الزبيدي، تاج العروس (طرف).

(٤) العفص: ليس من نبات أرض العرب، وهو حمل شجرة البلوط، تحمل سنة بلوطاً، وسنة عفصاً، وطعام عفص: بشع، (انظر: ابن منظور، لسان العرب، (عفص).

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، (٢٥/ ٢١٨).

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٤/ ١٨٤).

(٧) الشيرازي، نصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل(١٣/ ٢٧٦).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فالمقصود من الآية الكريمة بيان أن الجحود والبطر، يؤديان إلى الخراب والدمار، وإلى زوال النعم وتحويلها إلى نقم، ولذا جاء التعقيب بعد هذه الآية بقوله -تعالى- ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ سبأ: ١٧ أي: ذلك الذي فعلناه بهم من تبديل جنتيهم، بجنتين ذواتي أكل خمط هو الجزاء العادل لهم بسبب جحودهم وترفهم وفسوقهم عن أمرنا[1].

إن هذه المفردات المذكورة في الآية الكريمة يشعر بناؤها الصوتي بالاشمئزاز والنفور والتقزز، وهذا مما يمكن أن ندركه قبل أن نطلع على دلالتها اللغوية، فإذا ما أدركنا معناها اللغوي أضاف ذلك مع بنائها الصوتي مزيداً من التقزز والكراهية لهذا الشيء المذكور، ولا أظن أحداً يسمعها أو يقرؤها إلا أحس بهذا الشعور، وأن هذه المذكورات ما هي إلا شيء من الأشياء القبيحة المستكرهة. فعندما ننطق كلمة (خَمْطٍ) ونقف على الميم الساكنة بانطباق الشفتين وما يتبعه من انحباس نفس معها يوحي بعدم الاستساغة لهذا الشيء الكريه البغيض ثم تأتي الطاء المنونة بتنوين الكسر لتشعر برمي ذلك الشيء وطرحه بعيداً.

كما توحي هيئة نطق الثاء الساكنة في (وَأَثْلٍ) بوضع اللسان ملاصقاً للثنايا العليا بأن هذا الشيء قد أصاب اللسان بنوع ألم، مما يدعوه إلى أن ينفخ عليه ليزول ذلك الألم، ومما يزيد هذا المعنى وضوحاً اللام بمخرجه فاللام تضع اللسان في مخرجه، بحركة خفيفة كأنه يتلوى ويحترق، كما يشعر الهمس الذي في الثاء بتفاهة هذا الشيء وسخافته، وأنه لا يستحق أن يذكر، أو أن يلتفت إليه.

وأما (سِدْرٍ) لما لم تكن غرابتها وخشونتها كأختيها ولما كان فيها شيء من نفع، جاء بأوصاف لما توحي بما أوحت به المفردتان الأخريان.

قال: ﴿ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ فجاء بكلمة شيء نكرة، ووصف السدر بأنه قليل، وبذلك تكون الصورة قد اكتملت في بيان سوء ما أصابهم، وذهاب النعم عنهم واستبدالها بما لا ينفع.وهنا نلحظ كيف أن القرآن الكريم قد وظف هذه المفردات بخشونتها وغرابتها لترسم لنا صورة لسوء حال ما أصاب هؤلاء الكافرين.

٣- المفردة القرآنية (ضَرِيعٍ) في قوله تعالى:

﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ ﴾ الغاشية: ٦.

قال الراغب: وأما قوله: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ ﴾ الغاشية: ٦ فقيل: هو يبيس الشبرق، وقيل: نبات أحمر منتن الريح يرمى به البحر، وكيفما كان فإشارة إلى شيء منكر[2].

---

(١) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨م،(١١/ ٢٨١).

(٢) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (ضرع) ص٣٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي معنى قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ أقوال منها:

١. أنه نبت ذو شوك لا طيء بالأرض، وتسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموه ضريعاً.
٢. أنه شجر من نار.
٣. أنه من الدنيا: الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار.
٤. أنه طعام يضرعون إلى الله تعالى منه[1].

والمعنى: أن طعامهم من شيء ليس من طعام الإنس، وإنما هو شوك، والشوك مما ترعاه الإبل وتتولع به، وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه، ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه: وهما إماطة الجوع، وإفادة القوة والسمن في البدن، أو أريد: أن لا طعام لهم أصلاً؛ لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الإنس، لأن الطعام ما أشبع أو أسمن، وهو منهما بمعزل كما تقول: ليس لفلان ظل إلا الشمس، تريد نفي الظل على التوكيد.

وقيل: قالت كفار قريش: إن الضريع لتسمن عليه إبلنا فنزلت (لا يسمن) فلا يخلو إما أن يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر، فيرد قولهم بنفي السمن والشبع. وإما أن يصدقوا فيكون المعنى: أن طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم، إنما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع[2].

وسواء أكان معنى الضريع في المعجم أنه نبات شوكي أم غير ذلك من المعاني التي نسبت إلى اللفظ، فإن المهم هنا هو الكشف عن إيحاءات حكاية الأصوات للمعاني، والذي توحي به أصوات لفظ ضريع أن في هذا الطعام ذلاً يؤدي إلى تضرع منهم إلى الله أن يعفيهم منه فلا هو مسمن ولا مغن من جوع فهو في النهاية لا يساوي بذل الجهد في أكله[3].

إن مجرد نطق هذه المفردة (ضريع) مراعىً فيها إحكام التلاوة يصور ويجسد هيئة المتقزز الكاره لشيء ما فحرف الضاد فيه الاستطالة فهو يعبر عن الحالة، إذ حركة اللسان عندما يرتفع إلى أعلى حالاته حتى مؤخرته ، ثم اندفاعه إلى الأمام ثم الانتقال إلى الراء مشعر باشتراك الفم كله في النطق بهذه الصورة والتأذي كما هو حال من يأكل الشوك وكل جزء منه يتأذى[4]، ثم إن كسرة الراء مع مَدِّ الياء للوصول إلى العين يرسم لك تلك الصورة الكريهة.

وإن ختم المفردة بحرف العين الحلقي يشعر بوجود غصة في الحلق، تدفع إلى التقيؤ وكراهة هذا الطعام، وهذه المفردة جاءت مناسبة لسياقها المتحدث عن مصير أولئك المجرمين الخارجين عن أمر الله الغارقين في شهواتهم وملذاتهم فكان أن عاقبهم الله بطعام سيء كريه لا فائدة فيه.

---

(1). ابن الجوزي ، زاد المسير ، ٩/ ٩٦-٩٧

(2) الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٧٣٦).

(3) انظر: حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، (١/ ٢١٢).

(4)هذا مما أفادني به مشكوراً الدكتور عبدالله الحبوشي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤- المفردة القرآنية (مَوَاخِـرَ) في قوله تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

النحل: ١٤، وقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فاطر: ١٢.

قال الزمخشري في أساس البلاغة: فُلْكٌ مواخر، تَمْخُر الماء: تشقه مع صوت، ونشات بنات مَخْر: وهي سحاب الصيف تمخر الجو مخراً، واستمخرت الريح: استقبلتها بأنفي، وخرجت من فيه مخرة خبيثة: وهي الريح الخارجة من الجوف[١].

وأصل هذه المادة يدل على شق وفتح كما قال ابن فارس[٢]، ومواخر جمع ماخرة، ويقال للسفن: بنات مَخْر وبَخْر بالميم، والباء بدل منها. وقال الفراء: هو صوت جري الفلك، وقيل: صوت شدة هبوب الريح[٣].

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾ أي: وترى السفن في كل تلك البحار مواخر تمخر الماء بصدورها، وذلك عندما تشق أمواج البحر محدثة ذلك الصوت الناتج من التقاء السفن بالماء، وفي ذلك لفتة إلى متاع الرؤية وروعتها: رؤية الفلك مواخر تشق الماء وتفرق العباب، ولجد أنفسنا هنا مبهورين أمام التوجيه القرآني العالي إلى الجمال في مظاهر الكون، بجانب الضرورة والحاجة، لنتملى هذا الجمال ونستمتع به، ولا نحبس أنفسنا داخل حدود الضرورات والحاجات[٤].

ونلحظ أن صوت الخاء في قوله: (مَوَاخِـرَ) يحمل إلى أذن السامع صوت البواخر وهي تمخر عباب الماء، وتشق أمواج الماء، أملاً في الخير وابتغاء للرزق[٥]، كما يسهم المد في الألف (موا) مع الخاء في تصوير عظم هذه السفن، وإظهار قوة صوت هذه السفن عند خرقها لأمواج الماء.

وإن صفتي الهمس (الاحتكاك) والاستعلاء اللتين في (الخاء) لتوحيان باحتكاك السفن بالماء منتجة ذلك الصوت.

---

(١) الزمخشري،أبو القاسم محمكود بن عمر، أساس البلاغة، قدم له وعلق عليه، محمد أحمد القاسم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، (مخر)، ص ٤١٩.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (مخر)، (٥/ ٣٠٣).

(٣) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٤/ ٣١٧).

(٤) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٤/ ٢١٦٣).

(٥) لاشين، عبد الفتاح، من أسرار التعبير في القرآن، (حروف القرآن)، ص٤٥، انظر: بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، ص٦٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٤- المفردة القرآنية (شُوَاظٌ):

من قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾ الرحمن: ٣٥ اتفقت كلمة اللغويين والمفسرين على أن المقصود بالشواظ هو لهب النار الذي لا دخان فيه، وذلك لأنه قَدْ تمَّ اشتعاله فصار أشد إحراقاً.[١]

وقد بين البقاعي -رحمه الله- شيئاً من خصائص هذا اللهب مشيراً إلى البعد الصوتي الذي توحي به هذه المفردة (شواظ) فقال: " شواظ: أي: لهب عظيم منتشر مع التضايق محيط بكم من كل جانب، له صوت شديد كَهيئةِ ذي الخلق الضيق الشديد النفس"[٢].

وقال: "أي: دخان هو في غاية الفظاعة فيه شرر متطاير" [٣]، وتعقيباً على ما ذكره البقاعي يمكن القول: بأنَّ البقاعي استوحى هذه المعاني من أصوات المفردة التي تكونت منها، فالشين بتفشيها توحي بالانتشار أي: انتشار اللهب وتطايره كما يوحي صوتها كذلك بصوت اشتعال النار وحرقها للأشياء.

وتوحي (الظاء) التي في نهاية المفردة بما فيها من استعلاء وإطباق وجهر بالغلظة والغيظ الصادريْن من النار تجاه العاصين. والمعاني السابقة هي ما عبر عنه البقاعي بقوله: (لهب عظيم منتشر مع التضايق).

والذي أوضح هذا المعنى تشبيهه هيئة النار وما تصدره من صوت وما يعتريها من غيظ بهيئة الرجل الضيق المغتاظ الذي يتنفس بصعوبة.

وعليه: فإن الشين والظاء في شواظ تنقلان للسامع صورة النار مغتاظة مهتاجة غاضبة تكاد تنقضُ على الكافر المعرض عن دين الله.[٤]

٥- المفردة القرآنية (زقوم) في قوله تعالى:

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ ﴾ الصافات: ٦٢، ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ ﴾ الدخان: ٤٣، ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الواقعة: ٥٢.

الزاء والقاف والميم أصيل يدل على جنس من الأكل، قال الخليل: الزَّقْم: الفعل، من أكل الزَّقُّوم، والإزدقام: الابتلاع، وذكر ابن دريد أن بعض العرب يقول: تُزَقَّمَ فلان اللبن، إذا أفرط في شربه[٥].

---

(١) انظر: الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (شوظ)، ص٣٠٣، وانظر:: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٣/ ٤٥).

(٢)البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٧/ ٣٨٩).

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٤) انظر: بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، ص٦٩.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (زقم) (٣/ ١٦).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وزاد الراغب فقال: وهو عبارة عن أطعمة كريهة في النار، ومنه استعير: زَقَم فلان وتَزقَّم، إذا ابتلع شيئاً كريهاً[1].

وقد ذكر أهل التفسير شيئاً من أوصاف شجرة الزقوم مستوحين ذلك من القرآن، فقد ذكروا أنها شجرة في غاية النتن والمرارة تنبت في الجحيم، ومنظرها كريه كأنه رؤوس الشياطين، يجد الآكل منها مشقة وكرهاً شديدين، وغصة وعذاباً اليماً. فقد جمع في هذه الشجرة الملعونة الطعم السيء والمنظر الكريه.

وقيل: هو شجر من أخبث الشجر يكون بتهامة وبالبلاد الجدبة المجاورة للصحراء، كريهة الرائحة، صغيرة الورق، مسمومة ذات لبن إذا أصاب جلد الإنسان تورم ومات منه في الغالب[2].

والمختار من بين هذه الأقوال: أن شجرة الزقوم لا تشبه أشجار الدنيا أبداً، ولهذا السبب فإنها تنمو في النار، وطبيعي أننا لا ندرك هذه الأمور المتعلقة بالعالم الآخر إلا على شكل أشباح وتصورات ذهنية. يقول صاحب الظلال: "ولا يدري أحد ما شجرة الزقوم إلا ما وصفها الله به في سورة أخرى من أن طلعها كرؤوس الشياطين، ورؤوس الشياطين لم يرها أحد ولكنها تلقي في الحس ما تلقيه. على أن لفظ الزقوم نفسه يصور بجرسه ملمساً خشناً شائكاً مدبباً يشوك الأكف -بله الحلوق- وذلك في مقابل السدر المخضود والطلح المنضود، ومع أن الزقوم كرؤوس الشياطين، فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون، فالجوع طاغ والمحنة غالبة. وإن الشوك الخشن ليدفع إلى الماء لتسليك الحلوق وري البطون، وإنهم لشاربون ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴾ الواقعة: ٥٤ الساخن الذي لا يبرد غلة ولا يروي ظمأ"[3].

لقد اختار السياق في هذا المقام ضرباً من الشجر المقيت، وله تسمية توافق طبيعته، فهو الزقوم الذي ينبت في الجحيم ولا يستسيغه الأثيم، بل هو وبال عليه، وإن الإيقاع الذي تحدثه لفظة (زقوم) وهي تقف في عمق الحنجرة، تحمل جرس الزقزقة تنتهي بمد وسكون في الميم، والميم من حروف الشفة، وذلك إيحاء بعدم استساغة النفس لهضمها، ولكنها من شدة الجوع تملأ به بطونها، لتقاسي الشدائد، ولتعيش حياة حرقة الجوع ووخز الزقوم، ويعمق معنى الزقوم هذا الإيقاع. كما أن هناك تقارباً في الجرس بين هذا النوع من الأكل وبين (زقو) الذي يدل على صوت من الأصوات، فالزُقْو مصدر زقا الديك يزقو، ويقال: إن كل صائح زاق[4].

---

(1) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات الفاظ القرآن، (زقم)، ص٢٣٨.

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٢/ ١٢٢).

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٤٦٥).

(4) انظر: السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص٢٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن الشدة والقسوة التي يحملها بناء هذه المفردة عند نطقها يعود إلى قوة القاف ذاك الحرف المجهور الشديد، خاصة أنه مدغم في هذه المفردة، وإلى الوقوف على الميم الذي تنطبق عنده الشفتان انطباقاً تاماً مما يؤدي إلى حبس الهواء حبساً تاماً في الفم.

وهذا الحبس يلائم اختناق آكل الزقوم، وانسداد حلقومه وتجرعه الويل لاستساغته وأنى له ذلك، كما يلائم القاف معالجة اللقمة غير السائغة بشدته وتكرره بالإدغام[1].

٦- المفردة القرآنية (غِسۡلِينٖ) في قوله تعالى:

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ۝٣٦﴾ الحاقة: ٣٦.

الغين والسين واللام أصل صحيح يدل على تطهير الشيء وتنقيته. يقال: غسلت الشيء غسلاً. والغُسْل الاسم. والغَسُول ما يغسل به الرأس[2]، والغِسْلين فِعْلِين من الغسالة، فنونه وياؤه زائدتان[3].

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ۝٣٦﴾ الحاقة: ٣٦، فيه أربعة أقاويل:

أحدها: إنه غسالة أطرافهم. الثاني: أنه صديد أهل النار. الثالث: أنه شجرة في النار هي أخبث طعامهم. الرابع: أنه الحار الذي قد اشتد نضجه[4].

يوحي لفظ (غسلين) بأن هذا الطعام (غسالة) لشيء آخر، وأنه غير مستساغ بسبب ما في مخرج الغين من التأخر في مكان الغرغرة التي تكون عن إرادة تنظيف الحلقوم، كما أن الغين صوت يستعمل عند إرادة التعبير عن التقزز[5].

ومما يزيد من صورة التقزز التي يوحي بها هذا الحرف الغين هيئة الفم وصورته عند نطق هذه المفردة، فإن التالي لهذه المفردة خافضاً الغين وواقفاً على السين ماداً شفتيه بالعرض ثم خافضاً للام مع ما يتبعها من حرف المد وما يترتب عليه من خفض للحنك الأسفل ثم نطق النون يرسم على فمه صورة للمتقزز أو غير المستسيغ لأمر يكرهه.

٧- المفردة القرآنية (يَٰوَيۡلَتَىٰٓ) في قوله تعالى:

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾ المائدة: ٣، و ﴿قَالَتۡ

---

(1) انظر: ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص٢٢٦.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (غسل)،(٤/ ٤٢٤).

(3) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٣/ ٥٩١).

(4) الماوردي، النكت والعيون، (٦/ ٨٥).

(5) حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، (١/ ٢٠٩).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾ هود: ٧٢، و﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ ﴾ الفرقان: ٢٧ - ٢٨.

(يَٰوَيۡلَتَىٰ) كلمة جزع وتحسر. وهي: من صيغ الاستغاثة المستعملة في التعجب، وأصله يا لويلتي، فعوضت الألف عن لام الاستغاثة نحو قولهم: يا عجباً، ويجوز أن يجعل الألف عوضاً عن ياء المتكلم، وهي لغة، ويكون النداء مجازاً بتنزيل الويلة منزلة ما ينادى، كقوله: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ الزمر: ٥٦[1].

إن هذه المفردة بانتهائها بمد التاء المفتوحة بالألف تحاكي تماماً صوت العويل لمن يصرخ ويندب، وكذلك كل حروف الندبة إنما تحاكي صوت النادب وفعله سواء بسواء.

ومنها ياء الندبة في هذه المفردة (يَٰوَيۡلَتَىٰ) وأخواتها في القرآن كـ(يَٰحَسۡرَتَىٰ) و(يَٰٓأَسَفَىٰ)، ففي هذه المفردة توحي الحروف بهيئة الندب والعويل؛ وذلك أن هذه المفردة تنقسم إلى ثلاثة مقاطع هي: (وَيْ/ لَ/ تا) والمقطع الأول يصور هيئة المتعجب المتفاجىء من هول المصيبة.

والمقطع الثاني اللام توحي بالولولة وكثرة التحسر وبعظم المصاب، ويأتي المقطع الثالث (تا) ليشكل نفثة وزفرة تنبعث من داخل الإنسان تعبيراً عن ضيقه وحسرته وحزنه مع ما يرافق هذه الزفرة من علو صوت وبكاء طويل يمثله الألف بانطلاقه عالياً.

إن هذه المفردة بحروفها وهيئتها تنقل لك مشهداً كاملاً لذلك الإنسان المتحسر، يقول سيد قطب -رحمه الله-:

"فهذا الندم الطويل، والتذكر لما مضى، مصحوباً بالنغمة الطويلة الممطوطة، والموسيقى المتموجة المديدة، يخيل إليك الطول، ولو أن اللفظ نسبياً قليل،وإطالة موقف الندم تتسق مع التأثير الوجداني المطلوب"[2].

٨- المفردتان القرآنيتان (جَوۡفِهِۦ) و(بَطۡنِي) في قوله تعالى:

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤ ﴾ الأحزاب: ٤، وفي قوله: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ ﴾ آل عمران: ٣٥

---

(1) انظر:: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٦/ ١٧٣).

(2) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص١٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أساس القضية هنا أن بعض الألفاظ أحق من مرادفتها في أن تقع في جملة من الجمل، والظن أن ذلك مرتبط في بعض نواحيه بجهة من جهات الانسجام الصوتي بين مفردات السياق.

وقد أعاد ابن الأثير سر إدراك وضع كل كلمة موضعها في هاتين الآيتين إلى معيار الذوق، فهو الذي يقبل ويرفض، ورأي ابن الأثير هذا لا يسعفنا ببيان شاف لمصدر هذا الإيثار والإنكار، يقول في هذا الشأن: "ومن الذي يؤتيه الله فطرة ناصعة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار حتى ينظر إلى أسرار ما يستعمله من الألفاظ فيضعها في موضعها، ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحدة وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره.فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ فاستعمل الجوف في الأولى والبطن في الثانية، ولم يستعمل الجوف موضع البطن، ولا البطن موضع الجوف، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عدد واحد، ووزنهما واحد أيضاً، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف يفعل؟"[١].

ويبدو أن الأمر هنا يعود إلى الدلالة الإيحائية لكل من اللفظتين، ذلك أن مادة كل منهما تختلف عن مادة اللفظة الأخرى، فمادة الجوف توحي بالضمور والخلو والانحسار والعمق، وخاصة بما يرسمه الجيم وبعده الواو الساكن ثم الفاء من دلالة إيحائية، على عكس مادة البطن التي توحي بالنتوء والبروز والانكشاف، وهي أنسب للحامل من مادة الجوف، فالجنين المكنى عنه بقوله تعالى على لسان مريم -عليها السلام- (ما في بطني) يناسبه كثيراً النتوء والبروز والانكشاف، مثلما هي حال الحامل، ويناسبه تبعاً لذلك لفظ (بطن) دون (جوف)[٢].

إن الضمور والانحسار والعمق الذي توحي به كلمة (جَوْفِهِ) نستشعره من بناء أصواتها فالجيم بسبب مخرجه الكائن في وسط اللسان مع ارتفاع نحو الحنك الأعلى يحدث انحساراً للخلاء الكائن بين اللسان والحنك. وتأتي الواو اللينة لتوحي بالعمق إذ مخرجها من الجوف، كما يرسم نطقها هيئة لنفق طويل ممتد، ويأتي الفاء ليصور لنا بمخرجه وهيئة نطقه حيث تنعطف الشفة السفلى إلى الداخل هيئة الانحسار والضمور وعدم الامتداد والبروز.

أما المفردة الأخرى (بَطْنِي) فإنها تشعر بأصواتها بهيئة البروز والانكشاف والظهور، فالباء حرف مخرجه من الشفة وهي مكان بارز في جسم الإنسان، ويأتي الطاء باستعلاء وإطباقه ليوحي بمعنى العلو المقتضي للظهور والبروز كما هو حال بطن الحامل في بروزه وظهوره، كما أن نطق الطاء الساكنة

---

(١) ابن الأثير، المثل السائر، (١/ ١٤٣).

(٢) انظر: ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص٢٨٩-٢٩٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في هذه المفردة يرسم على الشفتين كذلك هيئة النتوء والظهور، إذ تمتد الشفتان قليلاً عن نطق الطاء ساكنة.

٩- المفردة القرآنية (تَسْنِيمٍ) من قوله تعالى:

﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ المطففين: ٢٧.

يقول تعالى ذكره: ومزاج هذا الرحيق من تسنيم، والتسنيم: التفعيل من قول القائل: سنَّمتهم العين تسنيماً: إذا أجريتها عليهم من فوقهم، فكان معناه في هذا الموضع: ومزاجه من ماء ينزل عليهم من فوقهم فينحدر عليهم[1].

وسميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنّمه إذا رفعه: إما لأنها أرفع شراب في الجنة، وإما لأنها تأتيهم من فوق، على ما روي أنها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم[2].

إن أول انطباع تتركه هذه المفردة عند قراءتها أو سماعها تلك الصلة التي بينها وبين لفظ (نسيم)، فإن الفرق بينهما لا يعدو أن يكون قلباً مكانياً لصوتي السين والنون، ولا شك أن النسيم ألطف ما يجري به الهواء لما فيه من الرقة والرطوبة والإنعاش الذي ينشأ منهما، وإذا كان الأمر كذلك فما أجمل أن يخرج شراب أهل الجنة من ماء هذه العين لأن ماءها يقوم بين أنواع الماء مقام النسيم بين حالات الهواء[3].

وإن ماء هذه العين من الرقة والخفة والعذوبة بحيث يستطيع الهواء حمله إلى أواني المخلصين من أهل الجنة، وقد بنيت هذه المفردة من حروف رقيقة مستفلة سهلة في مخرجها ونطقها، فالتاء والسين حرفان مهموسان يجري معهما النفس إيحاء بجريان الهواء بهذا الماء العذب.

ويأتي المقطع (نيم) المشتمل على النون والميم بما فيهما من الغنة ليوحي بالتلذذ والسعادة، خاصة عند انطباق الشفتين عند نطقها (الميم). فهذه المفردة بحروفها وأصواتها جاءت معبرة عن النعيم الذي سيصيب أهل الجنة، فهو نعيم رقيق لا عناء فيه.

١٠- المفردة القرآنية (قَمْطَرِيراً) في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ الإنسان: ١٠

(القمطرير) : الشديد، وهذا مما زيدت فيه الراء وكرّرت تأكيداً للمعنى، والأصل قَمَط ، ومعناها الجمع، ومنه قولهم: بعير قِمَطرٌ: مجتمع الخَلقِ.[4]

([1]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، (٢٤/ ٢٩٩).

([2]) انظر: الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٧١٠).

([3]) انظر: حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، (١/ ٢١١-٢١٢).

([4]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(قمطر)(٥/ ١١٧).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمعنى في هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى ذكره يقول مخبرا عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم أنهم يقولون لمن أطعموه من أهل الفاقة والحاجة: ما نطعمكم طعاما نطلب منكم عوضا على إطعامنا إياكم جزاء ولا شكورا، ولكنا نطعمكم رجاء منا أن يؤمننا ربنا من عقوبته في يوم شديد هوله، عظيم أمره، تعبس فيه الوجوه من شدّة مكارهه، ويطول بلاء أهله، ويشتدّ. والقمطرير: هو الشديد، يقال: هو يوم قمطرير، أو يوم قماطر، ويوم عصيب. وعصبصب، وقد اقمطرّ اليوم يقمطرّ اقمطرارا، وذلك أشدّ الأيام وأطوله في البلاء والشدّة.[1]

وقف الدكتور أحمد أحمد بدوي أمام هذه المفردة القرآنية مبيناً أنّ الشدّة التي في اللفظ إنما هي نتيجة لوجود حرف الطاء باستعلائه وإطباقه وجهارته يقول: " تجد كلمة العبوس قد استعملت أدقّ استعمال، لبيان نظرة الكافرين إلى ذلك اليوم، فإنهم يجدونه عابساً مكفهراً، وما أشدّ اسوداد اليوم، يفقد فيه المرء الأمل والرجاء، وكلمة ﴿ قَمۡطَرِيرٗا ﴾بثقل طائها مشعرة بثقل هذا اليوم ".[2]

ونضيف إلى ما ذكره الدكتور بدوي أن قوّة التعبير في هذه المفردة ناتج أو مستمد من أمور أخرى إلى جانب ثقل الطاء التي ذكرها.

فإنّ مجاورة الطاء للميم الساكنة وللرائين يوحي بهذا الثقل أيضاً.[3]

إنّ وجود القاف المستعلية المجهورة الشديدة في أول المفردة يوحي كذلك بالشدّة والثقل، وإنّ الميم الساكنة التي تنطق بانطباق الشفتين، لتوحي بحالة الصمت المهولة، وحالة الرهبة التي تذر كل إنسان هناك لا يدري ماذا يقول.

وإنّ تكرار الراء مرتين يؤكد هذا الثقل وتلك الشدّة. وهذا ما ذكره ابن فارس آنفاً، إذ يقول: (وهذا مما زيدت فيه الراء وكررت تأكيداً للمعنى).

١١- المفردة القرآنية (ضِيزَىٰٓ) في قوله تعالى:

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ ﴾ النجم: ٢١ – ٢٢.

يقول جل ثناؤه: قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية، ناقصة غير تامة، لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم، وآثرتم أنفسكم بما ترضونه، والعرب تقول: ضِزْتُه حقه بكسر الضاد، وضُزْتُه بضمها فأنا أضِيزُه وأضُوزُه، وذلك إذا نقصته حقه ومنعته[4].

([1]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تاويل آي القرآن،(٢٤/ ٩٩).

([2]) بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن،ص٥٨.

([3]) انظر: ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية،ص٢٢٩.

([4]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٢/ ٥٢٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جاء لفظ (ضِيزَىٰ) للإيحاء بما في الضاد من تفخيم، إلى أن الجور في هذه القسمة لا مزيد عليه[1]، ولا شك في أن مجيء (ضِيزَىٰ) في هذا الموضع لهو مجيء لا تغني عنه أية لفظة من الألفاظ التي استحضرها العلماء وهم يفسرون (ضِيزَىٰ) ويقربون معناها إلى الأفهام، وكل ما اقترحوه بعيد كل البعد عنها جرساً ودلالة ونظماً وإيحاء، وهذا مستحصل فيها من وجوه:

الأول: إن المشركين سموا الملائكة والأصنام بنات الله زاعمين أن الله أبوها، وحين تقرن هذه الخرافة إلى خرافة أخرى وهي أن الله له البنات ولهم البنون، فإن التضاد العجيب الواقع بين هاتين الخرافتين خير من يصوره ويوحي به تنافر الضاد والزاي في ضيزى، فكلاهما صوت أسناني لثوي مجهور، ومع اتفاقهما مخرجاً وصفة ولا فاصل بينهما سوى المد نشأ التنافر الصوتي بينهما. وهذا ينبئ عن تنافر القسمة التي ارتضاها هؤلاء.

الثاني: إن دوي الضاد وشدتها وانفجارها ثم تفشي الزاي المجهورة لأمر يحاكي صوت السعير الذي يؤز الكافرين أزاً، ثم إن هذا العذاب ممتد لا خاطف بدليل مد الصوتين بالياء والألف. وثمة إيحاء بالعذاب الإلهي الذي ينتظر هؤلاء الكافرين يدرك من التشكيل المقطعي لفظة التي بنيت من مقطعين طويلين مفتوحين هما (ض-ِ)و (ز-َ) فهذان المقطعان يحاكيان أصوات المعذبين في جهنم.

الثالث: إن تفرد (ضِيزَىٰ) بين ألفاظ القرآن ومجيئها في موضعها الوحيد هذا لدليل على أن ما جاء به هؤلاء المشركون إنما هو فريد في قبحه وبطلانه وبعده عن الصواب، وأنه ليس له نظير في القبح بين الأفعال البشرية كما أن (ضِيزَىٰ) ليس له نظير في النطق بين الألفاظ القرآنية[2].

وعليه فإن هذه المفردة ((ضِيزَىٰ)) ليس لها من انسيابية والنطق وجمال الوقع على الأذن ما للمفردات المرادفة لها كـ(جائرة) أو (ظالمة) أو (ناقصة).

فـ (ضِيزَىٰ) في موقعها في الآية دالة أبلغ دلالة على المراد وهو فساد القسمة وجورها بشكل يولد في النفس -عند نطق المفردة- إحساساً بثقلها وبغضها، والنفور منها، وذلك أن الناظر في مناسبة تلك المفردة لدلالتها لا يحتاج إلا أن يتأمل طريقة نطقه بها، وأن ينظر إلى هيئة الفم عند نطقها، حيث سيلاحظ أن النطق بحرف الضاد مصحوباً بحركة ياء المد يجعل الفم منفتحاً بدرجة كبيرة سببها أن مخرج الضاد من حافة اللسان مما يلي الأضراس، فإذا جاءت الضاد مصحوبة بالمد والياء، فإن ذلك يؤدي إلى انفتاح الفم انفتاحاً أفقياً إلى هذه الدرجة التي هي أشبه بهيئة المشمئز من الشيء، ويزداد الاقتراب في الشبه بهذه الهيئة حينما ينتقل الفم فجأة من نطق الضاد ذات الكسرة الطويلة إلى نطق الزاي ذات الفتحة الطويلة (المد بالألف) مما يؤدي إلى انتقال الفم من الانفتاح الأفقي العرضي إلى الانفتاح

---

(1) انظر: حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، ص(١/ ٢٠٤).

(2) انظر: سطام، قاطع جار الله، دلالة الفريد من ألفاظ القرآن، (ضيزى)، ص٤-٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الرأسي الطولي ليوحي بهذه الطريقة الإشارية المتولدة من نطق هذه المفردة بدلالة النفور والاشمئزاز من تلك القسمة الجائرة التي تبعث على الاشمئزاز والأنفة من تلك العقول الفاسدة التي سوغت أن يكون الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً بينما هم لا يرضون لأنفسهم بالإناث[1].

إن (ضِيزَىٰ) مفردة قرآنية غريبة، بل هي من أغرب ما جاء في القرآن، إلا أن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، وإن غرابتها كانت أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، فهي تصور في هيئة النطق بها التهكم من هؤلاء الكافرين، وهذا التصوير أبلغ ما في البلاغة وخاصة في المفردة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس، بهذين المدين إلى الأسفل والأعلى[2].

١٣- المفردة القرآنية (سَلْسَبِيلًا) في قوله تعالى:

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ الإنسان: ١٨، السَّلْسَل والسَّلْسَال والسُّلاسِل الماء العذب السَّلِس السهل في الحلق، وقيل: هو البارد أيضاً. وماء سَلْسَل وسَلْسَال سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه[3].

السلسبيل الشراب اللذيذ، وهو فَعْلَلِيل من السلالة، زيدت فيه الباء والياء (أي زيدتا في أصل الوضع على غير قياس)، دلالة على المبالغة في هذا المعنى.

وهذا الوصف ركب من مادتي السلاسة والسُّبالة، يقال: سبلت السماء إذا أمطرت، فسبيل (فعيل) بمعنى (مفعول)، ركب من كلمتي السلاسة والسبيل لإرادة سهولة شربه ووفرة جريه، وهذا من الاشتقاق الأكبر[4] وليس باشتقاق تصريفي[5].

إن في هذه المفردة تناسباً وتلاؤماً بين إيحاء أصواتها وبين المعنى المقصود لها. إذ يوحي لفظ السلسبيل بالسلامة والسهولة ويسر الاستساغة، وذلك لما بين اللفظين (سلسبيل/سلاسة) من شراكة في بعض الحروف، وفي رتبة هذه الحروف.

---

(1) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٤٩-٥٠.

(2) انظر: الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص٢٣٠.

(3) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (سلسل).

(4) الاشتقاقُ في الأصل أخذُ شِقِّ الشيءِ، أي: نصفهِ، ومنه اشتقاقُ الكلمة من الكلمة، أي: أخذُها منها. وفي الاصطلاح: أخذُ كلمةٍ من كلمة، بشرطِ أن يكون بين الكلمتين تناسبٌ في اللفظ والمعنى وترتيب الحروف؛ مع تغايرٍ في الصيغة، كما تأخذُ (اكتبْ) من (يكتبُ)، وهذه من (كتب) وهذه من (الكتابة). وهذا التعريف انما هو تعريف الاشتقاق الصغير وهو المبحوث عنه في علم التصريف. وهناك نوعان من الاشتقاق: الأول أن يكون بين الكلمتين تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب الحروف كجذبَ وجبذَ. ويسمى الاشتقاق الكبير. والآخر أن يكون بين الكلمتين تناسب في مخارج الحروف كنهقَ ونعقَ. ويسمى الاشتقاق الأكبر. (انظر: الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، (٢٠٨/١)

(5) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٩٦/٢٩).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يضاف إلى ذلك شركة مشابهة بين هذا اللفظ وبين (الإسبال)، وهو قد يكون للستر أو للثياب قصداً لاتقاء الفضول مما يوحي بأن هذه العين لا تزاحم عليها، فهي في متناول عدد محدود من الشاربين[1].

إن السهولة واليسر المتحققين في نطق هذه المفردة يوحيان بسهولة جري هذا الماء في الحلق، وعذوبة مذاقه، وصفاء مائه. وهذه السهولة في نطق هذه المفردة متأتية من طبيعة الحروف التي تشكلت منها، فهي قد تشكلت من السين التي تكررت مرتين بما فيها من رقة وهمس يجري معه النفس، ورخاوة يجري معها الصوت بما يوحي بسهولة جريان هذا الماء، وهو أثناء جريه يحدث صوتاً عذباً صافياً شبيه بصوت السين في صفائها.

وتشكلت كذلك من اللام المكررة مرتين بما فيها من رقة مشعرة بلذاذة هذا الماء وعذوبته، وتأتي الباء والياء بيسر مخرجيهما ليوحيان بيسر جريان العين وأنه لا يعوقها شيء.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(1) انظر: حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، (١/ ٢٠٩-٢١٠).

الفصل الثالث:
تناسق الصوت والمعنى في الأفعال

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث:
تناسق الصوت والمعنى في الأفعال

سيتناول هذا الفصل تناسق الصوت والمعنى في جهرة من الأفعال الواردة في القرآن الكريم.

١- المفردتان القرآنيتان (بُعْثِرَ) و(وَحُصِّلَ) في قوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ ﴾ العاديات: ٩ – ١٠.

الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة، يقال بعثت الناقة إذا أثرتها [١]. وقوله ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ أي: قلب ترابها وأثير ما فيها، ومن رأى تركيب الرباعي والخماسي من ثلاثِيَّيْن نحو: تهلل وبسمل، إذا قال لا إله إلا الله، وبسم الله، يقول: إن بعثر مركب من بعث وأثير، وهذا لا يبعد في هذا الحرف، فإن البعثرة تتضمن معنى بعث وأثير[٢].

وبعثرة القبور: حالة من حالات الانقلاب الأرضي والخسف، خصت بالذكر من بين حالات الأرض لما فيها من الهول باستحضار حالة الأرض، وقد ألقت على ظاهرها ما كان في باطن المقابر من جثث كاملة ورفات[٣].

وعليه يكون معنى الآية الكريمة: أفلا يعلم هذا الإنسان الذي هذه صفته، إذا أثير ما في القبور بغاية السهولة، وأخرج وفرق ونظر وفتش بغاية السهولة[٤].

وأما حصِّل فهي من التحصيل وهو تمييز ما يحصل، وقال الراغب : التحصيل إخراج اللب من القشور كإخراج الذهب من حجر المعدن والبُرّ من التبن قال الله تعالى: ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾، أي: أظهر ما فيها وجُمع كإظهار اللب من القشر وجمعه أو كإظهار الحاصل من الحساب[٥].

ومناسبة الآيتين بعضهما لبعض أن بعثرة ما في القبور إخراج للأجساد من بواطن الأرض، وتحصيل ما في الصدور إخراج لما في الصدور، وهذا مشهد عنيف مثير، بعثرة لما في القبور، بعثرة بهذا اللفظ العنيف المثير، وتحصيل لأسرار الصدور التي ضنت بها وخبأتها بعيداً عن العيون، تحصيل بهذا اللفظ العنيف القاسي، فالجو كله عنف وشدة وتعفير[٦].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (بعثر) (١/ ٣٣٥).

(٢) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات الفاظ القرآن، (بعثر) ص٦٣.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٠/ ١٧٢).

(٤) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٥١١).

(٥) المرتضى الزبيدي، تاج العروس، (حصل)، وانظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (حصل)، ص١٣٥.

(٦) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٩٥٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن كلمة (بُعْثِرَ) تحدث شبه ثورة أو انفجار داخل الفم، ويوحي نطقها بصلة جرس (بُعْ) بجهاز الأمعاء، حيث يشعر مرددها بشيء من الحركة تشبه حركة بداية التقيؤ[1]، كما أن هذه المفردة توحي بأصواتها بحركة قوية تحدث حركة تنتقل من الداخل إلى الخارج، إذ يوحي مقطعها الأول (بُعْ) بالاتجاه للداخل محاولة لقلب شيء ثم يأتي المقطع الآخر (ثِرَ) بصوت الثاء المهموسة والراء المكررة ليوحي بالحركة نحو الخارج وانتشار هذه الشيء وتفرقه تفرقاً واسعاً.

وقد أسهم إلى جانب جرس هذه المفردة حركاتها فمن المعلوم أن الصيغة الصرفية تؤدي دوراً مهماً، فكلمة (بُعْثِرَ) فيها ضم الباء التي تنطبق عندها الشفاه للضم أيضاً، وكسر الثاء اللثوي مما يتطلب تراخي الشفتين وانفراجهما ثم يتبع هذا الفتح على الراء والذي يوحي بالتفرق والنشر[2].

وأما قوله (وَحُصِّلَ) فإن الصاد المشددة فيها دالة على شدة التقصي والجمع[3]، وهي عملية متسمة بالعنف والشدة فصوت هذه المفردة وارد في سياق الوعيد الأمر الذي نلمس فيه نزع ما في القلوب من أسرار، واستخراج ما فيها من خفايا، دون طواعية من أصحابها[4]، وإن هيئة نطق هذه المفردة توحي بالجمع إذ تضم الشفتين نتيجة للضمة التي على الحاء، وبسبب التشديد الذي على الصاد.

٣- المفردة القرآنية (سَجَىٰ) من قوله تعالى:

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ الضحى: ١ – ٢.

السين والجيم والواو أصل يدل على سكون وإطباق. يقال: سجا الليل، إذا ادلَهَمَّ وسكن[5]، وهذا إشارة إلى ما قيل: هدأت الأرجل، وعين ساجية: فاترة الطرف، وسجى البحر سجواً، سكنت أمواجه ومنه استعير: تسجية الميت، أي تغطيته بالثوب[6].

فمعنى قوله: (إِذَا سَجَىٰ) أي: سكن أهله أو ركد ظلامه وإلباسه وسواده، واعتدل فخلص فغطى بظلامه كل شيء[7].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾، تبرز دلالة المجاز العقلي في إسناد العامل المؤثر إلى الزمان، فسجى بمعنى سكن، والليل وإن وصف بالسكون فسكونه مجازي لأنه غير قابل

---

(١) انظر: السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص٢٦١.

(٢) انظر: ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص٢٣١.

(٣) انظر: المبارك، محمد، دراسة أدبية لنصوص من القرآن، دار الفكر، ط٤، ١٩٧٣م، ص٢٣.

(٤) انظر: الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص١٨١.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (سجو) (٣/ ١٣٧).

(٦) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (سجى) ص٢٥٣.

(٧) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٤٥٣).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للحركات المباشرة التي قد توصف بالهدوء حيناً، وبالفعالية حيناً آخر، وإنما أراد به سكون الناس عن الحركات، وخلودهم إلى السبات، واستسلامهم إلى الراحة[1].

"لقد أطلق التعبير جواً من الحنان اللطيف، والرحمة الوديعة، والرضى الشامل، والشجى الشفيف. ذلك الحنان، وتلك الرحمة، وذاك الرضى، وهذا الشجى، تتسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة، الرقيق اللفظ، ومن هذه الموسيقى السارية في التعبير، الموسيقى الرتيبة الحركات، الوئيدة الخطوات الرقيقة الأصداء، الشجية الإيقاع، فلما أراد إطاراً لهذا الحنان اللطيف، ولهذه الرحمة الوديعة، ولهذا الرضى الشامل، ولهذا الشجى الشفيف، جعل الإطار من الضحى الرائق، ومن الليل الساجي أصفى آنين من آونة الليل والنهار، وأشف آنين تسري فيهما التأملات. وتتصل الروح بالوجود وخالق الوجود، وتحس بعبارة الكون كله لمبدعه، وتوجهه لبارئه بالتسبيح والفرح والصفاء، وصوّرهما في اللفظ المناسب، فالليل هو (الليل إذا سجى) لا الليل على إطلاقه بوحشته وظلامه، الليل الساجي الذي يرق ويسكن ويصفو، وتغشاه سحابة رقيقة من الشجى الشفيف، والتأمل الوديع، كجو اليتم والعيلة، ثم ينكشف ويجلي مع الضحى الرائق الصافي، فتلتئم ألوان الصورة مع ألوان الإطار، ويتم التناسق والاتساق" [2].

إن لفظة (سَجَىٰ) بجرسها الرقيق العذب، تتناسب وهذه النعمة التي جعلها الله في الليل حين يغطي الكون بطمأنينته وهدوئه وسكونه فتأنس به النفوس، وتركن إليه القلوب.

إن هذه الرقة التي في المفردة نابعة من حروفها الرقيقة فالسين بهمسه يوحي بالانسياب والسكون وكأنه ضيف خفيف الظل، وتوحي الألف التي في نهاية الكلمة بامتداد الليل وإتيانه على كل شيء، فإطلاق الصوت بهذا الحرف يشعر بصورة امتداد الليل وتمطيه بهدوء.

٣- المفردة القرآنية (نَفَشَتْ) من قوله تعالى:

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٨، وقوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ القارعة: ٥.

النفش: نشر الصوف، قال تعالى: ﴿ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ القارعة: ٥ ونَفْشُ الغنم: انتشارها، والنَّفَشُ بالفتح: الغنم المنتشرة، قال تعالى:

﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ الأنبياء: ٧٨، والإبل النوافش: المترددة ليلاً في المرعى بلا راع[3]. فالمادة في أصلها دالة على الانتشار، والضعف والتبعثر.

([1]) الصغير، محمد حسين، مجاز القرآن، خصائصه الفنية وبلاغته العربية، ص١٣٥-١٣٦.

([2]) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص١٢٥.

([3]) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (نفش)، ص٥٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومعنى قوله: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ أي: حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلاً فرعته أو أفسدته[1]. قال الفراء: النفش بالليل[2].

وأما معنى قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝٥﴾ أي: كالصوف المندوف، وذلك لأنها تتفرق أجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف، وإنما ضم بين حال الناس وحال الجبال، كأنه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلدة حتى تصير كالعهن المنفوش، فكيف حال الإنسان الضعيف عند سماع صوت القارعة[3].

فناسب هذا التعظيم والتهويل أن يذكر أن الجبال تكون فيه كالعهن المنفوش، وكونها كالعهن المنفوش أعظم وأهول من أن تكون كالعهن من غير نفش كما هو ظاهر.

إن هذه المادة (نفش) في صيغتيها التي تشكلت منها في القرآن الكريم تشكلت محاكية بجرسها وأصواتها للحدث أتم محاكاة.

ففي الآية الأولى جاءت أصوات المفردة (نَفَشَتْ) مصورة لعملية دخول الغنم إلى ذلك الزرع وإفسادها فيه إفساداً كبيراً، فالفاء بهمسها ورقتها تصور تسلل الأغنام ودخولها الزرع، وتصور الشين بتفشيها منظر الغنم في انتشارها وتبعثرها في أرجاء الكرم، كما تعبر التاء بسكونها وهمسها عن عملية هرس الأغنام للزرع وإفسادها له، وكأنك تسمع أصوات الزرع تحت أقدامها في ظلام ذلك الليل.كما في تتابع الفتحات على حروفها رسم لصورة الأغنام في تتابعها أثناء دخولها حقل القوم.

وأما الآية الثانية فقد جاء فيها قوله (الْمَنفُوشِ) مصوراً ومعبراً عن حالة الجبال في ذلك اليوم، وأنها في غاية التمزق والتبعثر والتفرق والضعف، حتى لو ذهب الواحد منا أي يلمس تلك الجبال لما وجدها شيئاً يذكر، وقد أوحى صوت الشين بهمسها وتفشيها بحالة الجبال في ذلك اليوم المهول، كما أن صوت الشين جاء متناسقاً مع صوت الثاء قبله في قوله تعالى: (كالفراش المبثوث).كما أوجد تناسقاً بديعاً في هذا النص المبارك.

٤- المفردة القرآنية (بَثَّ) في قوله تعالى:

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾ البقرة: ١٦٤ ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

---

(1) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٨/ ٤٧٥).

(2) الفرّاء، معاني القرآن، (٢/ ٢٠٨).

(3) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبطه: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، (٦/ ٤٨٣).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ النساء: ١ ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٦ ﴾ يوسف: ٨٦ ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ ﴾ القارعة: ٤

أصل (البثّ): نشر الشيء وتفريقه وإثارته وإظهاره بعد خفاء ، كبث الريح التراب ، وبث النفس ما انطوت عليه من الغمّ والسرّ.[1]

وبناء على ما سبق نفهم معاني المفردة في مواطن ورودها في الآيات السابقة وفي غيرها.

فقوله: ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ ﴾ الواقعة: ٦ أي: متفرقاً ومنتشراً.

وقوله: ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾ إشارة إلى إيجاد ما لم يكن موجوداً وإظهاره إيّاه.

وقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ ﴾ أي: اشكو غمّي الذي ابثّه عن كتمان.[2]

وقوله: ﴿ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ أي: المتنشر والمتفرق الهائم على وجهه.

وقوله ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ الغاشية: ١٦ أي: متفرقة ومبسوطة دلالة على الكثرة.

بعد هذا نستطيع القول: إنّ المدلول اللغوي لهذه المادة قائم على التفرق والانتشار، وإظهار ما لم يكن ظاهراً.

وقد جاءت أصوات هذه المفردة معبّرة تعبيراً كاملاً عن معناها، حتى إنّ الناطق لها يستشعر معناها قبل أن ينظر في المعجم.

إنّ هيئة نطق هذه المفردة تدل على معناها، وذلك أنّ اللسان عند نطقه للثاء يخرج من موضعه ليبدو جزء منه خارج الأسنان ليدل على معنى الظهور بعد الكتمان.

وإنّ ما في الثاء من صفتي الهمس والرخاوة – وهما يفيدان جريان النفس والصوت- لتدلان على تفرقّ الهواء الخارج من الفم، وانتشاره في الفضاء.

ومما زاد في هذا الإيحاء أيضاً ذاك التضعيف الذي على الثاء الذي زاد من زمن الهمس ومقداره مما يوحي بزيادة التفرق والانتشار والتبعثر في انحاء كثيرة.

وعملية النطق هذه شبيهة بعملية النفخ في التراب ليصير هباءً منبثا. فلو وضعنا كمية من التراب أثناء نطقنا لهذه المفردة لتناثر التراب كهيئته عندما تنثره وتفرقه الرياح.

فهذه المفردة تصوّر لنا بأصواتها عملية التفرّق والانتشار وكأنها رأيُ عين.

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن (بثّ) ص٤٦.

(٢) المرجع السابق نفس الموضع..

٥- المفردة القرآنية (خَرَّ) في قوله تعالى:

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الحج: ٣١.

توحي مادة (خر) في القرآن الكريم بدلالتها الصوتية بأن هذا اللفظ جاء متلبساً بالصوت على سمت الحدث، وهذه المفردة في استعمالاتها المتعددة في القرآن تدل على معنى السقوط والهوي المصحوبان بصوت ما.

قال ابن فارس: "الخاء والراء أصل واحد، وهو اضطراب وسقوط مع صوت".[1] وهذا الصوت هو الخرير، والخرير هو صوت الماء أو صوت الريح، أو هما معاً.

فالحدث هنا مستل من الصوت، وهذا ما استشعره الراغب بقوله: "خر سقط سقوطاً يسمع منه خرير، والخرير يقال لصوت الماء أو الريح وغير ذلك مما يسقط من علو.

وقوله تعالى: ﴿ خَرُّوا۟ سُجَّدًا ﴾ السجدة: ١٥، فاستعمال الخر تنبيه على اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصوت منهم بالتسبيح. وقوله من بعده ﴿ وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ السجدة: ١٥، فتنبيه أن ذلك الخرير كان تسبيحاً بحمد الله لا بشيء آخر"[2].

ووجه الدلالة فيما يبدو أن الخر يأتي بمعنى السقوط من شاهق، وأن الخرير إنما يستعمل لصوت الماء أو الريح أو الصدى محاكياً لهذا اللفظ في ترديده، فلم يُرِد مجرد السقوط من (خر) وإنما أراد الصوت مضافاً إليه الوقوع والوجبة في إحداث الصوت، وكانت هذه الإضافة الدلالية صوتية سواء أكانت في صوت الماء، أم بالوقوع والسقوط، أم بالتسبيح[3].

إن التكرارية التي في الراء وهي هنا مضعفة –مما زاد في تكريرها- يوحي بصوت السقوط، ويوحي تخليص اللسان من نطق الراء في (خر) بارتطام الجسم الساقط.

تصور هذه الآية الكريمة من يشرك بالله بالذي يقع ويسقط من السماء إلى الأرض أي: من الأعلى إلى الأسفل محدثاً صوتاً عظيماً عند ارتطامه بالأرض، وقوة هذا التصوير نابعة من جرس ألفاظها وقوة معانيها في خر وباقي المفردات.

ويقول الإمام الزمخشري موضحاً عمق دلالة هذا التشبيه على المراد: " ويجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، بأنْ صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير، فتفرق مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة. وإن كان مفرقاً فقد شبه

([1]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (خرّ)، (٢/ ١٤٩).

([2]) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (خرّ)، ص١٦٢.

([3]) الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص١٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة"[١].

فالملحوظ في هذا المشهد الذي قامت الآية بتصويره هو سرعة الحركة مع عنفها، الأمر الذي يتناسب مع حال المشرك بالله الذي يهوي من أوج التوحيد إلى سفول ما انحط إليه من حضيض الإشراك.

وينقل إلينا سيد قطب كيف اختُصر هذا المشهد اختصاراً شديداً موحياً ومعبراً عن حال ذلك الإنسان المشرك بالله، فيقول: " انظر: لقد خر من السماء، انظر: لقد خطفته الطير، انظر: لقد هوت به الريح في مكان سحيق، انظر: لقد اختفى المسرح ومن فيه"[٢].

ثم يتساءل عن سر هذه السرعة الخاطفة فيقول: " لم هذه السرعة الخاطفة؟ لئلا يتوهم أحد أن لمن يشرك بالله منبتاً، أو وجوداً، أو قراراً، أو امتداداً، مهما يبلغ من الحسب والقوة والجاه والبنين، إنما يأتي في ومضة من المجهول، ليذهب في ومضة إلى المجهول"[٣].

٦-المفردة القرآنية (فَصَكَّتْ).في قوله تعالى:

قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ الذاريات: ٢٩

جاء في معجم مقاييس اللغة أنّ الصاد والكاف أصلٌ يدلُّ على تلاقي شيئين لقوة وشدّة، حتى كأنّ احدهما يضرب الآخر.

من ذلك قولهم: صككتُ الشيء صكّاً. والصّككُ: أن تصطكَّ ركبتا الرَّجل. وصكَّ البابَ: أغلقه بعنف وشدّة. [٤]

وقد ميّز أهلُ اللغة أنواع الضّرب على الأعضاء، وأعطوا كل نوع منها اسماً. ومن ذلك ما جاء في كتاب فقه اللغة للثعالبي إذ يقول: " الضّربُ بالرّاحة على مقدّم الرأس صَقْعٌ، وعلى القفا صَفْعٌ، وعلى الوجه صَكٌّ وبه نطق القرآن ... "[٥]

والمعنى في قوله تعالى ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ أي : فلطمت وجهها. واختلف في صفته فقيل: هو الضربُ باليد مبسوطة.

---

(١) الزمخشري، الكشاف، (٣/ ١٥١-١٥٢).

(٢) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص١٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٣.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(صك)،(٣/ ٢٧٦).

(٥) الثعالبي، أبو منصور، كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط.د.ت،ص١٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقيل: بل ضربُ الوجه بأطراف الأصابع فعل المتعجب،وهو عادة النساء إذا أنكرن شيئاً.[1]

إن التالي لهذه المفردة والمستمع لها يجد أن فيها محاكاة للحدث، ووصفاً كاملاً لحصوله.

فهي بجرسها، وأصوات حروفها تصوّر عملية ارتطام اليد بالوجه، وما يصدر عند ذلك من صوت.وإنّ إجراء الفعل عملياً ليوحي بأصوات هذه المفردة.(الصاد والكاف) ، ويظهر بعض صفاتهما.

وإنّ الاحتكاك الذي في الكاف مصور لعملية التقاء اليد بالوجه بشكل قوي وعنيف، وأسهم في هذا أيضاً التشديد الواقع على الكاف الذي يوحي بالشدّة والقوّة. فهذه المفردة بجرسها وأصواتها تعبر عن حالة الدهشة والانفعال التي انتابت زوج إبراهيم -عليه السلام- عندما بشّرت بحملها.

٧- المفردة القرآنية (طَحَٰهَا) في قوله تعالى:

﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَٰهَا ۝٦ ﴾ الشمس: ٦.

الطاء والحاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على البسط والمد، من ذلك الطحو وهو كالدحو، وهو البسط، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَٰهَا ﴾ ، أي: بسطها، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ ﴾ النازعات: ٣٠، ويقال: طحا بك همُّك يطحو، إذا ذهب بك في الأمر ومد بك فيه[2].

ذهب عامة المفسرين إلى أن معنى (طحاها) بسطها ومدها[3]. كما ذكر أهل اللغة أن طحاها ودحاها بمعنى واحد، وهو البسط، وهو ما يظهر من عبارة ابن فارس السابقة.

وإذا لم يكن هناك فرق واضح في المعنى بين المفردتين مرده إلى تجانس حروفهما، فإننا لن نعدم فرقاً في الاستعمال القرآني بينهما، فقد استعمل الأسلوب القرآني هاتين المفردتين في سياقين مختلفين وظف صوت كل مفردة في المكان المناسب لها، بحيث لو وضعت واحدة منهما مكان الأخرى لما استقام الأمر.

ويحدثنا الدكتور تمام حسان عن الفرق في استعمال المفردتين في سياقيهما وما أضافته كل مفردة بصوتها من دلالة فيقول: " يقول الله تعالى في سورة النازعات ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ ، ولو أننا قارنا سياق هذه الآية بسياق آية الشمس ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَٰهَا ﴾ لوجدنا ما كان دالاً في (دَحَىٰهَآ) قد تحول إلى طاء في (طَحَٰهَا)، ولقد عرفنا من دراسة سيبويه لصوتي الدال والطاء أنه لا فرق بينهما في

---

(1) ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد علد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٨م،(١٨/ ٨٦).

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (طحو)، (٣/ ٤٤٥).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠/ ٥٠).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النطق إلا التفخيم، لو فخمت الدال لصارت طاء كما يقول، ومعنى ذلك أن العنصر الذي طرأ على الفعل (دَحَىٰهَآ) عندما ورد في سورة الشمس هو التفخيم، فما دلالة التفخيم هنا؟ لو نظرنا إلى الفرق بين السياقين لوجدنا في سورة النازعات سياق إثبات مجرد وما في سورة الشمس سياق قسم ولا شك أن في القسم تأكيداً ليس له مثيل في الإثبات،فإذا سلمنا بهذا الفرق بين السياقين أدركنا أن التفخيم الذي في(طَحَىٰهَا)جاء لمناسبة ما في القسم من تأكيد، بل إنه جاء ليضيف إلى القسم فضل تأكيد أي: ليدل على مبالغة في إيقاع الحدث" [1].فنلحظ هنا أن الطاء بما فيها من تفخيم جاء مناسباً لسياق القسم المفيد للتعظيم والتفخيم والتعظيم أخوان، والدال بما فيها من استفال (ترقيق) جاءت مناسبة لسياق الإثبات الخالي من التأكيدات، وهذا الاستعمال القرآني سر من أسرار عظمته وإعجازه التي لا يحيط بها بشر.

٨- المفردة القرآنية (كُشِطَتْ) في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ ﴾ التكوير: ١١.

الكاف والشين والطاء كلمة تدل على تنحية الشيء وكشفه، يقال: كشط الجلد عن الذبيحة. ويقولون: انكشط رَوْعه، أي: ذهب[2].

والكشط: قلع عن شدة التزاق، فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش وغيره، والقشط: لغة فيه، وكشطت البعير كشطاً: نزعت جلده ولا يقال سلخته، لأن العرب لا تقول في البعير إلا كشطته أو جلدته، وانكشط: أي: ذهب، فالسماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء[3]، وهو قلع بقوة عظيمة وسرعة زائدة، وإزالة لها عن مكانها التي هي ساترة له محيطة به، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذي هو كالروح لها كما يكشط الإهاب عما هو ساتر له ومحيط به مع شدة الالتزاق به لأن ذلك يوم الكشف والإظهار[4].

اشتملت هذه المفردة (كُشِطَتْ) على حروف تجسد لنا عملية القلع والنزع من أولها إلى آخرها، مع ما تستلزم من شدة وقوة وعنف لتحقيق ذلك، فقد اشتملت على الكاف بما تتسم به من شدة جاءت مناسبة للشدة المطلوبة لأول عملية النزع والقلع.

واشتملت أيضاً على الشين بما فيها من احتكاك لتوحي باحتكاك الأداة التي تُنزع مع جسم المنزوع منه، والقلع وكأنك تسمع صوت النزع محدثاً صوتاً شبيهاً بصوت الشين، فالشين تمثل المرحلة الثانية من عملية النزع والقلع.

---

(١) حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، (١/ ٢٠٥).

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (كشط)، (٥/ ١٨٤).

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٩/ ١٥٣).

(٤) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٣٣٩).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويأتي حرف الطاء بما فيه من استعلاء ليمثل رفع الغطاء رفعاً نهائياً؛ وبذلك ينكشف كل شيء ويظهر، فالطاء يمثل نهاية العملية، كما تشعر التاء الساكنة في نهاية المفردة بانقضاء الأمر، وانتهاء العملية.

كما تسهم الحركات التي على المفردة برسم الصورة لعملية النزع فالضم الذي على الكاف يوحي بمعنى القوة والشدة، ويوحي الكسر بالسرعة والخطف في شد الشيء المنزوع ويشعر الفتح الذي على الطاء برفع ذلك الشيء المنزوع وانفصاله عن الجسم الذي كان متلبساً به.

٩- المفردة القرآنية (أغْطَشَ) في قوله تعالى:

﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ النازعات: ٢٩

الغين والطاء والشين أصلٌ واحدٌ صحيح، يدلُّ على ظُلْمَةٍ وما أشبهها. من ذلك الأغطش، وهو الذي في عينه شِبْه العَمَش، والمرأة غَطْشاء. وفَلاةٌ غَطْشَى: لا يُهتَدَى لها. وغَطَشَ الليلُ: أظلَمَ. والله تعالى أغْطَشَه. والمتغاطِش : المتعامي عن الشيء. [1]

﴿ وَأَغْطَشَ ﴾ قد يجيء لازماً، يقال: أغطش الليل إذا صار مظلماً. ويجيء متعدياً يقال: أغطشه الله إذا جعله مظلماً. [2]

وقوله: ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أي: جعل ليلها مظلماً أسود حالكا، ونهارها مضيئاً مشرقاً نيرا واضحا. [3]

لقد جاءت هذه المفردة ﴿ وَأَغْطَشَ ﴾ متناسبة بجرسها ومعناها مع جو الشدّة والقوّة الذي يوحي به السياق. [4]

فإنّ حروف هذه المفردة توحي بالقوّة والشدّة والسيطرة. فالهمزة حرف مجهور شديد، والغين حرف مجهور مستعلٍ(مفخم)، والطاء حرف مجهور شديد مستعلٍ مطبق، مما يوحي بسيطرة الليل وإطباقه على الوجود حتى أنه لا يدع صغيرة ولا كبيرة في هذا الكون إلا وقد أتى عليها، وأسبغ عليها من لونه ووحشته.

ومما يزيد من جوّ الإطباق والانتشار والوحشة (حرف الشين) بتفشيه الذي يوحي بامتداد هذا الظلام وتسلله عبر هذا الكون.

فهذه المفردة تجسد عظمة الله سبحانه وقدرته في قهر الضياء بالظلمة، وفي مقدرته على تسخير هذا الكون بصورة تروعُ القلوب وتدهشها.

([1]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(غطش)(٤/ ٤٢٩).

([2]) انظر:الرازي، مفاتيح الغيب،(٣١/ ٤٣).

([3]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،(٤/ ٦٠٣).

([4]) انظر: قطب سيد، في ظلال القرآن،(٦/ ٣٨١٦)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ اختيار هذه المفردة يؤدي دلالة معنوية وصوتية لا يمكن أن تؤديه مفردة أُخرى.

إنّ أغطش مساوية من حيث الدلالة اللغوية لأظلم، ولكن (اغطش) تمتاز بدلالة أخرى من وراء اللغة فالكلمة تعبر عن ظلام انتشر فيه الصمت وعمّ الركود وبدت في أنحائه مظاهر الوحشة. ولا يفيد هذا المعنى كلمة(أظلم) إذ تعبر عن السواد الحالك ليس غير.

١٠-المفردة القرآنية (فَثَبَّطَهُمْ) في قوله تعالى:

﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ التوبة: ٤٦.

يدور أصل هذه المادة على معنى الحبس والمنع والتعويق، وأن تشغل إنساناً وترده وتُثقّله عن أمر يقصد فعله، كما يدل أصلها على طول ملازمة شيء وعدم مفارقته.

جاء في لسان العرب: ثبَّطَه عن الشيء تثبيطاً إذا شغله عنه، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾، والتثبيط: ردك الإنسان عن الشيء يفعله، أي: كره الله أن يخرجوا معكم فرَدَّهم عن الخروج، وثَبَطهُ عن الشيء ثَبطاً، وثَبَّطَهُ: ريَّثه وثبّته، وثبّطه على الأمر فَتَثبّط: وقفه عليه فتوقف، وأثبَطَه المرض: إذا لم يكد يفارقه. وثبطت الرجل ثَبطاً: حبسته[١].

والمعنى في هذه الآية الكريمة هو ما ذكره ابن جرير -رحمه الله-:

يقول تعالى ذكره: ولو أراد هؤلاء المستأذنوك - يا محمد- في ترك الخروج معك لجهاد عدوك، الخروج معك (لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) يقول: لأعدوا للخروج عدة، ولتأهبوا للسفر والعدو أهبتهما، (عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ) يعني خروجهم لذلك (فَثَبَّطَهُمْ) يقول فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود في منازلهم خلافك، واستثقلوا السفر والخروج معك، فتركوا لذلك الخروج (وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) يعني: اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون، ومع النساء والصبيان، واتركوا الخروج مع رسول الله -ﷺ- والمجاهدين في سبيل الله[٢].

وحبسهم الله حبساً عظيماً بما شغلهم بما حبب إليهم من الشهوات وكره إليهم من ارتكاب المشقات بسبب أنهم لا يرجون ثواباً ولا يخشون غير السيف عقاباً، قصروا هممهم الدنية على الصفات البهيمية، فلما استولت عليهم الشهوات وملكتهم الأنفس الدنيات نودوا من قبلها: إلى أين تخرجون؟[٣]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (ثبط).

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، (١٤/ ٢٧٦-٢٧٧).

(٣) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٣/ ٣٢٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توحي هذه المفردة بحروفها التي تشكلت منها بصورة الالتصاق والانجذاب إلى الأرض، وكأن هناك شيئاً يمسك به إمساكاً شديداً يصعب الانفلات منه، فالثاء بهمسها تشعر بمحاولة قصد الفعل وإتيانه، فإذا ما تقدم خطوة وجد الباء المضعفة تشل حركته وتمنع اندفاعه.

فإن الباء بمخرجها المتمثل بالشفتين حال التصاقهما يجسد التصاق المتشبط بالأرض، بسبب الشهوات المانعة له عن الخروج، وتأدية واجبه في نصرة الإسلام، ثم تأتي الطاء باستعلائها وإطباقها لتشكل حاجزاً وسداً منيعاً إذا ما حاول الانفلات من جذب الباء له، فهذه المفردة مجسدة لعملية المنع والتعويق تجسيداً كبيراً.

١١- المفردة القرآنية (وَغَلَّقَتِ) من قوله تعالى:

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يوسف: ٢٣.

الغين واللام والقاف أصل واحد صحيح يدل على نشوب شيء في شيء. من ذلك الغلق، يقال منه: أغلقت الباب فهو مغلق[١]، وأغلقت الباب، وغلقته على التكثير، وذلك إذا أغلقت أبواباً كثيرة، أو أغلقت باباً واحداً مراراً، أو أحكمت إغلاق باب، وعلى هذا (وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ)[٢].

وإنما قيل (وَغَلَّقَتِ) لتكثير الإغلاق أو المبالغة في الإغلاق، والسبب في تغليق الأبواب أن هذا الفعل لا يؤتى به إلا في المواضع المستورة لا سيما إذا كان حراماً، ومع الخوف الشديد[٣].

والسر في اختيار الصيغة أن (فَعَّلَ) إنما تأتي للتكثير غالباً، ومن ثم ناسب ذلك الدلالة على كثرة الأبواب التي غلقتها امرأة العزيز، لتحول دون تفلُّتِ يوسف -عليه السلام- منها، وكذا على إحكام التغليق.

ومعنى ذلك أنها قد تتبعت أبواب القصر تغلقها باباً باباً، حتى بلغت باب الحجرة، وذلك لكي تأمن إذا استطاع يوسف أن يفتح بعض الأبواب أن يأتي على جميعها إلا بعد أن تنال حاجتها منه بالمراودة، ويمكن حمل المعنى على المبالغة في الغلق[٤].

ومن هنا تأتي و(وَغَلَّقَتِ) بجرسها الشديد، وهو يوحي بإحكام إغلاق الأبواب بشدة وعنف، لاستكمال بناء الصورة، والإيحاء بحالة المرأة المحمومة. وكأننا نسمع صدى الأبواب المغلقة من جرس اللفظة(وَغَلَّقَتِ) ثم تلاشى الصدى بعد ذلك في أنحاء المكان.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (غلق)، (٤/ ٣٩٠).

(٢) الراغب ، عبد السلام، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (غلق)، ص٤٠٧.

(٣) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، (١١/ ٥٥).

(٤) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصرفي في القرآن، ص١٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا لا يكون فيما لو قال: (اغلقت) لأن (أغْلَقَت) أخف وقعاً من (غَلَّقَت) كما أن فعل (أغلقت) يوحي بالهدوء والاستقرار، بينما الموقف أو الحالة توحي بالهيجان والاضطراب[1].

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: " فلو نظرنا مثلاً إلى الآية القرآنية التي تقول: ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ لأحسسنا بصوت المزاليج وهي تحكم رتاج الأبواب، وينعدم هذا الإحساس مع الفعل أغلق، الذي يدل على مجرد الإغلاق"[2].

فنرى هنا أن التضعيف في هذه المفردة قد جاء معبراً عما يدور في نفس امرأة العزيز أتم تعبير، ومصوراً لهياجها، واضطرابها وشدة تخبطها، وقد شارك كل من حرفي الغين والقاف- بما فيهما من استعلاء، وما في القاف عند نطقه من انطباق اللسان مع الحنك - التضعيف في رسم هذه الصورة والإيحاء بصوت الإغلاق وشدة الإحكام.

١٣- المفردة القرآنية (تجلّى) في قوله تعالى:

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ الليل: ٢

يقوم أصل هذه المادة على الظهور والبروز والانكشاف؛ لذا يقال : تجلّى الشيء: إذا انكشف. ورُجلٌ أجْلَى: إذا ذهب شعر مقدّم راسه.[3] والتجلي: قد يكون بالذات نحو: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾. وقد يكون بالأمر والفعل، نحو: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾[4] الأعراف: ١٤٣

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ : أن الله – عز وجل- أقسم بالنهار إذا هو أضاء فأنار، وظهر للأبصار ما كانت ظلمة الليل قد حالت بينها وبين رؤيته وإتيانه إيّاها [5]؛لأن النهار إذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة، وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم، وتتحرك الطير من أوكارها، والهوام من مكامنها.[6]

إنّ هذه المفردة ﴿ تَجَلَّىٰ ﴾ تكشف أصواتها عن مدلولها اللغوي الدال على معنى الظهور والبيان.فنستشعر عند النطق بهذه المفردة -بما تشتمل عليه من جَهْر وانفجاريّة واضحة في حرف الجيم- تعبيرها التام عن الجهارة والوضوح الذي يتميز به النّهار.

---

(1) الراغب ، عبد السلام ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص٣٨٨.

(2) عبد التواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م، ص٢١، نقلاً عن كتاب، بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص٢٥٩.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(جلو)،(١/ ٤٦٨).

(4) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات الفاظ القرآن،(جلو) ص١٠٨.

(5) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٢٤/ ٤٦٥).

(6) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب،(٣١/ ١٧٩).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويزيد في الإيحاء بهذه الدلالة مجيء حرف اللام مضعّفاً؛ الأمر الذي يدل على الجهر والوضوح كذلك.[1]

١٣- المفردة القرآنية (انفضّوا) في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ الجمعة: ١١.

الفض: كسر الشيء، والتفريق بين بعضه وبعضه، كفض ختم الكتاب، وعنه استعير: انفض القوم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا ﴾ ﴿ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران: ١٥٩[2].

ومعنى(لَانفَضُّوا)أي: نفروا متفرقين من العجلة.

إن ذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة يسهم في الكشف عن سر اختيار هذه المفردة.

ذكر الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي- صلى الله عليه وسلم- إذ أقبلت عير تحمل طعاماً فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾[3].

إن هذه الرواية تعرض طبيعة النفس البشرية المحبة للدنيا، أمام المغريات المادية للحياة، مستعينة في تصوير تلك الحالة بهذه المفردة (انفَضُّوا) بصيغتها المشددة وجرسها، وما فيها من حركة سريعة، حيث إنهم بعد أن كانوا في حال استماع إلى خطبة الرسول ﷺ إذا بهم قيام محدثين ضجة الانفضاض، فهبتهم السريعة نحو مآرب الدنيا صوّرتها هذه اللفظة بما اشتملت عليه من أصوات معبرة وموحية بحالة الانفضاض والتفرق، ومقدارها حركتان. إن وجود غنة الإخفاء قبل الفاء (انفَـ) تصور ما دار في نفوسهم من صراع حول البقاء أو المغادرة ولكن سرعان ما اتخذوا قرار الانفضاض، يدلك على ذلك صورة نطق الإخفاء، وذلك بأن تنطق الغنّة وتهيء للحرف الذي بعدها، وهو هنا الفاء المهموس الموحي بسرعة انطلاقهم وكأنهم سهم نافذ أو نفثة سريعة.

كما تشعر حركة الفتح التي على الفاء بهذه السرعة الخاطفة في الانطلاق، ثم يأتي الضاد بما فيه من استطالة ليشعر بضجة الانفضاض كما هو صوته عند النطق به ويأتي حرف المد (و) ليصور أن وجهتهم القافلة وأنهم لم يلتفتوا للوراء قطّ.

---

(1) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن،ص٧٥.

(2) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن (فض)، ص٤٢٧.

(3) البخاري، الجامع الصحيح (صحيح البخاري) كتاب الجمعة، باب: إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة، فصلاة الإمام ومن بقي جائزة، حديث رقم (٩٣٦).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٤- المفردة القرآنية (ٱهْتَزَّتْ) في قوله تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ﴾ الحج: ٥، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ فصلت: ٣٩.

الهاء والزاء: أصل يدل على اضطراب في شيء وحركة[1]، يقال: هززت الرمح فاهتز وهززت فلاناً للعطاء. قال تعالى: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ مريم: ٢٥، ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾ النمل: ١٠، واهتز النبات: إذا تحرك لنضارته، قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾[2].

والاهتزاز: الحركة على سرور فلا يكاد يقال: اهتز فلان لكيت وكيت إلا إذا كان الأمر من المحاسن والمنافع. فقوله: (اهتزت وربت) أي: تحركت بالنبات وانتفخت حركة عظيمة كثيرة سريعة، فكانت كمن يعالج ذلك بنفسه[3].

وهي حركة عجيبة سجلها القرآن قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهي تتشرب الماء وتنتفخ فتربو ثم تتفتح بالحياة عن النبات (من كل زوج بهيج) وهل أبهج من الحياة وهي تتفتح بعد الكمون، وتنتفض بعد الهمود[4].

تنقل لنا هذه المفردة بما تشتمل عليه من أصوات هيئة اهتزاز الأرض وتحركها وتمايلها فرحاً وسروراً بقدوم الماء الذي تعشق، وبهجة بما ستنجب وتخرج، والذي ينقل لنا هذه الصورة وذاك المشهد هو الزاي بصفيره وجهره وتضعيفه، فعندما تنطق هذا الحرف مشدوداً في هذه المفردة نشعر برجة ورجفة سريعة إذ يحدثُ ضَغْطٌ في طرف الحنك الأعلى، وكأنه في طريقه إلى الانزلاق، تشبه حركة الأرض في اهتزازها.

وإن هذه الحركة تصدر صوتاً يشبه أزيز جهر الزاي عند نطقه. كما يوحي التضعيف الذي في الزاي بكثرة الاهتزاز واستمراريته في الأرض.

١٥- المفردة القرآنية (تَمَيَّزُ) في قوله تعالى:

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ ﴾ الملك: ٨

الميم والياء والزاء أصل صحيح يدل على تزيل شيء من شيء وتزييله، ومِيْزته تمييزاً ومِزْته مَيْزاً.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (هزّ)، (٦/ ٩).

(٢) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (هز) ص٥٧٤.

(٣) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٢٣/ ٩)، البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٦/ ٥٧٧).

(٤) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٤/ ٢٤١١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ وَٱمْتَـٰزُواْ ﴾ :تميز بعضهم من بعض، ويكاد يتَمَيَّزُ غَيْظاً، أي: يتقطّع، والماز الشيء: انفصل عن الشيء[1]. وقوله ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ أي: تكاد النار تتفرق وتتقطع من شدتها، وسمى شدتها والتهابها غيظاً؛ لأنّ المغتاظ هو المتقطع بما يجد من الألم الباعث على الإيقاع لغيره، فحال جهنم كحال المغتاظ، فالتميز التفرق، والتمييز التفريق. وقال ابن عباس: (تَمَيَّزُ) أي: تفرق. وتميز كذا مطاوع ماز. أي: انفصل وانقطع، قال تعالى:﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾.

يرسم القرآن هنا مشهداً لجهنم، وهي تستقبل الذين كفروا في غيظ وحنق شديد:﴿ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ وجهنم هنا مخلوقة حية، تكظم غيظها، فترتفع أنفاسها في شهيق وتفور، ويملأ جوانحها الغيظ فتكاد تتمزق من الغيظ الكظيم وهي تنطوي على بغض وكره يبلغ إلى حد الغيظ والحنق على الكافرين.

والتعبير في ظاهره يبدو مجازاً تصويرياً لحالة جهنم، ولكنه فيما نحس يقرر حقيقة، فكل خليقة من خلائق الله حية ذات روح من نوعها، وكل خليقة تعرف ربها وتسبح بحمده؛ وتدهش حين ترى الإنسان يكفر بخالقه وتتغيظ لهذا الجحود المنكر الذي تنكره فطرتها وتنفر منه روحها. وهذه الحقيقة وردت في القرآن في مواضع شتى تشعر بأنها تقرر حقيقة مكنونة في كل شيء في هذا الوجود[2].

نشعر ونحن نقرأ هذه المفردة (تَمَيَّزُ) بأن جهنم من شدة غيظها ترغب أن تقطع أعضاءها، وأن تمزق أوصالها، وإن الذي يصور لنا هذا المعنى ذاك التشديد الذي على الياء، فإنه يشعر بأن هناك شيئاً يريد أن ينفصل عن شيء ويتفسخ عنه، وهذا الأمر ندركه من قراءة هذه المفردة.

ويأتي الزاي بصفيره وجهره ليوحي بذلك الإحساس الذي يراود تلك النفس المغتاظة وهي راغبة في التفلت والتمزق فإن ما يدور في النفس من انفعالات نتيجة غيظها أشبه ما تكون بأزيز المرجل حتى تكاد تنفجر من شدة ذلك.

١٦- المفردة القرآنية (ٱجْتُثَّتْ) في قوله تعالى:

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝٢٦ ﴾ إبراهيم: ٢٦.

ذهب ابن فارس إلى أن أصل (الجث) يدل على تجمع شيء. وتساءل عن مدى انطباق هذا المعنى على جثثت الشيء إذا اقتلعته، وأجاب قائلاً: فالجواب أن قياسه قياس الباب؛ لأنه لا يكون مجثوثاً إلا وقد قلع بجميع أصوله وعروقه حتى لا يترك منه شيء. فقد عاد إلى ما أصلناه[3].

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ميز)، (٥/ ٢٨٩).

(2) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٦٣٤-٣٦٣٥).

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (جثّ) (١/ ٤٢٥).

وذهب صاحب لسان العرب على أن أصله يدل على القطع. قيل: قطع الشيء من أصله، وقيل: انتزاع الشجر من أصوله، والاجتثاث أوحى منه. يقال: جثثته واجتثثته فانجثّ. وشجرة مجتثة ليس لها أصل في الأرض. وفي التنزيل العزيز في الشجرة الخبيثة ﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ فسرت بأنها المنتزعة المقتلعة[1].

ونرى هنا أن المعنيين المذكورين لمادة (الجث) يلتقيان بحيث إنّ الاجتثاث قطع لجميع أصول الشيء، بحيث لا يبقى منه شيء، وهذا القطع فيه جمع لأصول الشيء عند اقتلاعه.

ومعنى (ٱجْتُثَّتْ): استؤصلت، واقتلعت، وانتزعت. وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها[2].

أي: اقتلعت جثتها وهيئتها من فوق الأرض، لقرب عروقها وجذورها من سطحها، بحيث أصبحت في غاية الضعف والوهن بحيث تقلبها أقل ريح.

فالكافر يرى أن بيده شيئاً وهو لا يستقر ولا يغني عنه، كهذه الشجرة التي يظن بها على بعد أو للجهل بها أنها شيء نافع وهي خبيثة الجني غير باقية[3].

بنيت هذه المفردة من مجموعة من الحروف أسهمت في الكشف عن الدلالة الصوتية لها ، وفي تصور معناها بمجرد سماع أصواتها، فقد اشتملت هذه المفردة على حرف الجيم المقلقل محدثاً اضطراباً واهتزازاً في مخرجه مما يوحي بهيئة الضرب وانتزاع هذه الشجرة من أصولها وما يحدثه هذا الضرب من اهتزاز فيها.

كما اشتملت على صوت التاء بما فيه من شدة اشعاراً بالحرص الشديد على اجتثاث واستئصال هذه الشجرة الخبيثة، وأنه اقتلاع يرافقه شدة وقسوة لا هوادة فيها.

ثم يأتي الثاء المهموس المشدد ليصور لنا عملية انتزاع الشجرة من أصولها ، وكأن الشّدة التي على الثاء تمثل عملية شد وقلع الشجرة من الأرض، ويبين الفترة الزمنية المستغرقة في ذلك، وأنها فترة قصيرة تنتهي بمجرد انتهاء اللسان من نطق هذا الحرف حتى إذا ما وصل إلى حرف التاء الساكنة في نهاية الكلمة كانت العملية قد انقضت والشجرة قد اقتلعت وما بقي لها من أثر في الأرض.

١٧- المفردة القرآنية (ٱشْمَأَزَّتْ) في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الزمر: ٤٥

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (جثّ).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، (٢/ ٥٣٢).

(٣) انظر:طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، (٧/ ٥٥٢).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشَّمْزُ: التقبض. اشمأزَّ اشمئزازاً انقبض واجتمع بعضه إلى بعض. والشَّمْزُ: نفور النفس من الشيء تكرهه[1]. فأصل الاشمئزاز النفور والازورار.

ومعنى (ٱشْمَأَزَّتْ) أي: نفرت كراهية وذعراً واستكباراً مع تمعر الوجه وتقبض قلوبهم[2]. " والتعبير بالاشمئزاز والاستبشار، يشعر بأنهم قد بلغوا الغاية في الأمرين، فهم عند ذكر الله -تعالى- تمتلئ قلوبهم إلى نهايتها غماً وهماً وانقباضاً وذعراً، وعند ذكر أصنامهم تمتلئ قلوبهم إلى نهايتها -أيضاً- بهجة وسروراً حتى لتظهر آثار ذلك على بشرتهم، وحالهم هذا يدل على أنهم قد بلغوا الغاية أيضاً في الجهالة والسفاهة والغفلة "[3].

والآية تصف واقعة حال على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- حين كان المشركون يهشون ويبشون إذا ذكرت آلهتهم، وينقبضون وينفرون إذا ذكرت كلمة التوحيد، ولكنها تصف حالة نفسية تتكرر في شتى البيئات والأزمان، فمن الناس من تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دعوا إلى الله وحده إلهاً، وإلى شريعة الله وحدها قانوناً، وإلى منهج الله وحده نظاماً، حتى إذا ذكرت المناهج الأرضية والنظم الأرضية والشرائع الأرضية هشوا وبشوا ورحبوا بالحديث، وفتحوا صدورهم للأخذ والرد، هؤلاء هم بعينهم الذين يصور الله نموذجاً منهم في هذه الآية، وهم بذاتهم في كل زمان ومكان، هم الممسوخو الفطرة، المنحرفو الطبيعة، الضالون المضللون، مهما تنوعت البيئات والأزمنة، ومهما تنوعت الأجناس والأقوام[4].

ترسم هذه المفردة بأصواتها صورة للحالة النفسية التي تعتري أولئك الذين تنقبض نفوسهم، وتتمعر وجوههم عند سماعهم للحق، فما يكون منهم إلا النفور والاستكبار.

إن الشين بتفشيها وهمسها توحي بمدى امتلاء قلوبهم غيظاً وغماً فهي معبرة عن شعورهم الداخلي وما يدور في نفوسهم من غيظ وحنق يظهر على وجوههم، وفي تصرفاتهم.

وتأتي الزاي بأزيز جهرها، وبالتضعيف الذي عليها لتوحي بمعنى الانقباض الذي علا وجوههم، وإن هيئة نطق الزاي المضعفة خارجة من مخرجها لترسم على وجه الناطق صورة المنقبض المتقزز النافر من شيء، وعليه يمكن القول: إن الشين تمثل الشعور الداخلي لأولئك وتمثل الزاي: ظهور ما يدور في نفوسهم من غيظ علا وجوههم وتصرفاتهم.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، (شمز).

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٦/ ٤٥٦).

(3) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط(١٢/ ٢٣١).

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٥/ ٣٠٥٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٨-المفردة القرآنية (ٱثَّاقَلۡتُمۡ) في قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ ﴾ التوبة: ٣٨.

نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن النبي ﷺ لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم، وكان ذلك في زمان عسرة من الناس، وشدة من الحر، حين طابت الثمار والظلال، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفاوز هائلة، وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا أهبة عدوهم، فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فأنزل الله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ﴾الآية[1].

وأصل (ٱثَّاقَلۡتُمۡ) تثاقلتم قلبت التاء المثناة ثاء مثلثة لتقارب مخرجيهما طلباً للإدغام، واجتلبت همزة الوصل لإمكان تسكين الحرف الأول من الكلمة عند إدغامه، والتثاقل تكلف الثقل، أي إظهار أنه ثقيل لا يستطيع النهوض.

والثقل: حالة في الجسم تقتضي شدة تطلّبه للنزول إلى أسفل، وعسر انتقاله، وهو مستعمل هنا في البطء مجازاً مرسلاً، وفيه تعريض بأن بطأهم ليس عن عجز، ولكنه عن تعلق بالإقامة في بلادهم وأموالهم.

وعدّي التثاقل بإلى لأنه ضمن معنى الميل والإخلاد، كأنه تثاقل يطلب فاعله الوصول إلى الأرض للقعود والسكون بها، ومجموع قوله:﴿ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾، تمثيل لحال الكارهين للغزو المتطلبين للعذر عن الجهاد كسلاً وجبناً بحال من يطلب منه النهوض والخروج، فيقابل ذلك الطلب بالالتصاق بالأرض، والتمكن من القعود، فيأبى النهوض فضلاً عن السير[2].

قال المفسرون: وهذا توبيخ على ترك الجهاد، وعتاب في التقاعد عن المبادرة إلى الخروج[3].

إن المتأمل في التشكيل الصوتي الذي جاءت عليه هذه المفردة ﴿ ٱثَّاقَلۡتُمۡ ﴾ وما يوحيه لفظها من ثقل في النطق ليجد أنها تؤدي الدلالة المنبعثة منها أتم أداء فهي توحي بحالة نفوسهم المتقاعسة،

---

(1) البغوي، تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، (٢/ ٢٩٢)، وانظر: السيوطي، لباب النقول، دار إحياء العلوم، بيروت، د.ط، د.ت.ص١١٧.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٠/١٩٧-١٩٨).

(3) ابن العربي، أبو بكر محمد ابن أحمد، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة، لبنان، د.ط.د.ت، (٢/ ٥١٠).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتبين مقدار حبهم للدنيا وركونهم إليها، "إنها تعبر عن نفس مثقلة بحب الحياة، رضيت بالدنيا بديلاً عن الآخرة، وتصور ظلال هذا المشهد الحي، وقد ألصقت بالأرض، وتثاقلت عليها بمقدار ما تحمله الأرض من أثقال"[1].

وقد أوضح سيد قطب الصلة بين التشكيل الصوتي للمفردة وبين معناها فقال: " (ٱثَّاقَلْتُمْ) بجرسها كمثل الجسم المسترخي الثقيل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل، ويلقيها بمعنى الفاظه ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾، وما لها من جاذبية تشد إلى أسفل وتقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق"[2].

ويقول: "إن في هذه المفردة طناً على الأقل من الأثقال، ولو أنك قلت: تثاقلتم لخف الجرس، ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ، واستقل برسمها"[3].

ندرك من كلام سيد قطب أن لفظة (ٱثَّاقَلْتُمْ) توحي بالثقل من خلال وزنها، وأنها بتشكيلها الصوتي أقوى في الدلالة على المعنى المراد والإيحاء به من لفظة (تثاقلتم)، وإنما جاءت هذه القوة في هذه المفردة من طبيعة تركيبها وترتيب حروفها واختيار أصواتها.

ولتوضيح الدلالة الصوتية لهذا اللفظ يمكن القول: "إن حرف الثاء قد جاء مشدداً، وهو حرف يخرج من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، فهو قريب المخرج، وتكرره بالتشديد يصور هيئة المتثاقل المتباطئ، فهو لا يبرح مكانه، بل يتردد فيه، كما أن النطق لا يزال يتردد في مخرج الثاء يكرره ولا يبرحه، ثم يأتي المد ليصور لك أن هذا المتثاقل لا يتحرك ولا يمتد إلا في مكانه، فهو مد خاص بهذا الحرف القريب المخرج (الثاء) الذي لا يكاد النطق يبرحه تارة بتشديده وتكريره، وتارة بمده، ثم ها هو المد يبلغ أقصاه، حيث مخرج القاف أقصى اللسان، وهنا يظن الظان أن المتثاقل قد تحرك شيئاً أو جاوز مكانه، فإذا به يرتد تارة أخرى إلى مكانه الذي قام منه، وهو منطقة طرف اللسان حيث (الثاء واللام والتاء) بل إنه يتساقط ويتأخر عن مكان ابتدائه، حيث يرتد إلى مخرج الميم عند الشفتين، ولا شك أن المرء حينما ينطق بهذه الكلمة لا يكاد يصل إلى نطق الميم الساكنة، وخاصة مع إيحاء هذا المقطع الأخير (تم)، حتى يستشعر أن شيئاً قد سقط على الأرض فجأة محدثاً هذا الصوت"[4].

فالنطق بهذه المفردة وبهذا التشكيل يصور لنا هيئة المتثاقل وحركته وهو يتردد في قيامه ويتلعثم فيه حتى لا يلبث أن يسقط مرتداً إلى مكانه غير متجاوز له، فهذه المفردة توحي لنا بالمعنى شعوراً قبل أن توحي به دلالتها المعجمية.

---

(1) السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص١٠٥.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٣/ ١٦٥٥).

(3) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص٩١.

(4) هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٥٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٩- المفردة القرآنية (ادَّارَكُوا) في قوله تعالى:

قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الأعراف: ٣٨.

قوله: ادّاركوا من درك، والدَّرَك: إدراك الحاجة والطَّلْبة، تقول: بَكّر ففيه دَرَك. والدَّرَاك: اتباع الشيء بعضه على بعض في كل شيء، يطعنه طعناً دركاً متداركاً، أي تباعاً واحداً إثر واحد، وكذلك في جري الفرس، ولحاقه الوحش. قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ أي: تداركوا، أدرك آخرُهم أولَهم فاجتمعوا فيها[١]. وهو لحوق الشيء بالشيء، ووصوله إليه، يقال أدركت الشيء أُدْرِكه إدراكاً[٢].

وتأتي درك في القرآن على أربعة أوجه[٣]، منها: معنى الاجتماع كما في هذه المفردة[٤]، وعليه يكون معنى الآية: حتى إذا تداركت الأمم في النار جميعاً، يعني اجتمعت فيها، أو أدرك بعضهم بعضاً حتى استكملوا فيها، أي: أنهم تلاحقوا واجتمعوا في النار، وأدرك بعضهم بعضاً، واستقروا معاً[٥].

﴿ادَّارَكُوا﴾ أصله: تداركوا، فقلبت التاء دالاً ليتأتى إدغامها في الدال للتخفيف، وسكنت ليتحقق معنى الإدغام في المتحركين، لثقل واجتلبت همزة الوصل لأجل الابتداء بالساكن، وهذا قلب ليس بمتعين، وإنما هو مستحسن، وليس هو مثل قلب التاء في ادّان وازداد وادّكر: ومعناه: أدرك بعضهم بعضاً، فصيغ من الإدراك وزن التفاعل، والمعنى: تلاحقوا واجتمعوا في النار[٦].

ويوحي التشديد الناشيء عن الإدغام هنا بتداعيهم في النار متزاحمين بغير نظام، بل إن اشتمال التشديد على سكون فحركة يدل على أن تزاحمهم في النار جعل بعضهم يعوق بعضاً قبل أن يتردّوا فيها، فكأن النقطة التي تداعوا عندها كانت كعنق زجاجة، ويشبه هذا إيحاء التكرار في قوله تعالى:

---

(١) انظر: الفراهيدي، الخليل، العين، (درك).

(٢) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (درك)، (٢/ ٢٦٩).

(٣) وهي الإلجاء والاضطرار كما في (ادركه الغرق)، وبمعنى الإدراك واللحوق (إنّا لمدركون)، أو الاجتماع (ادّاركوا فيها)، أو رؤية البصر (لا تدركه الأبصار)، ويمكن إرجاع جميع هذه المعاني إلى أصل واحد وهو إلحاق شيء بشيء ووصوله إليه. انظر:: الفيروز آبادي، مجد الدين، بصائر ذوي التمييز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٥٩٥-٥٩٦).

(٤) الفيروز آبادي، مجد الدين، بصائر ذوي التمييز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٥٩٥-٥٩٦).

(٥) انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٢/ ٤١٦)، والرازي، مفاتيح الغيب، (١٤/ ٦١).

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٨/ ١٢١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الشعراء: ٩٤[1]، فالإدغام جاء معبراً ومصوراً حال الزحام والاضطراب الذي يعتري تلك الأمم عند دخولها النار.

٢٠- المفردة القرآنية (تدور) في قوله تعالى:

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ الأحزاب: ١٩.

والدَّوْر والدَّوَران: حركة جسم رحوية أي: كحركة الرحى منتقل من موضع إلى موضع، فينتهي إلى حيث ابتدأ، وأحسب أن هذا الفعل وما تصرف منه مشتقات من اسم الدار، وهي المكان المحدود المحيط بسكانه، بحيث يكون لهم، ومنه سميت الدارة لكل أرض تحيط بها جبال، وقالوا: دارت الرحى حول قطبها، وسمَّوا الصنم: دَوَاراً بضم الدال وفتحها لأنه يدور به زائره كالطواف، وسميت الكعبة دواراً أيضاً، وسمَّوا ما يحيط بالقمر دارة، وسميت مصيبة الحرب دائرة؛ لأنهم تخيلوها محيطة بالذي نزلت به لا يجد منها مفراً.

فمعنى (تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ): أنها تضطرب في أجفانها كحركة الجسم الدائرة من سرعة تنقلها محملقة إلى الجهات المحيطة. وشبه نظرهم بنظر الذي يغشى عليه، بسبب النزع عند الموت؛ فإن عينيه تضطربان[2].ولشدة هذا الدوران وسرعة هذا التقلب خيل أن العيون كلها تدور، فليس الدوران دوران المحاجر والأحداق، ولكنه دوران العيون حتى الجفون والأهداب.

وفي قوله (تَدُورُ) ملحظان لأهل صنعة البيان: الأول: اختيار هذه المادة إذ كان يمكن أن يقول: (رأيتهم ينظرون إليك تتلفت عيونهم) أو تتقلب محاجرهم، ولكنه آثر هذه المفردة(تَدُورُ) وذلك لما فيها من قوة تصوير الحركة الدائبة، حيث تظهر في الدوران أكثر من ظهورها في التقلب، أو الالتفات، فالدوران من الكلمات المصورة لمعناها بهيئتها.

والثاني: مجيئها على صيغة المضارع تلك الصيغة الكاشفة التي تصف الحدث أتم وصف، وتبينه أبلغ بيان، فإن المردد لهذه المفردة (تَدُورُ) يرى في خياله هذه العيون في حركتها الدائبة اللاهثة تدور وتدور، وهذا الدوران مستمر لا يزول، ما دام الخوف قد جاء إلى أن يزول، فلن تهدأ هذه الحركة إلا إذا ذهب الخوف[3].

وعليه فإن هذه المفردة (تَدُورُ) من الألفاظ المصورة بهيئتها معناها، وإن الذي أسهم في هذا التشخيص حرف الواو بمخرجه المتمثل بين الشفتين حال ضمهما بما يرسم صورة لدائرة صغيرة، تمثل

---

(1) حسان، تمام، البيان في روائع القرآن،(١/ ٢١٢).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢١/ ٢٩٧).

(3) انظر: أبو موسى، محمد محمد، من أسرار التعبير القرآني (دراسة تحليلية لسورة الأحزاب) مكتبة وهبه، مصر، ط٢، ١٩٩٦م، ص١٣٨-١٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حالة الدوران التي يعيش بها هؤلاء ويأتي الراء بما فيه من تكرارية ليوحي بتكرار ذلك الدوران وعدم انقطاعه.

٣١- المفردة القرآنية (يغشي) في قوله تعالى:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ الأنفال: ١١، وفي قوله:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ الأعراف: ١٨٩، وفي قوله: ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ النجم: ٥٤، وفي قوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ ﴾ الغاشية: ١.

وقد وردت هذه المادة في القرآن في نحو عشرين موضعاً، وقد أتى الإمام الراغب على غالب هذه المواضع مبيناً معنى كل موضع[1].

وأصل هذه المادة يدور على تغطية شيء بشيء يقال: غَشَيْتُ الشيء أُغشّيه، والغشاء: الغطاء، والغاشية: القيامة، لأنها تغشى الخلق بإفزاعها، ويقال: رماه الله بغاشية، وهو داء يأخذه كأنه يغشاه، والغشيان: غشيان الرجل المرأة[2]، وهو كناية عن الجماع.

وقوله تعالى: ﴿ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ يوسف: ١٠٧، أي: نائبة تغشاهم وتجللهم، وقيل: الغاشية في الأصل محمودة، وإنما استعير لفظه ههنا تهكماً على نحو: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ الأعراف: ٤١.[3]

لو تأملنا قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً ﴾ لوجدنا أن التشكيل الصوتي لهذه المفردة ﴿ يُغَشِّيكُمُ ﴾ جاء متناسباً تمام المناسبة مع معنى التغطية، إذ يتميز حرف الشين المضعف في هذه الكلمة بما له من تفش يقتضي استطالة في الصوت تكاد تنفرد بمحاكاة تصوير التغشية بالشيء، بل لا يبعد إذا قلنا: إنّ هذا الحرف كان له مشاركة كبيرة بالإيحاء بتلك الصورة.

ونجد هذا الإيحاء كذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾ إذ يوحي تشكيلها الصوتي بصورة تلك التغشية، وفي قوله تعالى: ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ نلمح كذلك إيحاء الشين المضعفة بتفشيها واستطالة صوتها بتصوير العذاب بشيء مادي كثيف يغشى تلك القرى المؤتفكة.

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (غشي)، ص٤٠٣.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (غشي)، (٤/ ٤٢٥).

(٣) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (غشي)، ص٤٠٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولما كانت تغشية الليل للكون فيها رقة متدرجة لذا جاء الفعل المعبر عن هذه الحالة هو (يغشى) دون تضعيف أو تشديد على الشين وذلك لكي تخفف الآية من الإيحاء بكثافة تلك التغشية ولتوحي بأنها رقيقة لطيفة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾[1].وسميت القيامة بالغاشية، وذلك لأنها تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها[2]، وقيل: لأنها تغشى وجوه الكفار، وقيل: لأنها تجلل الخلق فتعمهم[3].

وبمقارنة هذه الأقوال في الغاشية يبدو لنا أن الغاشية كني بها عن القيامة لأنها تغشى الناس بأهوالها، وتعم الخلق بأفزاعها، فهي تجللهم الإحاطة من كل جانب، وقد تكون هي النار التي تغشى وجوه الكفار، وهي الداهية التي تغشى الناس بشدائدها[4].

٢٣- المفردة القرآنية (ليزلقونك) في قوله تعالى:

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ القلم: ٥١

جاء في معجم مقاييس اللغة: الزاء واللام والقاف أصلٌ واحدٌ يدل على تزلُّج الشيء عن مقامه. من ذلك الزَّلَق. ويقال: أزْلَقتِ الحامل، إذ أزْلَقتِ ولدها. ويقال- وهو الأصح- إذ ألقت الماء ولم تقبله رحمها.[5]

وذكر الراغب نقلا عن أحد العلماء أنه لم يسمع الزَّلق والإزلاق إلا في القرآن.[6]

واختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ ﴾فقرأ ذلك عامة قراء المدينة (لَيَزْلِقُونَكَ) بفتح الياء من زلقتُه أزلُقه زَلْقا. وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة(لَيُزْلِقُونَكَ) بضم الياء من أزلقه يُزْلِقه.

والمعنى: أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء، يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك، من قولهم: نظر إليَّ نظرا يكاد يصرعني، ويكاد يأكلني، أي: لو أمكنه بنظره الصراع أو الأكل لفعله.[7]

إن هذه المفردة ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ تصوّر كفّار قريش ومواقفهم ونظراتهم الحادة المليئة بالحقد، وتشخص أبصارهم وكأنها تودُّ أن تبطش وتنتقم من الرسول-ﷺ- والنظرة الحادة المقصودة تؤثر.

---

(١) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٧٤-٧٥.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٧٢٩).

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (غشي)، (١٩/ ٣٦٢).

(٤) انظر: الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص١٧٦.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(زلق)(٣/ ٢١).

(٦) الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن(زلق)،ص٢٤٠.

(٧) الزمخشري، الكشاف: (٤/ ٥٨٤)..

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويؤكد شدّة معنى ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ جرسها وإيقاعها، وتأكيدها باللام، ونطق حروفها التي تحدث حركة غير منظمة في اللسان، تبتديء بانزلاق اللسان، وتنتهي بتعلقها بوسط الفم من العلو.[1]

إنّ حروف هذه المفردة وحركاتها لتصور عملية إسقاط شيء على الأرض وتزلجه عليها. فالزاي بأزيزها(صفيرها) تُشعر بأوّل سقوط الشيء على الأرض الزلقة محدثاً صوتاً شبيهاً بصوت الزاي.

وإنّ اللام بما فيها من انحراف عن مخرجها توحي بانحراف الشيء عن موضعه عند تزحلقه. ويؤكد هذا المعنى وجود الكسرة على اللام التي تزيد من تصوير امتداد عملية التزحلق.

كما تسهم القاف مع الضمة التي عليها، والواو التي بعدها في تصوير ذاك السقوط، وكأن هناك من يدفع شخصاً ما ليسقطه. والضمة مع المد(قو) تترك للمستمع برهة لينظر أمامه كيف يسقط ذلك الزالُ.

٢٣- المفردة القرآنية (لَأَرْجُمَنَّكَ):

في قوله تعال﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ مريم: ٤٦

يدور أصل هذه المادة على الرمي بالحجارة[2]، يقال: رُجِمَ فهو مرجوم، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ الشعراء: ١١٦، أي: المقتولين اقبح قتلة، وقال: ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ﴾ هود: ٩١، ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ الكهف: ٢٠، ويستعار الرجم للرمي بالظن، والتوهم، للشتم والطرد، نحو قوله تعالى: ﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ الكهف: ٢٢[3].

وقد ذكر الفيروز أبادي أن (رجم) وردت في القرآن على خمسة معان:

الأول: بمعنى القتل ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ الشعراء: ١١٦، أي: المقتولين أقبح قتلة، ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ يس: ١٨ ،أي: لنقتلنكم، **الثاني:** بمعنى السب والشتم، ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ أي: لأشتمنّك، **الثالث:** لمعنى الرمي بالحجارة ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ الملك: ٥، **الرابع:** بمعنى الظن ﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ الكهف: ٢٢.

---

(1) انظر: السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن،ص١٠٣.

(2) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (رجم)، (٢/ ٤٩٣).

(3) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن (رجم)، ص٢١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخامس: بمعنى الطرد ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ الحجر: ١٧، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ النحل: ٩٨، قيل: سمي رجيماً لكونه مطروداً ملعوناً مسبوباً، وقيل: لكونه مطروداً عن الخيرات وعن منازل الملأ الأعلى[1].

وما ذكره صاحب البصائر من تعدد معاني هذه المفردة في القرآن يمكن إرجاعه إلى معنى لغوي واحد هو الرمي كما تقدم، ومجيئه على المعاني الأخرى إنما هو من باب الاستعارة كما ذكر الراغب[2].

وقد اختلف المفسرون في المقصود بالرجم هنا على قولين: الأول أن المقصود به السب والشتم، والثاني: أن المقصود به رمي الحجارة باليد.

وقد نقل الإمام الرازي –رحمه الله– هذين القولين فقال:في الرجم ههنا قولان: الأول أنه الرجم باللسان، وهو الشتم والذم، ومنه قوله﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ النور: ٤، أي بالشتم ومنه الرجيم أي المرمي باللعن، قال مجاهد: الرجم في القرآن كله بمعنى الشتم، والثاني: أنه الرجم باليد. وعلى هذا التقدير ذكروا وجوهاً: أحدها: لأرجمنك بإظهار أمرك للناس ليرجموك ويقتلوك، وثانيها: لأرجمنك بالحجارة لتتباعد عني. وثالثها: لأقتلنك بلغة قريش. ورابعها: لأرجمنك المراد منه الرجم بالحجارة إلا أنه قد يقال ذلك في معنى الطرد والإبعاد اتساعاً، ويدل على أنه أراد الطرد، قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ مريم: ٤٦، واعلم أنَّ أصل الرَّجم الرَّمي بالرّجام ، فحمله عليه أولى. فإن قيل: أفما يدلُّ قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ على أن المراد به الرجم بالشتم؟، قلنا: لا، وذلك لأنه هدده بالرجم إن بقي على قربه منه، وأمره أن يبعد هرباً من ذلك، فهو في معنى قوله ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[3].

إن هذه المفردة (لَأَرْجُمَنَّكَ) جاءت متناسبة مع موقف الغلظة والشدة الذي قابل به والد إبراهيم ابنه به، فبنيت المفردة من حروف وعلى هيئة معبرة تمام التعبير عن ذلك الجفاء.

فجرس (لَأَرْجُمَنَّكَ) يوحي بوقع الحجارة على الجسم لوجود النون المشددة ووجود الجيم الشديدة، والراء المكررة الموحية بتكرار الرجم مرات ومرات الأمر الذي يعطي نبراً قوياً في جرس هذه الكلمة، فضلاً على وجود القَسَم وكاف الخطاب اللذين يزيدان من الألم النفسي إلى جانب الألم الجسدي.

---

(١) الفيروز آبادي، مجد الدين، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز (رجم) (٣/ ٤٤-٤٥).

(٢) انظر: الراغب الأصفهاني،معجم مفردات ألفاظ القرآن(رجم) ص٢١٤.

(٣) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ١٩٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢٤- المفردة القرآنية (يَنشُرْ) في قوله تعالى:

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ الكهف: ١٦ النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وتشعبه، ونَشْرَ الثوب، والصحيفة، والسحاب، والنعمة، والحديث: بسطها[1].

فأصل هذه المادة. يدور على البسط والتوسعة، ومعنى قوله:﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ أي: يبسط لكم ربكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي قد رميتم به[2].

" ولفظة (يَنشُرْ) تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح، فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب وسيع تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها وتمتد ظلالها، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء، إن الحدود الضيقة لتنزاح، وإن الجدران الصلدة لترق، وإن الوحشة الموغلة لتشف، فإذا الرحمة والرفق والراحة والارتفاق " [3].

وهذه السعة والبحبوحة والانفساح المستفاد من اللفظة يوحي به حرف الشين بما فيه من التفشي المشعر بالانتشار والسعة والانفساح والرحابة.

كما يوحي حرف الراء بتكرار نشر هذه الرحمة واستيعابها لهم، وشمولها لجميعهم وإن في الإخفاء الذي عند الشين من الدلالة على سريان تلك الرحمة برفق وخفاء ولين حيث تلج إلى القلوب بلين وسهولة.

٢٥- لمفردة القرآنية (لَنَسْفَعًا) في قوله تعالى:

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾ العلق: ١٥

ذكر الرازي أن في قوله: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ وجوهاً: أحدها: لنأخذنْ بناصيته ولنسحبنْه بها إلى النار، والسفع : القبض على الشيء، وجذبه بشدة، وه و كقوله: ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ ﴾ الرحمن: ٤١.

وثانيها: السفع الضرب، أي: لنلطمن وجهه، وثالثها: لنسودن وجهه، قال الخليل: تقول للشيء إذا لفحته النار لفحاً يسيراً يغير لون البشرة قد سفعته النار. قال: والسفع: ثلاثة أحجار يوضع عليها القِدر سميت بذلك لسوادها، قال: والسفعة سواد في الخدين. وبالجملة فتسويد الوجه علامة

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (نشر)، (٥/ ٤٣٠).

[2] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٧/ ٦١٦).

[3] قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٤/ ٢٢٦٢).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الإذلال والإهانة. ورابعها: لنسمّنه قال ابن عباس في قوله: ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴾ القلم: ١٦ إنه أبو جهل خامسها: لنذلنه[١].

والمعنى: والله لنأخذن ونقبضن قبضاً وأخذاً بشدة وعنف مع الجر والاجتذاب واللطم والدفع والغيظ أخذَ من يعض مأخوذه ويذله ويسود وجهه ويقذره (بالناصية) أي بالشعر الذي في مقدم رأسه - وهو أشرف ما فيه - والعرب لا تأنف من شيء أنفتهم من أخذ الناصية، وإذا انتهكت حرمة الأشرف فما بالك بغيره[٢].

إن هذه المفردة (لَنَسۡفَعًۢا) جاءت مناسبة لسياقها القائم على الشدة والغلظة والتهديد والوعيد والانتقام، فهي مفردة شديدة مصورة بجرسها لمعناها، وإنها لأوقع من مرادفها: لنأخذنه بشدة. وهي صورة حسية للأخذ الشديد السريع، ومن أعلى مكان يرفعه الطاغية المتكبر من مقدم الرأس المتشامخ.

إنها ناصية تستحق السفع، ﴿ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ ﴾ العلق: ١٦.[٣]

والسؤال هنا أنه إذا كان السياق يراد به الشدة والغلظة والتهديد فَلِمَ لَمْ يشدد النون في (لنسفعن) مع أن العرب إنما يزيدون في الصوت لزيادة المعنى؟

والجواب عن ذلك يبدو في قراءة الآية مرتلة حيث يلاحظ ما حققه السكون من اختزال زمني في قراءة الآية لا يتحقق فيها لو شدد بل لولّد إيقاعاً بطيئاً لا يتناسب مع هذا التهديد المقتضي للسرعة فناسب جرس الآية دلالتها ليكون الجرس عامل تهديد يأخذ على الكافر فرصة النظر والتفكير، ولعل في هذا سبب آخر للعدول عن (لنأخذنه) بالإضافة إلى اختلاف الدلالة بينهما[٤].

٣٦- المفردة القرآنية (نَشۡرَحۡ) في قوله تعالى:

﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ ﴾ الشرح: ١. الشين والراء والحاء أصيل يدل على الفتح والبيان، من ذلك شرحت الكلام وغيره شرحاً، إذا بينته[٥]، وأصل الشرح: بسط اللحم ونحوه، يقال: شرحت اللحم، وشرّحته، ومنه شرح الصدر أي: بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ ﴾ طه: ٢٥، وقال: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ ﴾ الشرح: ١، ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ ﴾ الزمر: ٢٢، وشرح المشكل من الكلام: بسطه وإظهار ما يخفى من معانيه[٦].

---

(١) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٣٢/ ٢٣).

(٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٤٨٧).

(٣) انظر: قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص٢١.

(٤) انظر: أبو عائشة، الأسباب الصوتية لاختيار المفردة القرآنية، ص٩.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (شرح)، (٣/ ٢٦٩).

(٦) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (شرح)، ص٢٩٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومعنى شرحنا صدرك: فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعاً. أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم. أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل، وعن الحسن: مليء حكمة وعلماً[1].

يدل أصل هذه المادة على التوسعة والانفساح المفضيان إلى الراحة والطمأنينة والسكينة، وإن حروف هذه المفردة (نَشْرَحْ) تسهم في إعطاء معنى الانفساح والتوسعة والبسط، فالشين بما فيه من صفة التفشي يوحي بالانتشار والإشراق وانسيابه في جميع أجزائه، وإشراق النفس به ، مما يدل على انتشار النور الإلهي في جميع أنحاء الصدر.

وجاء السكون الذي على الشين ليصور معنى السكينة والطمأنينة التي تعتري القلب نتيجة لانتشار هذا النور الإلهي، فليس هناك وقت يسعد فيه الإنسان أكثر من الوقت الذي تطمئن به نفسه مع خالقه.

والراء المفتوحة هنا ذات توقيع صوتي متميز، فإنها تحمل من صوت التكرار الكثير، الذي يشعر بتكرار وصول هذا النور إلى القلب كلما كان الإنسان مع الله، فكيف لا يكون ذلك والخطاب لسيد الخلق ﷺ الموصول دائماً بخالقه -عز وجل-.

كما أن الراء حرف منفتح وفي هذا إيحاء بالسعة والانفساح. وأما الحاء الساكنة في هذه المفردة فإنها بحكم مخرجها -وهو الحلق- تشعر عند نطقها براحة وسكينة وانفساح وسرور ناتجة عن هذا الرضا الإلهي.

وصوت الحاء يشعر ببرودة الإيمان ولذة حصوله في القلب، فمن شرح الله صدره عاش عيشة السعداء في الدنيا والآخرة، ومن جعل الله صدره ضيقاً حرجاً فهو البائس في الدنيا والآخرة، اللهم اشرح صدورنا بنور كتابك العظيم وباتباع سنة نبيك الكريم.

٣٧- المفردة القرآنية (يَجُرُّهُ) في قوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٠.

الجيم والراء أصل واحد، وهو مد الشيء وسحبه، يقال: جررت الحبل وغيره أجُرُّه جرّاً، والجر: أسفل الجبل، وهو من الباب، كأنه شيء قد سُحِب سَحْباً.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٧٥٩).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والجرّار: الجيش العظيم، لأنه يجر أتباعه وينجر[1]، والجَرُّ: الجذب ، وجررت الحبل وغيره أجُرُّه جَراً، والجرُّ الشيءُ المجذب[2].

والمعنى أنه أخذ بشعر رأس أخيه -بذؤابته- يجذبه ويسحبه إليه، وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته، وظناً بأخيه أنه فرّط في الكف[3].

وهي حركة تدل على شدة الانفعال... فهذه الألواح هي التي كانت تحمل كلمات ربه، وهو لا يلقيها إلا وقد أفقده الغضب زمام نفسه، وكذلك أخذه برأس أخيه يجره إليه، وأخوه هو هارون العبد الصالح الطيب[4].

إن هذه المفردة (يَجُرُّهُ) تجسد وتصور عملية جر شيء وجذبه أتم تصوير حتى كأن السامع لها يكاد يسمع صوت احتكاك جسم الشيء المجذوب بالأرض، فهي تحاكي وقوع الحدث محاكاةً تامة.

وإنما تأتى هذا من طبيعة الحروف التي بنيت منها المفردة، وقد أوضح ابن جني -رحمه الله- سر تركيب هذه المفردة من حرفيها الجيم والراء المكررة فقال: "جَرُّ الشيء يَجُرُّه، قدموا الجيم لأنها حرف شديد، وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعاً، ثم عقبوا ذلك بالراء وهو حرف مكرر، وكررها مع ذلك في نفسها، وذلك لأن الشيء إذا جر على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها، واضطرب صاعداً عنها، ونازلاً إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق. فكانت الراء لما فيها من التكرير، ولأنها أيضاً قد كررت في نفسها في جر وجررت أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها، هذا هو محجة هذا ومذهبه"[5].

٣٨- المفردة القرآنية (لَيُبَطِّئَنَّ) في قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾ النساء: ٧٢.

قال الراغب: البُطْء: تأخر الانبعاث في السير، يقال: بَطُؤَ وتَباطأ واستَبْطأ وأبطأ، فَبَطُؤ إذا تخصص بالبطء، وتباطأ تحرى وتكلف ذلك، واستبطأ: طلبه، وأبطأ صار ذا بطء، ويقال: بطَّأه وأبطأه، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ أي: يثبط غيره، وقيل: يكثر هو التثبط في نفسه، والمقصد من ذلك أن منكم من يتأخر ويؤخّر غيره[6].

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (جرّ)، (١/ ٤١٠).

(2) ابن منظور، لسان العرب، (جر).

(3) الزمخشري، الكشاف، (٥/ ١٥٥).

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٣/ ١٣٧٤).

(5) ابن جني، الخصائص، (٢/ ١٦٤).

(6) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (بطؤ) ص٦٠-٦١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كشف -سبحانه- عن فساد المنافقين وضعاف الإيمان فقال:﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ أي: ليتأخرن وليتثاقلن عن الجهاد، من (بطّأ) -بالتشديد- بمعنى أبطأ فهو فعل لازم، وقد يستعمل أبطأ وبطّأ -بالتشديد- متعديين، وعليه يكون المفعول هنا محذوف، أي: ليبطئن غيره ويثبطه عن الخروج للجهاد في سبيل الله.

وقد جمع المنافقون وضعاف الإيمان بين الأمرين: فقد كانوا يتخلفون عن الجهاد في سبيل الله وينتحلون المعاذير الكاذبة لتخلفهم، ولا يكتفون بذلك بل يحاولون منع غيرهم عن الخروج للجهاد[1].

وكأن النص القرآني فيه تقريع للمنافقين وتعنيف لهم على هذه الخصلة الذميمة، وهذا السلوك المشين، دفعاً لهم إلى الحق، وتبصيراً لهم بسبيل الرشد. وهو في الوقت نفسه يحمل في طياته تأنيباً لبعض ضعاف النفوس من المسلمين، تربية لهم وإيقاظاً لجذوة الإيمان فيهم قبل أن تستفحل لديهم هذه الظاهرة وتصبح نفاقاً معلوماً[2].

والذي زاد في ذم ذلك الفعل هو طبيعة مادته ونظم حروفه، يقول سيد قطب:

" لفظة (لَّيُبَطِّئَنَّ) مختارة هنا بكل ما فيها من ثقل وتعثر، وإن اللسان ليتعثر في حروفها وجرسها، حتى يأتي على آخرها، وهو يشدها شداً، وإنها لتصور الحركة النفسية المصاحبة لها تصويراً كاملاً بهذا التعثر والتثاقل في جرسها، وذلك من بدائع التصوير الفني في القرآن، الذي يرسم حالة كاملة بلفظة واحدة.

وكذلك يشير تركيب الجملة كلها: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ ، بأن هؤلاء المبطئين -وهم معدودون من المسلمين- (منكم) يزاولون عملية التبطئة كاملة، ويصرون عليها إصراراً، ويجتهدون فيها اجتهاداً، وذلك بأسلوب التوكيد بشتى المؤكدات في الجملة مما يوحي بشدة إصرار هذه المجموعة على التبطئة، وشدة أثرها في الصف المسلم، وشدة ما يلقاه منها.

ومن ثم يسلط السياق الأضواء الكاشفة عليهم، وعلى دخيلة نفوسهم، ويرسم حقيقتهم المنفرة، على طريقة القرآن التصويرية العجيبة"[3].

ويتحدث الأستاذ الدكتور عبد الحميد هنداوي عن المناسبة بين التشكيل الصوتي للكلمة وما تشتمل عليه من مد، أو تشديد، أو سكون، أو تراكيب للحروف، أو تقارب أو تباعد في المخارج، أو سهولة وسلاسة في النطق، أو تعثر فيه.

يقول: " نلاحظ أننا نتعثر ونتباطأ في النطق بهذه الكلمة (لَّيُبَطِّئَنَّ) تعثراً يشبه ويحاكي تعثر المتباطئ إلى حد كبير، حيث ينتقل الفم في النطق بها من الضم في الياء إلى الفتح في الباء، إلى الكسر في

---

(1) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، (٣/ ٢١٤).

(2) انظر: الخنين، ناصر، النظم القرآني في آيات الجهاد،مكتبة التوبة،الرياض،(د.ط.د.ت) ص٥٦.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٣/ ٧٠٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الطاء الثقيلة، ثم يعاود الفتح مرة أخرى، وهذا التنقل بين الحركات والحروف المتقاربة في المخرج، يؤدي إلى نوع من الثقل في النطق بها، يشبه ثقل المتباطئ ويحاكيه "[1].

وإنه لمن الغني عن البيان القول: إن صورة التبطئة قد مهدت لها حركات الأحرف السابقة على كلمة (لَّيُبَطِّئَنَّ) فقد سبقتها حركات وغنّات رسمت جواً للتثاقل والتبطئة قبل وصول القارئ إلى الفعل نفسه، فقد افتتحت الجملة بعد حرف العطف بإن، المكسورة الهمزة، والكسرة أثقل الحركات، وقد وقعت الكسرة على حرف حلقي وهو الهمزة، ثم تلتها النون المشددة وشدتها أوجبت الغنة، ومقدار غنتها حركتان، ثم الميم المكسورة (مِنكم) وبعدها النون الساكنة المغنة بإخفاء في حرف الكاف المضمومة، والضمة أثقل الحركات بعد الكسرة، ثم جاءت اللام المفتوحة وبعدها نون ساكنة أدغمت في اللام التي بعدها، فوقع التشديد على اللام فاجتمع مثلان في النطق، وهما اللام الأولى المفتوحة والثانية المشددة بفتح بعد إدغام النون الساكنة فيها، فأضفى ذلك الجو كله صورة للمعنى المراد تقريره، من واقع جرس الحروف، ومن خلال نطق اللسان بها، ثم باستيحاء الأذن، لذلك المعنى، الذي ألقى بظلاله الكثيفة على قارئه، مما يزيده استبصاراً بحقيقة هذه الصورة، ونفوراً من تلك التبطئة المذمومة إن كان من ذوي الألباب[2].

وعليه: فإن التعبير بقوله (لَّيُبَطِّئَنَّ) تعبير مختار بعناية فائقة وذلك لأنه يصور الحركة النفسية للمنافقين وضعاف الإيمان، ويرسم صورة حية لحركتهم وهم يشدون أنفسهم شداً يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى، عندما يسمعون داعي الجهاد.

٣٩ – المفردة القرآنية (وَأَهُشُّ) في قوله تعالى:

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ طه: ١٨.

يقول الراغب: الهش: يقارب الهز في التحريك، ويقع على الشيء اللين كهش الورق، أي: خبطه بالعصا. قال تعالى: ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى ﴾ وهش الرغيف في التنور يَهِشُ، وناقة هشوش: لينة غزيرة اللبن، وفرس هشوش: ضد الصلود، والصلود: الذي لا يكاد يَعْرق، ورجل هش الوجه: طلق المحيا، وقد هششت، وهش للمعروف يَهِشُ، وفلان ذو هشاش[3].

ومعنى الآية الكريمة: أن موسى –عليه السلام- يجيب ربه –عز وجل- قائلاً: هي عصاي أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمي، يقال منه: هش فلان الشجر يهش هشاً، إذا اختبط ورق أغصانها[4].

([1]) هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٧٢.

([2]) انظر: الخنين، ناصر، النظم القرآني في آيات الجهاد، ص٥٧-٥٨.

([3]) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات الفاظ القرآن، (هش) ص٤٧٤.

([4]) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٨/ ٢٩٢).

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

والتركيب لهذه المفردة يدل على الرخاوة واللين ومنه (رجل هَشُّ المكسر) أي: سهل الشأن فيما يطلب من الحوائج وهو مدح (وهش الخبز) يَهشُّ بالكسر إذا كان ينكسر لرخاوته[1].

لما كان الهشُّ تحريكاً برفق ولين لأوراق الشجر، فإن حروف الكلمة التي ركبت منها جاءت مجسمة هذا المعنى، فالهمزة والهاء والشين حروف مستفلة، والاستفال فيه لين ورقة.

ولما كان تحريك ورق الشجر يحدث صوتاً، ويعمل على تفريق الورق على الأرض، فإن صوت الهمزة يشبه صوت أول ضرب الشجر، وإن صوت الهاء المهموس يوحي بصوت تحريك العصا بين أوراق الشجر، وأما التفشي الذي في الشين فهو يصور لنا انتشار الورق على الأرض، وبهذا تكون هذه المفردة مصورة للمعنى بمجرد سماع جرسها، واستعمال هذه المفردة في سياقها يصور مدى عطف موسى على غنمه ورفقه بها.

٣٠- المفردة القرآنية (يُسْحَبُونَ)في قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ القمر: ٤٨ .

أصل السحب: الجر كسحب الذيل، والإنسان على الوجه، ومنه السحاب؛ إما لجر الريح له، أو لجره الماء، أو لانجراره في مَرِّه[2]، وهو في النار أشد من ملازمة المكان؛ لأنه به يتجدد مماسة نار أخرى فهو أشد تعذيباً، وجعل السحب على الوجوه إهانة لهم.

و﴿ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ والذوق مستعار للإحساس، وصيغة الأمر مستعملة في الإهانة والمجازاة. والمس مستعمل في الإصابة على طريقة المجاز المرسل[3].

و(سَقَرَ) علم على جهنم، مأخوذ من سقرت الشمس الشيء وصقرته، إذا غيرت معالمه وأذابته، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث[4].

إن هذه المفردة القرآنية (يُسْحَبُونَ) بما اشتملت عليه من أصوات احتكاكية مهموسة في السين والحاء، وصفير في السين، جاءت متناغمة ومتجاوبة ومعبرة تمام التعبير عن حكاية صوت السحب وما فيه من احتكاك واضح، وكأن الصفير في السين هو حكاية لصوت احتكاك أجساد المعذبين بالنار، وإن صوت الحاء يمثل عملية شد المسحوب على الأرض شداً عنيفاً وقوياً.

ومن مظاهر التناسق الصوتي في هذه الآية الكريمة تكرار السين فيها أربع مرات في (يسحبون، مس، سقر)، باعتبار الحرف المشدد حرفان، كما تكررت حركات الفتح على التوالي في (سَقَر) وإن لذلك ارتباطاً واضحاً بالمعنى المراد، وبيان ذلك: اننا إذا تأملنا السمات الصوتية لحرف السين بما له من

---

(1) انظر: القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (٤/ ٥٢٤).

(2) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (سحب)، ص٢٥٣.

(3) انظر:: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٧/ ٢١٥-٢١٦).

(4) طنطاوي، سيد، التفسير الوسيط، (١٤/ ١١٩).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

طبيعة احتكاكية تبدو واضحة عند النطق به نستشعر مدى مناسبة هذا الصوت الاحتكاكي المهموس لسياق الآية ومعناها حيث يتهكم بالكافرين حينما تأكل النار أجسادهم بمجرد المماسة لها.

ويأتي حرف السين بما فيه من احتكاك وصفير كأنه حكاية لصوت احتكاك تلك النيران بأجساد هؤلاء الكافرين، بل إننا لنستشعر عند النطق بهذه السينات المتتالية في (مس سقر) حكاية صوت الشيء الذي يشيط ويحترق عند تسليط النيران عليه، ويمكن إدراك هذا بتكرار هذه السينات عند النطق بها في سياقها.

كما يأتي هذا الصوت الاحتكاكي في هذه السينات المتتابعة متجاوباً ومتناغماً مع صوت الاحتكاك المتجاوب في أول الآية من السين المعبرة عن حكاية صوت السحب في قوله (يسحبون).ومن هنا فإن الاحتكاك تبقى صورته وصوته من أول الآية إلى آخرها.

كما توحي حركة الفتح المتتابعة في سقر على تتابع وتوالي العذاب، وسرعة غليان تلك النيران وتقلبها بأهلها، ومن ثم يأتي توالي الحركات هنا محاكياً تمام المحاكاة لحركة الفوران والغليان[1].وفي هذا التكرار الصوتي للسين في هذه الآية الكريمة مظهر من مظاهر الإعجاز الصوتي الذي تفرد به هذا الكتاب الخالد.

٣١-المفردة القرآنية (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) في قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ هود: ٢٨

اللام والزاء والميم أصلٌ واحد صحيح، يدلُّ على مصاحبة الشيء بالشيء دائماً. يقال: لَزِمه الشيءُ يَلْزَمُه. واللِّزام: العذاب الملازم للكفار.[2]

والإلزام ضربان: إلزام بالتسخير من الله تعالى، أو من الإنسان.وإلزام بالحكم والأمر. نحو قوله: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾هود :٢٨،وقوله:﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ الفتح:٢٦

وقوله: ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾ الفرقان: ٧٧ ،أي: لازما. وقوله: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾ طه: ١٢٩.[3]

([1]) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص١١٨-١١٩.

([2]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(لزم)،(٥/ ٢٤٥).

([3]) الراغب الأصفهاني، معجم المفردات ألفاظ القرآن،(لزم)،ص٥٠٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي قوله﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ثلاثة مضمرات: ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب، وهو أحسن ترتيب: بدأ بالمتكلم، لأنه أخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب. ولو جيء بالغائب أولاً لانفصل الضمير وجوباً. (١)

والاستفهام في قوله: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾للإنكار والنفي.

والمعنى: إذا كانت الهداية إلى الخير التي جئتكم بها قد خفيت عليكم مع وضوحها وجلائها، فهل أستطيع أنا وأتباعي أن نجبركم إجبارا، ونقسركم قسرا على الإيمان بي، وعلى التصديق بنبوتي، والحال أنكم كارهون لها نافرون منها. كلا إننا لا نستطيع ذلك لأن الإيمان الصادق يكون عن اقتناع واختيار لا عن إكراه وإجبار. (٢)

يقول صاحب الظلال مبيناً دلالة جرس هذه المفردة على المعنى: فأنت "تحس أن كلمة ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ تصور جو الإكراه، بإدماج كل هذه الضمائر في النطق، وشد بعضها إلى بعض كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون، ويشدون إليه وهم نافرون، وهكذا يبدو من التناسق في التعبير أعلى من البلاغة الظاهرية، وأرفع من الفصاحة اللفظية". (٣)

ونستطيع أن نتلمّس جمال هذه المفردة بأن نقرر بأنَّ فيها سمة الاختزان، لأن صيغتها تعني وجود مفعولين، وكأن إضمار هذين المفعولين من أجل موافقة نبرة الغضب التي تتطلب السرعة. والمفعولان هما: الكفّار والآيات.

وكأن غرابة استعمال هذه المفردة على هذا الشكل يمثل غرابة الموقف الإلهي، فإنه- عزَّ وجل- لا يجعل الإيمان فعلاً قسرياً كالتنفس والنوم، مما ينفي إرادة البشر، ويحطُّ من كرامتهم . فالإيمان لا يكون إلا محض اختيار. (٤)

إنَّ نطق هذه المفردة على صيغتها التي بنيت عليها فيه من الثقل ما يوحي بالثقل وصعوبة التحمل، والإكراه على حمل شيء ينفر منه المدعو ويستثقل حمله وتشمئز منه نفسه.

ولو جئنا نفسّر سرّ هذا الثقل في هذه الصيغة لوجدناه يتأتى من نواح عدة منها: إضمار المفعولين وإدماجهما معاً مما يجعل هناك شداً وإدماجاً في عملية النطق.

وكذلك ينشأ هذا الثقل من طريقة ترتيب حروفها واختلاف مخارجها، حتى كأن اللسان يصيبه الإعياء، ويَمَسُّه اللغوب وهو ينتقل بين هذه المخارج؛ الأمر الذي يشعر بالثقل.

فالهمزة من أقصى اللسان، ثم ينتقل النطق إلى طرف اللسان مع اللثة ثم ينحرف إلى مخرج اللام ثم يقف اللسان بين الأسنان ليخرج الزاي ثم تنطبق الشفتان لخروج الميم ثم نرجع إلى أقصى اللسان

---

(١) انظر: ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ١٠/ .

(٢) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (٧/ ١٩٣-١٩٤).

(٣) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن ، ص٩٢.

(٤) انظر: ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية،ص١٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مع الحنك الأعلى حيث مخرج الكاف ثم يرتد النطق إلى الشفتين مرّة أخرى لخروج الميم، وفي هذه الأثناء تمتد الشفتان لخروج الواو ثم يأتي حرف الهاء ليخرج من أقصى الحلق. فالنطق بدأ بأقصى الحلق وانتهى به، واللسان بينهما يتنقل جيئة وذهاباً.

٣٢- المفردة القرآنية (يُزجي) في قوله تعالى:

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ الإسراء: ٦٦ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ النور: ٤٣

التزجية: دفع الشيء لينساق، كتزجية رديف البعير، وتزجية الريح السحاب، قال تعالى: ﴿ يُزْجِى سَحَابًا ﴾، وقال: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ ومنه قلنا رجل مُزَجًّى، وأزجيت رديء التمر فزَجَا. ومنه استعير: زجا الخراج يزجو، وخراج زاجٍ.

والإزجاء: سوقُ الشيء برفقٍ وسهولة، غلبَ في سوقِ شيءٍ يَسيرٍ أو غير معتدٍّ به، ومنه البضاعةُ المزجاة. أي: غير يسيرة، يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتداد بها.[1] ففيه إيماءٌ إلى أنَّ السحاب بالنسبة إلى قُدرته تعالى ممّا لا يعتمد به.[2]

نلحظ أن أصل المادة يدور على سوق شيء وتيسيره ودفعه برفق لا كلفة فيه.

فكلمة ﴿ يُزْجِى ﴾ بجرسها الموسيقي، ترسم حركة السحاب البطيئة في السماء. وما فيها من امتدادات رخيةمتطاولة. بخلاف ما لو استعمل كلمة(دفع أو ساق)

فهذه المفردة تبدأ بالياء وتختم بها أيضاً. والياء حرف لين رخو. كما أن الزاي حرف من حروف الصفير والجهر والجيم من حروف الشدة والجهر، ولكن ترتيبها في الكلمة، بين الزاي والياء، وحركة الكسر عليها خففت من شدّتها، وجعلتها متناسقة مع ما قبلها وما بعدها.

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن،(زجا)،ص٢٣٧.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،(٦/ ١٨٤).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهذه الكلمة بتنويع حروفها من حيث المخارج والصفات، وتنويع حركاتها، وتأليفها من مقطعين (يُز- جِي) جعل إيقاعها رخيصاً ممتداً كرخاوة حركة السحاب، وامتداده في السماء.[1]

٣٣- المفردة القرآنية (يَتَمَطَّىٰٓ) في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾ القيامة: ٣٣. قال ابن فارس: الميم والطاء أصل صحيح يدل على مد الشيء، ومَطَّهُ: مَدُّه، والقياس فيه وفي المطيطاء واحد، وهو المشي بتبختر، لأنه إذا فعل مط أطرافه، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾ القيامة: ٣٣.[2]

وقيل: ﴿ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ من المطا وهو الظهر، والمعنى: يلوي مطاه. وقيل: أصله يتمطط، وهو التمدد من التكسل والتثاقل، فهو يتثاقل عن الداعي إلى الحق، فأبدل من الطاء ياء كراهة التضعيف. والتمطي يدل على قلة الاكتراث، وهو التمدد، كأنه يمد ظهره ويلويه من التبختر، والمطيطاء: التبختر ومد اليدين في المشي[3].

وندرك من الكلام السابق أن هذه المفردة ﴿ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ إذا كان جذرها من مادة (مطا) فإن ظاهر اللفظ لم يظهر عليه تغيير، والحال إذا كان من مادة (مط) يكون أصل جملة (يَتَمَطَّىٰٓ) هو (يتمطط) حيث بدلت الطاء الأخيرة بالياء.

ومعنى (يَتَمَطَّىٰٓ) يختال في نفسه أو يتبختر في مشيته، قيل: هي مشية بني مخزوم[4].

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في وصف مشية أبي جهل كما ذكر ذلك أهل التفسير[5]. وإنما فعل هذا لمرونه على المعصية بدل الاستحياء والخجل والانكسار[6].

والتعبير القرآني يتهكم به، ويسخر منه، ويثير السخرية كذلك، وهو يصور حركة اختياله بأنه يتمطى، يمط في ظهره ويتعاجب تعاجباً ثقيلاً كريهاً[7].

إن هذه المفردة (يَتَمَطَّىٰٓ) تمثل جانباً من العلاقة بين الصوت والصورة وذلك "لأن الشفاه ترتاح في حركة الفتح، ونستطيع أن نتلمس تطاول الأعضاء بعد شد العضلات من الوقوف في الشدة الذي

---

(1) انظر: الراغب، عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص٣٨٩.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (مط)، (٥/ ٢٧٣).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٩/ ٧٤).

(4) الماوردي، النكت والعيون، (٦/ ١٥٩).

(5) انظر: الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٦٥١).

(6) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٢٥٥).

(7) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٧٧٣).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تتبعه الألف المقصورة ذات المد الطويل، وهذا المد يمثل انفراج الأعضاء، وتعالي الرجل في مباهاة وخيلاء، وتلك مشية ذميمة اسمها المطيطاء"[1].

وأضيف بأن هذه المفردة باشتمالها على حرف الطاء بما يمتاز به من استعلاء وإطباق وشدة وجهر يصور حالة هذا المستعلي المتكبر الذي يجاهر بمشيته وخيلائه، وكأنه يريد أن يصيب برأسه طباق السماء. ويأتي التشديد في (الطاء) ليمثل بطء الحركة وثقلها إتماماً لصورة ذلك المتكبر الذي يريد أن يلفت الأنظار إليه.

٣٤- المفردة القرآنية (يَتَرَقَّبُ) في قوله تعالى:

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ القصص: ١٨، ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ القصص: ٢١، رقَبَهُ يرقُبُه رِقْبَةً ورِقْباناً بالكسر فيها، ورُقُوباً وتَرقَّبه وارْتَقَبَه انتظره ورصده، والترقب: الانتظار، وكذلك الارتقاب، والترقب تنظُّر وتوقع شيء[2].

يقول تعالى ذكره: فخرج موسى من مدينة فرعون خائفاً من قتله النفس أن يقتل به ﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ يقول: ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه[3]، أي: أنه: ينتظر المكروه وهو الاستقادة منه، أو الإخبار وما يقال فيه[4]، وقيل: (يَتَرَقَّبُ) أي: يتلفت ويتوقع ما يكون من هذا الأمر[5]، وذلك لأن الخائف كثير الالتفات برقبته ذعراً من طارقه تطرقه في ذلك[6].

وقد بين سيد قطب ما تلقيه هذه المفردة من ظلال وإيحاءات فقال: ولفظ (يَتَرَقَّبُ) يصور هيئة القَلِق الذي يتلفت ويتوجس، ويتوقع الشر في كل لحظة، ....والتعبير يجسم هيئة الخوف والقلق بهذا اللفظ، كما أنه يضخمها بكلمتي (في المدينة). فالمدينة عادة موطن الأمن والطمأنينة، فإذا كان خائفاً يترقب في المدينة، فأعظم الخوف ما كان في مامن ومستقر[7].

ولم يوضح سيد قطب كيف استفاد هذا المعنى أو هذا الإيحاء من التشكيل الصوتي للمفردة، بل أبقى الأمر غامضاً؛ولتوضيح ذلك يمكنني القول:

---

(1) ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص ١٥٩.

(2) ابن منظور، لسان العرب، (رقب).

(3) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٩/ ٥٤٨).

(4) الزمخشري، الكشاف، (٣/ ٣٨٦).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٥٠٨).

(6) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٥/ ٤٧٥).

(7) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٨٦-٢٦٨٣).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إن موسى -عليه السلام- يمشي بتمهل، إلا أنه في مشيته يتلفت يمنة ويسرة بين الفينة والفينة خوف العدو، فيتقاسم حركته المشيُ والوقوفُ الحذر في خفية وحذر. ولعل هذا يستمد من توالي الفتحات الذي يتبعه وقوف الشدة، ثم تجيء حركة الضم على الباء[1]، إن حرف القاف بما فيه من صفة الاستعلاء يوحي بهيئة المترقب وهو يمد رقبته عالياً ينظر هنا وهناك، وإن التشديد الذي على القاف (قّ) يوحي النطق به بالتمهل والحذر كما هو حال المترقب.

٣٥- المفردة القرآنية (يَتَجَرَّعُهُ) في قوله تعالى:

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ إبراهيم: ١٧.

جَرَع الماء يَجْرَع،وقيل: جَرِع. وتُجَرّعه إذا تكلف جرعه، قال عز وجل: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ والجرعة قدر ما يتجرع، وأفلت بجُرَيْعَة الذقن (الجريعة: تصغير الجرعة) بقدر جرعة من النفس[2].

وتجرع: (تفعَّل) وفيه احتمالات: أحدها: أنه مطاوع جَرَّعْته نحو علَّمْته فتعلَّمْ. والثاني: أنه يكون للتكلف، نحو تحلَّم، أي: يتكلف جرعه، ولم يذكر الزمخشري غيره[3]. والثالث: أنه دال على المهلة، نحو تفَهَّمْته، أي: يتناوله شيئاً فشيئاً كما يفهم شيئاً فشيئاً بالتفهيم.

الرابع: أنه بمعنى جرع المجرد، نحو: عَدَدْتُ الشيء وتعدَّيْته. والمعنى: يتحسَّاه ويشربه لا بمرة واحدة، بل يجرعه لمرارته وحرارته[4].

وهذا الفعل معبر عن صعوبة الأمر عليهم، فقد روي أن الكافر يؤتى بالشربة من شراب أهل النار فيتكرهها، فإذا أدنيت منه شوت وجهه وسقطت فيها فروة رأسه، فإذا شربها قَطَّعت أمعاءه[5].

وهذه المفردة ترسم صورة لمشهد عجيب، إنه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد، مشهد الخيبة في هذه الأرض، ولكنه يقف هذا الموقف، ومن ورائه تخايل جهنم وصورته فيها، وهو يسقى من الصديد السائل من الجسوم، يسقاه بعنف فيتجرعه غصباً وكرهاً، ولا يكاد يسيغه لقذارته ومرارته، والتعزز والتكره باديان نكاد نلمحهما من خلال الكلمات، ويأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان، ولكنه لا يموت، ليستكمل عذابه، ومن ورائه عذاب غليظ.

---

(١) انظر: ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص١٥٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (جرع) ص١٠٣.

(٣) الزمخشري، الكشاف، (٢/ ٥٢٥).

(٤) ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، (١١/ ٣٥٩).

(٥) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣/ ٣٣١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنه مشهد عجيب، يرسم الجبار الخائب المهزوم ووراءه مصيره يخايل له على هذا النحو المروع الفظيع، وتشترك كلمة غليظ في تفظيع المشهد، تنسيقاً له مع القوة الغاشمة التي كانوا يهددون بها دعاة الحق والخير والصلاح واليقين[1].

يقول الأستاذ صبحي الصالح عن مفردة (يَتَجَرَّعُهُ): "وما أحسب شفتيك إلا منقبضتين استقباحاً واستهجاناً لحال الكافر الذي يتجرع صديده، ولا يكاد يسيغه، فتستشعر في لفظة التجرع ثقلاً وبطءاً يدعوان إلى التقزز والكراهية"[2].

وهذا الثقل والشدة الواقعان في المفردة موطنهما في قوة الجيم والراء، والأخير متكرر بطبعه، وهو مضعف هنا، وتعطي العين شيئاً من مظهر التقزز الحسي، فهذا التشكيل الصوتي يجسد صعوبة دخول الصديد، وليس في المفردة حرف ليّن أو هامس[3].

٣٦- المفردة القرآنية (يَصْطَرِخُونَ) قال تعالى:

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ فاطر: ٣٧ ، ومعنى (يصطرخون) يتصارخون: يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة، واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته[4].

وقال الطبرسي: "والاصطراخ: الصياح والنداء والاستغاثة: افتعال من الصراخ، قلبت التاء طاءً لأجل الصاد الساكنة قبلها؛ وإنما نفعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والإطباق، ويوافق التاء في المخرج"[5].

إن هذه المفردة (يَصْطَرِخُونَ) بصيغتها وجرسها وشدة نطقها وثقله وتقارب مخارج حروفها تترجم تلك الحالة النفسية التي يسودها صياح وصراخ واستغاثة وتضرع وبكاء ترجمة دقيقة بحيث تنقل إليك ما يدور في ذلك الموقف من ضجيج وانفعالات، فهي ترشد العقل إلى دلالتها، وتصور ما فيها من قوة في الانفعال والتحسر[6].

يقول سيد قطب مجلياً ما توحيه هذه المفردة من دلالة: " تسمع كلمة يصطرخون في الآية فيخيل إليك جرسها الغليظ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، كما تلقي إليك ظل الإهمال لهذا الصراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يلبيه. وتلمح

---

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٤/ ٢٠٩٣-٢٠٩٤).

(2) الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ص٣٣٦.

(3) انظر: ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص٢٣٣.

(4) الزمخشري، الكشاف، (٣/ ٥٩٧).

(5) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، (٧/ ٦٤١).

(6) انظر: السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، (ص٩٢-٩٣).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون ثم يقول: وحين يستقل لفظ واحد بهذه الصور كلها يكون ذلك فناً من التناسق الرفيع"[1].

ويقول أيضاً: " ثم ها نحن أولاء يطرق أسماعنا صوت غليظ محشرج مختلط الأصداء، متناوح من شتى الأرجاء، إنه صوت المنبوذين في جهنم ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ وجرس اللفظ نفسه يلقي في الحس هذه المعاني جميعاً"[2].

ولا شك أن الموقف الذي جاءت المفردة معبرة عنه لا يمكن أن يقع مكانها لفظة أخرى أو بناء آخر يؤدي نفس الدور، أو يرسم نفس الصورة. يقول الدكتور تمام حسان:" فكأن ارتفاع أصواتهم بالصراخ ومشاركتهم جميعاً فيه، وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يعبر عنه بالفعل المجرد فيقال مثلاً: وهم يصرخون فيها، فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة في إيقاع الحدث، وقد قصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم ليكون في تفخيمها فضل مبالغة في إيقاع الفعل"[3].

وعليه نقرر أن كل بناء في القرآن مقصود لذاته فضلاً على أن كل كلمة مقصود لذاتها. وإن هذا البناء يوحي بأن الصراخ قد بلغ ذروته، والاضطراب قد تجاوز مداه، والصوت العالي الفظيع يصطدم بعضه ببعض، فلا أذن صاغية، ولا نجدة متوقعة، فقد وصل اليأس أقصاه، والقنوط منتهاه، فالصراخ شدة إطباقه وتراصف إيقاعه، من توالي الصاد والطاء، وتقاطر الراء والخاء، والترنم بالواو والنون يمثل لنا رنة هذا الاصطراخ المدوي[4].

ثم إن الصاد والطاء بما فيهما من تفخيم وإطباق يعبران تمام التعبير عن حال أهل النار، الذين يحاولون الخروج منها، وهذا هو عين ما يصطرخون به: (ربنا أخرجنا) فإذا بهم يجدونها مطبقة عليهم، تصطدم محاولاتهم وأصواتهم بجدرانها، فترتد إليهم خائبة، كما تتلاقى دلالات التفخيم في كل من الصاد والطاء والخاء لتعبر عن ضخامة الصراخ لأهل النار، كما تعبر الراء بما لها من صفة التكرارية عن تكرر ذلك الصراخ واستمراريته، ويشارك في هذا حرف الواو بما له من صفة المد والهوي إلى غاية سحيقة، ليدل على طول هذا الصراخ، ثم تأتي النون في نهاية الكلمة معبرة بأنتها الحزينة عن مدى الحسرة والخيبة التي يؤوب بها الكافر من هذا الصراخ الطويل الدائم الأليم[5].

وإن بناء هذه المادة (صرخ) وتقلباتها الصرفية تحمل معنى رفع الصوت طلباً للنجدة والإغاثة والإعانة وكشف البلية. ونظرة في اشتقاقات هذه المادة في القرآن تجعلنا ندرك ذلك: فالإصراخ هو

---

(1) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص٩٢-٩٣.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٥/ ٢٩٤٥).

(3) حسان، تمام، البيان من روائع القرآن، ص٢٠٤.

(4) انظر: الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص١٦٦.

(5) هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٦٠-٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإغاثة[1] وتلبية الصارخ، وقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ﴾ تعني البراءة المتناهية، والإحباط التام، والصوت المجلجل في الدفع، فلا يغني بعضهم عن بعض شيئاً، ولا ينجي أحدهما الآخر من عذاب الله، ولا يغيثه مما نزل به، فلا إنقاذ ولا خلاص ولا صريخ من هذه الهوة، وتلك النازلة فلا الشيطان بمغيثهم، ولا هم بمغيثيه.

والصريخ في اللغة يعني المغيث والمستغيث[2]، فهو من الأضداد، وفي المثل: عَبْد صريخه أمَة، أي: ناصره أذل منه، وقد قال تعالى: ﴿ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ فيا له من موقف خاسر وجهد بائر، فلا سماع حتى لصوت الاستغاثة، ولا إجارة مما وقعوا فيه.

والاستصراخ الإغاثة، واستصرخ الإنسان إذا أتاه الصارخ، وهو الصوت يعلمه بأمر حادث ليستعين به[3]، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥ ﴾ : طلب النجدة في فزع، ومحاولة للإنقاذ في رهب، والاستعانة على العدو بما يردعه عن الإيقاع به، وما ذلك إلا نتيجة خوف نازل، وفزع متواصل، وتشبث بالخلاص[4].

٣٧- المفردة القرآنية (يَهِدِّيٓ) في قوله تعالى:

﴿ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ ﴾ يونس: ٣٥.

جاءت هذه المفردة (يَهِدِّيٓ)[5] مبدلة مدغمة، حيث أبدلت التاء دالاً، لتقارب مخرجيهما، ثم ادغمت في الدال، لأن أصل الفعل (يهتدي) وحُرِّكت الهاء تخلصاً من التقاء الساكنين.ويبين الإمام البقاعي موجب الإبدال والإدغام في هذه المفردة فيقول:

([1]) انظر: الزمخشري، الكشاف، (٢/ ٥٢٩).

([2]) انظر: ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، (١٦/ ٢٣٠).

([3]) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٣/ ١٧٢).

([4]) الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص١٦٦.

([5]) قرأ عاصم في رواية أبي بكر: (أمن لا يِهِدِّي) بكسر الياء والهاء. أراد يهتدي فأدغم التاء في الدال فالتقى ساكنان فكسر الهاء لالتقاء الساكنين وكسر الياء لمجاورة الهاء وأتبع الكسرة الكسرة. وقرأ حفص ويعقوب (أمن لا يَهِدِّي) بفتح الياء وكسر الهاء تشديد الدال ، والهاء مكسورة لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش بفتح الياء والهاء وتشديد الدال (يَهَدِّي) والأصل يهتدي، فأدغموا التاء وطرحوا فتحتها على الهاء واحتجوا بقراءة عبد الله (أمن لا يهتدي).وقرأ حمزة والكسائي وخلف (أم من لا يَهْدِي) ساكنة الهاء خفيفة الدال وحجتهما في ذلك أن يهدي في معنى (يهتدي) تقول: هديت غيري وهديت أنا على معنى اهتديت، قال الفراء: العرب تقول: هدى واهتدى بمعنى واحد وهما جميعاً في أهل الحجاز.وقرأ قالون وأبو عمرو بفتح الياء وتشديد الدال واختلف في الهاء عنهما. فأما أبو عمرو فروى المغاربة قاطبة وكثير من العراقيين عنه اختلاس فتحة الهاء (يَهَدِّي). وروى عنه أكثر العراقيين إتمام فتحة الهاء كابن كثير ومن معه.وأما قالون فروى عنه أكثر المغاربة وبعض المصريين الاختلاس كأبي عمرو سواء وهو اختيار الداني الذي لم يأخذ بسواه مع نصه عنه بالإسكان. وروى العراقيون قاطبة وبعض المغاربة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

"﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ ﴾ أي: يهتدي فضلاً عن أن يهدي غيره إلى شيء من الأشياء أصلاً وراساً؛ وإدغام تاء الافتعال للإيماء إلى انتفاء جميع أسباب الهداية حتى أدانيها، فإن التاء عند أرباب القلوب معناها انتهاء التسبب إلى أدناه"[1].

ويرى تمام حسان أن هذا التشكيل في المفردة جاء ليبلغ رسالة، يقول:

"وكأن التشديد قد جاء هنا ليبلغ رسالة خاصة تدور حول ملحظ في استعمال الفعل هو الدلالة على أن هذا الشخص المشار إليه لا يهتدي بنفسه، وأنه إذا جاء من يقوده إلى الطريق السوي لم يسلس قياده له، فكأن وصوله إلى الهداية آخر الأمر يأتي بعد أخذ ورد، وكأن الذي ندب نفسه لهدايته يأخذ بيده جذباً إلى الغاية المرجوة، لكنه يحاول الإفلات منه، فما يصل به إلى الغاية إلا بعد مشقة. هذا ما يوحي به السكون الذي يسبق الحركة في التشديد وهو إيحاء من طريق الحكاية"[2]، وكأن كل حركة يتحركها تأتي عقب توقف وحيرة، إذ تعبر أولى الدالين وهي الساكنة عن التوقف والحيرة، وتعبر الثانية عن الحركة.

تعبر هذه المفردة بتشكيلها الصوتي، وطريق نطقها عن البطء الشديد في الهداية، ويستفاد ذلك البطء من كسر الهاء التي من أقصى الحلق ليصطدم الصوت بالدال الأسنانية المشددة المكسورة التي يظل الصوت حبيساً عندها لتضعيفها ثم يتمادى به في الهوى مع الياء الممدودة مداً طويلاً، لوجود سبب المد بعده وهو همزة (إلا) ليوحي ذلك المد بطول طريق الهداية مع بطئها الشديد كذلك.وهذه الهداية مع بطئها وطولها الشديد وتراخيها الأبدي منفية كذلك على كل حال، مما يفيد أن هؤلاء الشركاء لا يهدون بحال أبداً إلا أن يُهْدَوا، ولا تكون هذه الهداية إلا من عند الله تعالى[3].

٣٨- المفردة القرآنية (تَقْشَعِرُّ) في قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزمر: ٢٣

والاقشعرار التقبض، يقال: اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً، وتركيبه من القشع، وهو الأديم اليابس، قد ضم إليه الراء ليكون رباعياً، ودالاً على معنى زائد، يقال: اقشعرَّ جلده وقَفَّ شعره

والمصريين عنه الإسكان وهو المنصوص عنه وعن أكثر رواة نافع. فقالون روي عنه وجهان:الأول: (يَهَدِّي) باختلاس حركة الفتح كأبي عمرو.الثاني: (يَهْدِّي).ووافقه أبو جعفر.

(انظر:الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر.ص٤٤٠. وانظر: ابن زنجلة، حجة القراءات،ص٣٣١-٣٣٢).

(١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٣/ ٤٤١).

(٢) حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، ص(١/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٣) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٩٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة، والمراد: إما بيان إفراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير، أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق.

والمعنى أنهم إذا سمعوا القرآن وقوارع آيات وعيده أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم، وإذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى[1].

ويبين البقاعي سر زيادة الراء في هذه المفردة فيقول: "وزيد حرفاً لزيادة المعنى، واختير حرف التكرير إشارة إلى المبالغة فيه، وكونه حرف التكرير أشد للمناسبة"[2].

إن هذه المفردة القرآنية تنقل لنا صورة حية حساسة ترسمها الحروف فتكاد تشخص فيها الحركات، فحروف هذه المفردة مشخصة لتلك الحالة التي تعتري الإنسان إذا خاف من شيء تشخيصاً كاملاً.

فالشين توحي بسريان هذا الإحساس في جميع أنحاء البدن، وانتشاره فيه مما يتبعه انقباض شديد يظهر في جلد الإنسان، وهذا مما قد يوحي به حرف العين المكسور، ويوحي الراء ذي الصفة التكرارية مع ما فيه من التضعيف بانتفاض البدن انتفاضاً شديداً.

٣٩- المفردة القرآنية (أَوِّبِي) في قوله تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ سبأ: ١٠،

الهمزة والواو والباء أصل واحد، وهو الرجوع، ثم يشتق منه ما يبعد في السمع قليلاً، والأصل واحد[3].

وقال الراغب: الأوب، ضرب من الرجوع، وذلك أن الأوب لا يقال إلا في الحيوان الذي له إرادة، والرجوع يقال فيه وفي غيره، ويقال: آب أوباً وإياباً ومآباً.

والأوّاب كالتواب، وهو الراجع إلى الله تعالى بترك المعاصي وفعل الطاعات، قال تعالى: ﴿أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ ق: ٣٢، وقال: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ومنه قيل للتوبة: أوبة، والتأويب يقال في سير[4].

وقد أجمع القراء على تشديد (أَوِّبِي) ومعناه سبحي، وقرأ بعضهم (أُوبِي معه) من آب يؤوب أي تصرفي معه[5]، قال الطبري معقباً على القراءة الثانية: وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة[6].

---

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ٢٥١).

(٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٦/ ٤٣٩).

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (أوب)، (١/ ١٥٢).

(٤) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٧.

(٥) انظر: الفراء، معاني القرآن، (٢/ ٣٥٥)، وانظر:: الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص٤٥٨.

(٦) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٠/ ٣٥٧).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومعنى الآية الكريمة: ولقد أعطينا داود منا فضلاً، وقلنا للجبال (أوبي معه): سبحي معه إذا سبح، والتأويب عند العرب: الرجوع ومبيت الرجل في منزله وأهله[1].

وذكر الماوردي أن في (أَوِّبِي) ثلاثة تأويلات:

أحدها: سبحي معه، والثاني: سيري معه وهو من السير ما كان في النهار كله أو في الليل كله. وقيل: بل هو سير النهار كله دون الليل، والثالث: ارجعي إذا رجع[2].

ويمكن القول: إن جميع هذه المعاني المذكورة محتملة ويمكن الجمع بينها بأن الجبال والطير مأمورة بمشاركة داوود التسبيح في كل وقت ومكان، وأن تعود إلى التسبيح كلما عاد إلى ذلك.

إن في هذه المفردة (أَوِّبِي) جرساً موسيقياً حالماً، وصدى صوتياً عميقاً، وإطلاقاً للأصوات من أقصى الحلق وضمها للشفة ثم إعادة إطلاقها، فيما به يتعين موقع (أَوِّبِي) بحيث لا يسد مسدها غيرها من الألفاظ، فالمراد بها ترجيع التسبيح من آب يؤوب، على جهة الإعجاز بحيث تسبح الجبال، وهو خلاف العادة، وخرق لنواميس الكون في ترديد الأصوات من قبل ما لا يصوت[3].

وهذه المفردة لو غيرت أو بدلت لما قامت غيرها مكانها ولاختل المعنى المراد، وانعدمت الدلالة الصوتية، قال الزمخشري: "فإن قلت أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال: وآتينا داوود منا فضلاً تأويب الجبال معه والطير؟ قلت: كم بينهما؟ ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية، وكبرياء الألوهية، حيث جعلت الجبال منزّلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا، إشعاراً بأنه ما من حيوان وجماد، وناطق وصامت إلا وهو منقاد إلى مشيئته غير ممتنع عن إرادته"[4].

٤٠- المفردة القرآنية (أَمْهِلْهُمْ) في قوله تعالى:

﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾ الطارق: ١٧، المَهْلُ: التؤدة والسكون، يقال: مَهَلَ في فعله، وعمل في مُهْلَة، ويقال: مهلاً، نحو: رفقاً، وقد مهَّلْتُه: إذا قلت له مَهْلاً، وأمهلته: رفقت به، قال: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾ الطارق: ١٧[5].

(فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ) أي: تمهيلاً عظيماً بالتدريج. فلا تدع عليهم، ولا تستعجل لهم بالإهلاك، فإنا لا نعجل؛ لأنه لا يعجِّل بالعقوبة إلا من يخاف الفوت، فإن العجلة وهي -إيقاع الشيء في غير وقته الأليق به- نقص فإنه لا يعجل إلا من يكون ما يفعل المستعجل عليه خارجاً عن قبضته.

---

(1) المرجع السابق، (٣٥٦/٢٠).

(2) الماوردي، النكت والعيون، (٤/ ٤٣٥).

(3) الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص١٨٩.

(4) الزمخشري، الكشاف، (٣/ ٥٥٤).

(5) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (مهل)، ص٥٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولما كانت صيغة التفعيل ربما أفهمت التطويل، أكد ذلك مجرداً للفعل، دلالة على أن المراد بالأول إيقاع الإمهال - مع أن زمنه قصير - بالتدريج ليطمئن المُمْهل بذلك، وتصير له به قوة عظيمة وعزيمة صادقة لأن ما يقولونه مما تشتد كراهة النفوس له، فلا يقدر أحد على الإعراض عنه إلا بمعونة عظيمة: (أَمْهِلْهُمْ) أي: بالإعراض عنهم مرة واحدة بعد التدريج لما صار لك على حمله من القوة بالتدريج الذي أمرت به سابقاً (رُوَيْدًا) أي: إمهالا يسيراً فستكون عن قريب لهم أمور، وأيُّ أمور تشفي الصدور[1]، وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير[2].

"ونلحظ في التعبير الإيناس الإلهي للرسول: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ كأنه هو -صلى الله عليه وسلم- صاحب الأمر، وصاحب الإذن، وكأنه هو الذي يأذن بإمهالهم، أو يوافق على إمهالهم، وليس من هذا كله شيء للرسول -صلى الله عليه وسلم- الإيناس الذي يخلط بين رغبة نفسه وإرادة ربه، ويشركه في الأمر كأن له فيه شيئاً، ويرفع الفوارق والحواجز بينه وبين الساحة الإلهية التي يُقْضي فيها الأمر ويُبْرم، وكأنما يقول له ربه: إنك مأذون فيهم، ولكن أمهلهم، أمهلهم رويداً، فهو الود العطوف والإيناس اللطيف، يمسح على الكرب والشدة والعناء والكيد، فتنمحي كلها وتذوب، ويبقى العطف الودود"[3].

يرسم نطق هذه المفردة (أَمْهِلْهُمْ) صورة للتبطئة وعدم العجلة، والذي ساعد على رسم هذه الصورة حركة السكون التي أسهمت في تطويل عملية النطق بهذه المفردة لتتناغم مع عملية الإمهال المرادة في السياق.

لقد قسمت حركة السكون هذه المفردة إلى ثلاثة مقاطع هي (أَمْ/ هِلْ/ هُمْ) وكل مقطع منها منتهٍ بالسكون، والسكون موحٍ بالهدوء والرفق وعدم العجلة، وفي هذا السكون الظاهر في كل مقطع دعوة لضبط النفس وعدم التهور والاندفاع في مقاومة الشدائد ودفعها، فإن ما يحققه الإمهال من نتائج لا يمكن تحقيقه بالعجلة، وفي هذا منهج دعوي رائع ترسمه لنا هذه المفردة؛ ولذا ينبغي على قارئ هذه الآية الكريمة أن ينقل لنا بصوته حال قراءته إياها صورة للتبطئة ليكون هناك تناسق تام بين الأداء الصوتي وبين دلالة المفردة.

٤١- المفردة القرآنية (فَسِيحُواْ) في قوله تعالى:

﴿ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ﴾ التوبة: ٢

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٣٩٢).

[2] الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٧٢٤).

[3] قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٨٨١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السياحة والسَّيْحُ: الذهاب في الأرض، والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة، كسَيْحِ الماء على موجب الطبيعة، ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والتوفية ما ليس في (سيروا) ونظائره؛ وذلك لأن لفظ السياحة يدل على الاتساع في السير والبعد عن المدن، وعن موضع العمارة.

وزيادة قوله -عز وجل- (فِي ٱلْأَرْضِ) لقصد التعميم لأقطارها من دار الإسلام وغيرها[1].

والمعنى: اذهبوا فيها كيف شئتم، وليس ذلك من باب الأمر، بل المقصود الإباحة والإطلاق والإعلام بحصول الأمان وإزالة الخوف، يعني: أنتم آمنون من القتل والقتال في هذه المدة[2].

إن هذه المفردة تدل على السير في الأرض بسهولة ويسر، وعلى الاتساع في هذا السير أي: أنه ليس محصوراً في نطاق ضيق أو في مكان معين.

وإن حروف المفردة وحركاتها لتوحي بهذا المعنى إيحاءً تاماً، فالمفردة مكونة من مقطعين هما (سِي) و(حُوا) وإنما قلنا مقطعين، لأن الفاء ليست من بنية الكلمة، وإنما هي عاطفة في هذا السياق.

والمقطع الأول (سِي) مكون من السين وهو حرف مهموس يجري معه النفس بسهولة ويسر، كما أنه حرف رقيق مستفل يوحي بالسهولة والرقة، وقد ساعدت الكسرة التي على السين في إضافة معنى الخفض والتذلل وعدم وجود ما يعيق هذا السير.

والياء حرف لين رقيق يشترك مع السين في الدلالة على الرقة والسهولة، وإن هيئة نطق هذا المقطعت حيث تنخفض الشفة السفلى تاركة مساحة واسعة لجريان النفس يوحي بانسيابية السير والجريان فلا عائق ولا حائل يمنع من ذلك.

وإذا جئنا إلى المقطع الثاني (حُوا) اشعرت الحاء بالانفساح والاتساع، والبحبوحة والانشراح وأضافت الضمة مع الواو المدية التي بعد الحاء في رسم صورة لهذه السعة الكبيرة.

٤٣- المفردة القرآنية (وَٱصْطَبِرْ) في قوله تعالى:

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ مريم: ٦٥، ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ طه: ١٣٢.

يدور أصل هذه المادة على معنى الحبس والإمساك، يقول الراغب:

الصبر: الإمساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة: حبستها بلا علف، وصَبّرت فلاناً: خلفته خلفة لا خروج له منها، والصبر: حبس النَّفْس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، والصبر لفظ عام يختلف مسماه تبعاً لاختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً، ويضاده المذل، وقد

---

(1) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤/ ٤٠).

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (١٥/ ١٧٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سمى الله تعالى كل ذلك صبراً، ونبه عليه بقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ البقرة: ١٧٧، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ الحج: ٣٥[1].

أما الاصطبار فهو الافتعال من الصبر، والاصطبار: شدة الصبر على الأمر الشاق، لأن صيغة الافتعال ترد لإفادة قوة الفعل[2].، وأصل الطاء تاء أبدلت بطاء ليكون اللفظ أسهل مخرجاً ويعذب مسمعاً[3].، وهذا يعني أنه "إذا كان فاء (افتعل) أحد الحروف المطبقة المستعلية، وهي الصاد والضاد، والطاء والظاء، وذلك لأن التاء مهموسة لا إطباق فيها، وهذه الحروف مجهورة مطبقة، فاختاروا حرفاً مستعلياً من مخرج التاء، وهو الطاء، فجعلوه مكان التاء، لأنه مناسب للتاء في المخرج والصاد والضاد والظاء في الإطباق"[4].

ومعنى قوله: ﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ مريم: ٦٥، أي: اصبر صبراً عظيماً بغاية جهدك على كل ما ينبغي الاصطبار عليه كذلك (لعبادته) أي لأجلها فإنها لا تكون إلا عن مجاهدة شديدة[5]، وجاءت اصطبر في حق العبادة والصلاة لأنهما مستمرتان كل يوم وزيادة المبنى تفيد زيادة المعنى.

فالصلاة مثلاً كل يوم في أوقاتها وتأديتها حق أدائها وإتمامها يحتاج إلى صبر كبير؛ لذا جاءت كلمة اصطبر للدلالة على الزيادة في الصبر، ومن هنا نعلم سر اختيار هذه المفردة (وَٱصۡطَبِرۡ) وما ذلك إلا لملائمتها للمعنى المراد وهو تكلف الصبر بمغالبة النفس، ولو اختير لفظ (اصبر) لما استفيد هذا المعنى.

وعن سر تعدية هذا الفعل ب(اللام) في الآية الأولى دون (على) كما في الآية الثانية يقول الزمخشري: "فإن قلت: هلا عدي (وَٱصۡطَبِرۡ) بعلى التي هي صلته، كقوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾، قلت: لأن العبادة جعلت بمنزلة القِرن في قولك للمحارب: اصطبر لقرنك، أي اثبت له في ما يورد عليك من شداته، أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق، فاثبت لها ولا تهن، ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط، وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك"[6]

([1]) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (صبر)، (٣٠٦-٣٠٧).

([2]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٦/ ١٤٢).

([3]) الماوردي، النكت والعيون، (٥/ ٤١٥).

([4]) الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق وضبط: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م، (٣/ ٢٢٦).

([5]) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٤/ ٥٥٠).

([6]) الزمخشري،الكشاف،٣/ ٢٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإذا كان بناء هذه المفردة واصطبر على صيغة الافتعال قد جاء متلائماً مع المقام الحاث على المصابرة والتحمل على مشاق العبادة وتكاليفها -إذا كان الأمر كذلك- فقد شاركت أصوات الكلمة وحروفها كذلك في تجسيم هذه الصورة وذاك المعنى.

فإذا قرأنا الآية الكريمة ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، وجدنا أن الطّاء بما فيه من استعلاء وإطباق يساعد على تجسيد الجهد الذي يكون في إقامة الصلاة، وحجم تحمل المؤمن للشدة في تنفيذ الأمر الإلهي، كما نفذه الرسول الكريم ﷺ.[1]

٤٣- المفردة القرآنية (استفز) في قوله تعالى:

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ الإسراء: ٦٤ وقوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ الإسراء: ٧٦ وقوله: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾ الإسراء: ١٠٣.

الفاء والزاء أصيل يدل على خفة وما قاربها، تقول: فَزَّهُ واستفزَّهُ، إذا استخفَّه، قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يحملونك على أن تخِفَّ عنها، وأفزَّه الخوف وأفزعه بمعنى، وقد استفز فلاناً جهله، ورجل فَزٌّ: خفيف، ويقولون: فَزَّ عن الشيء: عدل، والفَزُّ: ولد البقرة، ويمكن أن يسمى بذلك لخفة جسمه[2].

والفَزُّ: الإزعاج، قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يزعجهم، وفزني فلان، أي: أزعجني[3].

والاستفزاز: طلب الفَزّ، وهو الخفة والانزعاج، وترك التثاقل، والسين والتاء فيه للجعل الناشيء عن شدة الطلب، والحث الذي هو أصل معنى السين والتاء، أي: استخفهم وأزعجهم[4]، وقد تدل الكلمة في أصلها على: قطع شيء ما، فالعرب تقول (تفزز الثوب) إذا تقطع أو انفصلت منه قطعة، واستعمال هذه الكلمة هنا للدلالة على تحريك الشخص وإثارته لينقطع عن الحق ويتوجه نحو الباطل[5].

إن صوت الزاي في هذه المفردة جاء متناسباً مع الصوت الذي يصاحب عملية الاستخفاف والإزعاج والتحريض.

---

(1) ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص٢٤٩-٢٥٠.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (فز)، (٤/ ٤٣٩).

(3) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (فز)، ص٤٢٤.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير(١٥/ ١٥٣).

(5) الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل(٩/ ٣٤).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن الملحوظ في هذه المفردة أنها جاءت مدغمة في آيتين (لَيَسْتَفِزُّونَكَ)، و(يَسْتَفِزَّهُم) وجاء بدون إدغام في موضع واحد هو (وَٱسْتَفْزِزْ).

ويمكن التساؤل عن سر هذا الأمر؟ وللإجابة يمكن القول: إن هذه المفردة جاءت بدون إدغام حديثاً عن الشيطان وأمره بهذا الفعل، ولما كانت عداوة الشيطان للإنسان ليست عداوة لحظية آنية منتهية، وإنما هي عداوة متأصلة مستمرة جاءت هذه المفردة لتعبر عن استمرارية هذه العداوة وتواصلها وعدم انقطاعها، ثم إن محاولة الشيطان إغواء الإنسان لا تأتي دفعة واحدة، ولا تكون بأسلوب واحد، وإنما هي متكررة وبأساليب مختلفة، لذا فإن تكرار الزاي مشعر بتكرار محاولات الشيطان الإغوائية، وتنوع أساليبه الكيدية.

وإن صوت الزاي بما فيه من صفير وجهر مناسب لتنوع أساليب الشيطان فالصفير يشبه صوت الوسوسة وهو إشارة إلى الأساليب الخفية التي يتبعها الشيطان، وصفة الجهر فيه إيحاء بالأساليب العلنية في الإغواء.

وبذا يمكن تلخيص ما سبق بأن فك الإدغام هو لبيان أن عداوة الشيطان للإنسان مستمرة، وتكرار صوت الزاي لتكرار محاولات الإغواء، وصوت الزاي بما فيه من همس وصفير وجهر لبيان تنوع الأساليب الخفية والعلنية.

أما المفردتان الأخريان اللتان وقع فيهما إدغام، فقد جاءت الأولى (لَيَسْتَفِزُّونَكَ) حديثاً عن مشركي مكة وجاءت الثانية (يَسْتَفِزَّهُم) حديثاً عن فرعون.

وهؤلاء جميعاً -المشركون وفرعون- إنما كان فعلهم دفعة واحدة، أي: أن المشركين أرادوا التخلص من النبي - ﷺ - وأتباعه بضربة واحدة، وكذلك فرعون مع قومه، فلما لم يكن فعلهم يقتضي تكراراً ومراحل أدغم، دلالة على ما ذكرت.

وهم في عداوتهم كانوا مصرين عليها في نفوسهم وأفعالهم، وهذا مناسب لصوت الزاي بما فيه من همس وصفير وجهر.ويمكن تسجيل ملاحظة أخرى هنا: أن هذه المفردة بتصريفاتها المختلفة لم ترد إلا في سورة الإسراء، ولعل السر في ذلك -والله أعلم- أن حادثة الإسراء جاءت تسلية للنبي – صلى الله عليه وسلم- وتكريماً له جراء استخفاف قومه به ومحاولتهم إخراجه، كما فيها حديث عن بني إسرائيل وهم أكثر الأقوام استخفافاً بأنبيائهم، واستفزازاً لهم.

٤٤- المفردة القرآنية (فَحَدِّثْ) من قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ الضحى: ١١. الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن. يقال حدث أمر بعد أن لم يكن، والرجل الحدث: الطري السن، والحديث من هذا؛ لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء[1].

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (حدث)، (٢/ ٦٢).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالتحديث هو الإخبار بشيء لم يكن معلوماً به قليلاً كان أم كثيراً[1].

ومعنى قوله: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾، أي: بث القرآن وبلغ ما أرسلت به، وفي هذا التحديث المأمور به قولان أحدهما: أنه ذكر النعمة والإخبار بها وقوله: أنعم الله علي بكذا: يعني اشكر ما ذكر من النعم عليك في هذه السورة، من جبر اليتيم، والهدى بعد الضلال، والإغناء بعد العيلة، والتحدث بنعمة الله شكر له عليها.

والقول الثاني: أن التحدث بالنعمة المأمور به في هذه الآية: هو الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته وتعليم الأمة قيل: هي النبوة، وقيل: أي: بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله، وقيل: هو القرآن أمره أن يقرأه، والصواب أنه يعم النوعين إذ كل منهما نعمة مأمور بشكرها والتحدث بها وإظهارها من شكرها[2].

إن المعنى الذي يمكن أن نفيده من الدلالة اللغوية لهذه المفردة هو البث والنشر والتبليغ والإخبار والإظهار لما كان مخفياً، وقد قام في هذه المفردة حرف بالدلالة على هذه المعاني والإيحاء بها، هذا الحرف هو الثاء الذي في نهاية المفردة.

فالثاء حرف مهموس يجري النفس معه أي: يخرج من الجوف إلى الخارج، أي: أنه يظهر وينتشر عند نطق هذا الحرف، ولذا فإننا عندما ننطق هذه المفردة (فحدِّث) نستشعر معنى النشر والبث من خلاله، إذ ينتشر الهواء في الفضاء، وفي هذا مناسبة للمعنى يرسمها حرف واحد في المفردة هو الثاء.

ثم إن الثاء حرف يخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا وهو من الحروف التي جرت عادة المعلمين لكتاب الله تعالى على النصح بإخراج اللسان عند النطق بها[3]، وفي هذا إيحاء بمعنى إبداء ما كان مخفياً وهو اللسان بإخراجه عند النطق كما أن اللسان هو أداة التحديث والإخبار، وفي هذا التصوير لعملية النشر والبث بالحرف والنطق به عند إخراج اللسان.

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (حدث)ز

(2) انظر: ابن القيم الجوزية، التفسير القيم، ص٥١٢-٥١٣.

(3) انظر:المرصفي، عبد الفتاح، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، (١/ ٦٨-٦٩).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الرابع:
تناسق الصوت والمعنى في المشتقات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الرابع:
تناسق الصوت والمعنى في المشتقات

سأعرض في هذا الفصل لتناسق الصوت والمعنى لعدد من المشتقات في القرآن الكريم

١- المفردة القرآنية (ٱلۡأٓزِفَةِ) في قوله تعالى:

﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ غافر: ١٨، ﴿ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ النجم: ٥٧ – ٥٨.

قال الراغب: معناه: أي دنت القيامة، فعبر عنها بلفظ الماضي لقربها وضيق وقتها[١]، وفي اللغة: الآزفة القيامة، وإن استبعد الناس مداها[٢]. والآزفة: الدانية من قولهم أزف الأمر إذا دنا وقته[٣]، سميت بذلك لأزوفها، أي: لقربها[٤].

"ورقة الأزفة في لفظها بانطلاق الألف الممدودة من الصدر، وصفير الزاي من الأسنان، وانحدار الفاء من أسفل الشفة، والسكت على الهاء منبعثة من الأعماق، كالرقة في معناها في الدنو والاقتراب وحلول الوقت، ومع هذه الرقة في الصوت والمعنى، إلا أن المراد من هذا الصفير أزيزه ومن هذا التأفف هديره ورجيفه، فإدناء يوم القيامة غير إدناء الحبيب، واقتراب الساعة غير اقتراب المواعيد، أنه دنو اليوم الموعود، والحالات الحرجة، والهدير النازل، إنه يوم القيامة في شدائده، فكانت الآزفة كالواقعة والقارعة"[٥].

٢- المفردة القرآنية (ٱلۡوَاقِعَةُ) في قوله تعالى:

﴿ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ الحاقة: ١٥.

قال الخليل: وقع الشيء يقع وقوعاً، أي: هُوِيًّا. والواقعة النازلة الشديدة من صروف الدهر[٦]. وقال الراغب: الوقوع ثبوت الشيء وسقوطه، والواقعة لا تقال إلا في الشدة والمكروه، وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ (وقع) جاء في العذاب والشدائد[٧].

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (ازف) ص٢٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (ازف).

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، (٨/ ٨٠٧).

(٤) الزمخشري، الكشاف، (٤/ ١٥٣).

(٥) الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، (١٧٣-١٧٤).

(٦) الخليل، العين، (وقع).

(٧) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (وقع)، ص٦٠٢-٦٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال الطبرسي في تفسيره للواقعة: "والواقعة اسم القيامة كالآزفة وغيرها، والمعنى إذا حدثت الحادثة، وهي الصيحة عند النفخة الأخيرة لقيام الساعة. وقيل: سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدة، أو لشدة وقعها " [1].

وقال ابن منظور : الواقعة الداهية، والواقعة النازلة من صروف الدهر، والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة[2].

وباستقراء هذه الأقوال، ومقارنة بعضها ببعض، تتجلى الدلالة الصوتية، فالوقوع هو الهوي، وسقوط الشيء من الأعلى، والواقعة هي النازلة الشديدة، والواقعة هي الداهية، وهي الحادثة، وهي الصيحة، وهي اسم من أسماء يوم القيامة، وأكثر ما جاء في القرآن من هذه الصيغة جاء في الشدة والعذاب، وصوت اللفظ يوحي بهذا المعنى، وإطلاقه بزنة الفاعل، وإسناده بصيغة الماضي يدلان على وقوعه في شدته وهدته، وصيحته وداهيته[3].

قال البقاعي: (وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ) أي: التي وقع الوعد والوعيد بها، فكانت كأنها شيء ثقيل جداً ليس له ممسك فما له من ذاته غير السقوط[4].

ويُبين سيد قطب عن سر التعبير في هذه المفردة، ومدى تأثيرها في السياق فيقول: "هذا المطلع واضح فيه التهويل في عرض هذا الحدث الهائل. وهو يتبع أسلوباً خاصاً يلحظ فيه هذا المعنى، ويتناسق مع مدلولات العبارة، هذا الأسلوب الخاص يتناسب مع الصورة المروعة المفزعة التي يرسمها هذا المطلع بذاته. فالواقعة بمعناها وبجرس اللفظ ذاته –بما فيه من مد ثم كسر- تلقى في الحس كأنما هي ثقل ضخم ينقض من علٍ ثم يستقر، لغير ما زحزحة بعد ذلك ولا زوال. ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ ﴾ الواقعة: ٢ ، ثم إن سقوط هذا الثقل ووقوعه، كأنما يتوقع له الحس أرجحة ورجرجة يحدثها حين يقع، ويلبي السياق هذا التوقع فإذا هي: ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ ، وإنها لتخفض أقداراً كانت رفيعة في الأرض، وترفع أقداراً كانت خفيضة في دار الفناء، حيث تختل الاعتبارات والقيم، ثم تستقيم في ميزان الله"[5].

نلحظ في كلام سيد قطب أن حروف المفردة وحركاتها أسهمت في الكشف عن دلالتها الصوتية، فالمد الذي في الألف في المقطع الأول (وا) بما فيه من انفتاح في الفم يشعر برفع الشيء إلى أعلى ثم يأتي القاف المكسور ليوحي بخفض ذلك الشيء ووقوعه وارتطامه بالأرض، كما يوحي الاستعلاء الذي في القاف بضخامة هذا الحدث وشدته، وتشعر الهاء التي في نهاية المفردة (عة) باستقرار ذلك الشيء بعد سقوطه.

---

(1) الطبرسي، مجمع البيان، (٩/ ٣٢٤).

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (وقع).

(3) الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص١٧٢.

(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٧/ ٤٠٢).

(5) انظر:: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٤٦٢).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٣- المفردة القرآنية (ٱلْقَارِعَةُ) في قوله تعالى:

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾ القارعة: ١ - ٣، وقال تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ ﴾ الحاقة: ٤.

قال الخليل: والقارعة: القيامة. والقارعة: الشدة. وفلان أمن قوارع الدهر، أي: شدائده[١].

قال البقاعي: سميت بها لأنها تقرع أسماع الناس وتدقها دقاً شديداً عظيماً مزعجاً بالأفزاع، والأجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار، والأشياء الثابتة بالانتثار.

ولما كانت تفوق الوصف في عظم شأنها وجليل سلطانها، عبر عن ذلك وزاده عظماً بالإستفهام، والإظهار في موضع الإضمار مشيراً بالاستفهام على أنها مما يستحق السؤال عنه على وجه التعجيب والاستعظام فقال: (مَا ٱلْقَارِعَةُ) وأكد تعظيمها إعلاماً بأنه مهما خطر ببالك من عظمها فهي أعظم منه فقال: (وَمَآ أَدْرَىٰكَ) أي: واي شيء أعلمك وإن بالغت في التعرف، وأظهر موضع الإضمار لذلك فقال: (مَا ٱلْقَارِعَةُ) أي: أنك لا تعرفها لأنك لم تعهد مثله[٢].

وبمقارنة هذه المعاني، نجدها متقاربة الدلالة، فالقارعة الشدة، وقوارع الدهر شدائده، وكل شيء ضربته فقد قرعته، والقارعة تقرع القلوب بالفزع، وقلوب العباد بالمخافة، وأعداء الله بالعذاب، وهي في موضع كناية للتعبير عن القيامة، من أجل التذكير بصفة القرع، وكلها مفردات إيحائية تؤذن بالقرع في الأذن، وتفزع القلوب بالشدة تتوالى خلالها المترادفات والمشتركات[٣].

إن المفهوم اللغوي لهذه المفردة (ٱلْقَارِعَةُ) يأخذ قوته وهوله من الصيغة الفنية للتعبير، الأول: من لفظة القارعة نفسها ومفهومها اللغوي، والثاني: بـ(ما) والقارعة، والثالث: بـ(وَمَآ أَدْرَىٰكَ) و(ما) و(ٱلْقَارِعَةُ)[٤]. ولعل سيد قطب يضفي على هذه التأكيدات مغزاها العميق إذ يقول: " لقد بدأ بإلقاء الكلمة مفردة كأنها قذيفة (ٱلْقَارِعَةُ) بلا خبر ولا صفة، لتلقي بظلها وجرسها الإيحاء المدوي المرهوب، ثم أعقبها سؤال التهويل: ما القارعة؟، فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهش والتساؤل، ثم أجاب بسؤال التجهيل: (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ)، فهي أكبر من أن يحيط بها الإدراك، وأن يلم بها التصور، ثم الإجابة بما يكون فيها، لا بماهيتها، فماهيتها فوق الإدراك والتصور"[٥].

---

(١) الخليل، العين، (قرع).

(٢) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٥١٣).

(٣) الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص١٧٣.

(٤) السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص٢٤٨.

(٥) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٩٦٠-٣٩٦١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إننا عندما نسمع أصوات هذه المفردة نكاد نحس فيها أشياء تقرع وتتقعقع تقول (قع- قع) فهذه المفردة تحمل جرساً قوياً وضربات حادة، وقوة الجرس تحدث إيقاعاً شديداً يمس أعماق النفوس، ليتركها متأمّلة في هول ذلك اليوم وشدائده.

وهذه القوة في جرس هذه المفردة نابعة من حروفها: من القاف المستعلية والمطبقة والتي يزيد من تفخيمها وجود الألف بعدها مما يوحي بضخامة هذا الحدث وشدته، ومن الراء المجهورة المكررة التي تشعر بتكرر هذا الحدث الذي هو القرع مرات ومرات، ومن العين الموحية بمعنى الصعق والفزع من شدة ذلك الضرب.

وعليه يمكن القول: إن نطق هذه المفردة يشعر بالضغط على اللسان مرتين في الحنجرة حيث القاف والعين، وتكرار القارعة ثلاث مرات يضاعف الضغط بشكل أكبر، ويشير إلى انحباس النفس في هول يوم القارعة وكأن الروح في حال احتضار، وقد بلغت الحناجر، فالقاف ينضغط على اللسان بالحنجرة ثم تخفف بالراء ثم تعاد إلى عمق الحنجرة بالانضغاط[1].

٤- المفردة القرآنية (ٱلطَّآمَّةُ). في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ النازعات: ٣٤،

(ٱلطَّآمَّةُ) الداهية التي تطم على الدواهي، أي تعلو وتغلب، وفي أمثالهم: جرى الوادي فطمَّ على القرى، وهي القيامة لطمومها على كل هائلة. وقيل: هي النفخة الثانية. وقيل: الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار[2].

"و(ٱلطَّآمَّةُ) لفظة مصورة بجرسها لمعناها، فهي تطم وتعم وتربي وتطغي على السماء المبنية، والأرض المدحوة، والجبال المرساة، والليل المغطش والضحى المخرج، إنها تطم على كل شيء وتعم، وهي تجيء في إبانها لتطم على هذا كله، وليطغى مشهدها على تلك المشاهد جميعاً"[3].

إن اشتمال هذه المفردة على حرف الطاء بما فيه من اطباق واستعلاء وتفخيم يزيد من مناسبتها ومجانستها ومناسبتها لما تمثله من أحداث عظيمة.

كما أن اشتمالها على حرف المد المنتهي بالتشديد يزيد هذه المفردة حِدَّة؛ لما يحدثه ذلك المد من التهويل، ولما يحدثه ذلك التشديد والنبر والارتكاز من تأثير في النفوس يدفعها إلى أن تقف متأملة، وتلح في الانتباه والالتفات إلى ذلك الجرس وما يمثله من إيحاءات وظلال[4].

---

(1) انظر: السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص٢٤٩.

(2) الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٦٨٤).

(3) قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط١٦، ٢٠٠٦م،ص٢٢٥.

(4) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد جاء في هذه المفردة مدٌ لازم مثقل؛ وهذا مشعر بلزوم وقوع هذا الأمر يوم القيامة وبمدى ثقله وشدته على النفوس، فالمد يوحي بدلالة معنوية هي لزوم الوقوع والثقل والشدة.

٥- المفردة القرآنية (ٱلصَّآخَّةُ) في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ ﴾ عبس: ٣٣.

يوضح الراغب الدلالة الصوتية لـ(ٱلصَّآخَّةُ) فيقول: الصاخة: شدة صوت ذي المنطق[1]، ويقول البقاعي: (ٱلصَّآخَّةُ) أي: الصرخة العظيمة التي يبالغ في إسماع الأسماع بها حتى تكاد تصمها لشدتها، وكأنها تطعن فيها لقوة وقعتها وعظيم وجبتها، وتضطر الأذان إلى أن تصيخ إليها أي تسمع، وهي من أسماء القيامة، وأصل الصخ: الضرب بشيء صلب على مصمت.[2]

ويكشف سيد قطب عن ارتباط الدلالة الصوتية لهذه المفردة بسياقها فيقول:" فأما المقطع الأخير فيتولى عرض (ٱلصَّآخَّةُ) يوم تجيء بهولها، الذي يتجلى في لفظها، كما تتجلى آثارها في القلب البشري الذي يذهل عما عداها، وفي الوجوه التي تحدث عما دهاها.

و(ٱلصَّآخَّةُ) لفظ ذو جرس عنيف نافذ، يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشق الهواء شقاً، حتى يصل إلى الأذن صاخاً ملحاً، وهو يمهد بهذا الجرس العنيف للمشهد الذي يليه: مشهد المرء يفر وينسلخ من ألصق الناس به، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ عبس. أولئك الذين تربطهم به وشائج وروابط لا تنفصم، ولكن هذه الصاخة تمزق هذه الروابط تمزيقاً، وتقطع تلك الوشائج تقطيعاً "[3].

إن هذا العنف المبثوث في جنبات هذه المفردة مردُّه إلى الصاد لاستعلائها وإطباقها، وصفيرها المشعر بهذا الصوت الشديد وقسوته، وإن الصفير إذا علا سبَّب إزعاجاً كبيراً، وألماً شديداً، ومن المد اللازم المثقل هذا المد الطويل المشعر بالوصول إلى قمة الشدة، حيث يرتفع الصوت إلى أعلى ما يمكن مشعراً بطول ذلك اليوم وهول ما يجري فيه.

فعند سماع هذه المفردة وهذا المد الطويل نستوحي معاني العنف والقسوة، ويحتاج نطق هذه المفردة إلى نسبة عالية من الضغط الصوتي والأداء الجهوري لسماع رنتها مما يتوافق مع إرادتها في جلجلة الصوت، وشدة الإيقاع.

---

(1) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (صخ) ص٣٠٩.

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٣٣٢-٣٣٣).

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٨٣٤).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦- المفردة القرآنية (ٱلۡحَآقَّةُ)في قوله تعالى:

﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ ﴾ الحاقة: ١ – ٣. (ٱلۡحَآقَّةُ): اسم فاعل من حق الشيء يحق إذا كان صحيح الوجوب، ومنه حقت كلمة العذاب، والمراد به القيامة والبعث، وقال ابن عباس: سميت القيامة حاقة، لأنها تبدي حقائق الأشياء[١].

فقوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ ﴾ إشارة إلى يوم القيامة، وعلم عليها فيما أفاد العلماء، قال الفراء: الحاقة: القيامة، سميت بذلك لأن فيها الثواب والجزاء[٢]، وقال الطبرسي: "الحاقة اسم من أسماء القيامة في قول جميع المفسرين، وسميت بذلك لأنها ذات الحواق من الأمور، وهي الصادقة الواجبة الصدق، لأن جميع أحكام القيامة واجبة الوقوع، صادقة الوجود، وقيل سميت القيامة الحاقة لأنها تحق الكفار من قولهم، حاققته فحققته، مثل خاصمته فخصمته"[٣].

إن هذه المفردة (ٱلۡحَآقَّةُ) بلفظها وجرسها ومعناها تلقي في الحس معنى الجد والصرامة والحق والاستقرار. وإيقاع اللفظ بذاته أشبه شيء يرفع الثقل طويلاً، ثم استقراره استقراراً مكيناً، رفعه في مدة الحاء والألف، وجَدّه في تشديد القاف بعدها، واستقراره بالانتهاء بالتاء المربوطة التي تنطق هاء ساكنة[٤].

تعبر هذه المفردة (ٱلۡحَآقَّةُ) عن محتواها المهول المرعب، ويشعر النطق بها بضغط ثقيل على الحنجرة، بحكم تلاقي الحاء والقاف، والفصل بينهما بالألف الساكنة الذي اقتضى تشديداً على حرف القاف، ويوحي وكأن قوة تجتذب شرايين العقل والمخ لتنضغط على قوة تتصاعد من أسفل بالحاء، وكذلك يشعرنا التقاء الحاء والقاف، وتشديد القاف بعد ألف ساكنة بزهق في الحنجرة، وبحركة صوت يتسم بالخنق الشديد[٥].

كما أن المد الطويل في هذه المفردة يوحي بثقل ذلك اليوم وطوله وشدته، كما يوحي هذا المد بالصراخ والعويل والنحيب حيث نستشعر فيه نبرات حزينة لإنسان يصرخ وينتحب لهول تلك الساعة.

٧- المفردة القرآنية (وَسَارِبٌۢ) في قوله تعالى:

﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾ الرعد: ١٠

---

(١) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٥/ ٣٥٦).

(٢) الفراء، معاني القرآن، (٣/ ١٧٩).

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، (١٠/ ٥١٥-٥١٦).

(٤) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٦٧٤).

(٥) انظر: السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص٢٥٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

السين والراء والباء أصلٌ مطرد، وهو يدلُ على الاتساع والذهاب في الأرض.[1]

والسَّرَب: الذهاب في حدور، وهو أيضاً: المكان المنحدر، قال تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾ الكهف: ٦١ ، يقال: سرب سَرَبا وسُرُوبا. وسَرِب الدمع: سال، وانسربت الحية إلى جحرها، وسَرَب الماءُ من السقاء، وماءٌ سَرَب، وسَرِب: متقطِّر من سقائه، والسَّاربُ: الذاهب في سَرَبه أيُ طريق كان، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ الرعد: ١٠.[2]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ قولان :

أحدهما: أن المستخفي: هو المستتر المتواري في ظلمة الليل، والسارب بالنهار: الظاهر المتصرِّف في حوائجه. يقال: سَرَبَتِ الإبل تَسرِب: إذا مضت في الأرض ظاهرةً.

ومعنى الكلام: أن الظاهر والخفي عنده سواء، هذا قول الأكثرين.

والثاني: أن المستخفيَ بالليل: الظاهر، والساربَ بالنهار: المستتر، يقال انسرب الوحش: إذا دخل في كِناسِهِ، وهذا قول الأخفش. واحتج له ابن جرير[3] بقولهم : خَفَيْتُ الشيء: إذا أظهرتُه، ومنه ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ طه: ١٥ ،بفتح الألف، أي : أَظهرها، قال: وإنما قيل للمتواري: ساربٌ، لأنه صار في السرَب.[4]

قال الواحديُّ: وهذا الوجه صحيح في اللغة، إلا أنَّ الأول هو المختارُ لإطباق أكثر المفسرين عليه، وأيضاً: فالليل يدلُّ على الاستتار، والنهار على الظهور.[5]

تسهم هذه المفردة القرآنية(سارب) بحروفها في رسم جوِّ الخفاء، الذي يتناسب مع جوِّ علم الله الخفي- (فساربٌ) وإنْ كان معناها بضد معنى(مستخف) إلا أنَّ بناءها من حروف رقيقة لينة جاء مناسباً لجو الخفاء.

فالسين رقيقة مهموسة والهمس مناسب للخفاء .والألف لينة رقيقة، والراء وإنْ كانت مجهورة تناسب وضوح النهار وظهوره إلا أنها جاءت مرققة سهلة المخرج، وكذلك الباء شفوية مذلقة رقيقة .

فالمفردة " تكاد بظلها تعطي عكس معناها، فظلها ظل الخفاء أو قريب من الخفاء. والسارب: الذاهب. فالحركة فيها هي المقصودة في مقابل الاستخفاء. هذه النعومة في جرس اللفظ وظله مقصودة هنا كي لا تخدش الجو. جو العلم الخفي اللطيف الذاهب وراء الحمل المكنون والسر الخافي والمستخفي

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(سرب)،(٣/ ١٥٥).

(2) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن،(سرب)،ص٢٤٧.

(3) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٦/ ٣٨٣).

(4) انظر: ابن الجوزي،عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ (٤/ ٣٠٩).

(5) انظر: ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب،(١١/ ٢٦٥).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بالليل والمعقبات التي لا تراها الأنظار. فاختار اللفظ الذي يؤدي معنى التقابل مع المستخفي ولكن في لين ولطف وشبه خفاء ".[1]

٨- المفردة القرآنية (شَٰمِخَٰتٍ) :

في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾ المرسلات: ٢٧.

الشين والميم والخاء أصل صحيح يدل على تعظم وارتفاع، يقال جبل شامخ، أي عال، وشمخ فلانٌ بأنفه، وذلك إذا تعظم في نفسه، قال الله عز وجل : ﴿ رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾ أي: عاليات[2].

ومعنى قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾ أي: جبالاً ثوابت طوالاً. والتنكير للتفخيم، أو الإشعار بأن فيها ما لم يعرف ولم ير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ بخلق الأنهار والمنابع فيها[3].

وإذا وقفنا مع هذه المفردة القرآنية وقفة تأمل في أصواتها التي بنيت منها، رأينا أن أصواتها توحي بمعنى العلو والارتفاع إلى جانب العظمة والفخامة والثبات.

فالناطق لهذه المفردة (شَٰمِخَٰتٍ) والمتأمل لحركة الفم أثناء النطق يلحظ انفتاح الفم في مقطعين منها هما: (شا) و (خا)، فالألف المدية التي بعد الشين، والتي بعد الخاء تصور انتصاب الجبال، وكأنها تنقل للتالي أو السامع صورة الجبال واقفة وكأنه ينظر إليها رافعاً بصره.

كما يلحظ أن انفتاح الفم في (شا) أقل من انفتاحه في المقطع الثاني (خا)؛ وذلك لأن الخاء حرف من حروف التفخيم، ومجيء الألف بعده جعله في أعلى مراتب التفخيم؛ الأمر الذي يجسد تنوع الجبال في علوها وارتفاعها، وأنها ليست في الطول والارتفاع سواء، أو أنه يوحي بتدرج علو الجبال المتسلسلة فبعضها أعلى من بعض.

٩- المفردة القرآنية (دَٰخِرُونَ) في قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ النحل: ٤٨

الدال والخاء والراء أصل يدل على الذُّل، يقال دَخَرَ الرجل وهو داخر، أي: ذل، وأدخره غيره: أذلَّه.

وقوله: ﴿ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ معناه: إنها خاضعة لله ذليلة، بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومدبرها، بما لولاه لبطلت، ولم يكن لها قوام طرفة عين، فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله، الخاضع بذاته.

---

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٤/ ٢٠٤٩).

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (شمخ)، (٣/ ٢١٢).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٥/ ٤٣٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد أضافت حالت الصغار إلى المعنى في (دَاخِرُونَ) الدالة على القهر صوتاً مستعلياً مفخماً، ليعطي هذه الهزّة المخيفة لدى سماع صوت الخاء التي يستعملها السياق القرآني، فيزيد المعنى رهبة وخشوعاً وخوفاً.

إن التشكيل الصوتي لهذه المفردة يشعر بمعنى الذلة والصغار بما فيها من طأطأة الرأس، وهوان في النفس، فبعد أن ينطق القارئ للمقطع الأول من المفردة (دا) ماداً صوت الألف مداً طبيعياً، فإنه يشعر برفع الرأس عالياً ثم تأتي كسرة الخاء لتوحي بأن هذا المستعلي الذي يرفع رأسه قد ذلّ ونُكِس رأسه مع ما يشعر به صوت الخاء من الرهبة والخوف من عظمة الله التي لا يملك الإنسان أمامها إلا أن يطاطئ رأسه.

١٠- المفردة القرآنية (مُتَشَٰكِسُونَ) من قوله تعالى:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الزمر: ٢٩

قال الخليل: الشَّكِسُ: السيء الخلق في المبايعة وغيرها، والشَّكَس: المصدر. والليل والنهار يتشاكسان، أي: يتضادان، ولا يتوافقان، وكذلك الشركاء الشَّكِسُون،وفي القرآن:﴿ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾ ورجل شَكِس بَيّنُ الشَّكَسِ[1].

ومعنى (مُتَشَٰكِسُونَ) أي: متنازعون، أو مختلفون أو متعاسرون، أو متظالمون، مأخوذ من قولهم: شكسني مالي أي: ظلمني[2].

قال الثعالبي: " هذا مثل ضربه الله سبحانه في التوحيد، فمثّل الله تعالى الكافر العابد للأوثان والشياطين بعبد لرجال عدة، في أخلاقهم شكاسة وعدم مسامحة؛ فهم لذلك يعذبون ذلك العبد بتضايقهم في أوقاتهم، ويضايقون العبد في كثرة العمل؛ فهو أبداً في نصب منهم وعناء، فكذلك عابد الأوثان الذي يعتقد أن ضره ونفعه عندها، هو معذب الفكر بها وبحراسة حاله منها، ومتى توهم أنه أرضى صنماً بالذبح له في زعمه، تفكر فيما يصنع مع الآخر؛ فهو أبداً تعب في ضلال، وكذلك هو المصانع للناس الممتحن بخدمة الملوك، ومثل تعالى المؤمن بالله وحده بعبد لرجل واحد يكلفه شغله ؛ فهو يعمله على تؤدة وقد ساس مولاه ، فالمولى يغفر زلته ويشكره على إجادة عمله"[3].

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، (شكس)، وانظر:: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (شكس)، ص٢٩٨.

(2) انظر: الماوردي، النكت والعيون، (٥/ ١٢٤).

(3) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ط، د، ت، (٤/ ٥٦).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذه المفردة (مُتَشَٰكِسُونَ) تعبر لغة عن المخاصمة والعناد والجدل في أخذ ورد لا يستقران، وقد تعطي معناها كلمة (متخاصمون) ولكن المثل القرآني لم يستعملها حفاظاً على الدلالة الصوتية التي أعطت معنى النزاع المستمر، والجدل القائم، وقد جمعت في هذه الكلمة حروف التفشي والصفير في الشين والسين تعاقباً، تتخللهما الكاف من وسط الحلق، والواو والنون للمد والترنم، والتأثر بالحالة، فأعطت هذه الحروف مجتمعة نغماً موسيقياً خاصاً حمّلها أكثر من معنى الخصومة والجدل والنقاش، بما اكسبها أزيزاً في الأذن، يبلغ به السامع أن الخصام ذو خصوصية بلغت درجة الفورة، والعنف والفزع من جهة، كما أحيط السمع بجرس مهموس معين ذي نبرات تؤثر في الحس والوجدان من جهة أخرى[1].

١١- المفردة القرآنية (نَضَّاخَتَانِ)

قوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾ الرحمن: ٦٦

(نضخ) نضَخَ عليه الماء ينْضَخ نَضخاً وهو دون النضح. وقيل: النضخ ما كان على غير اعتماد، والنضح: ما كان على اعتماد... والنضخ أكثر من النّضْح.

والنّضْخ: شدّة فور الماء في جيشانه وانفجاره من ينبوعه. قال أبو علي: ما كان من سُفْل إلى علو فهو نَضخ. وعين نضّاخة: تجيش بالماء وفي التنزيل ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ أي: فوارتان [2].

وأما (النضح) فيقول ابن فارس: النون والضاد والحاء أصلٌ يدل على شيء يُندّى، وماء يُرّش. فالنّضح: رشُ الماء.قال أهل اللغة: يقال لكلّ ما رقّ: نَضْحٌ. وهذا هو القياس الذي ذكرناه، لأن الرّشْ رقيق.[3]

وأما عن النضخ فيقول: النون والضاد والخاء قريبٌ من الذي قبله- أي النضح-، إلا أنه أكثر منه.يقولون: النّضْخ كاللّطخ من الشيء يبقى له أثر. ونَضَخ ثوبه بالطيب. وغيثٌ نضّاخٌ: غزير. وعينٌ نضّاخة: كثيرة الماء.[4]

وفرق علماء اللغة بينهما من وجوه على النحو الآتي:

قال قومٌ: النّضَح- بالحاء غير معجمة- ما كان رَشّاً خفيفاً فإذا كثُرَ حتى يَبُلّ الشيء فهو نَضخٌ- بالخاء معجمة-.

وقال آخرون: النّضْحُ- بالحاء غير معجمة- في ما كان رقيقاً كحو الماء. والنّضْخُ- بالخاء معجمة- في ما كان ثخيناً كالعسل والرُّبّ.

([1]) انظر: الصغير، محمد حسين علي، الصورة الفنية في المثل القرآني،دراسة نقدية وبلاغية، دار الهادي، بيروت،ص٢٥٦.

([2]) انظر:ابن منظور، لسان العرب،(نضخ).

([3]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(نضح)،(٥/٤٣٨)..

([4]) المرجع السابق(نضخ)،(٥/٤٣٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال قوم: هما سواء إلاّ أنّ النَّضحَ- بالحاء غير معجمة- له فعلٌ مستعمل. والنَّضْخُ-بالخاء معجمة- لا فِعلَ له.(١)

وقد تابع المفسّرون علماءَ اللغة فيما ذكروه من التفريق بينهما.

قال الزمخشري:"﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ فوّارتان بالماء. والنضخ أكثر من النضح، لأن النضح -غير معجمة- مثل الرش".(٢)

ولعل الفرق بين المفردتين يعود إلى ما بين(الخاء) و(الحاء) من اختلاف في القوة والضعف. فمن المعلوم أن الخاء أقوى من الحاء؛ وذلك لما في(الخاء) من صفة الاستعلاء المفضية إلى التفخيم.

ولعل ابن جني أول من نبه إلى هذا في خصائصه، فقال: "ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح؛ قال الله سبحانه:﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه . "(٣)

وبناءً على ما سبق يتبين أن صوت الخاء له علاقة في دلالتها على الكثرة؛ لأن الأصوات القوية الفخمة تناسب المواقف القوية.

ومن هنا يمكن أن نتبين سر اختيار﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ في سياقها دون(نضاحتان). إذ إن السياق بتحدث عن إكرام الله- سبحانه وتعالى- لعباده المؤمنين، وما أعد لهم من الجزاء العظيم فكان من المناسب أن يأتي التعبير بأقوى الألفاظ التي تظهر هذا التكريم، وتبيِّن عظم تلك المنزلة، وفخامة تلك الجائزة.

وقد أسهم كلٌ من حرف الضاد المشدد، مع تفخيم الألف والمد الحاصل عند الوقف على النون، إلى جانب (الخاء) في بيان فخامة ذلك الجزاء، وأن المنعم- سبحانه وتعالى- عظيم في عطائه.

وهنا نقرر أيضاً أن صفات الحرف تسهم بوضوح في التفريق بين الكلمات التي ادعى فيها الترادف.

١٣- المفردة القرآنية (وَغَسَّاقٌ) في قوله تعالى:

﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ ص: ٥٧، ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾ النبأ: ٢٥.

اختلف في اشتقاق (غساق) على وجهين: أحدهما من الغسق وهو الظلمة. والثاني: من غَسَقَت القرحة تَغْسِق غَسْقاً إذا جرت(٤).

---

(١) انظر: البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد ، الفرق بين الحروف الخمسة،(الظاء، والضاد، والذال والسين والصاد) تحقيق، عبد الله الناصير، دار المأمون للتراث، دمشق،ط١، ١٩٨٤م، ص٢٥٦.

(٢) الزمخشري، الكشاف،(٤/ ٤٤٢).

(٣) ابن جني، الخصائص،(٢/ ١٥٨).

(٤) انظر: الماوردي، النكت والعيون، (٥/ ١٠٧).وانظر: ابن منظور، لسان العرب،(غسق).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ورجح أكثر المفسرين القول الثاني، قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو ما يسيل من صديدهم، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغَسُوق، وإن كان للآخر وجه صحيح"[1].

وقال الرازي: "وأصل هذا الحرف من السيلان. يقال: غسقت العين تغسق، هملان العين بالماء والغاسق السائل، ومن هذا يقال لما يسيل من أهل النار: الغساق، فمعنى غسق الليل أي: انصب بظلامه؛ وذلك أن الظلمة كأنها تنصب على العالم"[2].

وإذا كان الغساق هو الشيء السائل، فالواجب أن يقال: الذي وعد الله هؤلاء القوم، وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب هو السائل من الزمهرير في جهنم، الجامع مع شدة برده النتن.

وبناء على ما سبق يمكن القول: اشتق من مادة (غسق) في القرآن الكريم الغسق، والغاسق والغساق. ويبدو أنه القسط المشترك بين هذه المشتقات الدلالة على أمور كريهة، فالغسق الظلمة، والغاسق: الليل الشديد الظلمة، وكلاهما كريه لأنه يؤدي إلى توقع المجهول، والغساق: شيء كريه لا يشرب، وفسروه بالصديد، وتستفاد هذه الدلالة لغوياً من إيحاء الغين والقاف. فالغين حيث مخرجها من الحلق حيث موضع الغرغرة توحي بالتقزز وكراهة هذا الشيء.

ويوحي السين بجريان هذا السائل الكريه في الفم. وأما القاف حيث مخرجه المتمثل في أقصى اللسان قريباً من اللهاة يوحي بالغصة وعدم استساغة المشروب، وكأن الشارب له يشعر بالاختناق، ويأتي التشديد الذي على السين ليؤكد تلك الكراهية الشديدة التي أوحت بها حروف المادة[3].

وعليه فإن بناء هذه المفردة يثير النفور والاشمئزاز في النفس حتى وإن جهلنا الدلالة المعجمية لها.

١٣- المفردة القرآنية (عُتُلٍّ) في قوله تعالى:

﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ القلم: ١٣.

تنوعت أقوال أهل التفسير في بيان المراد من قوله (عُتُلٍّ) إلا أن أقوالهم جاءت متقاربة في الدلالة على معناها، وأن المقصود بها هو الرجل: الفاحش السيء الخلق، والجافي القاسي اللئيم العشرة، أو هو قوي البنية غليظ الأعضاء قاسي القلب بعيد الفهم أكول شروب جيفة بالليل حمار بالنهار وقيل غير ذلك[4].

ترسم هذه المفردة بأصواتها وحركاتها صورة لذاك العتل وهو رجل قصير القامة،واسع الشدقين، ضخم الوجه، منتفخ البطن، يأكل فلا يشبع، ويتحرك فلا ينشط، مكروه في كل مكان لنهمه،وقبحه، وسوء خلقه... هذا العتل كذاب، مدع، أثيم، حلاف، نمام، ساع في الشرور، يمثل الرذيلة

---

(1) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢١/ ٢٢٨).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ٢٢).

(3) انظر: حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، (١/ ٢١٠).

(4) انظر: الماوردي، النكت والعيون، (٦/ ٦٤).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من كل جوانبها... ولفظة (عُتُلٍّ) بثقلها صورت ذلك الثقيل السمج، وأوحت أحرفها بصورته قبل أن توحي الكلمة بالمعنى، وقبل أن تكون هذه الشدات المتوالية، تردفها (هماز، مشاء، مناع) وقبل أن تكون صيغة المبالغة فيها[1].

إن الثقل في هذه المفردة - والذي أوحى بضخامة ذاك الرجل الموصوف وثقله وسوء خلقه- نشأ من توالي الضمتين وتتابعهما. والضمة أثقل الحركات وأقواها فكيف إذا تتابعت، فالثقل هنا مقصود ليوحي بالضخامة والانتفاخ.

وبعد هذا يمكن القول: إن (عُتُلٍّ) مفردة تعبر بجرسها وظلها عن مجموعة من الصفات ومجموعة من السمات، لا تبلغها مجموعة ألفاظ وصفات، وتبقى هذه المفردة بذاتها أدل على كل هذا، وأبلغ تصويراً للشخصية الكريهة من جميع الوجوه[2].

١٤- المفردة القرآنية (فَظًّا) في قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩.

الفظ: الكريه الخلق، مستعار من الفظ، أي ماء الكرش، وذلك مكروه شربه لا يتناول إلا في أشد ضرورة[3].

ومعنى الآية الكريمة: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا ﴾ أي: خشن الجانب شرس الأخلاق جافياً في المعاشرة قولاً وفعلاً، ﴿ غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾ أي: قاسيه، وقيل: فظاً في الأقوال، غليظ القلب في الأفعال، وذكر بعضهم أن الفظ: سيء الأخلاق في الأمور الظاهرة من الأقوال والأفعال، وغليظ القلب: السيء في الأمور الباطنة[4].

وإنما جمع بين الصفتين -فظاً وغليظ- مع اتفاقهما في المعنى، لإزالة التوهم أن الفظاظة في الكلام دون ما ينطوي عليه القلب من الحال، وهو وجه من وجوه التأكيد إذ يكون لإزالة الغلظ في التأويل، ولتمكين المعنى في النفس بالتكرير، وما يقوم مقامه[5].

---

(1) شيخ أمين، بكري، التعبير الفني في القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٨٠-٢٨١.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٦٦٣).

(3) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (فظ)، ص٤٢٨.

(4) الألوسي، روح المعاني، (٢/ ٣١٨).

(5) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، (٣/ ٣١).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إن هذه المفردة القرآنية (فظاً) جاءت معبرة عن حالة الغلظة والقسوة والجفاء في التعامل مع الآخرين، سواء قلنا: إن المقصود بها الجفاء في القول أم الجفاء في الفعل، أم بهما معاً، وذلك من خلال حروفها التي بنيت عليها.

فقد جاء حرف الظاء بإطباقه واستعلائه وتفخيمه معبراً عن حالة الاستعلاء والتكبر المفضيان إلى القسوة والجفاء في التعامل مع الآخرين في القول والعمل، ومما زاد في بيان فظاعة هذا التصرف وهذا السلوك (ألف المد) التي بعد الظاء والتي زادت من صورة الاستعلاء والتكبر وسوء الخلق.

وذلك لأن الألف إذا جاءت بعد حرف استعلاء مفتوح كان حرف الاستعلاء في أعلى مراتب التفخيم، وفي هذا دلالة على بلوغ غاية العلو والاستكبار والترفع وسوء الخلق. ومما يزيد في رسم صورة الخلق السيء هو نطق الظاء بإخراجه من مخرجه، إذ يكون طرف اللسان ملامساً لأطراف الثنايا ظاهراً للعيان مما يحاكي صورة المستهزئ والمستخف بالناس، وفي هذا سوء خلق كبير، كما أن الظاء في فظاً جاءت متناسقة مع الظاء التي في غليظ مما يشعر بجو الفظاظة والغلظة والقسوة الذي يجب أن يترفع عنه الإنسان.

١٥- المفردة القرآنية (نَزَّاعَةً) في قوله تعالى:

﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ المعارج: ١٦

النون والزاء والعين أصل صحيح يدل على قلع شيء[1]، ونزع الشيء: جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده[2]، و(نَزَّاعَةً) صيغة مبالغة من النزع بمعنى القلع والفصل، أي كثيرة النزع وهو اقتلاع عن شدة. أي: تكشط الجلد عن الوجه وعن العظم بقوة الإحراق لشدة الحرارة ثم تعود كما كانت[3].

إن أصل هذه المادة يدور على معنى القلع والإزالة. وإذا وقفنا نتأمل ما يوحيه قوله تعالى: ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ من صورة حية، تقشعر لها النفوس البشرية علمنا أن لهذه المفردة إيقاعاً قوياً ومهولاً ومثيراً.

وهذه الصورة تتمثل وكأن مخالب أسد جائع، طوّحت به الغابات، وهو يفتش عن فريسة فلم يجدها، وبعد جولات شديدة، وصيحات مدوية، تهز الغابة وما فيها، إذا به يجد فريسته فينقض عليها انقضاضاً، وتغوص مخالبه إلى الأعماق لتنتشل ما يروي جوعه وظمأه، ونار جهنم التي وصفها القرآن بأنها (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ) أعمق وأشد ضراوة من الصورة الحسية الموحية[4].

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (نزع)، (٥/ ٤١٥).

(2) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (نزع)، ص٥٤٢.

(3) انظر: طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، (١٥/ ٩٧).

(4) السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص٢٥٥، وانظر: قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، ص٢١٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إن هذه المفردة (نَزَّاعَةً) بجرسها توحي بالعنف والقوة والسرعة وتوحي بأن النزع قد مس الأعماق، فلا يترك من أجزاء المعذب شيئاً إلا وقد أتى عليه.

إن صوت الزاي المضعف في هذه المفردة وما يشتمل عليه من صفير يرسم صورة لشدة الاقتلاع وقسوة الإزالة لأعضاء المعذب، حتى أنها عندما تنزع وتقلع من مكانها تحدث صوتاً فظيعاً مهولاً.

وهذا النزع من النار ليس مرة وينتهي بل هو متكرر مرات ومرات، فالتضعيف الذي في الكلمة يوحي بكثرة النزع من جهة، ويوحي كذلك بقسوة النزع وشدته من جهة أخرى.

١٦- المفردة القرآنية (ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ) في قوله تعالى:

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ ﴾ الفلق: ٤.

النون والفاء والثاء أصل صحيح، يدل على خروج شيء من فم أو غيره، بأدنى جرس[١]. واختلف أهل اللغة في كيفية خروجه، هل يرافقه ريق أو لا؟ فقيل: (نَفَثَ يَنْفُثُ) بالضم (وينفِث) بالكسر نفثاً ونَفَثَاناً محركة وهو كالنفخ مع ريق.

وقيل النَّفْثُ، شبه النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه، فإن كان معه ريق فهو التفل وهو الأصح. وقيل: النفث نفخ لطيف بلا ريق، والنفث: أقل من التفل لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق. وقيل: هو التفل بعينه. وقيل: النفث فوق النفخ أو شِبْهُه ودون التفل وقد يكون لا ريق بخلاف التفل وقد يكون بريق خفيف بخلاف النفخ. وقيل: النفث: إخراج الريح من الفم بقليل من الريق[٢].

وأصل النفاثات جمع نفاثة، وهذا اللفظ صيغة مبالغة من النفث. والمعنى في الآية الكريمة: ومن شر السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها[٣].

والمختار أن يكون النفث نفخاً بلا ريق؛ وذلك لأنه لا ترادف؛ لذا ينبغي أن يكون هناك فرق بين النفخ والنفث والتفل، فما دامت أصول هذه الكلمات مختلفة فينبغي أن تكون معانيها كذلك مختلفة.

والذي يؤكد هذه الفرق بين هذه المفردات هو اختلاف أصواتها، فإن الأصوات التي تشكلت منها نفث تختلف عن الأصوات التي تشكلت منها المفردتان الأخريان.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (نفث)، (٥/ ٤٥٧).

(٢)انظر: المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (نفث)

(٣) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط،(١٥/).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فنفث فيها حرفان مهموسان رخوان هما الفاء والثاء مما يوحي باستمرار خروج الهواء كما هو عمل النافث كما يصور هذان الحرفان عملية النفث تمام التصوير، فإن في هذه المفردة محاكاة للفعل وتصوير له.

ولذا فإن قوله: (ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ) يصور عمل هؤلاء الساحرات وهن ينفثن في العقد تصويراً تاماً.
وإذا ما جئنا إلى (نفخ) وهي وإن كان فيها حرفان مهموسان هما الفاء والخاء، إلا أن الهمس الذي في الخاء أقل بكثير من الهمس الذي في الثاء، الأمر الذي يؤكد أن النفخ أقل من (النفث)، وأن (النفث) فوق (النفخ).

ولما كان النفخ إخراج يسير للهواء من غير ريق، كان النفث إخراج للهواء أكثر من النفخ من غير ريق، وأما تفل فنلحظ أنها بنيت من حرف مجهور لا يجري معه نفس فهذا يدل على عدم خروج الهواء من الفم عند النطق به خلافاً لنفخ، ولنفث، فإذا ما أراد أن يخرج الهواء خرج بشدة يرافقه شيء من اللعاب أو الريق.

وقد ذكر صاحب تاج العروس ترتيب خروج الهواء من الفم مع مسمياتها ترتيباً تنازلياً الأمر الذي يؤكد ما ذهبت إليه، فقال: "تفل الراقي يتفُل ويتفِل... تفلاً: بصق. وقيل: أوله البزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ، والتفل شبيه بالبزق وهو أقل منه"[1].

وعليه فكما دلت الأصول على اختلاف بين هذه المفردات في المعنى، فإن التشكيل اصوتي لهذه المفردات جاء ليؤكد هذه الفروق، وينفي الترادف.

١٧- المفردة القرآنية (أُفٍّ) :

وردت هذه المفردة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع وذلك في قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ الإسراء: ٢٣، وقوله: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ الأنبياء: ٦٧، وقوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ الأحقاف: ١٧.

واصل الأف: كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراها، ويقال ذلك لكل مُستخف استقذاراً له، نحو: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ الأنبياء: ٦٧، وقد أفّفْت لكذا: إذا قلت ذلك استقذاراً له، ومنه قيل للضجر من استقذار شيء: أفف فلان[2].

وقال الماوردي: وفي تأويل (أُفٍّ) ثلاثة أوجه: أحدها: أنه كل ما غلظ من الكلام وقبح، والثاني: أنه استقذار الشيء وتغير الرائحة، والثالث: أنها كلمة تدل على التبرم والضجر، خرجت

---

(1) المرتضى الزبيدي، تاج العروس، (تفل).

(2) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (اف)، ص٢٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

مخرج الأصوات المحكية، والعرب تقول: أف وتف، فالأف: وسخ الأظفار، والتف: ما رفعته من الأرض بيدك من شيء حقير[1].

وقيل: إن أصل هذه الكلمة أنه إذا سقط عليك تراب أو رماد، ونفخت فيه تزيله تقول: (أف). ثم إنهم توسعوا بذكر هذه الكلمة إلى كل مكروه يصل إليهم[2]. وهي اسم فعل مضارع دال على الضجر[3]، وهو منقول من صورة تنفس المتضجر لضيق نفسه من الغضب[4].

وتكاد كلمة (أُفٍّ) هنا تنقلب بجرسها من اسم فعل إلى اسم صوت، فإن ما في الفاء من طرد النفس من الصدر حكايةٌ للرفض وإرادة التخلص من موقف وصاحبه، ولو أن الرافض بحث عن تعبير مناسب للرفض ما وجد أفضل من لفظ (أف) بسبب ما فيها من دلالة طبيعية تدعم دلالتها العرفية، فهي تدل بجرسها على ما تدل عليه بوضعها[5].

وإذا أردنا أن نظهر وقع هذه المفردة في الآيات التي وردت فيها لوجدنا أن هذه المفردة جاءت مصورة بجرسها ومعناها موقف الرفض والاستقذار أتم تصوير، ففي جانب الوالدين جاءت الآية الكريمة منبهة الابن وناهية له عن أن يصدر منه أي نوع من أنواع الضجر تجاه والديه.

فهذه المفردة على قلة حروفها شديدة الإيذاء عند صدورها في حق الوالدين، فليس في العقوق شيء أشد من التأفف، لأنه إنما يقال للمستقذر المسترذل[6]، فالتأفيف أنهى الأذى وأشده، إذ إن معناه أن المؤَفَّفَ به لا خطر له ولا وزن أصلاً، ولا يصلح لشيء بل هو عدم بل العدم خير منه مع أنهى القذر[7].

ثم جاءت الآية الثانية تضرب أنموذجاً عملياً لذلك العاق الجاحد لنعمة الإحسان ولم تختر الآية مفردة تبين مدى غلظ كبد هذا العاق وسوء تصرفه مع والديه إلا هذه المفردة (أُفٍّ) لما فيها من دلالة على التضجر والتقذر والاسترذال.

ولما أراد إبراهيم -عليه السلام- أن يبين حقارة معبودات قومه من الأصنام، وأن يظهر ضجره من تصرفات قومه، عبر عما يختلج في نفسه تجاههم بهذه المفردة (أُفٍّ) التي تحمل في أصواتها ما يظهر دناءة وحقارة تلك المعبودات في نفسه.

---

(1) الماوردي، النكت والعيون، (٣/ ٢٣٨)

(2) الخازن، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، لباب التأويل في معاني التنزيل، (٤/ ٩٨).

(3) أبو حيان، البحر المحيط، (٦/ ٢١).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٧/ ٧٦).

(5) انظر: حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، ص٢٥٥.

(6) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٤/ ٣٧٤).

(7) انظر: المرجع السابق، (٧/ ١٣٠).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن بديع التنزيل في اختيار هذه المفردة القرآنية أنها قرئت بأكثر من وجه[1]، وكلها يؤيد ذلك المعنى الذي جاءت هذه المفردة لتحقيقه، وقد وجه الإمام البقاعي هذه القراءات توجيهاً صوتياً يتفق مع المعنى الذي تدل عليه المفردة، وألخص ما ذكره فأقول: قرأ الجمهور هذه المفردة بالكسر من غير تنوين (أفِّ) ومعنى هذه القراءة، أن المعنى الذي قصده المتأفف مقترن بسفول ثابت.

وقرأ المدنيان وحفص بالتنوين (أفٍّ) ومعناها، أن الذي قصده المتأفف من سفول عظيم سائر مع الدهر بالغلبة والقهر، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (أفَّ) بالفتح، دلالة على أن المعنى المقصود مقترن بالاشتهار بالعلو والانتشار مع الدوام[2].

وبناء على ما سبق يتبين أن هذه المفردة فيها محاكاة صوتية تامة لفعل المتأفِّف وصوته، حيث يقول لما يكرهه ويثقل عليه (أف)، وهي قولة يظهر فيها ضيق الصدر، وغيظ النفس، والعجب من السخف، الذي يتجاوز كل مألوف.

١٨- المفردة القرآنية (أَوْهَنَ)في قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ العنكبوت: ٤١.

قال ابن فارس:الواو والهاء والنون: كلمتان تدل إحداهما على ضعف، والأخرى على زمان. فالأولى: وَهَنَ الشيء يهن وَهْناً: ضَعُف، وأوهَنْته أنا. ومن هذا الواهنة: القُصَيْرَى من الأضلاع، وهي أسفلها. والكلمة الثانية: الوهن والموهن: ساعة تمضي من الليل. وأوهن الرجل: صار أو سار في تلك الساعة[3].

وقال الراغب: الوهن: ضعف من حيث الخَلْق أو الخُلُق، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ مريم: ٤، ﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ ﴾ آل عمران: ١٤٦،﴿ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ لقمان: ١٤، أي: كلما عظم في بطنها زادها ضعفاً على ضعف:﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ النساء: ١٠٤ ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ آل عمران: ١٣٩ ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الأنفال: ١٨ [4].

وبين الإمام الزمخشري الغرض من هذا التشبيه فيقول:

"الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلاً ومعتمداً في دينهم وتولوه من دون الله، بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة. وهو نسج العنكبوت ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله:﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ

---

(1) انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٢/ ٢٣٠).

(2) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٧/ ١٣٠).

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (وهن) (٦/ ١٤٩).

(4) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (وهن) ص ٦٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ ﴾ العنكبوت:٤١.وقد صح أن أوهن البيوت بيتُ العنكبوت... وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت، كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون"[1].

وكلما أمعن الإنسان النظر في هذا المثال وفكر فيه ملياً وقف فيه على لطائف دقيقة، فهو تمثيل بليغ بديع، وتشبيه طريف دقيق.

ومن ذلك أن المتأمل بدقة في هذه الحياة يجد " أن كل حيوان – وكل حشرة- له بيت أو وكر وما أشبه ذلك، لكن ليس في هذه البيوت بيت أوهن من بيت العنكبوت! فكل بيت –عادة- يحتوي على سقف وباب وجدار، وهو يحفظ صاحبه من الحوادث، ويكون مكاناً أميناً لإيداع الأطعمة والأشياء الأخرى وحفظها .... فبعض البيوت لا سقف لها إلا أنها على الأقل لها جدار، كما أن هناك بيوتاً لا جدار لها إلا أن لها سقفاً، لكن بيت العنكبوت المنسوج من خيوط دقيقة واهية، ليس له سقف ولا جدار ولا ساحة ولا باحة ولا باب، هذا من جانب... ومن جانب آخر فإن مواد بنائه واهية جداً وسرعان ما تتلاشى إزاء أية حادثة بسيطة، فهي لا تقدر على المقاومة فلو هب نسيم عليل لتمزق هذا النسيج، ولو سقطت عليه قطرات المطر لتلاشى وتلف ولو لامسته شعلة خفيفة لأحرقته.

وحتى لو تراكم عليه الغبار لتركه أشلاء ممزقة معلقة فآلهة هؤلاء الجماعة ومعبوداتهم (الكاذبة) كمثل هذا البيت لا تنفع ولا تضر ولا تحل مشكلة، ولا تكون ملجأ لأحد في المحنة والشدة"[2].

في هذه الآية الكريمة تبرز كلمة (أَوۡهَنَ) لتعطي ببنائها وجرسها معنى الضعف، وقد تحقق هذا المعنى كلمة (أوهى) ولكن القرآن الكريم عدل إلى استعمال (أوهن) بدل (أوهى).

" وذلك لما يفرزه ضم حروف الحلق، وأقصى الحلق إلى النون من التصاق وغنه لا تتأتى بضم الألف المقصورة إليها صوتياً وحينئذ تصل الكلمة إلى الأسماع، وتصك الأذان، وهي تحمل لوناً باهتاً للعجز مؤكداً بضم هذه النون – من ملحظ صوتي فقط- إلى تلك الحروف لتحدث واقعاً خاصاً يشعر بالضعف المتناهي لا بمجرد الضعف وحده، وكان هذا بتأثير مباشر من دلالة اللفظ الصوتية، إذ أحدثت فيها النون وهي من الصوامت الأنفية صدى وإيقاعاً لا تحدثه الألف المقصورة وهي صوت حلقي خالص، لا غنة معه، ولا ضغط، ولا إطباق.

وهذا التشبيه باختيار هذا اللفظ صوتياً، يجمع إليه إيحائياً دلالة أن الأصنام والأشخاص والقيم اللاإنسانية واهنة متداعية عاجزة حتى عن حماية كيانها، وصيانة وجودها، لأنها في تكوين رخو واهن،

---

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف، (٣/ ٤٤٠)

(2) الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (١٢/ ٢٥٥-٢٥٦).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وبناء تتداعى أركانه، ومثل هذا التكوين وذلك البناء لا اعتماد عليهما، ولا اعتداد بهما، إنما القوة بالله، والحماية من الله، والالتجاء إلى الله فهو وحده الركن القويم"[1].

ومن دراسة هذه المفردة يتبين لنا أن كل مفردة في القرآن الكريم قد وضعت موضعها الأشكل بها والأليق بها؛ الأمر الذي يجعلنا نؤكد دائماً أن لا ترادف في كتاب الله ليس على صعيد المعنى بل على صعيد الأصوات وما تؤديه من دلالة.

ونزيد هذا الأمر وضوحاً بالتفريق بين (وهن) و(وهي).

فمن خلال النظر في معاجم أهل اللغة يظهر لي أنهم فرقوا بين اللفظين فهذا ابن منظور يقول: الوهن الضعف في العمل والأمر. وكذلك في العظم ونحوه، وفي التنزيل العزيز ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ لقمان: ١٤ جاء في تفسيره: ضعفاً على ضعف وقيل:﴿ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ أي جَهداً على جَهد[2].

وأما (الوهْيُ) فيقول: هو الشق في الشيء وجمعه وُهِيٌّ... وَوَهى الشيء والسقاء ووهي يَهِي فيهما جميعاً وَهْياً فهو واهٍ ضعف... وكل ما استرخى رباطه فقد وَهَى... وقد وَهَى الثوب يهي وهياً إذا بلي وتخرق... ووهي الحائط يهي إذا تفزّر واسترخى، وكذلك الثوب القربة والحبل. وقيل وهي الحائط إذ ضعف وهم بالسقوط[3]. وهذا ما أشار إليه كل من الراغب[4]. والفيروز آبادي[5].

ويمكن – من خلال ما سبق- تلمس فرق بينهما مفاده: أن الوهن يتناول الجانب المادي والمعنوي في الإنسان وغيره. وأما الوهي فإنه لا يتناول إلا الجانب المادي في الأشياء، ولا يتناول الإنسان.

---

(1) الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، ص ١٩٠-١٩١.

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وهن).

(3) انظر: المرجع السابق، مادة (وهي).

(4) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (وهي) ص٦٠٨.

(5) انظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ٢٨٧).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الخامس
تناسق الصوت والمعنى في المفردات التي تكرر فيها الحرف

المبحث الأول: تناسق الصوت والمعنى في الأسماء التي تكرر فيها الحرف

المبحث الثاني: تناسق الصوت والمعنى فيالأفعال التي تكرر فيها الحرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول:
تناسق الصوت والمعنى في الأسماء التي تكرر فيها الحرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول:
تناسق الصوت والمعنى الأسماء التي تكرر فيها الحرف

من المظاهر اللغوية التكرير في الأصوات اللغوية، فمن المعلوم أن اللغة العربية ترجع في أصولها إلى البناء الثلاثي في الغالب، وهناك طائفة من الألفاظ ثنائية التركيب، وحين نجد تركيبا رباعيا أو خماسيا فإنما الأصل فيه الثلاثي، وسأعرض مجموعة من الألفاظ التي وردت في الاستعمال القرآني لنتعرف كيفية التناسب بين تكرير الصوت وتكرير الدلالة فيها.

١- المفردة القرآنية (حَسِيسَهَا) في قوله تعالى:

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ الأنبياء: ١٠٢

(حسس) الحِسُّ والحَسِيسُ الصوتُ. يَحُسُّ حَسّاً وحِسّاً وحَسيساً وأَحَسَّ به وأَحَسَّه: شعر به.[١]

و(الحسيس) - كما قال أرباب اللغة- الصوت المحسوس، وجاءت أيضاً بمعنى الحركة، أو الصوت الناشيء من الحركة، ونار الجحيم المشتعلة دائماً لها صوت خاصّ. وهذا الصوت مرعب من جهتين: من جهة أنّه صوت النّار، ومن جهة أنه صوت حركة النّار والتهامها. ولّما كان المؤمنون المخلصون بعيدين عن جهنّم، فسوف لا يطرق سمعهم هذا الصوت المرعب مطلقاً.[٢]

ومعنى﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: اي: صوتها الذي يحس وحركة تلهبها. وهذه مبالغة في الإبعاد عنها أي: لا يقربونها حتى لا يسمعوا صوتها وصوت من فيها.[٣] وهذه المبالغة ناشئة من زيادة حروف المفردة، لأن الزيادة في حروفها زيادة في معناها.[٤]

وهذه المفردة ﴿حَسِيسَهَا﴾"من الألفاظ المصورة بجرسها لمعناها. فهي تنقل صوت النار وهي تسري وتحرق، وتحدث ذلك الصوت المفزع. وإنه لصوت يتفزع له الجلد ويقشعر. ولذلك نُجّي الذين سبقت لهم الحسنى من سماعه فضلاً على معاناته، نجوْا من الفزع الأكبر الذي يذهل المشركين. وعاشوا فيما تشتهي أنفسهم من أمن ونعيم. "[٥]

إنّ هذه المفردة القرآنية تنقل لنا بأصواتها المهموسة والاحتكاكية صوت حركة النار، وإحراقها لأجساد المجرمين والمكذبين.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب،(حسس).

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،(١٠/ ١٥٧).

(٣) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق : يوسف بديوي ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط١، ١٩٨٨م ، (٣/ ٩٢).

(٤) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،(٥/ ١١٥).

(٥) قطب، سيد، في ظلال القرآن،(٤/ ٢٣٩٩).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فصوت الحاء والسين المكررّة يوحيان بخفاء صوت النار وانخفاضه، فهو أشبه بعملية الهمس في الكلام؛ الأمر الذي يرسم لنا صورة النجاة التي أنعم الله- سبحانه وتعالى- بها على عباده المؤمنين حيث لا يؤذون بصوت النار ناهيك عن دخولها.

فقد بنيت مفردات هذه الآية في غالبها- من أصوات مهموسة، فهناك السين التي كررّت أربع مرات، وهناك الحاء والخاء والشين، والفاء، والتاء المكررة مرتان، والهاء في ثلاث مفردات كما جاءت جميع حروف مفردات الآية من حروف مستفلة إلا (الخاء) مما يشارك في رسم صورة النعيم والرِّقة والعناية التي أولاها الله –عز وجل- بالمؤمنين.

٣- المفردة القرآنية (مُّذَبْذَبِينَ) في قوله تعالى:

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ النساء: ١٤٣.

والذبذبة: حكاية صوت الحركة للشيء المعلق، ثم استعير لكل اضطراب وحركة، قال تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: مضطربين مائلين تارة إلى المؤمنين، وتارة إلى الكافرين[1]. ومعنى (مُّذَبْذَبِينَ): ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر، فهم مترددون بينهما متحيرون. وحقيقة المُذَبْذَب: الذي يذب عن كلا الجانبين أي: يُذاد ويُدفَع فلا يقر في جانب واحد، كما قيل: فلان يرمى به الرَّحَوان إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى: كلما مال إلى جانب ذب عنه[2].

وهو من الأفعال التي أفادت كثرة المصدر بالتكرير، مثل زَلْزَل ولَمْلَم بالمكان وصلصل وكبكب، وفيه لغة بدالين مهملتين، وهي التي تجري في عاميتنا اليوم، يقولون: رجل مدبدب، أي: يفعل الأشياء على غير صواب ولا توفيق، فقيل: إنها مشتقة من الدُّبَّة بضم الدال وتشديد الباء الموحدة أي: الطريقة بمعنى أنه يسلك مرة هذا الطريق ومرة هذا الطريق[3].

نلحظ أن هذه المفردة وقع فيها تكرار صوتي لأحد مقاطعها وهو (ذَبْ ذَبْ) وفي هذا التكرار إيحاء بالاضطراب والحركة والاهتزاز. أي: الدلالة على عدم الثبات والاتزان، وهو ما عبر عنه الراغب آنفاً بقوله: (الذبذبة حكاية صوت الحركة للشيء المعلق). والشيء المعلق لا ينعم بثبات.

وهذا التكرار الذي في هذه المفردة يساند معناها اللغوي ، ويوحي بالحالة النفسية التي ينهض عليها النفاق، تلك الحالة التي لا تقوم إلا على الخداع، وإظهار خلاف الباطن، وعلى إنشاء العلاقات وفق المصالح، ومن كانت حاله كذلك فهو في اضطراب دائم، وحيرة مستمرة، وقلق مهلك، وما مثله إلا كمثل الشاة العائرة.

---

(١) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (ذب) ص١٩٨.

(٢) الزمخشري، الكشاف، (١/ ٥٦٧-٥٦٨).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣/ ٢٤١).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقد وصف سيد قطب هذه الظاهرة إذ فيقول: "وموقف الذبذبة والأرجحة، والاهتزاز وعدم الاستقرار والثبات في أحد الصفين، الصف المؤمن أو الصف الكافر... موقف لا يثير إلا الاحتقار والاشمئزاز كذلك في نفوس المؤمنين، كما أنه يوحي بضعف المنافقين الذاتي. هذا الضعف الذي يجعلهم غير قادرين على اتخاذ موقف حاسم هنا أو هناك...ولا على المصارحة برأي وعقيدة وموقف... مع هؤلاء أو هؤلاء"[1].

وإن نظرة في الحروف والحركات التي بنيت منها هذه المفردة ﴿ مُّذَبْذَبِينَ ﴾ تظهر لنا أن هذه الحروف، وتلك الحركات تسهم إسهاماً جلياً في إيضاح دلالة المفردة، وفي تصوير حالة الاضطراب والاهتزاز التي تعتري مواقف المنافق في حياته وتعامله مع الناس.

وبيان ذلك: أن هذه المفردة اشتملت على حروف شفوية هي الميم والباء، وعلى حرف مذلق هو الذال، ومخرجه طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، وهذا يوحي بأن مواقف المنافقين لا تتجاوز شفاههم وألسنتهم، وأنهم يظهرون في أقوالهم خلاف ما يبطنون.

كما اشتملت هذه المفردة على حرف الباء المقلقل، وفي القلقلة مناسبة تامة مع طبيعة الاضطراب والحركة والقلق، إذ معنى القلقلة الاهتزاز والاضطراب.

كما أن المفردة اشتملت على الحركات الإعرابية جميعها وفي ترتيبها على النحو الذي جاءت عليه إيحاء وتصوير لعملية الاضطراب وعدم الثبات وكأن المنافقين بهذا التنقل وعدم الثبات يحاولون أن يرضوا جميع الأطراف وأنى لهم ذلك.

فإن اللسان فيها يتنقل من ضم في (مُ) إلى فتح في (ذَ) إلى سكون في (بْ) إلى فتح في (ذَ) إلى كسر طويل في (بِ) بسبب المد في الياء.وفي هذا من التذبذب ما فيه.

٣- المفردة القرآنية (صَرْصَرًا) في قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ آل عمران: ١١٧، ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ فصلت: ١٦، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ القمر: ١٩،﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ الحاقة: ٦.

قال الخليل: صَرَّ الجندبُ صريراً، وصَرْصَرَ الأخطب صَرْصَرَة. وصَرَّ الباب يَصِرُّ، وكل صوت شِبْه ذلك فهو صَرِير إذا امتد، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف كقولك: صَرْصَرَ الأخطب صرصرة، وريح صَرْصَر: ذات صِرّ، ويقال: ذات صوت، والصَّرْصَر نعت لها من البرد، والصِّرُّ: البرد

([1]) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٢/ ٧٨٤).

الذي يضرب كل شيء ويحسه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فِيهَا صِرٌّ ﴾ وصَرَّ الباب، وصَرَّتِ الآذان إذا سمعت لها صوتاً ودوياً، والصَّرَة شِدة الصياح، وتقول: جاء في صَرَّة[1].

وقوله: ﴿ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ لفظه من الصَّر، وذلك يرجع إلى الشد لما في البرودة من التعقد[2]، والصرصر: الريح الشديدة الصوت بما يسمع لها من الصرير في شدة حركتها، يقال: صَرّ وصَرْصَر، كأنه مضاعف منه، فالصَّرْصَر: الشديدة العصوف المجاوزة لحدها المعروف، وقال قتادة: صرصر باردة، فكأنه يصطك الأسنان بما يسمع من صوتها لشدة بردها، ويقال: صَرْصَر وصلصل إذا تكرر الصوت، وهو مضاعف صَرّ وصَلّ[3].

وحكى ابن عطية خلاف المفسرين في دلالة (صَرْصر) فقال: واختلف الناس في الصرصر، فقال قتادة والسدي والضحاك: هو مأخوذ من الصر، وهو البرد، والمعنى ريحاً باردة لها صوت. وقال مجاهد: صرصر شديدة السموم. وقال الطبري وجماعة من المفسرين: هو من صر يصِر إذا صوت صوتاً يشبه الصاد والراء، وكذلك يجيء صوت الريح في كثير من الأوقات بحسب ما تلقى[4].

وقال في موضع آخر (الصَّرْصَر) يحتمل أن يكون من الصر أي: البرد، وهو قول قتادة، ويحتمل أن يكون من صر الشيء إذا صوت، فقال قوم: صوت الريح (صرصر) كأنه يحكي هذين الحرفين[5].

وندرك من كلام ابن عطية السابق أن هذه المفردة (صرصر) تحكي صوت الريح عند هبوبها بشدة وعنف، فهذه المفردة تنقل للسامع صوت الريح العاصفة المدمرة. وعليه يمكن القول: إنّ هذه المادة في هذه الصيغ الثلاث وردت في القرآن وأنت تلمس فيها اصطكاك الأسنان، وترديد اللسان، فالصاد بصفيرها والراء المضعفة، والتكرار للمادة في صرصر، قد أضفى صيغة الشدة، وجسد صورة الرهبة، فلا الدفء بمستنزل، ولا الوقاية متيسرة، وذلك ما يهد كيان الإنسان عند التماسه الملجأ فلا يجده، أو النجاة فلا يصل شاطئها.

في لفظ (الصَّر) أصوات الرياح العاتية، مادة الصر إذن: كما عبر عنها الراغب: (ترجع إلى الشدة لما في البرودة من التعقد)، فالصوت هنا ملازم لـ(صر) و(صرصر) تارة في الشدة، وأخرى في صوت الريح، ومثلها في أشد الصياح، وتارة في التصويت من العطش، وسواها في تصويت الطائر، وأهمها (الصر) سمي بصوته، ويليه العصفور إذا صاح، ومن ثم صرير الباب، وصر الجندب، وكل صوت يشبه ذلك في التخفيف أو الترجيع.

---

(1) الخليل بن احمد، العين، (صرّ).

(2) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (صر) ص٣١٢.

(3) الطوسي، ، التبيان في تفسير القرآن، (١٠/ ٩٥).

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٥/ ٩).

(5) المرجع السابق، (٥/ ٣٥٧).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

(وصر) في الآيات ليست بمعزل عن هذه المصاديق في الشدة والصوت والتصويت، وتسمية الشيء باسم صوته[1]، فهذه المفردة (صرصر) ذاتها كأنها مقذوف يلقى بعنف، فيصور معناه بجرسه النفاذ.

ومن النظر في الآيات الكريمة يتبين أنه وردت (صر) مع إهلاك الحرث والزرع، وإهلاكه لا يحتاج إلا إلى مرة واحدة ؛ لأنه لا قيمة لإعادة الريح على الزرع بعد أن أهلكته.

وأما (صرصر) فتدل على الريح المتكررة الوقوع والتي تهدف إلى إيقاع العذاب مرات ومرات قبل الموت الحقيقي ؛لذا جاءت في مقام إيقاع العذاب على الطغاة والظلمة.

وهذا سر من أسرار جمال التعبير لهذا الكتاب المعجز.

٤- المفردة القرآنية (عَدَدًا) في قوله تعالى:

﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الجن: ٢٨،

العد إحصاء الشيء، والعدد في قوله تعالى: ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ له معنيان: الأول: عددا بمعنى معدوداً. والثاني: أن يكون بمعنى إحصاء فأقام عدداً مقام الإحصاء لأنه بمعناه[2].

قال الزمخشري في بيان معنى قوله تعالى ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ أي:" من القطر والرمل وورق الأشجار، وزبد البحر، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه. وعدداً: حال، أي: وضبط كل شيء معدوداً محصوراً. أو مصدر في معنى إحصاء"[3]. وهذه الآية تدل على أنه تعالى عالم بالجزئيات وبجميع الموجودات.

نستشعر عند قراءة هذه المفردة (عَدَدًا) مناسبتها التامة لسياقها الذي وردت فيه، إذ إنّ توالي وتكرار حركات الفتح وتكرار الدال فيها جاء مناسباً لسياق الآية الدال على الإحصاء والإحاطة والجمع والعد، فجاء تتابع تلك الحروف والحركات وتواليها بإزاء تتابع حركة العد، والإحصاء وتواليها.

٥- المفردة القرآنية (ذُلُلًا) في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ النحل: ٦٩.

ذللاً: جمع ذلول وهو الشيء الممهد المنقاد، وهو حال من السبل، أي: فاسلكي سبل ربك حال كونها ممهدة لك، لا عسر في سلوكها عليك، وإن كانت صعبة بالنسبة لغيرك.

(1) انظر: الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص١٨٧-١٨٨.

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (عدد).

(3) الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٦٢٠).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قالوا: ربما أجدب عليها ما حولها، فتنتجع الأماكن البعيدة للمرعى، ثم تعود إلى بيوتها دون أن تضل عنها. وقيل: إن (ذُلُلًا) حال من النحلة أي: ثم كلي من كل الثمرات، فاسلكي سبل ربك، حالة كونك منقادة لما يراد منك، مطيعة لما سخرك الله له من أمور تدل على قدرته وحكمته – سبحانه[1].

إن السياق الذي وردت فيه هذه المفردة (ذُلُلًا) سياق امتنان من الله –تعالى– على عباده بأن ذلل للنحل ومهد لها سبلاً تسلكها لتخرج للناس مادة غذائهم وشفائهم؛ ولذا فإن دلالة تكرار الأحرف المرققة في هذه المفردة جاءت متناغمة ومتسقة تمام الاتساق مع دلالة السياق فإن توالي تلك الأحرف المرققة الذال واللامين مع ما في الذال من ذلاقة ورخاوة مع رقة اللام المكررة كذلك، كل ذلك يوحي تمام الإيحاء بالتذليل والتسهيل، وإن هذه السهولة تتضح في سهولة نطق هذه المفردة، كما يوحي تتابع الضم وتكراره على الحروف بالحنو والرفق الذي لا يكذبه الحس والشعور[2].

وإذا نظرنا في القرآن الكريم وجدنا مفردة شبيهة بهذه المفردة وهي (ظُلَلٌ) مع ملاحظة الفرق الصوتي بين الذال والظاء، ومن حق القارئ أن يتساءل عن سر استخدام كل كلمة في موضعها، والإجابة: أن السياق هو الفيصل في التفريق بينهما، وذلك أن السياق لما كان سياق امتنان وتذليل وتسهيل ونعمة في سورة النحل ناسب ذلك إيراد حرف الذال برقته ورخاوته وذلاقته.

ولما كان السياق في سورة الزمر في قوله تعالى:﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ الزمر: ١٦، سياق وعيد وتهديد وتخويف ناسب ذلك إيراد حرف الظاء المجهور المفخم، وصوت الظاء هنا بما يتصف به من تفخيم واستعلاء جاء متناغماً مع تكرار اللام بعدها للدلالة على تتابع الظلل النارية وتراكب بعضها فوق بعض.

وإذا كان تتابع الضم في (ذُلُلًا) قد جاء موحياً بالحنو والرفق والرحمة، فإن سياق الوعيد والتهديد لا يحتاج إلى شيء من ذلك، وإنما يناسبه ذلك التراكب العجيب في الانتقال من الضم إلى الفتح بما في الفتح من استعلاء مناسب لاستعلاء تلك الظلل وتراكبها[3].

٦- المفردة القرآنية (مَدَدًا) في قوله تعالى:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الكهف: ١٠٩.

---

(1) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، (٨/ ١٨٩).

(2) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص١١١.

(3) انظر: المرجع السابق، ص١١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الميم والدال أصل واحد يدل على جر شيء في طول، واتصال شيء بشيء في استطالة. تقول: مددت الشيء أَمُدُّه مَدّاً. ومدَّ النهرُ، ومَدَّهُ نهرٌ آخر، أي: زاد فيه وواصله فأطال مدته. وأمددت الجيش بمدد، والمداد: ما يكتب به، لأنه يمد بالماء، ومددت الدواة وأمددتها[1].

"والمعنى: قل – أيها الرسول الكريم– للناس: لو كان ماء البحر مداداً للأقلام التي تكتب بها كلمات ربي ومعلوماته وأحكامه... لنفد ماء البحر ولم يبق منه شيء، –مع سعته وغزارته– قبل أن تنفد كلمات ربي، وذلك لأن ماء البحر ينقص وينتهي أما كلمات الله –تعالى– فلا تنقص ولا تنتهي.

وقوله –سبحانه– ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ زيادة في المبالغة وفي التأكيد لما قبله من شمول علم الله تعالى لكل شيء وعدم تناهيه. أي: وبعد نفاد ماء البحر السابق، لو جئنا بماء بحر آخر مثله في السعة والغزارة، وكتبنا به كلمات الله تعالى لنفد أيضاً ماء البحر الثاني دون أن تنفد كلمات ربي"[2].

إن السياق يعرض لهم البحر بسعته وغزارته في صورة مداد يكتبون به كلمات الله الدالة على علمه، فإذا البحر ينفد وكلمات الله لا تنفد، ثم إذا هو يمدهم ببحر آخر مثله، ثم إذا البحر الآخر ينفد كذلك، وكلمات الله تنتظر المداد، وبهذا التصوير المحسوس والحركة المجسمة يقرب إلى التصور البشري المحدود معنى غير المحدود، ونسبة المحدود إليه مهما عظم واتسع.

ولذا فإننا عندما نقرأ هذه الآية الكريمة يرتسم في أذهاننا صورة تلك الحركة الدائبة، حركة الامتداد بماء البحر لكتابة كلمات الله، في غير ما توقف ولا انتهاء، إلا أن ينتهي البحر بالنفاد[3].

نستشعر عند تلاوة هذه المفردة (مَدَدًا) دلالة تكرار حركات الفتح المتتالية على أحرف المفردة كلها مع تكرار حرف الدال فيها مرتين. لقد جاء تتابع الفتحات في هذه المفردة مع ما تشتمل عليه الدال من الجهر والانفجارية متناغماً ومتسقاً تمام الاتساق. مع دلالة التتابع والإمداد والإرداف المتتالي اللانهائي، الذي أرادت الآية أن تعبر عنه في مقام التعبير عن اتساع علم الله وكثرة كلماته تلك الكثرة غير المتناهية والتي يصعب حصرها[4]. وإن النطق بهذه المفردة خاصة عند نطق الدالين المفتوحتين المتتابعتين نستشعر هيئة التتابع في حركة اللسان.

٧– المفردة القرآنية (سِلْسِلَةٍ) في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ الحاقة: ٣٢.

سَلُّ الشيء من الشيء: نزعه، كَسَلِّ السيف من الغمد، وسَلِّ الشيء من البيت على سبيل السرقة، وسَلِّ الولد من الأب، ومنه قيل للولد: سليل.

([1]) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (مدَّ)، (٥/ ٢٦٩).

([2]) طنطاوي، سيد، التفسير الوسيط، (٨/ ٥٨٨).

([3]) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٤/ ٢٢٩٦)، وانظر:: قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص٧٦.

([4]) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص١١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتسلسل الشيء: اضطرب، كأنه تصور منه تسلل متردد، فردد لفظه تنبيهاً على تردد معناه.

ومنه السلسلة، قال تعالى: ﴿ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ الحاقة: ٣٢، وقال تعالى: ﴿ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ ﴾ الإنسان: ٤، وقال: ﴿ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ ﴾ غافر: ٧١[1].

والسلسلة حِلَق تدخل في حِلَق على سبيل الطول كأنها من تسلسل الشيء اضطرب، وتنوينها للتفخيم[2]، وإنما سميت هكذا لتكرر حلقاتها وتتابعها.

وقال أهل التفسير في معنى قوله تعالى ﴿ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾: ثم اسلكوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً بذراعٍ اللهُ أعلم بقدر طولها. وقيل: إنها تدخل في دُبره، ثم تخرج من منخريه. وقال بعضهم: تدخل في فيه، وتخرج من دبره[3].

إن هذه المفردة بهيئتها التي تشكلت عليها فيها إيحاء بالتطويل والتهويل، وهذا ناشيء من تكرر حروفها إذ تتكون من مقطعين هما (سِلْ/ سِلْ) وهذا التكرار مُوحٍ بتكرار حلقاتها وتتابعها، وهذا ما عبر عنه الراغب آنفاً بقوله: (فردد لفظه تنبيهاً على تردد معناه).

فتكرار المقطع في المفردة جاء متناسباً مع طول السلسلة الناشيء من تتابع حلقاتها وتكررها واضطرابها، كما يوحي صوت السين بما فيه من صفير، بصوت احتكاك حلقات السلسلة بعضها ببعض أو صوت احتكاكها بالأرض، ومما يزيد في التهويل مجيء لفظ سبعين الدال على الكثرة والمبالغة وإلا فإن ذراعاً واحداً من سلاسل النار تكفيه.

٨- المفردة القرآنية (قِدَدًا) في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ ﴾ الجن: ١١. القِدُّ: الطريقة، والفرقة من الناس إذا كان هوى كل واحد على حدة، قال الله تعالى: ﴿ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾، اي: فِرَقَاً مختلفة أهواؤها. ومعنى(قِدَدًا) : متفرقين يعني في اختلاف الأهواء[4].

ومعنى قوله: ﴿ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾: اي: كنا ذوي مذاهب مفترقة مختلفة، أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة، أو كنا في طرائق مختلفة، أو كانت طرائقنا طرائق قدداً على حذف المضاف الذي هو الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه؛ والقِدَّة من (قَدّ)، كالقطعة من قطع. ووصفت الطرائق بالقدد، لدلالتها على معنى التقطع والتفرق[5].

---

(1) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن (سل) ص٢٦٦.

(2) انظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١٥/ ٥٦).

(3) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٣/ ٥٨٩).

(4) انظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (قد)، (٤/ ٢٤٠).

(5) انظر: الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٦١٤-٦١٥).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والآية مبنية على التشبيه البليغ، شبه تخالف الأحوال والعقائد بالطرائق تفضي كل واحدة منها إلى مكان لا تفضي إليه الأخرى، وشبهت الطرائق في كثرتها بالقدد المقتطعة من الجلد يقطعها صانع حبال القِدّ التي كانوا يقيدون بها الأسرى[1].

عندما ننطق هذه المفردة (قِدَدًا) نستشعر في تتابع الدالين المفتوحين ذلك التكرار على تعدد تلك الطوائف من الجن، كما أن تتابع الفتح وتكراره في الدالين يورث النطق نوعاً من التنافر الفني الذي أحسن توظيفه للدلالة على ما بين هذه الطوائف من تفرق واختلاف.

ويشارك في حدوث هذا التنافر انتقال الفم من الكسر في القاف إلى الفتح المتكرر في الدالين، مما يجعل الفم في هيئة شبيهة بهيئة المشمئز لشيء، ويتقوى هذا الاشمئزاز والاستنكار بما في حرف الدال من جهر وانفجار مع تكرر ذلك الجهر والانفجار[2].

([1]) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٩/ ٢٣٢-٢٣٣).

([2]) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص١٠٩-١١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني:
تناسق الصوت والمعنى في الأفعال التي تكرر فيها الحرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني:
تناسق الصوت والمعنى في الأفعال التي تكرر فيها الحرف

٢-١- المفردتان القرآنيتان (عَسْعَسَ) و (تَنَفَّسَ) في قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ ﴾ التكوير: ١٧ - ١٨

العين والسين أصلان متقاربان: أحدهما الدنوُّ من الشيء وطلبه، والثاني خِفَّةٌ في الشيء.[١]

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ أي : أقبل وأدبر، وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه، فالعسعسة والعساس: رقة الظلام، وذلك في طرفي الليل، والعس والعسس: نفض الليل عن أهل الريبة[٢]

قال الفراء: "اجتمع المفسرون : على أن معنى (عسعس): أدبر: وكان بعض أصحابنا يزعم أن عسعس: دنا من أوله وأظلم."[٣]

وذهب الطبري إلى الترجيح بين المعنيين محتجا لاختياره بملائمته للسياق،وبكلام العرب. فقال: "وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول مَنْ قال: معنى ذلك: إذا أدبر، وذلك لقوله: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ فدَل على أن القسم بالليل مدبرا، وبالنهار مقبلا. والعرب تقول: عسعس الليل، وسَعْسَعَ الليل: إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير. "[٤]

وقال المبرد والخليل: هو من الأضداد يقال: عسعس، إذا أقبل ظلامه، وعسعس، إذا أدبر ظلامه. قال ابن عطية: قال المبرد: أقسم الله بإقبال الليل وإدباره معاً.[٥]

وبذلك يكون إيثار هذا الفعل لإفادته كلا حالين صالحين للقسم به فيهما لأنهما من مظاهر القدرة إذ يعقب الظلام الضياء ثم يعقب الضياء الظلام، وهذا إيجاز.[٦]

فلفظ عسعس مؤلف من مقطعين: عس. عس. وهو يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل، وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى! وهو إيحاء عجيب واختيار للتعبير رائع.[٧]

إنّ إيقاع (عسعس) يتناسق وحس النفس، فإنها تشعر بضباب يعمُّ النفس، ويترامى على أطراف الكون لينصهر في ليل داهم.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(عسس)، (٤/ ٢٤) .

(٢) الراغب الأصنهاني،معجم مفردات ألفاظ القرآن(عس)، ص٣٧٤.

(٣) الفرّاء، معاني القرآن،(٣/ ٢٤٤).

(٤) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٢٤/ ٢٥٧).

(٥) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، (٥/ ٤٤٤).

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير،(٣٠/ ١٥٤).

(٧) السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص٢٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإنّ مما يزيد في قوّة هذا الإيقاع والحس النفسي تكرار العين والسين مرتين، الأمر الذي يوحي بمداهمة الليل، ليقضي فترة ثم يدبر ويقشعر.[1]

وإننا عندما ننطق هذه المفردة(عسعس) بهمس السين فيها، نكاد نحس همس الليل، وخفوت ضوء النهار، ونشعر بهدأة الكون. فنعومة السين وخفتها تناسب سكون الليل، وهدوءه.

وأما معنى قوله: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أي: امتدّ حتى يصير نهاراً بيناً، يقال للنهار إذا زاد تنفس، ومعنى التنفس: خروج النسيم من الجوف، وفي كيفية المجاز قولان: الأول: أنه إذا أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفساً له على المجاز، فقيل: تنفس الصبح. الثاني: أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي حبس بحيث لا يتحرك، فإذا تنفس وجد راحة فهنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن، فعبر عنه بالتنفس[2].

ويوضّح الإمام الزمخشري سرّ التعبير في هذه الآية الكريمة فيقول:

" فإن قلت ما معنى تنفّس الصبح؟ قلت: إذا أقبل الصبح بإقباله رَوْح ونسيم، فجعل ذلك نَفَساً له على المجاز "[3]. ولقد أجاد الرّماني في بيان الاستعارة في الآية الكريمة، وذلك حيث التفت إلى تلك الراحة النفسية التي يوحي بها تنفّس الصبح؛ يقول: " وتنفّس ههنا مستعار، وحقيقته: إذا بدأ انتشاره. وتنفس أبلغ منه، ومعنى الابتداء فيهما، إلا أنه في التنفس أبلغ؛ لما فيه من الترويح عن النفس"[4].

وأي ترويح عن النفس يعدل إشراقة الصبح حيث الحياة والحركة، وحيث راحة النفوس التي تضيق بالظلاّم. قال سيد قطب " والصبح حيّ يتنفس. أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدب في كلّ حيّ... ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المتفتح أنه بالفعل يتنفس"[5].

هكذا توحي لفظة(تنفس)، وفي تنفسها تحمل إيقاعاً هادئاً يتغلغل في النفس، ويرفعها إلى مستوى كائنات الطبيعة، وهي تفوح بالرَّوْح والنسيم، لتدع المخيّلة تتصور قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ وكأن غمامة سوداء تطايرت واقشعرّت، ليحلّ محلّها النور[6].

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن،(٦/ ٣٨٤١-٣٨٤٢).

(٢) الخطيب الشربيني، محمد، السراج المنير، خرج أحاديثه، أحمد عزو، الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، (٨/ ٢٧١)

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٦٩٧.

(٤) الرّماني، النكت في إعجاز القرآن،(ضمن ثلاث رسائل)،ص٩٠.

(٥) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٨٤٢).

(٦) السلامي عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص٢٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإنه لتعبير يقول فيه سيد قطب: "وأكادُ أجزم أنّ اللغة العربية بكل مأثوراتها التعبيرية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح "[1].

وإذا كان تكرار حرف السين في (عسعس) بما يشتمل عليه من همس ورقة يتناسب مع إدبار الليل وهمسه، فإننا نجد أنّ كلمة(تنفس) في التعبير عن إقبال الصبح وإشراقه قد أخذت نصيبها من همس السين ورقته المناسبة للطافة الصبح ورقته، غير أنّ هذا الحرف لم يتكرر وإنما اشتملت المفردة على أحرف أخرى متحركة بالفتح متقاربة المخارج، تضفي على الجوّ طلوع الصبح وميلاده نوعاً من الحركة والحياة التي نشعر بتدرجها شيئاً فشيئاً مع توالي هذه الحروف والحركات، وكأنها تكاد تحاكي ميلاد هذا الصبح الجديد.[2].

وعليه يمكن القول: إنّ تقارب مخارج(عسعس) في ذاتها لم يُحِلْ دون استعمالها في تركيب تأليفي يشعر ببديع التصوير وعظمة التأثير، فالظلام يطول بثقله على الإنسان فيرسي فيها هموماً وخيالات شتى فجاءت كلمة(تنفس)لتخرجه من حالته الكئيبة.

٣- المفردة القرآنية (فَكُبْكِبُوا) قوله تعالى:

﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الشعراء: ٩٤، الكب: إسقاط الشيء على وجهه، قال عز وجل: ﴿ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ النمل: ٩٠، والإكباب: جعل وجهه مكبوباً على العمل،قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الملك: ٢٢ والكبكبة: تدهور الشيء في هوّة، قال تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الشعراء: ٩٤، يقال: كُبٌّ وكُبْكِب، نحو كف وكفكف، وصر الريح وصرصر[3].

والمعنى: أنه رمي ببعضهم في الجحيم على بعض، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم[4]. وأصل الحرف (كُبِّبوا) من قولك: كببت الإناء، فأبدل من الباء الوسطى كافاً، استثقالاً لاجتماع ثلاث باءات، كما قالوا: كُمكِمُوا من الكُمّة، والأصل كُمِّمُوا، وقال الزجاج: معناه طرح بعضهم على بعض، وحقيقة ذلك تكرير الانكباب، كأنه إذا ألقي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها[5].

---

(1) قطب،سيد، في ظلال القرآن،(٦/ ٣٨٤٢).

(2) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٧٣-٧٤.

(3) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (كب)، ص٤٦٩.

(4) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٩/ ٣٦٧).

(5) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (٦/ ١٣١-١٣٢).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهذه الصيغة قد حملت اللفظ بتكرار صوتها زيادة معنى التدهور والسقوط وسرعة ذلك وشدته فهم" قلبوا وصرعوا ورموا، قلباً عظيماً مكرراً سريعاً من كل من أمره الله بقلبهم بعد هذا السؤال، إظهاراً لعجزهم بالفعل حتى عن الجواب قبل الجواب"[1].

يقول سيد قطب: " وإننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشيء من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف، فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه" [2].

فالتكرار الواقع في (كبكبوا) هو الذي أوحى بزيادة المعنى جرياً على القاعدة المشهورة أن الزيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى، وهو ما عبر عنه الزمخشري بقوله: "والكبكبة تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر قعرها " [3].

وعليه فإن قوله: (كبكبوا) أبلغ وأدل على المعنى المقصود من (كُبُّوا) وذلك "لأن فعل (كبّ) يدل على المرة الواحدة، والمعنيون لا يجمعون ويكبون كبة واحدة، أما فعل (كبكب) فهو يدل على معنى الكب المتكرر المتتابع، وهو أمر تدل عليه الصيغة التي فيها تكرير للحروف كدلالة (الوسوسة) على التكرير، ودلالة (السلسلة) على تتابع الحلقات، ودلالة (الصلصلة) على تكرار الصوت، كصوت الجرس، إن الكبكبة الجماعية المتكررة أدل على الإهانة، وأكثر ملاءمة للمعنى المراد"[4].

وإن هذا المعنى الذي أوحت به (كبكبوا) يأتي منسجماً تمام الإنسجام مع سياق الوعيد والتهديد لهؤلاء المجرمين. فتكرر الباء بما فيها من قلقلة وانفجارية يأتي مناسباً تمام المناسبة لمحاكاة تردي تلك الأفواج في النار مع محاكاة صوت الوقوع والاصطدام.

وإن الاحتكاك بين الكاف والباء وتكرره يشارك بشكل فاعل في تلك المحاكاة معبراً عن احتكاك تلك الأفواج بعضها ببعض[5].

بعد هذا يمكن القول: إن التالي لهذا الفعل أو السامع له يسمع صوت الكب وإلقاء الكافرين في النار، فهذا الفعل يحاكي الحدث سواء بسواء. كما يدرك القارئ لهذه المفردة أنه لا بد من انضمام الشفتين ثلاث مرات في هذه المفردة، مرة على الكاف لوجود الضم، ومرتين على الباء لأنه حرف

([1]) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٥/ ٣٧٢).

([2]) قطب سيد، في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٠٥).

([3]) الزمخشري، الكشاف، (٣/ ٣١٢).

([4]) الميداني، عبد الرحمن حبنكه، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م، (٢/ ٥٢٣).

([5]) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شفوي شديد، وهذا الانضمام يصور حركة تكوير الكافر، وهو يتدحرج حتى يصل إلى القعر، ويتجمع جسده كالكرة، كما تتجمع الشفاه في لفظ هذه المفردة[1].

٤- المفردة القرآنية (زلزل) في قوله تعالى:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ ﴾ الزلزلة: ١، وردت مادة هذه الكلمة في آيات أخرى وهي: قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤ ﴾ البقرة: ٢١٤، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ الحج: ١، وقوله: ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ الأحزاب: ١١

وأصل هذه المادة مطرد منقاس في المضاعف، وكذلك في كل زاء بعدها لام في الثلاثي، وهذا من عجيب هذا الأصل، تقول: زلَّ عن مكانه زليلاً وزلاًّ، والماء الزُّلال: العذب، لأنه يَزِلُّ عن ظهر اللسان لرقته، والزَّلَّة: الخطأ؛ لأن المخطئ زل عن نهج الصواب، وتزلزلت الأرض: اضطربت، وزلزلت زلزالاً[2].

والتزلزل: الاضطراب، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه، قال: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ و﴿ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾ أي: زعزعوا من الرعب[3].

وتكون الزلزلة في الأشخاص، وفي الأحوال، يقال: زلزل الله الأرض زَلْزلة وزِلزالاً – بالكسر- فتزلزلت إذا تحركت واضطربت، فمعنى (زلزلوا) خُوِّفُوا وحُرِّكوا.

وقال الزجاج: أصل الزلزلة من زَلَّ الشيء عن مكانه، فإذا قلت: زلزلته فمعناه كررت زَلَّله من مكانه[4].(وزلزل) مضاعف (زلّ) إذا زل عن مقره بسرعة، ضوعف لفظه لتضاعف معناه[5].

وحقيقتها: تحرك عنيف في جهة من سطح الأرض من أثر ضغط مجاري الهواء الكائن في طبقات الأرض القريبة من ظاهر الأرض، وهي من الظواهر الأرضية المرعبة ينشأ عنها تساقط البناء وقد ينشأ عنها خسف الأشياء في باطن الأرض[6].

---

(١) انظر: ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص١٦١.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (زلل)، (٣/ ٤).

(٣) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (زلّ) ص٢٣٩.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣/ ٢٤).

(٥) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٥/ ١٣٠).

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨٧).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويكون معنى الآية الكريمة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ اي: حركت تحريكاً عنيفاً متكرراً متداركاً حتى يخيل للناس أنها خرجت من حيزها لأن فعل زلزل مأخوذ من الزلل وهو زلق الرجلين، فلما عنوا شدة الزلل ضاعفوا الفعل للدلالة بالتضعيف على شدة الفعل كما قالوا: كبكبه، كبه ولملم بالمكان من اللَّم[1].

ويحدثنا سيد قطب عن هول هذا اليوم، وفظاعة ما يجري فيه، فيقول: "إنه يوم القيامة حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجافاً، وتزلزل زلزالاً، وتنفض ما في جوفها نفضاً، وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلاً، وكأنها تتخفف من هذه الأثقال التي حملتها طويلاً.

وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شيء ثابت، ويخيل إليهم أنهم يترنحون ويتأرجحون والأرض من تحتهم تهتز وتمور، مشهد يخلع القلوب من كل ما تتشبث به من هذه الأرض، وتحسبه ثابتاً باقياً، وهو الإيحاء الأول لمثل هذه المشاهد التي يصورها القرآن، ويودع فيها حركة تكاد تنتقل إلى أعصاب السامع بمجرد سماع العبارة القرآنية الفريدة "[2].

فهذه المفردة (زلزلت) تحاكي حركة الزلزلة بما فيها من هز وتحريك متتابع يقتضي التكرار لهذه العملية. فالتركيب الصوتي لهذه المفردة بما فيها من تكرار وتتابع يحاكي حدث الزلزلة بما فيه من تكرار وتتابع.

وترشد هذه المفردة إلى أن الفعل لم يكن مرة واحدة، وإنما تكرر حتى ظهر له هذا الأثر[3]، فهذا الفعل مكون من حرفين هما الزاي واللام، فالأول بما يشتمل عليه من صفة الجهر، وصفة الصفير يوحي بصوت حركة الأشياء واضطراب بعضها ببعض، واحتكاكها معاً.

٥- المفردة القرآنية (يُوَسْوِسُ) في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ ق: ١٦، وقوله: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾﴾ الناس: ٥، قال الراغب: الوسوسة الخطرة الرديئة، وأصله من الوسواس وهو صوت الحلي، والهمس الخفي، قال: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ طه: ١٢٠، وقال: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ الناس: ٤، ويقال لهمس الصائد وسواس[4].

---

(١) المرجع السابق، (٣٠/ ٤٩٠).

(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٩٥٤).

(٣) هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص١٠٥.

(٤) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (وس) ص٥٩٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقد ذكر ابن القيم –رحمه الله– أن الوسواس (فَعْلال) من وَسْوَسَ. وأصل الوسوسة الحركة، أو الصوت الخفي الذي لا يحس فيحترز منه، فالوسواس: الإلقاء الخفي في النفس، إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقي إليه، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد.

ومن هذا وسوسة الحلي وهو حركته الخفية في الأذن. والظاهر– والله أعلم – أنها سميت وسوسة لقربها وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الإنس وهو الأذن، فقيل: وسوسة الحلي، لأنه صوت مجاور للأذن كوسوسة الكلام الذي يلقيه الشيطان في أذن من يوسوس له[1].

وقد أكد ابن القيم الصلة بين جرس المفردة ومعناها فقال: " ولما كانت الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه إليه كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها، فقالوا: وسوس وسوسة، فراعَوْا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه، ونظير هذا ما تقدم من متابعتهم حركة اللفظ بإزاء متابعة حركة معناه كالدوران والغليان والنزوان وبابه.

ونظير ذلك زلزل ودكدك وقلقل وكبكب الشيء، لأن الزلزلة حركة متكررة، وكذلك الدكدكة والقلقلة، وكذلك كبكب الشيء إذا كبه في مكان بعيد فهو يكب فيه كباً بعد كب كقوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الشعراء:٩٤... "[2].

ثم بين أن هذا الفعل (وسوس) رباعي وليس ثلاثياً، ومن جعله بمعنى الثلاثي لم يُصِبْ وذلك " لأن الثلاثي لا يدل على تكرار بخلاف الرباعي المكرر. فإذا قلت: ذرَّ الشيء وصَرَّ الباب وكفَّ الثوب ورضَّ الحَبَّ لم يدل على تكرار الفعل بخلاف ذرذر وصرصر ورضرض ونحوه، فتأمله فإنه مطابق للقاعدة العربية في الحذو بالألفاظ حذو المعاني، والمقصود أن الموسوس لما كان يكرر وسوسته ويتابعها قيل وسوس"[3].

ندرك مما سبق أن الفعل (وسوس) يتركب من تكرار المقطع (وس)، وهذا التكرار الصوتي لهذا المقطع يحاكي عملية الوسوسة بما تشتمل عليه من إلحاح وإغراء بالشيء يقتضي تكرار الإيعاز بالشيء مرة بعد مرة.

وإن تكرار الواو بما تشتمل عليه من خفاء ولين يؤكد معنى الخفاء والمكر ولين القول في عملية الوسوسة، وإن تكرار السين بما تشتمل عليه من همس وصفير يؤكد معنى الهمس والإخفاء في الوسوسة فهي تشبه صوت صفير الريح، ووسوسة الحلي، وهذا يؤكد معنى الخفاء من جهة كونه صوتاً غائماً، ومعنى التشويش على الضمير من جهة ما فيه من صفير وغوغائية متكررة[4].

---

(1) ابن القيم الجوزية، التفسير القيم، (ص٦٠٠-٦٠١).

(2) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(3) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(4) انظر:هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص١٠٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وتأتي هذه الدلالة للفعل (وسوس) متفقة مع سياق الآية الأولى الدال على سعة علم الله بوساوس النفوس مهما خفيت ودقت، وعلى مدى علمه -سبحانه- بضعف الإنسان ومعاناته أمام هذه الوساوس المتكررة والملحة عليه الأمر الذي يتطلب رحمة الله تعالى.

وتأتي هذه الدلالة كذلك متفقة ومتناغمة مع سياق الآية الثانية إذ يأمر الله -سبحانه وتعالى- عباده أن يلوذوا به من شر هذه الوساوس الشيطانية المتكررة، فهو وحده -سبحانه- القادر على دفعها عنهم[1].

٦- المفردة القرآنية (زُحزِحَ) في قوله تعالى:

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ البقرة: ٩٦، وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٥.

الزاء والحاء يدل على البعد، يقال زحزح عن كذا، أي بوعد، قال الله تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ ﴾ أي بوعد[2]، وقيل: أزيل عن مقره فيها[3].

والزحزحة إبعاد الشيء المستثقل المترامي لما يبعد عنه[4]، وهي أيضاً التنحية والإبعاد، وهو تكرير الزح، والزح هو الجذب بعجلة[5].

وقال الطبري مبيناً معنى الآية الأولى: فتأويل الآية وما طول العمر بمبعده عن عذاب الله، ولا منحيه منه، لأنه لا بد للعمر من الفناء، ومصيره إلى الله[6].

وأما معنى الآية الثانية: أن كل نفس سيدركها الموت لا محالة، وأن الناس سيحاسبون على أعمالهم يوم القيامة، فمن كانت نتيجة حسابه الإبعاد عن النار، والنجاة من سعيرها، فقد فاز فوزاً عظيماً، وأدرك البغية التي ليس بعدها بغية[7]، وهذا تنبيه على أن الإنسان حينما كان في الدنيا كأنه كان في النار، وما ذاك إلا لكثرة آفاتها وشدة بلياتها.

---

(1) انظر: المرجع السابق، ص١٠٦-١٠٧.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (زحح) (٣/ ٧).

(3) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (زحح) ص٢٣٧.

(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١/ ٢٠٢).

(5) الرازي، مفاتيح الغيب، (٩/ ١٠٢).

(6) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢/ ٣٧٥).

(7) طنطاوي، سيد، التفسير الوسيط، (٢/ ٣٦١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول سيد قطب مبيناً الإيحاء اللفظي لهذا الفعل: "ولفظ (زُحْزِحَ) بذاته يصور معناه بجرسه، ويرسم هيئته، ويلقي ظله! وكأنما للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها، ويدخل في مجالها، فهو في حاجة إلى من يزحزحه قليلاً قليلاً ليخلصه من جاذبيتها المنهومة، فمن أمكن أن يزحزح عن مجالها، ويستنقذ من جاذبيتها، ويدخل الجنة فقد فاز... صورة قوية، بل مشهد حي. فيه حركة وشد وجذب، وهو كذلك في حقيقته وفي طبيعته، فللنار جاذبية، أليست للمعصية جاذبية؟ أليست النفس في حاجة إلى من يزحزحها زحزحة عن جاذبية المعصية؟ بلى! وهذه هي زحزحتها عن النار، أليس الإنسان –حتى مع المحاولة واليقظة الدائمة- يظل أبداً مقصراً في العمل؟ إلا أن يدركه فضل الله؟ بلى! وهذه هي الزحزحة عن النار؛ حين يدرك الإنسان فضل الله، فيزحزحه عن النار"[1].

نلاحظ مما سبق أن كلمة (زُحْزِحَ) تحاكي عملية الزحزحة وتصورها، وذلك أن الزحزحة لا تتم دفعة واحدة، وإنما تتم على مرات متكررة ومحاولات متعددة لتحريك شيء ثقيل من مكان ثابت فيه، ولذا فإنه لا يتأتى نقله من مكانه مرة واحدة، ولذا يحتال على ذلك بتحريكه شيئاً فشيئاً، وكذلك نجد أن هذا الفعل (زحزح) مضعف المقطع (زحّ) ويعبر بتضعيفه وتكراره عن هذا الحدث، ويصوره أتم التصوير.

واختيار الفعل بهذين الحرفين (الزاي والحاء) بما يشتمل عليه الأول من الجهر، والثاني من الهمس يوحي بصوت المزيح للشيء عند إزاحته، وما يخرج منه من صوت يعبر عن شدة المعاناة، وجهد الدفع والتحريك حيث يبدأ بما يشبه الزفرة، وينتهي إلى ما يشبه السكون والهمود في كلمة (زح).

ولما كانت الزحزحة عبارة عن تحريك يسير، ونقلة دقيقة لمسافة قصيرة جداً للجسم المزحزح بحيث لا تكاد تحس، بحيث تتحقق الزحزحة بأدنى تحريك وأقله –لما كانت كذلك- أدركنا أن تحقيق الفوز والسعادة إنما يكون بمجرد الابتعاد لأدنى مسافة من النار، فعندها يكون الفوز العظيم والسعادة الكبرى[2].

٧- المفردة القرآنية (فَدَمْدَمَ) من قوله تعالى:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ الشمس: ١٤.

﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾ أي : أهلكهم، وأزعجهم، وقيل: الدمدمة حكاية صوت الهرة، ومنه دمدم فلان في كلامه، ودممْت الثوب: طليته بصبغ ما، والدِّمام: يطلي به، وبعير مدموم بالشحم، والداماء، والدُّممة: جحر اليربوع، والدّاماء بالتخفيف، والديمومة: المفازة[3].

قال الإمام الرازي: أعلم أن في الدمدمة وجوهاً:

([1]) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٥٣٩/١).

([2]) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٦٤-٦٥.

([3]) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات القرآن، (دمدم)، ص١٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أحدها: قال الزجاج: معنى دمدم أطبق عليهم العذاب، يقال: دمدمت على الشيء إذ أطبقت عليه، ويقال: ناقة مدمومة، أي: قد ألبسها الشحم، فإذا كررت الأطباق قلت: دمدمت عليه. قال الواحدي: الدم في اللغة: الطلخ، ويقال للشيء السمين، كأنما دُمَّ بالشحم دَمًّا، فجعل الزجاج دمدم من هذا الحرف على التضعيف نحو كبكبوا وبابه، فعلى هذا معنى دمدم عليهم، أطبق عليهم العذاب وعمهم كالشيء الذي يلطخ به من جميع الجوانب.

الوجه الثاني: تقول للشيء يدفن: دمدمت عليه، أي: سويت عليه، فيجوز أن يكون معنى فدمدم عليهم، فسوى عليهم الأرض بأن أهلكهم فجعلهم تحت التراب.

الوجه الثالث: دمدم: غضب، والدمدمة: الكلام الذي يزعج الرجل.

وابعها: دمدم عليهم ارجف الأرض بهم[1].

وعليه يكون معنى الآية الكريمة: "أي: عذب عذاباً تاماً مجللاً مغطياً مطبقاً مستأصلاً شدخ به رؤوسهم، وأسرع في الإجهاز وطحنهم طحناً مع الغضب الشديد؛قال الرازي، والدمدمة: تحريك البناء حتى ينقلب، ودل بأداة الاستعلاء على شدته وإحاطته فقال: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ودل على شدة العذاب لشدة الغضب بلفت القول بذكر صفة الإحسان التي كفروها لأنه لا أشد غضباً ممن كُفِر إحسانه فقال: ﴿رَبُّهُم﴾ أي الذي أحسن إليهم فغرهم إحسانه فقطعه عنهم فعادوا كأمس الدابر ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ أي بسببه"[2].

ومن خلال ما سبق يتبين أن هذه المفردة (فَدَمْدَمَ) فيها إيقاع شديد يناسب جو التدمير الذي لحق ثمود فالمفردة مؤلفة من مقطعين (دَمْ/ دَمْ) أو من مقطع متكرر للإيحاء بجو التدمير بما فيه من أحداث متكررة حتى يتحقق التدمير الكامل في النهاية[3].

يقول سيد قطب: "والدمدمة الغضب وما يتبعه من تنكيل. واللفظ ذاته... (دمدم) يوحي بما وراءه، ويصور معناه بجرسه، ويكاد يرسم مشهداً مروعاً مخيفاً! وقد سوى الله أرضهم عاليها بسافلها، وهو المشهد الذي يرتسم بعد الدمار العنيف الشديد"[4].

وإن المنصت لهذه المفردة يكاد يسمع صوت الهدم والردم، والتدمير والخراب يعم أرجاء المكان يوحي بتلك الصورة ذلك الإيقاع في تكرار مقطعي الكلمة (دَمْ/دَمْ) فإن انطباق الشفتين عند النطق بالميم الساكنة وما فيه من تمكن من المخرج يدل على انطباق العذاب عليهم وتمكنه فيهم، وأنهم لا مفر لهم منه، ولا سبيل لهم للنجاة من الله.

---

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٣١/ ١٧٧-١٧٨)

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيت والسور، (٨/ ٤٤٣).

(3) انظر: الراغب، عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، (ص٣٨٩-٣٩٠).

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٩١٩).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كما يوحي تكرار المقطع بتكرار العذاب عليهم مرة بعد مرة، وكرة بعد كرة، وأنه يدكهم دكا.

ومما جاء في وصف هذا العذاب الذي لحق بهم ما ذكره الإمام الطبري فقال:

" عن قتادة قال: بلغنا أن جبريل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه، فانتسف به أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها، وجميع ما فيها، فضمها في جناحه، فحواها وطواها في جوف جناحه، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب، وكانوا اربعة آلاف الف، ثم قلبها فأرسلها إلى الأرض منكوسة، دمدم بعضَها على بعض، فجعل عليها سافلها، ثم اتبعها حجارة من سجيل" [1].

٨- المفردة القرآنية (حَصْحَصَ)من قوله تعالى:

﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٥١ ﴾ يوسف: ٥١ ﴿ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ اي: وضح، وذلك بانكشاف ما يغمره، وحصّ وحَصْحَصَ نحو: كف وكفكف، وكب وكبكب، وحصه: قطع منه، إما بالمباشرة؛ وإما بالحكم...

ومنه قيل: رجل أحص: انقطع بعض شَعره، وامرأة حصاء (أي: مشؤومة) وقالوا: رجل أحصُّ: يقطع بشؤمه الخيرات عن الخلق، والحِصة: القطعة من الجملة، وتستعمل استعمال النصيب[2].

واصل (حَصْحَصَ): حَصّ. ومعنى قوله تعالى﴿ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ اي: ثبت واستقر أو تبين وظهر بعد خفاء، وحصل على أمكن وجوهه، وانقطع عن الباطل بظهوره.

وفي هذا البناء زيادة معنى ناشئة من تكرار حرفي الحاء والصاد، وكأن هذا التكرار الواقع في هذه المفردة يوحي بتمكن الحق وثباته ورزانته، وأنّ صوت الصاد يحصر الباطل ويصادره ويلجئه إلى أضيق السبل؛ وبذا يتبختر الحق اتضاحاً، ويتوارى الباطل افتضاحاً.

وهذا المعنى أستشفه من عبارة الفراء التي يقول فيها – تفسيرا لهذه المفردة-: "﴿ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ ضاق الكذب وتبين الحق" [3].

وحينما نقف عند الصاد في قوله تعالى:﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ نجد ان الصاد واضحة الصدور من المخرج الصوتي، فكانت (حصحص) واضحة الظهور بانكشاف الأمر فيما يقهره على الإذعان، وهنا قد يمتلكك العجب لدى اختيار هذا اللفظ في أزيره، ووضوح أمره مع القهر، فلا تُردُّ دلائله، ولا تخبو براهينه [4].

---

[1] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٥/ ٤٤٢).

[2] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (حص) ص١٣٤.

[3] الفراء، معاني القرآن، (٢/ ٤٨).

[4] انظر: الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، ص١٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٩- المفردة القرآنية (وَعَدَّدَهُۥ) في قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ ﴾ الهمزة: ٢.

العين والدال أصل صحيح واحد لا يخلو من العد الذي هو الإحصاء، ومن الإعداد الذي هو تهيئة الشيء، وإلى هذين المعنيين ترجع فروع الباب كلها، فالعد إحصاء الشيء[1].

وقوله: (وَعَدَّدَهُۥ) فيه وجوه، أحدها: أنه مأخوذ من العِدّة، وهي الذخيرة، يقال: أعددت الشيء لكذا، وعددته إذا أمسكته له وجعلته عِدّةً وذخيرة لحوادث الدهر، وثانيها: عدده أي: أحصاه، وجاء التشديد لكثرة المعدود كما يقال: فلان يعدد فضائل فلان، ولهذا قيل: وعدّده أي: أحصاه، يقول: هذا لي، وهذا لي يلهيه ماله بالنهار، فإذا جاء الليل كان يخفيه، وثالثها: عدده أي: كثره، يقال: في بني فلان عَدَد أي: كثرة، وهذان القولان الأخيران راجعان إلى معنى العدد، والقول الثالث إلى معنى العِدة[2].

ترسم هذه المفردة القرآنية بحروفها وجرسها صورة لذلك الإنسان الذي يؤتى المال فيسيطر عليه سيطرة تامة حتى يشعر أن المال هو القيمة العليا في الحياة، القيمة التي تهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار، أقدار الناس، وأقدار المعاني، وأقدار الحقائق، وأنه وقد ملك المال فقد ملك كرامات الناس وأقدارهم بلا حساب، حتى أنه لشدة هوسه بالمال ذهب يدخره، ويستلذ في تعداده وإحصائه[3].

هذه الصورة نستوحيها عندما ننطق هذه المفردة مستشعرين أن التشديد الذي على الدال يوحي بالحرص الشديد في ادخار المال، كما يوحي بكثرة هذا المعدود، فالتشديد يكشف عن مدى الاهتمام بهذا المال حتى عَدّه شغله الشاغل.

وإن تتابع حركة الفتح على الدالين مع تكرار حرف الدال جاء مناسباً لتتابع حركة العد والإحصاء التي يقوم بها هذا الإنسان، وإن ختم هذه المفردة بصوت الهاء بما فيه من صفة الخفاء والهمس يعزز صورة الحرص بإخفاء ذلك المال، وكأنه مع كل قطعة يعدها يصحبها نفس من أنفاسه.

١٠- المفردة القرآنية (يُحْبِبْكُمُ) في قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ ﴾ آل عمران: ٣١.

يقول البيضاوي: " المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، بحيث يحملها على ما يقربها إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله؛ وذلك يقتضى إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(عدّ)، (٤/ ٢٩).

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٣٢/ ٨٨).

(3) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٩٧٢).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إليه، فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته، ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ جواب للأمر، أي: يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه، عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة،﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ لمن تحبب إليه بطاعته واتباع نبيه ﷺ"[1].

تكرر حرف الباء في هذه الآية الكريمة في مفردتين هما (تُحِبُّونَ) كرر الباء فيها مع الإدغام عن طريق التشديد مما أضفى على الكلمة نوعاً من الإجلال والوقار يزيد محبة العباد لربهم، فهي ليست كمحبة الأزواج والأولاد.

وأما المفردة الثانية فهي (يُحْبِبْكُمُ) فقد كرر الباء فيها مع فك الإدغام، ولعل السر في ذلك أنها في جانب محبة الله تعالى لعباده التي تعد جائزة ومكافأة لمحبتهم إياه، ولذا فقد جاء تكرار الباء مع فك الإدغام في الحرف المشدد مناسباً لمضاعفته سبحانه تلك المحبة لهم.

كما أن لهذا الفك للإدغام معنى آخر نستشفه من الآية وهو أن في هذه المفردة (يُحْبِبْكُمُ) من الرقة ما ليس في اللفظ المدغم، فالناطق بالمفردة بهذه الطريقة يستشعر –ولله المثل الأعلى- فيها تدليلاً وتنعيماً للمخاطبين، كما يوحي تكرر الباء الشفوية ذات المخرج القريب بزيادة تقريبه سبحانه إياهم ومضاعفته المحبة لهم إزاء محبتهم إياه"[2].

١١- المفردة القرآنية (لَوَّوْا) في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ المنافقون: ٥.

اللام والواو والياء أصل صحيح، يدل على إمالة الشيء، يقال: لَوَى يده يَلْوِيها، ولَوَى برأسه: أماله وألْوَى بالشيء، إذا أشار به كاليد ونحوه، وألوى بالشيء: ذهب به وكأنه أماله إلى نفسه[3]، وقيل: اللَّيُّ: فتل الحبل[4].

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المنافقين تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لووا رؤوسهم، يقول حركوها وهزوها استهزاء برسول الله ﷺ وباستغفاره.

---

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٢/ ٢٧-٢٨).

(2) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص١٠٦-١٠٧.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (لوى) (٥/ ٢١٨).

(4) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (لوى)، ص٥١١.

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

وبتشديد الواو من (لَوَّوْا) قرأت القراء على وجه الخبر عنهم أنهم كرروا هز رؤوسهم وتحريكها، وأكثروا إلا نافعاً فإنه قرأ ذلك بتخفيف الواو (لوَوْا) على وجه أنهم فعلوا ذلك مرة واحدة، والصواب من القول في ذلك قراءة من شدد الواو لإجماع الحجة من القراء عليه[١].

ترسم هذه المفردة (لَوَّوْا) بحروفها صورة لحركة اهتزاز رؤوس المنافقين استهزاء برسول الله ﷺ واستغفاره، فالمردد لهذه اللفظة يشعر وكأنه أمام مشهد تصويري لحركة تلك الرؤوس وهي تهتز يمنة ويسرة، أو لأعلى وأسفل، إشعاراً بالرفض واستكباراً عن الحق.

وقد تشكلت هذه المفردة من حرفين هما اللام والواو المكررة مرتان، وقد صورت اللام بما تتسم به من صفة الانحراف حركة ميل الرؤوس واهتزازها، كما تشعر هذه الصفة بالانحراف السلوكي لدى هؤلاء المنافقين.

وتأتي الواو المكررة لتزيد من رسم صورة ذلك الاستهزاء فإننا عندما ننطق الواو المشددة في هذه المفردة تنضم الشفتان، فإذا ما انتقلنا إلى نطق الواو الساكنة زاد انضمام الشفتين مما يجسد صورة للمستهزئ عندما يمد شفتيه استهزاء واستغراباً واستنكاراً أو يرتسم على الشفتين صورة الاستهزاء، وهذا الأمر يدرك من ترديد هذا المقطع.

١٣- المفردة القرآنية (يَتَرَدَّدُونَ) في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ التوبة: ٤٥.

والتردد: هو التصرف بالذهاب والرجوع مرات متقاربة، أو ذهاب ورجوع متكرر إلى محل واحد مثل المتحير[٢].

وقوله: (يَتَرَدَّدُونَ) عبارة عن التحير، لأن التردد ديدن المتحير، كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر[٣]، وهو هنا تمثيل لحال المتحير بين الفعل وعدمه بحال الماشي والراجع، وقريب منه قولهم: يقدم رجلاً ويؤخر أخرى[٤].

والمعنى: فهؤلاء الذين يستأذنونك ليسوا بمؤمنين، بل مرتابين حائرين لا يهتدون إلى طريق الصواب، ولا يعرفون الحق[٥]،

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٣/ ٣٩٧).

(٢) انظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، (٥/ ٢٢٩)، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير.

(٣) الزمخشري، الكشاف، (٢/ ٢٦٦).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٠/ ٢١٤).

(٥) الشوكاني، فتح القدير، ص٧٠٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أسهمت هذه المفردة (يَتَرَدَّدُونَ) بصيغتها وجرس حروفها في الكشف عن حالة القلق الدائم التي تعتري المنافقين، وأنهم في اضطراب وعدم استقرار دائمين.

فأما صيغتها فقد جاءت على صيغة الفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار وعدم الاستقرار مما يدل على عدم ثبات واستقرار المنافقين، وأنهم في تقلب متواصل.

وأما جرس حروفها ودلالتها على المعنى المراد، فقد تشكلت هذه المفردة من حرف الراء بما فيه من صفة التكرارية في مخرجه، أي: أن اللسان يضطرب ويرتعد في مكان واحد وهذا دال على أن المنافقين من شدة قلقهم وخوفهم وحيرتهم لا يغادرون أماكنهم.

وإن في هيئة نطق الراء كذلك إيحاء بحالة النكوص فإن اللسان عند نطق الراء يميل إلى شيء من ظهره وكأنه يريد أن ينكفئ، وفي هذا إشعار بحالة الانكفاء النفسية التي تعتري المنافقين، وإذا ما جئنا إلى حرف الدال المكرر هنا مرتان مرة مضعفاً ومرة بدون تضعيف فهو في حقيقة الأمر مكرر ثلاث مرات.

إن نطق الدال المشددة يوحي بالصراع النفسي الذي يعتري المنافقين فهم بين الإقدام والإحجام، ونطق الدال المشددة فيه شد للسان بقوة إلى مخرجه وكأنه يخشى أن ينفلت، مع ما في نطقه من انحباس النفس والصوت، فإذا ما تخلص اللسان من الدال المشددة لينتقل إلى غيرها لم يجد أمامه إلا أن يعود إلى مخرجه مرة أخرى، بنطقه الدال المضمومة، وفي هذا تصوير كبير لحالة الاضطراب والحيرة وللصراع النفسي الذي أصاب المنافقين عندما سمعوا داعي الجهاد، فالحبست أنفاسهم وأصواتهم ودهشوا وتحيروا حتى بدا ذلك واضحاً على تصرفاتهم وأقوالهم، فالراء تمثل محاولة إقدامهم وتمثل الدال إحجامهم بشدة عن المراد.

١٣- المفردة القرآنية (مس) ومشتقاتها

الميم والسين أصل صحيح واحد يدل على جس الشيء باليد، ومسسته أمسه، وربما قالوا: مسست أمسُ، والممسوس: الذي به مس كأن الجن مسته، والمسوس من الماء ما نالته الأيدي[1].

والقارئ لكتاب الله يجد مادة (مسّ) في القرآن بأزيزها الحالم وصوتها المهموس، ونغمها الرقيق، نتيجة لتضعيف حرف الصفير، أو التقاء حرفيه متجاورين كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ النور: ٣٥، هذه المادة في رقتها صوتياً، وشدتها دلالياً، تجمع بين جرس الصوت الهادئ، وبين وقع الألم الشديد، فالمس يطلق -عادة- ويراد به كل ما ينال الإنسان من أذى ومكروه في سياق الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ آل عمران: ١٤٠.

(¹) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (مسس)، (٥/ ٢٧١).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم ﴾ الروم: ٣٣.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ﴾ الزمر: ٤٩.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾ هود: ١٠.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ الأنبياء: ٤٦.

قال تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الأنفال: ٦٨.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٣.

فهذه الصيغ المختلفة من المادة، وردت للدلالة على شدة البلاء، ووقع المصاب، وفرط الأذى، واللفظ فيها رفيق رقيق، ولكن المعنى شديد غليظ، وللدلالة على هذا الملحظ، فقد وردت المادة في صوتها الحالم هذا مقترنة بالمس الرفيق لاستخلاص الأمرين في حالتي السراء والضراء، الشر والخير، كما في كل من قوله تعالى:

١. ﴿ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ﴾ الأعراف: ٩٥.

٢. ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ المعارج: ١٩-٢١

فالضراء تمسهم إذن، والسراء تمسهم كذلك، والشر يمسهم والخير كذلك، ولم يشأ القرآن العظيم تغيير المادة بل اللفظ عينه في الحالتين، وذلك للتعبير عن شدة الملابسة والملامسة والالتصاق، وكما ورد اللفظ في مقام الضر منفرداً في أغلب الصيغ، وورود مثله جامعاً لمدركي الخير والشر، فقد ورد للمس الجميل خاصة في قوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ آل عمران: ١٢٠.

وقد ينتقل هذا اللفظ بدلالته إلى معان أخر، لا علاقة لها بهذا الحديث دلالياً، وإن تعلقت به صوتياً، كما في إشارة القرآن إلى المس بمعنيين مختلفين آخرين.

الأول: كنى فيه بالمس عن النكاح في كل من قوله تعالى:

أ- ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾ مريم: ٢٠.

ب- ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ البقرة: ٢٣٦.

الثاني: وقد عبر فيه بالمس عن الجنون كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ البقرة: ٢٧٥. وقد اجتمعت كلها في طبيعة الصوت[1].

---

(١) انظر: الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ص١٨٣-١٨٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

مما سبق نلحظ أن هذه المادة تحمل بسبب طبيعة حروفها المكونة لها دلالتين أحدهما رفيق رقيق، والآخر شديد قاس، فأما الرفق فيتأتى من رقة الميم والسين، ومن حركات الفتح الرقيقة والشدة تظهر من مخرج الميم بانطباق الشفتين ومن مس السين والتصاقها الأمر الذي يوحي بوطأة الشيء والتصاقه.

١٤ – المفردة القرآنية (وَحَفَفْنَٰهُمَا) في قوله تعالى:

﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الكهف: ٣٢

الحاء والفاء ثلاثة أصول: الأول ضرب من الصوت، والثاني أن يطيف الشيء بالشيء، والثالث شدة في العيش، تفسير ذلك:

الأول: الحفيف: حفيف الشجر ونحوه، وكذلك حفيف جناح الطائر، وحفيف الشجر والجناح: صوتهما، فذلك حكاية صوتهما، والحف: آلة النَّسَّاج، سمي بذلك لما يسمع من حفه، وهو صوت حركته.

الثاني: قولهم حف القوم بفلان إذا أطافوا به، قال الله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ الزمر: ٧٥.

الثالث: الحُفُوف والحَفَف، وهو شدة العيش ويُبْسُه، وفلان في حفف من العيش، أي: في ضيق كأنه حصل في حفف منه، أي: جانب[1].

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ ﴾ الكهف: ٣٢ أي: وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين،وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم، أي: يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة، يقال: حفوه، إذا أطافوا به: وحففته بهم[2].

وهذه المعاني الثلاثة التي ذكرت آنفاً تتحقق في صورة إحاطة الشجر بالجنتين، وذلك أن الحف هو إحاطة تقتضي قرباً بين الشجر وتلازماً بينها ينتج عنه ضيق في المسافة مما ينتج عنه صوت بسبب احتكاك بعضها ببعض.

وهذه المعاني الثلاثة جاءت مصورة في أصوات هذه المفردة ﴿ وَحَفَفْنَٰهُمَا ﴾ فالحاء حرف احتكاكي مهموس وكذلك الفاء. وفي هذا إشارة إلى الصوت الذي يسمع من احتكاك الشجر بعضها ببعض. وإن تكرار الفاء مرتين يشعر بأمرين:

الأول: تتابع الشجر واحدة تلو الأخرى في انتظام مستمر، مما يوحي بالكثرة.

---

(1) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (حفف)، (٢/ ١٤)، والراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (حفّ)، ص١٣٨.

(2) الزمخشري، الكشاف،(٣/ ٦٩٣).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الثاني: ما ينتج عن تتابع الشجر وكثرته من قرب محدثاً صوتاً يسمى بالحفيف.فالمفردة مشعرة بكثرة النخل المحيط بالجنتين وفي هذا منظر خلاب يسر النفس ويمتع البصر، كما تشعر بجمال يشنِّف الأسماع نتيجة لذلك الصوت الناتج من احتكاكها، وبهذا تكون المفردة قد صورت لنا عظم النعمة التي منحها الله ذاك الرجل.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصـــــل السادس
تناسق الصوت والمعنى في الآية القرآنية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصـــل السادس
تناسق الصوت والمعنى في الآية القرآنية

إنما أدخلتُ الحديث عن الآية في هذه الدراسة مع أنها قائمة على المفردة، وذلك أن العبارة تستمد دلالتها من مفردات الدلالات اللغوية للألفاظ، ومن الدلالة المعنوية الناشئة من اجتماع الألفاظ في نسق معين، ثم الإيقاع الموسيقي الناشئ من مجموعة إيقاعات الألفاظ، متناغماً مع بعضها بعضاً، ثم من الصور والظلال التي تشعها الألفاظ متناسقة في العبارة، وذلك أن العبارة -باعتبارها مجموعة من الألفاظ- يحكمها النظم والتأليف، وما هذان الأخيران، إلا من مقومات العملية الإيقاعية.

وسأعرض لنماذج من الآيات القرآنية يظهر فيها تناسق الصوت والمعنى، مع التنبيه على أن هذا الموضوع مما يحتاج إلى دراسة مستقلة.

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ ﴾ الفجر: ٢١.

قد يتصور القارئ أو المستمع لهذه الآية الكريمة أن تكرار (الدك) ليس إلا لمجرد التوكيد، وما هو في الحقيقة إلا تصوير حسي مجسم لدك أجزاء الأرض جزءاً جزءاً، وتكرار ذلك مرة بعد مرة حتى تفنى.

وإن في اختيار (الدك) دون غيره من الأفعال يشعر - بأصواته الانفجارية التي ينحبس عند النطق بها الهواء انحباساً تاماً، ثم لا يكاد ينساب حتى ينحبس في صوت انفجاري آخر- بالإحاطة بالأرض والإطباق عليها حتى لا يفلت منها جزء من الأجزاء حال هذا الدك المتوالي، وهذا الانتقال من صوت الدال - ذلك الصوت المجهور الصامت الذي ينحبس معه الهواء فترة من الزمن عند أصول الثنايا العليا، ثم يترك فجأة ليعود إلى الانحباس مرة أخرى عند أقصى اللسان وأقصى الحنك اللين للنطق بالكاف- مشعر بتكرار الضغط على الأرض حتى لا يبقى منها شيء[1].

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ ﴾ التكوير: ٥.

يستعمل القرآن الكريم في تصويره (الحشر) يوم القيامة صوتي الحاء والشين مردداً إياهما، ويصاحبهما صوائت قصيرة متتابعة.

فإن تكرار صوتي الحاء والشين عند ترداد الآية الكريمة، يحدث في الحلق (حشرجة) أو (حشر) أو (تزاحم)، فالحاء بجرسها الصوتي الذي يحدث احتكاكاً في الفراغ الحلقي لأعلى الحنجرة، ويضيق معه المجرى الهوائي ويرتفع الحنك اللين، والشين بما فيها من تفش، وضيق بين مقدم اللسان ومؤخر اللثة، وتقارب للأسنان العليا والسفلى، واحتكاك ناتج من محاولة خروج العمود الهوائي الضيق من بين الأسنان، ثم هذه الضمات المتوالية على الحاء الأولى والثانية، والواو الأولى والشين الأولى، ثم هذا

---

(1) انظر: لحلة، محمود أحمد، دراسات قرآنية في جزء عم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص١٠٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصائت الطويل في (الوحوش)، والانتقال من شبه صائت إلى صائت طويل[1] يفرق بينهما حرف الحاء، كل أولئك أسهم في تصوير هذا الزحام الذي تتدافع فيه الوحوش[2].

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ النازعات: ٦-٨،

في هذه الآية الكريمة تصوير رائع لهول يوم القيامة الذي يختل فيه نظام الكون فتهتز الأرض وتنشق السماء، وترتعد القلوب.

وإن في تكرار صوتي الراء والفاء على وجه الخصوص في الآية الكريمة إشعار بتلك الرجفة، فإن تكرار صوت الراء الذي تتابع في نطقه طرقات اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً يصور أبدع تصوير هذه الرعشة التي تنتاب الأرض والسماء، يساعده في ذلك صوت الفاء، وصوت الجيم وهو صوت صامت مجهور لثوي حنكي انفجاري احتكاكي، ويسبقه صوت صائت طويل يبرر تكرار حرف الراء ويعطيه استمراراً أكثر، وكثافة موسيقية أغزر، ثم ينقطع النفس، وينغلق مجرى الهواء حين النطق بالجيم، ثم ينفتح مرة أخرى ليسمح بنطق صوت الفاء الذي يلتقط الصدى من الراء ليصور بجرسه الاحتكاكي المهموس حالة الاهتزاز[3].

الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢ ﴾ يونس: ٩٠ – ٩٢.

يذكر تعالى في هذه الآيات الكريمة كيفية إغراقه فرعون وجنوده في اليم عندما تبعوا موسى وقومه لما خرجوا من مصر.

وتبدو الأصوات في قوله: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ﴾ في جريانها اللاهث، وكأنها تسابق فرعون وجنوده وهم يتبعون بني إسرائيل، وساعد على ذلك تتابع حركاتها، واحتوائها على أصوات حلقية: الهمزة والعين والهاء، وأصوات شديدة مجهورة، كالباء في (فَأَتْبَعَهُمْ) و(بَغْيًا) والدال في (وَجُنُودُهُۥ) و(وَعَدْوًا).

([1]) شبه الصائت: هما الواو، مثل واو (وجد)، والياء كياء (يزن)، والصائت الطويل: هو حرف المد، الذي هو جزء من المجموعة المسماة بالصوائت وهي الحركات الثلاث بالإضافة إلى حروف المد واللين، انظر: السعران، محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ص١٤٩، ص ١٨٠.

([2]) انظر: نحلة، محمود، دراسات قرآنية في جزء عم، ص١٠١.

([3]) انظر: المرجع السابق، ص١٠٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتنهض هذه الملامح الصوتية لرسم المشهد رسماً دقيقاً، إذ هي تترك للخيال أن يتابع المطاردة التي يغلب عليها أمور: السرعة، واللهاث، والجد في الطلب. وحققها صوتياً تتابع الحركات، ووجود الأصوات الحلقية، وتوفر الأصوات الشديدة المجهورة بما يتناسب مع المقام.

أما الاتساق الصوتي بين لفظتي (بَغْيًا) و(وَعَدْوًا) وما يحققه بناؤهما من جرس موسيقي نتيجة التنوين، فيوحي بحالة الانتظام التي كان عليها جنود فرعون أثناء مطاردتهم بني إسرائيل.

وأما قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ﴾ فالرصف الصوتي في هذا الجزء من الآية يرصد رصداً حياً مشهد غرق فرعون بكل ما يحتمله من انفعالات، فاجتماع أصوات الكاف والغين والقاف المكرر، بالإضافة إلى الصوت المتردد الراء في هذا التشكيل الصوتي يتركنا في حالة تأهب لسماع الأصوات التي يطلقها فرعون وهو (يغرغر) ويلفظ أنفاسه الأخيرة، وتأمل ملياً المقاطع (غَ رَ قُ قَا) فهي على هذا النحو المتتابع ترصد حالة الغرغرة ولحظات النزاع الأخيرة.

وإن في قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ بمداتها وأناتها الطويلة إيحاء بواقع فرعون النفسي المرير، وبياناً لمدى تشبثه بالحياة.

فقد أطلق هذه الشهادة طويلة ممدودة ليعيش بها لحظات؛لأنه ربما أدرك في هذه الأثناء أن رحمة الله تعالى ستمنحه الفرصة لإكمال عبارته الطويلة عسى أن تشفع له، فلم يقل على سبيل المثال: (آمنت أنه لا إله إلا الله)، هذا من وجهة نظر سيكولوجية (نفسية).

وأما عقدياً، فإن مقولته التي نقلها عنه القرآن تفيد مع اعترافه بالله تصويبه لبني إسرائيل في ما هدوا إليه، فجعل الصلة (الذي..) طريقاً لمعرفته بالله، ولعدم علمه بالصفات المختصة بالله إلا ما تضمنته الصلة، إذ لم يتبصر في دعوة موسى –عليه السلام– تمام التبصر، لذا احتاج أن يزيد: (وأنا من المسلمين). ومع ذلك يأتي الاستنكار لهذه الشهادة التي جاءت في غير وقتها: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ يونس: ٩١.

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ يونس: ٩٢، ليرسم صورة الأمواج، وتسمع صوتها الصاخب العنيف وهي تلطم فرعون في لحظات النزاع الأخيرة، ترسمها أصوات السياق بتتابع حركاتها، وغلبة المقاطع القصيرة عليها، وتكرر صوت الكاف أربع مرات، وتوالي صوت الباء، واتصال الباء الثانية بصوت الدال في قوله (بِبَدَنِكَ) وكلها أصوات شديدة يبدو من سياقاتها أنها تدل غالباً على الأحداث والأصوات الشديدة وترتبط بها، وبذلك تتضافر أصوات السياق على رسم ذلك المشهد الفظيع،والنهاية الأليمة والعنيفة لفرعون وجنده[1].

([1]) انظر: بني دومي، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص٤٢٤-٤٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ آل عمران: ١٤٠.

تكرر في هذه الآية الكريمة حرف القاف في أربعة مواضع متصلة محققاً انسجاماً بين النسق الصوتي وبين دلالة الآية.

وذلك لأن القاف صوت قوي خشن صلد، يتلاءم مع بناء الآية، ويقوي دلالتها على الحدث العظيم، فقد ارتبط صوت القاف القوي مع دلالة الضيق والشدة، كما يدل صوت القاف -أيضاً- على القطع والاستئصال، وإلى جانب القاف يأتي حرف الراء الدال على التكرار والديمومة.

وبناء على ما سبق يمكننا أن نتذوق ذلك الانسجام الرائع بين الإيقاع الصوتي وبين مضمون الآية، فالقاف القوي الشديد قد ناسب تكراره اقترانه بصوت قوي آخر هو الراء في (قَرْحٌ) ثم اقترانه بحرف شديد آخر وهو الدال في (قد)، وقد تفرد القاف في الموضع الرابع بصوت المد (الواو) في لفظة (الْقَوْمَ).

وإن هذه القافات في (قرح، فقد، القوم، قرح) توحي بتلك الحياة العصيبة الضيقة القاسية التي قد يمنى بها قوم من الناس، ولما كانت الآية تسلية للمؤمنين لما أصابهم في أحد، وأن ما أصابهم ليس عجيباً ولا غريباً في الحرف أعقبه بقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ وهنا نلحظ اختلاف النبرة باختلاف الإيقاع والنغم معاً فبعد اسم الإشارة (تلك) نجد المدات قد حشدت في قوله (الأيام، نداولها، بين، الناس) وكأنها توحي بامتداد الحكمة كحركة واسعة ممتدة منتشرة، تزداد ارتفاعاً واتساعاً، ولذا فلا بد في النطق بها أن يزداد من ارتفاع الصوت درجة بعد درجة وتمد مساحته حتى تضاؤل النَّفَس، كما أن في تكرار لفظة (قرح) إيحاء بقوة الدلالة ورسوخ المعنى[1].

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٤.

يقول أهل التفسير في بيان هذه الآية الكريمة: " كأنه قيل: قد خلت من قبله أمثاله فيسخلو كما خلوا... فإنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه عليه الصلاة والسلام رسول لا كسائر الرسل في أنه يخلو كما خلوا، أو يجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم، فَرُدَّ عليهم بأنه ليس إلا رسولاً كسائر الرسل، فسيخلو كم خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم، وقيل: فإنهم لما استعظموا عدم بقائه عليه الصلاة والسلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كأنهم يعتقدون فيه عليه الصلاة والسلام وصفين: الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بأنه مقصور

---

[1] انظر: إسماعيل، طالب محمد. فيتور، عمران إسماعيل، قراءة جديدة لنظام التكرار في البناء الصوتي للإعجاز القرآني، دار زهران للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص١٥-١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ من جعل قوله تعالى: (قد خلت) الآية، كلاما مبتدأ مسوقاً لتقرير عدم براءته عليه الصلاة والسلام من الهلاك وبيان كونه أسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وأياً ما كان فالكلام يخرج على خلاف مقتضى الظاهر"[1].

ولما كان المخاطبون بهذه الآية الكريمة قد نزلوا منزلة المنكر أو الجاهل؛ لذا فإن أصوات هذه الآية جاءت منسجمة انسجاماً تاماً مع مضمونها ومقصودها في رد اعتقادهم وتصحيح مفاهيمهم، لذا بدأت الآية الكريمة بهمزة القطع الاستفهامية الداخلة على الشرط والمفيدة للإنكار (أ) والهمزة صوت شديد مجهور، وهي أعمق الحروف مخرجاً، وتأتي الفاء لتهيء لهمزة القطع الثانية بصوتها القوي الشديد الذي يدفع إلى الانتباه، والإنصات لما سيأتي من أمر أوجز (أفإن) فنحس عند قراءتها بقوة الإنكار وشدة وقعه في النفس.

وتأتي همزة قطع ثالثة تتوسط بين مفردتي (مَّاتَ) و(قُتِلَ) في قوله تعالى:﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ لتشعر أن حدة الصوت تشتد، وقوة الإنكار تتصاعد، وإن قراءة لفظ (قُتِلَ) تشعر بالقسوة والفزع الذي ينبعث من صوت القاف، وما يلبث النفس أن يستريح حتى تكاد الحنجرة تغص بسبب الإخفاء عند حرف القاف.

ثم نقرأ قوله: ﴿ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ ﴾ بما فيه من انسجام مع الموقف حيث قوة همزة القطع، مع أعمق صوت في الصدور (العين) وأقوى الأصوات وأشدها (القاف) تجتمع هذه الأصوات، ليتناسب (إيقاع الهمزة) مع حدة جرس العين الدال على مرارة الفزع، وقسوة الجزع والوجع والهلع، وكأن النظم الكريم اختار المد (بالألف) بعد حشد هذه الأصوات القوية الشديدة ليكون الزجر ممتداً بينهم، ويكون الخطاب (بالكاف والميم) لهم جميعاً لحملهم على الثبات على الدين الحنيف.

ثم يأتي قوله: ﴿ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ حيث نلحظ تكرر كلاً من القاف والعين مرتين تجسيداً للتناسق بين البناء الصوتي والمستوى الدلالي للسياق الكريم، والذي يوحي بأنه سلك في سبيل ترسيخ مفاهيم هذا الموقف مسلك الارتقاء في الانسجام الصوتي والدلالي.

ثم يأتي تذييل هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ وَسَيَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ حيث نستشعر التنغيم الشجي والترجيع المطمئن الذي أوحى به حرف السين اللينة الهامسة الدال على تأكيد وقوع الحدث مستقبلاً، وقد اقترنت السين بـ(نجزي) المتصلة بحرف المد الياء لتدل على امتداد الجزاء وعمومه للشاكرين.

وتوحي الشين بما فيها من تفش يشبه صوت ترديد الشكر بصوت منخفض، وقد اتسع هذا الترديد وامتد بصوت المد الألف وتأتي الكاف لتعطي النطق قوة تناسب معنى التمكن في الشيء، كما

([1]) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢/ ٩٢).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ينسجم صوت الراء الدال على الاستمرارية مع صوت المد في الياء والغنة التي في النون الدالة على التطمين والتنغيم[1].

وبهذا نلحظ كيف وظف السياق القرآني أصوات المفردات في الكشف عن مقاصده بما يتلاءم مع الموقف الذي يعالجه.

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ الأنعام: ١٦٤، نلحظ في هذه الآية الكريمة أن صوت الراء قد تكرر فيها بصورة متتالية في أربعة مواضع، جاء في ثلاثة منها مقترناً بصوت الزاي بما فيه من صفير وانفجار.

وصوت الراء يتكرر في نقطة قرع طرف اللسان لحافة الحنك، فعند قراءة كلمة من الكلمات الأربع السابقة نلحظ ارتعاد اللسان عند نطقه كل راء، وبناء عليه فإن الراء دال على التكرار وديمومة الحدث في أكثر أحواله كيفما كان موقعه من الكلمة[2].

وهو أيضاً صوت شديد النبر، يزيد من شدته وقسوته صوت الصفير في الزاي. وجاء المد في قوله (أخرى) ليوحي بالاتساع والانفساح. وحتى ندرك دلالة تكرار الراء في هذه الآية مع المعنى، فلا بد من الوقوف على معنى الآية الكريمة، والمعنى أي: لا يحمل الله نفساً حملاً يجعله لنفسٍ أخرى، عدلاً منه تعالى، فكل نفس تزر وزرُ نفسها، ولا تغني نفس عن نفس شيئاً من إثمها، ومن هنا ندرك المجانسة بين ثقل صوت الحرف المتكرر وجهد اللسان في نطقه، وبين دلالة وزر على الثقل. ثم مجيء الواو عقب الضمة في (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ) فيه ثقل في النطق مناسب للثقل الذي يدل عليه الوزر.

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ يوسف: ٨٥.

فتلحظ كيف تتابعت التاءات في سبع كلمات، ولحكمة ربما (صوتية/نغمية) صارت والله (تَٱللَّهِ)، واستبدلها لتفهم النظام، يقول الدكتور محمد إبراهيم شادي في تحليل هذا النص: "وإذا تدبرنا دور الأداء الصوتي لاحظنا تكرر صوت التاء تكرراً ملحوظاً، فإنه يتتابع مع أوائل الكلمات الثلاث ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ ﴾ والتاء في (حتى) تسلم للتاء في تكون ....الخ، وشيوع هذا الصوت على هذا النحو يعكس جواً من التمتمة التي تشعر بالندم والأسف، وكأنهم يحاولون إقناع أبيهم بحسرتهم عليه وحزنهم من أجله، ولعل مما يساعد على تصور هذه التمتمة من الأداء الصوتي أن تعيد نطق هذه الآية لتجد أن أكثر حروف الجملة تخرج من الشفة أو قريب منها بم يصور حال المكظوم المثقل"[3].

---

(1) انظر المرجع السابق، ص١٧-٢١.

(2) انظر المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، ص١٠١.

(3) الحصيني، عبد القوي محمد، هندسة البناء القرآني، بحث مقدم إلى مؤتمر (إعجاز القرآن الكريم)، في كلية الشريعة، جامعة الزرقاء الأهلية، الأردن، ٢٢-٢٥/آب/٢٠٠٥م، ص٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما يمكن القول: إن للتاء وظيفة صوتية بدلالته على القطع، وهذه الوظيفة تتناسب مع وظيفته الدلالية، فنحن حين نقرأ هذه الكلمة الكريمة ونحاول استشراف نغمة التاء وانسجامه في إيقاع الآية، نشعر بقوة النطق وشدته، ونشعر بثقة المقسم كذلك.

كما يفصح حرف التاء المتكرر في هذه الآية الكريمة أن سيدنا يعقوب -عليه السلام- لا ينقطع عن ذكر ولده يوسف -عليه السلام- فكأن سيدنا يعقوب يردد في نفسه ويتمتم ذاكراً اسم ولده يوسف شوقاً وأسفاً على غيابه.

الآية التاسعة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ الصافات: ١٠٣.

تصف هذه الآية الكريمة مشهداً عظيماً ومروعاً حيث تصور سيدنا إبراهيم -عليه السلام- يهم بتنفيذ ما أمره الله به من ذبح ولده إسماعيل -عليه السلام- وهو أمر ابتلاء.

ومعنى القول الكريم: أن إبراهيم وولده إسماعيل -عليهما السلام- أسلما لأمر الله، فاستسلام إبراهيم بالتهيؤ لذبح ابنه واستسلام إسماعيل بطاعته لأبيه فيما بلغه عن ربه. وعند التأمل في هذه الآية الكريمة نجد أن اللام قد تكرر فيها ست مرات في أربعة مواضع.

فبعد فاء الشفة الهادئة اللينة تنطلق اللام في (فَلَمَّآ) لتساعد (الألف) في مد صوتها مع وجود الميم اللينة، وفي اللفظ الثاني (أَسۡلَمَا) تأتي اللام مقترنة بلين الميم ومد الألف. وإنّ تصدّر هذه المفردة بهمزة القطع يوحي بالقطع أي: القطع بتنفيذ أمر الله بلا تردد.

وتأتي اللام متكررة مرتين في قوله (وَتَلَّهُۥ) مرة ساكنة ومرة متحركة فأدغمت؛ لذا رسمت عليها الشدة، (وَتَلَّهُۥ) بمعنى (صرعه على الأرض) وعلى الرغم من قوة حروف صرعه وشدتها إلا أن النظم القرآني آثر (تلّه) وذلك لخصوصية ينفرد بها صوت اللام في (تله). كما تكررت اللام مرتين في قوله (لِلۡجَبِينِ) ومن المعلوم أن اللام حرف سهل سيال، رقيق لا يحتاج إلى مجهود عضلي في نطقه؛ لذا فإن تكراره بهذا المقدار جاء موحياً بمعنى السهولة واليسر في تنفيذ أمر الله من قبل كلٍّ من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وعليه ندرك أن هناك ترابطاً عظيماً بين صوت اللام المتكررة وبين الموقف المروع الذي نستشعره ونحن نقرأ قصة الذبح، كما نشعر بالفخر بقدوتنا بأنبيائنا وهم يخضعون لأمر الله سبحانه وتعالى[1].

الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ آل عمران: ٧٨.

---

[1] انظر إسماعيل، طالب محمد و فيتور، عمران إسماعيل، قراءة جديدة لنظام التكرار في البناء الصوتي للإعجاز القرآني، ص٢٧-٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أصل (اللّيّ) الإراغة، أي: إدارة الجسم غير المتصلب إلى غير الصوب الذي هو ممتد إليه، ومن ذلك (ليُّ الحبل) و(ليُّ العنق).

ويحتمل (اللي) في هذه الآية معنيين:

أ- أن يكون حقيقة بمعنى تحريف اللسان عن طريق حرف من حروف الهجاء إلى طريق حرف آخر يقاربه، لتعطي الكلمة في أذن السامع معنى جرس كلمة أخرى.

ب- أن يكون مجازاً عن صرف المعنى إلى معنى آخر، وهو تحريف الكلم عن مواضعه، بالتأويلات الباطلة، والأقيسة الفاسدة[1]. ومهما يكن المعنى فإن المقصود من (اللي) هو التمويه على المسلمين بقصد تضليلهم.

إن المتأمل في هذه الآية الكريمة يلحظ أن حرف اللام قد تكرر فيها في ستة مواضع، وكما ذكرت سابقاً فإن حرف اللام حرف سهل المخرج لا يحتاج إلى مجهود عضلي كبير في نطقه مما يشعر بسهولة التحريف عليهم، وأنهم لا يواجهون أيَّ عائق أمام تحريفهم يمنعهم من هذا الفعل الشنيع.

كما أن حرف اللام فيه صفة الانحراف، أي: انتقاله من مخرجه إلى مخرج غيره، وهو بهذه الصفة يجسد صورة من صور تحريف الكتاب عن طريق لَيِّ اللسان، لينقل للسامع جرساً غير الجرس؛ وبالتالي يفهم معنى غير المعنى المقصود. ومن هنا ندرك مدى ارتباط أصوات المفردات بالمعاني والمضامين، وأن كل حرف قد وضع موضعه الذي لا يسد مكانه حرف آخر.

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣/ ٢٩٢).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصل السابع
توظيف الدلالة الصوتية للمفردة في الموضوعات القرآنية

المبحث الأول: مشاهد القيامة في القرآن الكريم
المبحث الثاني: مشاهد الكون في القرآن الكريم
المبحث الثالث: صفات المنافقين في القرآن الكريم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل السابع
توظيف الدلالة الصوتية للمفردة في الموضوعات القرآنية

من المعلوم بداهة أن المفردات القرآنية مفردات منتقاة ومختارة بدقة بالغة بحيث لو نزعت مفردة من مكانها وأدير لسان العرب على أن يوجد بديلاً لها لم يكن ذاك ممكناً.

فقد تمتعت المفردة القرآنية بجملة من الخصائص جعلتها محل أنظار العلماء، فتوجهت إليها عنايتهم على اعتبار أن المفردة هي أول لبنة في النظم القرآني.

وكان من بين المفردات القرآنية مفردات اختيرت لما في طبيعتها، وما في تشكيلها الصوتي من مقدرة على إفهام المعنى، وإبراز المقصود أكثر من غيرها من المفردات الأخرى.

والناظر في كتاب الله –عز وجل– يلحظ أن هذه المفردة المتمتعة بميزة تناسق الصوت والمعنى واردة في القرآن كله مكيه ومدنيه،وعلى اختلاف موضوعاته وتنوعها، وهذا إن دل على شيء فيدل على مدى العناية التي أولاها التعبير القرآني لهذه الميزة في المفردات القرآنية فمن مزايا التعبير القرآني أن يستثمر كل ما من شأنه أن يسهم في إيصال المعنى إلى الأفهام بأيسر السبل وأسرع الطرق، وسأتناول في هذا الفصل بعض الموضوعات القرآنية التي وظف فيها صوت المفردة خدمة لمقاصدها وتحقيقاً لأهدافها.

ومن هذه الموضوعات:

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الأول:
مشاهد القيامة في القرآن الكريم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول:
مشاهد القيامة في القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن اليوم الآخر كثيراً، وكان حديثه عنه متنوعاً، وفي حديثه عن هذا اليوم أراد القرآن ان يؤكد حقيقة ألحّ عليها كثيراً في كل موضع ذكر فيه اليوم الآخر الا وهي مسؤولية الإنسان عن أعماله التي اكتسبها في حياته الأولى، حتى ليبدو أن ذلك هو المقصود الأساسي من ذكر الآخرة وما فيها.

ولعل موضوع مشاهد القيامة في القرآن من أكثر الموضوعات القرآنية توظيفاً للدلالة الصوتية للمفردات القرآنية، وذلك لأن الصوت في هذا اليوم له دور عظيم في إفاضة معاني التهويل والتخويف والرهبة. والرغبة مما يتفق مع مقصد القرآن في ذكر هذا اليوم ولفت الأنظار إليه، ودفع الناس إلى الإيمان به والحذر من أهواله.

وبناء على ما سبق فقد أطلق القرآن الكريم على هذا اليوم أسماءً عديدة كان للصوت نصيب كبير في هذه الأسماء فقد سمى هذا اليوم بالحاقة في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ الحاقة: ١ – ٣، وذلك لأن وجودها حق لا مرية فيه.

وسمي بالطامة قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤﴾ النازعات: ٣٤، لأنها تطم كل داهية أي: تعلو وتغلب، وسمي بالصاخة قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣﴾ عبس: ٣٣، وذلك لأنها تصخ الآذان أي: تصمها لشدتها.

فهذه المفردات الثلاث (الحاقة، الطامة، الصاخة) مفردات تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي، والأداء الجهوري لسماع رنتها، مما يتوافق نسبياً مع إرادتها في جلجلة الصوت، وشدة الإيقاع[1].

وسمي هذا اليوم كذلك بالواقعة فالوقوع هو الهوي من أعلى محدثاً ارتطامه صوتاً، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ الواقعة: ١، وسمي هذا اليوم كذلك بالقارعة وذلك لأنها تقرع القلوب بالفزع، وتقرع أعداء الله بالعذاب، قال تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ القارعة: ١ – ٣، وفي هذه المفردة إيحاء بالقرع في الأذن، وبالهول الشديد.

كما سمي بالغاشية وذلك في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ الغاشية: ١، وذلك لأنها تغشى الخلق بأفزاعها وأهوالها وتحيط بهم من كل جانب، وسمي بالراجفة، في قوله تعالى:

---

(1) انظر: الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن، ١٦٨-١٦٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ ﴾ النازعات: ٦،أي: اليوم الذي تضطرب وتتزلزل فيه الأرض ومن عليها، حيث يتغير الكون ويتبدل العالم.

إن السامع لهذا المفردات يدرك منها أن المناخ مناخ فزع وهول وشدة، يتجلى هذا من الصيغة التي بنيت عليها هذه المفردات، ومن الحروف التي تشكلت منها، حيث نلحظ في صيغتها وجرس حروفها صدىً هائلاً تجتمع فيه أهوالها، وصوتاً حافلاً تتساقط حوله مصاعبها، وأن تنوع أسماء هذا اليوم في القرآن ليدل على الحقيقة القادمة، حقيقة يوم القيامة برحلتها الطويلة، في الشدائد، والنوازل، والقوارع، والوقائع، لتصور لنا عن كثب هيجانها وغليانها، وشمولها وإحاطتها.

إن دلالة الفزع، والتهويل مقصودة من بناء هذه المفردات وتشكيلها وإن موافقة أصوات هذه المفردات لمعانيها في الدلالة على يوم القيامة، من أعظم الدلالات الصوتية في الشدة والوقع والتلاؤم بين اللفظ والمعنى.

وتناول القرآن الكريم في حديثه عن مشاهد يوم القيامة عدة مراحل شكلت بمجموعها سلسلة من المشاهد المتتابعة تبدأ من اللحظة الأولى ليوم القيامة إلى الخلود الأبدي، وسأعرض لهذه المراحل واحدة تلو الأخرى على النحو الآتي:

أولاً:- الحديث عن مرحلة اضطراب النظام الكوني

إن اختلال النظام الكوني حيث تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وترج الأرض رجاً، وتنسف الجبال نسفاً، وتتناثر الكواكب، وتنفطر السماء وغيرها من الأحداث ما هو إلا مقدمات وإرهاصات تشير إلى حصول يوم القيامة. ومن الآيات الدالة على ذلك ومما لها اتصال بموضوع الدراسة.

قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ الواقعة: ١ – ٦.

يقول سيد قطب: "هول الساعة هنا مادي من النوع الذي سبق في القارعة، ولكن في صورة جديدة في بعض جوانبها، والقيامة هنا هي الواقعة فهي حادث واقع لا مجال لكذبه ولا لتكذيبه، ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ ولفظة الواقعة بما فيها من مد ثم سكون أشبه بسقوط الجسم الذي يرفع ثم يترك فيهوي واقعاً، فينتظر له الحس فرقعة ورجة، وهكذا يلبي السياق ما يتوقعه الحس، فهي ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ تلك الأرجحة التي يحدثها سقوط الأجسام الثقيلة تحدثها كذلك الواقعة في عالم الحس كما توقعها في عالم المعاني، يوم تشيل أقدار وتهوي أقدار. ولأن الاهتزاز أو الرجة، هي الجو العام للمشهد استمر السياق عرض صور الارتجاج ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾ ولأن الواقعة تهبط من عل فتدك وتطحن، كما ترج وتهز عرض السياق ذلك الجانب الآخر المتوقع في الحس ﴿ وَبُسَّتِ

ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ فإذا هي فتيت مبسوس، يتطاير في الهواء كالهباء﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ وبذلك ينتهي مشهد الهول المادي المتسق في صوره كلها مع الواقعة وما تثيره من صور ومعاني"[1].

لقد أسهمت مفردات الآية الكريمة في رسم صورة الاضطراب والتصدع والتشقق، فهناك (الواقعة) حيث صوت الارتطام العظيم، وهناك (رَجًّا) بما في الجيم المشددة من القلقلة والاهتزاز المشعران بالاضطراب والحركة السريعة.

وتأتي (بَسًّا) بهمس السين المشددة أيضاً لتوحي بانمحاء أثر تلك الجبال وتسويتها بالأرض، ويصور -كذلك- حرف الثاء المهموس في [منبثا] تطاير تلك الجبال كالهباء في خفته، فجميع مفردات المقطع تتناسق أصواتها في الدلالة على اضطراب النظام الكوني واختلاله.

ويقول تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ الزلزلة: ١ – ٤.

تصور هذه الآيات حال الأرض حين ترج رجاً شديداً، وتزلزل زلزالاً عظيماً، فتلفظ ما في جوفها. وقد أسهمت المفردة القرآنية (زُلْزِلَتِ) ومصدرها (زِلْزَالَهَا) - بتكرار المقطع (زل) مرتين - برسم صورة الحركة المائجة المضطربة للأرض ومن عليها.

فهذه صورة ما يحدث للأرض عند قيام الساعة، وأما الجبال فقد جاء من الآيات ما يبين أنها ستندثر وتزول وتصبح هباءً منبثاً منتشرا، وقال تعالى عنها أيضاً: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ القارعة: ٥، والعهن هو الصوف الملون، وقد صورت كلمة المنفوش بحروفها هشاشة تلك الجبال وخفتها كما هي هشاشة الصوف وخفته، وقد كان لحرف الشين بتفشيه الدال على معنى الانتشار نصيب وافر في رسم صورة الهشاشة لهذه الجبال.

وقال تعالى- أيضاً- في حق الجبال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ طه: ١٠٥ – ١٠٧، تنقل هذه الآيات إلى الأسماع هولاً عظيماً إذ الجبال التي كنا نراها راسية راسخة قد غدت منسوفة فإذا هي قاع صفصف لا اعوجاج فيها ولا نتوء فقد سويت تماماً بالأرض، ولا شكَّ أن في هذا هولاً عظيماً، وخطباً جليلاً.

والناظر في مفردات هذه الآية الكريمة يجد أنها تسهم بتشكيلها الصوتي في الدلالة على معنى التسوية والإزالة، فالسين والفاء في (نَسْفًا) المهموستان تدلان على سهولة حدوث تلك التسوية وسرعتها، ويأتي المد في نهايتها ليوحي بمعنى إتيان النسف وشموله لكل الجبال.

([1]) قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، ص١٢٦-١٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقوله (صَفْصَفًا) بمعنى المستوي من الأرض كأنه على صف واحد[1]، والذي يدل على معنى الاستواء فيها هو تكرار مقطعها (صَفْ/ صَفْ) أي: جعل الجبال في استوائها كاستواء الصفوف لا اعوجاج فيها ولا نتوء ولا علو ولا انخفاض .

وقد جاء في القرآن الكريم -كذلك- تصوير جامع لاضطراب الأرض وتفتت الجبال معاً وذلك في قوله ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ الحاقة: ١٣ - ١٥ ، إن معنى الاضطراب والتفتيت الذي سيصيب الأرض والجبال يجسده قوله ﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ بما تحمله من معاني القوة والرعب، فالدك في اللغة يحمل معنى الهدم الذي يصاحبه دق وتفتت[2].

ونستشعر هذا المعنى من حروف المفردة (دكّ) فإن انطباق أقصى اللسان مع الحنك الأعلى ثم انفلاته عند نطق الكاف يجسد هيئة الدك والضرب والدق مع ما يتبع ذلك من حدوث صوت عظيم.

وكما أصاب الاضطراب والخلل الأرض والجبال، فقد حظيت السماء كذلك بنصيبها من هذا التبديل، وذاك الاضطراب. ومن الآيات التي تبين ما حدث للسماء من أهوال في ذلك اليوم، يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ ﴾ المعارج: ٨، فالمُهْل الذي اختتمت به الآية الكريمة تحمل جرساً وإيقاعاً ونغمة تفرضه حركات الشكل، وانتظام الحروف في المفردة، بحيث نشعر ونحن نرددها على الألسن أن شفاهنا تنفتح قليلاً لتنتفخ، وكأنها بذلك ترمز إلى المعنى المهول النابع منها، فالمهل يعني (دردي الزيت) وهذا يؤدى إلى أن الشفاه تحصر الكلمة، فكأنها تعصرها عصراً، ليخرج ما ركد فيها، كدردي الزيت الذي يحتفظ بالقعر والقاع مكاناً له، بعد انتقاء الزيت منه، صافياً نقياً[3].

فالسماء في ذلك اليوم تكون كعكر الزيت قتاماً أو ميوعة، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ ﴾ الطور: ٩، المَوْرُ على وزن قَوْل، وله معان عديدة في اللغة. يقول الراغب في مفرداته: المور معناه: الجريان السريع، كما قال: إن المور يطلق على الغبار الذي تجري به الريح لكل جهة أيضاً، وقد ورد أيضاً أن المور معناه: الحركة والذهاب والإياب، كما يطلق على الموج ومنهم من قال: المور هو الحركة الدائرة.

---

(1) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات الفاظ القرآن، (صف)، ص٣١٥.

(2) انظر: قنبي، محمد حامد، المشاهد في القرآن الكريم، دراسة تحليلية وصفية،مكتبة المنار، الأردن، ط١،١٩٨٤م، ص١٦٢.

(3) انظر: السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص٢٥٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن مجموع هذه التفاسير يستفاد أن المور: هو الحركة السريعة والدوران المقترن بالذهاب والإياب والاضطراب والتموج، وعلى هذا فإن النظام الحاكم على الكُرات يضطرب بين يدي يوم القيامة وتنحرف عن مداراتها وتتجه إلى كل جهة ذهاباً وإياباً[١].

إن الحروف التي تشكلت منها هذه المفردة (تَمُورُ) تشعر بمعنى الدوران والتموج، وترسم على الفم عند نطقها هيئة الدوران كذلك، فعند نطق الواو تضم الشفتان لتشكل دائرة صغيرة موحية بدوران السماء واضطرابها، وتأتي الراء بما فيها من تكرارية لتضفي معنى تكرار هذا الجريان واستمراره حتى يؤول الأمر إلى التموج والاضطراب ونهاية إلى التبدل والتحول.

وقال تعالى -كذلك- : ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ ﴾ التكوير: ١١، إن قوله (كُشِطَتۡ) يبين أن السماء قد قلعت بقوة عظيمة وسرعة زائدة وأزيلت عن مكانها، التي هي ساترة له محيطة به[٢].

وقد أسهمت حروف هذه المفردة في إفادة معنى الإزالة بقوة وسرعة فتدل الكاف على أول النزع، والسين على الصوت الحادث من النزع، والطاء والتاء على سرعة ذلك وانتهاء الأمر. فالمفردة بحروفها ترسم مشهداً كاملاً لإزالة السماء وتبدلها بشكل سريع وكأن الأمر قد حدث في لمح البصر.

بعد كل هذه الأمور التي تصيب السماء لا شكل أنها ستذرها ذابلة ضعيفة يصدق عليها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ ﴾ الحاقة: ١٦، فلفظة واهية بتشكيلها الصوتي المتكون من حروف رخوة لينة ضعيفة هي الواو والألف والياء والهاء المتكررة تسهم في رسم صورة الضعف والخفة للسماء.

إن الناطق المردد لهذه المفردة يستشعر في نطقها معنى التعب والإعياء خاصة من صوت الهاء المتكرر.

ومن معالم السماء البارزة الشمس فيصيبها ما أصاب السماء حيث ينمحي نورها، وينطفيء ضوءُها فتصبح كُرة مظلمة لا يشع منها نور يضيء أرجاء الكون.

قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ التكوير: ١، قال الزمخشري: وفي " التكوير وجهان أن يكون من كَوّرتُ العمامَة إذا لففتُها، أي: يلف ضوءها لفاً فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق، وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها ؛ لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطاً غير ملفوف، أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها؛ لأن الثوب إذا أريد رفعه لف وطوي، ونحوه قوله ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ ﴾ الأنبياء: ١٠٤، وأن يكون من طعنه فجوّره وكوّره: إذا ألقاه، أي: تلقى وتطرح عن فلكها، كما وصفت النجوم بالانكدار"[٣].

---

(١) انظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (١٧/ ١٠٢).

(٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٢٣٩).

(٣) الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٦٩٣).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتركيب المادة يدور على الإدارة والجمع.

إن هيئة هذه المفردة (يكوِّر) تدل على معنى اللف والطي والإدارة. فعندما ننطق حرف الواو المشدد في هذه المفردة ترتسم على الشفتين هيئة الدوران وصورة الدائرة ،وتسهم الكسرة التي على الواو في تصوير عملية اللف وإعادة الشيء إلى الخلف ليكون على شكل دائرة؛ولذا فإن انتقاء هذه المفردة جاء متناسقاً مع المعنى المراد التعبير عنه وهو ذهاب ضوء الشمس وإلقاؤها كالكرة خارجة عن مدارها وفلكها.

ثانياً:- مرحلة البعث من القبور.

تحدث القرآن عن هذه المرحلة في آيات متعددة، ومجموع هذه الآيات يشكل مشهداً جليلاً لخروج الناس من قبورهم وحشرهم إلى ساحة الحساب والقضاء مع الخلائق كلها، يقول الله سبحانه وتعالى مبيناً هيئة الخروج، ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ ﴾ الانفطار: ٤، وقال: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ ﴾ العاديات: ٩.

إن لفظة (بُعْثِرَ) تحدث شبه ثورة أو انفجار داخل الفم، ويوحي نطقها بصلة جرس (بُعْ) بجهاز الأمعاء، حيث يشعر مرددها بشيء من الحركة تشبه حركة بداية التقيء[1].

ويمكن القول: إن هذه المفردة تصور بجرسها صورة قلب التراب ونشره وإثارته، فما كان في الأسفل صار في الأعلى، فالمقطع الأول من المفردة (بُعْ) يصور تحرك ما في الأسفل استعداداً للارتفاع والخروج ويصور المقطع الثاني (ثِ) بصوته المهموس صورة الخروج والانتشار والانتثار ويأتي المقطع الثالث (ر) ليوحي بصورة تكرار عملية البعثرة والخروج من القبور لكل واحد.

ويصور القرآن كذلك حالة الناس الخارجين من قبورهم فيقول: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ القمر: ٧، ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ القارعة: ٤، ترسم هذه الآيات الكريمة مشهداً رهيباً لحالة الناس وهم يخرجون من أجداثهم في سرعة وهلع، يخرجون في كثرة بالغة جماعات جماعات فهم غوغاء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً.

وقد شبهوا بالآيتين مرة بالجراد بداعي الكثرة والغوغائية، ومرة بالفراش لضعفه وذلته وجهله وتهوره وعدم إدراكه لحقيقة ما يقدم عليه[2].

وقد وصف الجراد بقوله (مُّنتَشِرٌ) وهي بأصواتها الشين والراء تدل على التفرق بكثرة في أماكن كثيرة، فالشين بتفشيها تدل على الانتشار والراء بتكرارها تدل على استمرارية الحدث، وتكرار حدوثه. فالناظر يرى الناس منتشرين في كل بقعة، أينما أجال نظره رآهم.

---

(1) انظر: السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص٢٦١.

(2) انظر: الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٧٨٢).

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

ووصف القرآن الفراش الذي سمي بذلك لتفرشه وانتشاره[1]، بقوله (ٱلْمَبْثُوثِ) التي يدل فيها حرف الثاء المهموس على معنى الانتشار إلى كل جهة. وعليه فإن كلتا المفردتين قد وظفتا توظيفاً دقيقاً في الدلالة على المقصود، وفي رسم الصورة وتوضيحها.

وبعد هذا الخروج من القبور يحشر الناس والخلائق جميعاً بين يدي الله سبحانه وتعالى انتظاراً لحسابهم وجزائهم، وقد جاءت آيات عديدة تتحدث عن هذا المعنى، وكان من هذه الآيات ما تحدث عن حشر الوحوش يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ ﴾ التكوير: ٥، ونلحظ أن تكرار الحاء في هذه الآية الكريمة الذي مخرجه الحلق يحدث الحباساً عند قراءتها كاملة يشبه الحشر مع ما في الشين من معنى الجمع والإحصاء، وفي هذا توظيف للحرف القرآني في الدلالة على المعنى المراد.

بعد هذا الخروج، وذاك الحشر يقف الناس أمام ربهم عز وجل ينتظر كل منهم حسابه، وكلهم مشغول بمصيره، قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ ﴾ عبس: ٣٧، وهنا

تتجلى المرحلة الثالثة وهي مرحلة الحساب والجزاء.

في هذا الموقف يتذكر الإنسان ما قدم من خير، أو سوء، ويقرأ هذه الأعمال مسجلة عليه، فهو يقرأ في كتاب منشور، والقرآن يعرض عرضاً مؤثراً من يرى نفسه قد قدم خيراً، ومن يرى الشر غالباً عليه: فيقول: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ ﴾ الحاقة: ١٩ – ٣٢.

يلحظ في هذا النص الكريم توظيفاً صوتياً للأصوات يتلاءم وحالة كل شخص في ذلك الموقف المهول، فإذا قرأنا المقطع المتحدث عن نجاة المؤمن، فإننا نلحظ أن مجيء المد في قوله (هَآؤُمُ) يوحي بدلالة الفرح والاستبشار، وكأنه يطير بهجة وسروراً في المحشر يريد أن يُريَ الخلق كلهم كتابه.

وتوحي الهاءات التي في الفاصلة القرآنية بطمأنينة القلب، وقرار العين والنفس، وبهناءة العيش ونعومته، وسكونه وهدوئه، وهذا نفيده بما تمتع به الهاء من همس ورقة ورخاوة.

وإذا ما قرأنا المقطع الثاني المتحدث عن مصير المجرمين، استشعرنا منه جانب الحسرة والندامة والندب والنحيب، فالنص يصور تلك الحالة النفسية للكافر حين يلاقي صحائف أعماله وما سيؤول

---

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٣٢/ ٦٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إليه أمره، ومما زاد من صورة الحسرة والندامة مجيء الهاء فاصلة في نهاية المفردات وفي هذا إيحاء بالفجيعة والمصيبة الجليلة التي نزلت بهم.

ويأتي المد في قوله: ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) ﴾ ليشعر بمدى المبالغة بالأمر بتعذيب هذا الكافر وأخذه، كأنه قال: خذوه أخذاً شديداً، وغلوه غلاً وثيقاً.

كما يوحي المد بحالة الشدة وهيئة البطش وجبروت الانتقام التي يكون عليها الآمر بالعذاب في ذلك اليوم الشديد(١).

يلحظ مما سبق مدى الإعجاز الرباني في توظيف صوت واحد وهو الهاء في دلالتين مختلفتين، رؤوسهم أمامه.

بعد أن يدرك الناس مصيرهم، ويعرفوا جزاء أعمالهم، ينقسم الناس فريقين: أهل للجنة، وأهل للنار حيث الخلود الأبدي، ومن هنا تأتي المرحلة الرابعة من مشاهد يوم القيامة **وهي مرحلة المصير الأبدي ، وهي المرحلة الرابعة.**

وقد قابل القرآن الكريم بين جزاء المؤمنين، وجزاء الكافرين في العديد من الآيات الكريمات، ورسم لكل فريق صورة، "وكلتا الصورتين تثير في النفس أحاسيس وصوراً زاخرة بالملامح، يقرؤها المرء فيفزع من صور العذاب، ثم يعود للطمأنينة والارتياح عند قراءته لآيات النعيم"(٢).

وسيكون الحديث أولاً عن الجنة ونعيم أهلها ثم أعطف الحديث عن النار وعذاب أهلها:

أ- الجنـــة:

تحدث القرآن كثيراً عن الجنة وما فيها من النعيم المقيم الذي ينتظر الذي آمن وعمل صالحاً، ويصور القرآن لأذهاننا سعة هذه الجنة وضخامتها فيقول: ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ آل عمران: ١٣٣.

وسأذكر من الآيات المتعلقة بالجنة ونعيمها ما يتصل بموضوع الدراسة وإلا فإن الحديث عن الجنة ونعيمها في القرآن حديث طويل.

وظف القرآن الدلالة الصوتية للمفردات في حديثه عن الجنة وما فيها من النعيم، وذلك زيادة في الترغيب بها، وحثاً على الاستجابة لأوامر الله الموصلة إليها.

ومن هذه الآيات الكريمة حديثه عن العيون التي في الجنة فقد وصفها بثلاثة أوصاف، قال تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) ﴾ الرحمن: ٦٦، والتعبير بهذه المفردة يفيد غزارة الماء المتدفق في هاتين الجنتين، واستفيد هذا المعنى من حروف الاستعلاء الدالة على التفخيم. وقال تعالى: ﴿ عَيْنًا فِيهَا

---

(١) انظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن، ص١٢١.

(٢) قنيبي، محمد حامد، المشاهد في القرآن الكريم، دراسة تحليلية وصفية، ص١٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ الإنسان: ١٨، إن كلمة (سَلْسَبِيلًا) ذات الحروف الرقيقة المستفلة تدل على رقة ماء هذه العين وعذوبتها وسهولة جريانها بما يتناسب مع نعيم أهل الجنة ورهافته.

وهناك عين في الجنة سماها الله (تَسْنِيمٍ) قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ المطففين: ٢٢ – ٢٨، وإن التعبير بهذه المفردة فيه من الرقة والسلاسة ما في النسيم العليل، وهذه المفردة جاءت بحروفها متناسبة مع جو النعيم الذي منحه الله –عز وجل– لعباده المؤمنين.

ولأهل الجنة مجالس يتكئون عليها قال الله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ الرحمن: ٧٦، إن اشتقاق هذه المفردة (رَفْرَفٍ) من رفَّ يَرِفُّ إذا ارتفع، ومنه رفرفة الطائر لتحريكه جناحيه في الهواء، ويقال للشيء إذا كثر ماؤه من النعمة والغضاضة، حتى كاد يهتز رَفَّ يَرِفُّ رفيفاً، والرَفْرَف: شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمِرْجاح يميناً وشمالاً ورفعاً وخفضاً، يتلذذ به مع أنيسته[1]. وعليه؛ لما كان المعنى هو تحريك الشيء يمنة ويسرة وخفضاً وارتفاعاً جاءت هذه المفردة مجانسة لهذا المعنى بتكرار المقطع (رَفْ/ رَفْ) دلالة على تكرر الحركة مما يحدث أنساً وبهجة، ومجيء الراء بما فيها من تكرار تأكيد لهذا المعنى.

وعند قراءتنا لهذا المقطع من الآيات نلحظ ما يحدثه حرف المد من دلالة على السرور والرفعة والنعمة التي حظي بها المؤمنون في جنة الله، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ الغاشية: ٨ – ١٦، إن مد الألف في (ناعمة، راضية، عالية، لاغية، جارية) يشعر بأن النعومة والرضا والعلو، وعدم اللغو، والجريان قد بلغت مبلغاً عظيماً يتحقق معها السعادة والحبور.

هذه بعض الآيات التي جاءت حديثاً عن الجنة ونعيمها، عمدتُ فيها إلى التمثيل لا الحصر.

ب- النـــار:

تحدث القرآن عن النار وما فيها من شقاء دائم ينتظر الكافرين وأتباع إبليس في مواطن متعددة، وقد بلغ القرآن الذروة العالية في تصوير النار وأهوالها تصويراً يبعث الرهبة في النفوس، والهلع في القلوب، والخوف من أن يكون المصير إليها، فتلجأ إلى العمل تتقي به لظاها، وتتخذه ستاراً بينه وبين لفحها[2].

---

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٧/ ١٢٤).

(٢) انظر: بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، ص٣٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقد وظف جرس المفردة وصوتها في التهويل من النار، والترهيب من دخولها في آيات عديدة من القرآن الكريم ومن ذلك: تسمية النار بـ (لَظَىٰ) وذلك في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ المعارج: ١٥ – ١٦، ووصفها ربنا في موطن آخر فقال: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ الليل: ١٤، لقد وظف حرف الظاء في المفردتين (لَظَىٰ، تَلَظَّىٰ) ليدل على الغيظ والغضب الشديدين، الواقعين من النار، فالظاء بتفخيمها وغلظها أوحت بمعنى الغلظة والشدة والقسوة، وقد تمثلت هذه الشدة والقسوة في قوله تعالى: ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ بكل ما تدل عليه كلمة (نَزَّاعَةً) من معاني الشدة.

لقد أفاد التشديد الذي على الزاي المبالغة والكثرة في النزع، وأوحى صوت الزاي بصوت النزع وشدته، ولا مرية في أن هذا موقف شديد وقاس.

وقد صور لنا القرآن حال النار عندما ترى المجرمين والعاصين فبين أنها تتقطع من شدة الغيظ، وتسمع لها شهيقاً وزفيراً من شدة غيظها، وقد عبر عن هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ الملك: ٧ – ٨، وقال في موطن آخر: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ الفرقان: ١٢، إن هذه المفردات (شهيقاً، وتميز من الغيظ، وتغيظاً وزفيراً) كلها تحمل في تشكيلها الصوتي ما يظهر غيظ النار، وتلهفها على إمساكها المجرمين، فهي من شدة الغيظ الجاثم على صدرها تصدر أصواتاً عجيبة من شهيق وزفير، بل يتعدى ذلك إلى أن تحاول التفلت من القيود سعياً وراء هؤلاء العصاة، وإن التشديد الذي على الياء في قوله (تَمَيَّزُ) يصور لك حالة التفلت والانطلاق تصويراً بليغاً.

فإذا زج الكافرون والمجرمون ومن على شاكلتهم في نار جهنم لاقوا من ألوان العذاب في مأكلهم ومشربهم ولباسهم وأجسادهم ما تشيب من هوله الولدان، ومن ذلك: أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الجوع والعطش لوناً من ألوان العذاب في نار جهنم فهؤلاء لا يُسقَوْن ولا يطعمون، حتى إذا بلغ الظمأ بأهل النار مداه، وتقطعت أمعاؤهم لهفاً على الشراب، سُقوا ما أعد لهم من الشراب، وأطعموا ما خصص لهم من الأطعمة.

قال تعالى في بيان مأكول أهل النار ومشروبهم: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الواقعة: ٥١ – ٥٦، إن أكل أهل النار إذا جاعوا هو (الزقوم) وإن في إيقاع هذه المفردة – وهي تقف في عمق الحنجرة، تحمل جرس الزقزقة تنتهي بمد وسكون في الميم – إيحاءً بعدم استساغة النفس لهضمها، ولكنها من شدة حرقة الجوع، تملأ به البطون، لتقاسي فيه غصة عند نطقها بشبه الغصة التي يحدثها أكله.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإن شنشنة حرف الشين في قوله تعالى: ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴾ وما تحمله (الْهِيمِ) من حركة تدع الفم مفتوحاً، والشفة السفلى مرتخية إلى أسفل-وهي الحال نفسها التي تكون عليها الإبل -فيهما تعبير عن شدة الظمأ الذي يشعر به المكذبون بعد أكلهم الزقوم[1].

ومن شراب أهل النار كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨ ﴾ ص: ٥٧ – ٥٨، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ۝٢٥ ﴾ النبأ: ٢٤ – ٢٥، والغساق: هو ماء مظلم منتن، أو ماء يسيل من صديد أهل النار، وإن التعبير بهذه المفردة (غساق) يوحي بمعنى التقزز والاشمئزاز من هذا المشروب، شعر بهذا حرف الغين ذي المخرج الحلقي وما يوحي به من غصة واستكراه لهذا المشروب.

وإن هذا الماء من سوءه لا تتقبله نفوسهم إلا على استكراه، قال تعالى في وصف ذلك: ﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ۝١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ۝١٧ ﴾ إبراهيم: ١٥ – ١٧، إن قوله (يَتَجَرَّعُهُۥ) تصور المعاناة الشديدة التي يلاقيها هؤلاء في أثناء تناولهم للماء، فالراء المشددة والعين تنقلان الغصص، والآلام في محاولة تقبل الماء، وهم يحاولون ذلك مرات ومرات لكن تأبى نفوسهم تقبله فيتمنون الموت، ولكن هيهات هيهات ومن ورائهم عذاب شديد.

وإن من ألوان طعامهم في النار بالإضافة إلى الزقوم السابق ذكره ما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ ﴾ الغاشية: ٦ – ٧، وقال تعالى: ﴿ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ۝٣٦ ﴾ الحاقة: ٣٥ – ٣٦، فالضريع هو الشوك، والغسلين هو غسالة أهل النار وصديدهم هما لون من ألوان أطعمة الكافرين في نار جهنم.

وتحمل حروف كل مفردة ما يدل على التقزز والكراهة والبشاعة؛ الأمر الذي يصور سوء هذا الطعام، وشدة ذاك العذاب. وليت الأمر يقف عند هذا، بل يجمع الله عليهم إلى جانب الجوع والعطش ألواناً من العذاب والمهانة الشيء الكثير، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ۝٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ۝٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ۝٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٤ ﴾ غافر: ٧٠ – ٧٤، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴾ الإنسان: ٤.

---

(1) انظر: السلامي، عمر، الإعجاز الفني في القرآن، ص٢٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فمن ألوان العذاب أن يقيد الكفارُ في السلاسل والأغلال ويسحبون في نار جهنم. ويلحظ في قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴾ تكرار حرف السين بما فيه من احتكاكية ليشير إلى احتكاك أجساد هؤلاء في نار جهنم، وإن قوله: (سلاسلا) بهذا التكرار المعبر عن طول حلقات تلك السلاسل، الأمر الذي يشعر بثقل قيودهم، وشدة عذابهم.

وبعد هذا يمكن القول: أن القرآن قد أجاد في توظيف الدلالة الصوتية للمفردة القرآنية خدمة لمقاصده وتوضيحاً لمعانيه، وتصويراً لمشاهده مما علها أكثر تأثيراً في النفوس.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني
مشاهد الكون في القرآن الكريم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني
مشاهد الكون في القرآن الكريم

يعد الكون آية من آيات الله الكبرى، ومعرضاً من معارض قدرته التي تبهر العقول.ومشاهد الكون السماوية والأرضية أكثر من أن تحصى في القرآن الكريم، فلا تكاد سورة تخلو من مشهد أو عدة مشاهد تتحدث عن السماء والأرض، والماء والنبات والحيوان والطير، فهي مشاهد تجذب النظر وتثير الحس، وهي تهدف إلى ربط الإنسان بالكون والحياة، وتلمس مظاهرها واستقصاء أسرارها لاستجلاء آثار القدرة، ومظاهر الإبداع بالتعقل والتبصر، إذ الصنعة دليل على قدرة الصانع[1].

ومن أجل هذا دعا القرآن الكريم إلى التفكر في مظاهر الكون، قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الذاريات: ٢٠ – ٢١، فإن هذا التفكر يقود إلى الإيمان بقدرة الله المطلقة، كما يدفع المتفكر والمتأمل إلى الإيمان بالبعث والحياة الآخرة.

والمتأمل في الآيات القرآنية التي تحدثت عن الكون ومظاهره يجد حضوراً واضحاً وكبيراً لجرس المفردة، مما يؤكد أهمية هذه الخصيصة في تقريب المعاني، والكشف عن المقاصد القرآنية. ومن ذلك حديث القرآن عن الليل والنهار، فقد تحدث القرآن عن هذه الظاهرة ، في مواضع متعددة، ووصفهما بأوصاف مختلفة، وكانت غالب المواضع مقابلة بين الليل وبين النهار، وقد روعي في أوصافهما المتقابلة إبراز جرس المفردة في الدلالة على المعنى. ومن هذه المواضع، قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ التكوير: ١٥ – ١٨، فهمس السين المكررة، وخفة وقعها في الأذن يوحيان بظلال النعومة وراحة النفس.

وفي جرس كل من (عَسْعَسَ) و(تَنَفَّسَ) إيحاء بالدلالة على المعنى إذ يرسمان بجرسيهما صورة حسية لإقبال ظلام الليل وشموله لأفاق الكون المترامية ، ثم انفلات الصبح من مخبأ الليل وسجنه، وما يصحب ذلك من صحوة الكون، ودبيب الحياة في أرجائه[2].

وإن في تكرار المقطع (عَسْ) إيحاء بصورة حسية وكأن الليل عَسَسٌ يتفقد كل موضع من مواضع الكون فيأتي عليه.

ومن المواضع أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ الضحى: ١ – ٣، فإن هذه المفردة (سَجَىٰ) بجرسها الرقيق العذب، تتناسب وهذه النعمة التي جعلها الله

---

(1) انظر: قنيبي، حامد صادق، المشاهد في القرآن الكريم، دراسة تحليلية وصفية، ص١٧-١٨.

(2)انظر: المرجع السابق، ص٤٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في الليل، حين يغطي النهار بطمأنينته وسكونه فيأنس القلب بذلك. فأصوات هذه المفردة رقيقة رخية جاءت مناسبة لهدوء الليل وسكونه.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ الليل: ١ – ٢.

إن قوله (يَغۡشَىٰ) في وصف الليل، و(تَجَلَّىٰ) في وصف النهار جاءتا متناسبتين مع طبيعة كل منهما، وجاءت حروف كل منهما كذلك مؤدية الدلالة المتوائمة مع حركة الليل وحركة النهار.

فالتغشية التي وصف بها الليل تعني التغطية، وفيها شمول واستيعاب للشيء المغطَّى، وهذا المعنى قد دلت عليه حروف المفردة فالغين باستعلائها تدل على علو الشيء المغطِّي (بكسر الطاء). والشين بتفشيها تدل على انتشاره وشموله لجميع أجزاء المغطَّى (بفتح الطاء)، وتأتي الألف المدية لتزيد من معنى الانتشار. وأما (تَجَلَّىٰ)فهي تدل على الظهور والانكشاف، وقد جاءت حروفها دالة على هذا المعنى، فالجهر الذي في الجيم واللام يدل على الإعلان والظهور. وبهذا يظهر أن أصوات كل مفردة جاءت مناسبة لمعناها.

وقد تحدث القرآن عن وظيفة كل من الليل والنهار، فجعل الله - سبحانه وتعالى -الليل للنوم والراحة، وجعل النهار للكسب والمعاش، وقد جاء وصفهما بهذا في الآيات التالية، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ۝٤٧ ﴾ الفرقان: ٤٧ ، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١ ﴾ النبأ: ١٠ – ١١، ونلحظ من الآيتين الكريمتين أن الليل فيهما قد وصف بوصف واحد وهو كونه لباساً، أي: ستراً وسكينة وطمأنينة.

بينما نجد النهار قد وصف بوصفين هما: (نُشُورٗا) و(مَعَاشٗا)، ويظهر أن حروف كل مفردة جاءت متناسبة مع الوظيفة التي خص بها كل من الموصوفين، فإن السين المهموسة الرقيقة في (لِبَاسٗا) دالة على معنى الستر والخفاء والسكينة وهي متوائمة مع وظيفة الليل.

وأما في (نُشُورٗا) و(مَعَاشٗا) فنجد أنه قد تم اختيار حرف الشين المتفشي الدال على الانتشار والانطلاق، وهذا فيه مناسبة لطبيعة النهار وما يجري فيه. وبعد فنلحظ أن كل مفردة بل كل حرف اختير في مكانه الذي لا يبغي عنه حولاً.

وقال تعالى: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ ﴾ النازعات: ٢٧ – ٢٩، "وفي التعبير شدة في الجرس والمعنى، يناسب الحديث عن الشدة والقوة. وأغطش ليلها أي: أظلمه. وأخرج ضحاها. أي: أضاءها، ولكن اختيار الألفاظ يتمشى في تناسق مع السياق، وتوالي حالتي الظلام والضياء، وفي الليل والضحى الذي أول النهار، حقيقة يراها كل أحد، ويتأثر بها كل قلب. وقد ينساها بطول الألفة والتكرار، فيعيد القرآن جدتها بتوجيه المشاعر إليها، وهي جديدة أبداً، تتجدد كل يوم، ويتجدد الشعور بها والانفعال بوقعها. فأما النواميس التي وراءها فهي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كذلك من الدقة والعظمة بحيث تروع وتدهش من يعرفها. فتظل هذه الحقيقة تروع القلوب وتدهشها كلما اتسع علمها وكبرت معرفتها!"[1].

كما تحدث القرآن الكريم عن الريح في مواضع كثيرة، ووصفها بأوصاف متنوعة، ومن هذه الأوصاف، قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ القمر: ١٩، وقال: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ الحاقة: ٦، وقال: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١١٧.

ومعنى (صَرْصَرٍ) أي: أنها في غاية ما يكون من شدة البرد والصوت، كأنه كرر فيها البرد حتى صار يحرق بشدته، والصوت حتى صار يصم بقوته[2].

فالصاد بصفيرها وأزيزها، والراء بتكرارها مع تكرار المقطع (صر) مرتين كلها تدل على شدة هذه الريح وقوة صوتها وأنها رياح متكررة لا تُبقي ولا تذر، فالمفردة ذاتها فيها شدة الريح وقسوتها.

ومن أوصاف الريح المذكورة في القرآن، ما وصف الله سبحانه به الريح التي سخرها لسليمان إذ قال: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ ص: ٣٦، إن جرس هذه المفردة (رُخَآءً) بما فيه من تكرارالراء وهمس الخاء مع مد الألف يدل على نعومة هذه الرياح وسهولة جريانها، ومدى خضوعها واستجابتها لسليمان –عليه السلام- فهي حيثما حلت أو وصلت أفاضت الخير الوفير، وإن التعبير بهذه المفردة يدل على عظم النعمة التي آتاها الله سليمان –عليه السلم-.

وللرياح مهام عظيمة، في هذا الكون منها سوقها السحاب ودفعه إلى حيث يريد الله - سبحانه وتعالى- كما أنها تؤدي مهمة كبيرة في عملية سير السفن في البحر، وقد عبر القرآن عن سوق السحاب والفلك بقوله (يُزْجِى) قال تعالى : ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ الإسراء: ٦٦، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ﴾ النور: ٤٣، ومعنى يزجي: أي: يسوق بالرياح، ويستعمل الإزجاء في سوق الشيء الثقيل برفق[3].

وفي قوله (يُزْجِى) دلالة على الرخاء والرفق والسير بتؤدة، أخذ هذا من حروفها الرخية المستفلة ومن المد الذي في آخرها، وفي هذه المفردة إشعار بعظم عطاء الله ومنته على خلقه.

---

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٨١٦).

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ١٢٣).

(3) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، (٦/ ٤٢٦).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وما دام الحديث عن إزجاء الفلك والسحاب، فمن المناسب أن أعرض لما وصفت بـه الفلـك في القرآن، فقد وصفت الفلك في القرآن بقوله (مَوَاخِرَ) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ النحل: ١٤، ومواخر: هو صوت السفن تشق عباب الماء.

والمنصت لهذه المفردة يجد أن الخاء تنقل إليه صوت الفلك، تشق عباب الماء[1]. وفي هذا لفتة إلى متاع الرؤية وروعتها، والقرآن بهذا يلفتنا إلى ضرورة الالتفات إلى مظاهر الجمال في هـذا الكـون جمعاً بين الجمال الديني الوجداني والجمال الكوني.

ومن مظاهرها الكون التي وصفت في كتاب الله (الجبال) وقد تعددت أوصافها، وبينت وظائفها، فهي خلق عظيم من خلق الله، وكان أن وصفها ربنا -عزوجل- بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ المرسلات: ٢٧.

إن قوله (شَٰمِخَٰتٍ) أي: مرتفعات ارتفاعاً شديداً، وكأنها قد تكبرت على بقية الأرض وعلى من يريد صعودها[2]. إن دلالة الارتفاع يمكن أن نفيدها من المدود في هذه المفردة (شا/ خا) ومن حرف الاستعلاء المتصل بحرف المد.

فجرس هذه المفردة أوحى بعظم هذه الجبال وارتفاعها وضخامتها. وإذا كانت الجبال في هـذه المفردة موحية بتكبرها وترفعها على بقية الأرض، فإننا نجدها في سياق آخر خاضعة مستسلمة مرجعة مسبحة، وذلك في قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ سبأ: ١٠.

فالجبال والطير تشاركان داود- عليه السلام- التسبيح والترجيع، وفي جرس (أَوِّبِى) موسيقى رخية حالمة، وصدى صوتياً عميقاً، يتأتى من أصواتها الخارجة من أقصى الحلق وضم الشفة ثم إطلاقها مرة أخرى، وهذه المفردة أدت بجرس أصواتها دلالة عظيمة، لا يمكن أن نشعر به لو بـدلت أو غيرت من موضعها.

وما دام السياق آنفاً قد أثار ذكر الطير، فيمكن القول: إن القرآن قد تحدث عن حركة الطير في جو السماء وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ الملك: ١٩، لقد رسم مد الصوت بالألف في قوله (صَٰٓفَّٰتٍ) صورة دقيقة لحركة الطير في السماء فدلالة المد هنا هي البسط والطول كما هي حركة الطائر عند بسط جناحيه ومدهما.

ويأتي قوله (وَيَقْبِضْنَ) ليدل على عملية حركة الجناحين، فالطائر بين بسط وقبض. عبر عن الأولى المد، وعن الثانية الفعل المضارع الدال على التجدد.

([1]) انظر: بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، ص٦٩.

([2]) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٨/ ٢٨٧).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد تحدث القرآن كذلك عن الأرض وعن بحارها وأنهارها وجبالها وأوديتها وكنوزها، وكل ما ورد في الكتاب عن الأرض وما عليها جملة وتفصيلاً، إنما هو لتذكير الناس بنعم الله تعالى ليشكروه حق شكره، وليعبدوه حق عبادته.

ومن الأوصاف التي جاءت في حق الأرض ومما يتصل بموضوع الدراسة، قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ الذاريات: ٤٨، فمن الأمور المدركة بالحس والواقع أن الله -عز وجل- قد جعل الأرض مبسوطة سهلة مسخرة لهذا الإنسان، وهذا من أجل نعم الله -عز وجل- على الإنسان.وقد عبر القرآن عن هذا البسط وهذا التمهيد بقوله (فَرَشْنَٰهَا) وإن صوت الشين في هذه المفردة يوحي بمعنى البسط والمد، مع سهولة بالغة كما هي السهولة في خروج النَّفَس مع الشين.

وهذا المعنى موافق لمعنى الطحو والدحو الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾﴾ الشمس: ٦، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ النازعات: ٣٠، كما هو موافق لمعنى المهد الذي جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾ النبأ: ٦، ولذا ختمت الآية السابقة بقوله ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ وفي المهد ليونة ورقة ولطف ونعومة كبيرة، لذا شبهت الأرض به لما كانت كذلك بالنسبة للإنسان.

كما قال تعالى:﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾الحجر: ١٩، نلحظ في تشكيل هذه المفردة (مَدَدْنَٰهَا) أنها تصور لنا هيئة مد الأرض وأنها كانت مرحلة بعد مرحلة، وأن هذا المد كان بسطاً ممهداً. وأخذ هذا المعنى من تكرر الدال وتتابعه في النطق مما يشعر بتتابع مد الأرض شيئاً فشيئاً، وقد أسهمت الحركات (حركة الفتح المتتابعة) هنا كذلك في عملية تصوير هذا البسط وأنه مد جعل الأرض بساطاً لا اعوجاج فيه، فمن الملاحظ بعد هذا أن جميع دلالات المفردات قد تلاقت على أن الأرض ممهدة تمهيداً يتلاءم وطبيعة مهمة الإنسان في الأرض.

ويحدثنا القرآن الكريم كذلك عن تلك الحركة الداخلية التي تعتري الأرض عند ملاقاتها الغيث، فتعروها هزة الفرح والنشوة فتنبت الزرع ومن كل زوج بهيج، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ فصلت: ٣٩، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ الحج: ٥.

إن الذي قام بالدلالة على تلك الحركة الداخلية التي تصيب الأرض هو حرف الزاي المشدد في قوله (ٱهْتَزَّتْ) فهو بصفيره وأزيزه في مخرجه يشعر بتلك الهزة والحركة التي تحدث للأرض عند ملاقاتها الماء.

ويبين الله سبحانه وتعالى لعباده مشهد تفجر مياه العيون والينابيع الدافقة من سطح الأرض بأشكالها وأنواعها المختلفة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَتَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ﴾ البقرة: ٧٤، نلحظ في الآية الكريمة أن هناك شِقَّيْن: شق واسع عبر عنه بالتفجير، وجاء معبراً به عن تدفق مياه الأنهار.

وشق يسير عبر به عن خروج الماء الذي يصدق على القليل منه. فمادة (فجّر) بفائها الدالة على الفتح والسعة والجيم بما تتصف به من جهر، والراء بتكرارها كلها جاءت معبرة عن السعة وقوة تدفق الماء الخارج، وندرك هذا من التشديد الذي على الجيم فهو موح بالقوة، وأما قوله (يَشَّقَّقُ) فيلحظ في تشكيلها الصوتي دلالتها على التكلف فإن صيغة (التفعل) دالة على التكلف، كما يشير الإدغام الواقع في بناء المفردة على خروج الماء شيئاً فشيئاً ولكن بتكلف. وإن في تكرار القاف ثلاث مرات ما يدل على هذا المعنى، وكأنه يخرج على مراحل متتابعة لا بتدفق شديد كما هو الحال في خروج مياه الأنهار. و ما ذكرته من توظيف للدلالة الصوتية للمفردة في مشاهد الكون غيض من فيض، وإلا فإن الحديث عن مواضع توظيف صوت المفردة في مظاهر الكون مما يحتاج إلى دراسة مستقلة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث
صفات المنافقين في القرآن الكريم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث
صفات المنافقين في القرآن الكريم

إن حديث القرآن الكريم عن المنافقين طويل واسع شامل ؛ وذلك لأهمية هذه الفئة، ودورها الذي قامت وتقوم به في صفوف المؤمنين، وقد أشار ابن كثير إلى هذا فقال: " لما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة (يعني سورة البقرة) بأربع آيات، ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين شرع الله- تعالى - يبين حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس، أطنب في ذكرهم بصفات متعددة كل منها نفاق، كما أنزل سورة براءة وسورة المنافقين فيهم، وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفاً لأحوالهم لتجتنب، ويجتنب من تلبس بها"[1].

وقال الفريابي: "وهؤلاء المنافقون هم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، وهم في الدرك الأسفل من النار، فالكفار والجاهرون أخف، وهم فوقهم في دركات النار، لأن الطائفتين اشتركتا بالكفر، ومعاداة الله وسوله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار والجاهرين، ولذلك قال الله تعالى في حقهم: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾ المنافقون: ٤، وفي هذا القول إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً، وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها، فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم والمعاشرين لهم - وهم في الباطن على خلاف دينهم - أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم، لأن الحرف مع أولئك ساعة أو أياماً ثم تنقضي، ويعقبها النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحاً ومساءً، يدلون العدو على عوراتهم، ويتربصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر لهذا قال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾. إلى أن يقول: وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل[2] في النقود، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد ويعرف حاله الناقد، البصير من الناس، -وقليل ما هم- وليس على الأديان أضر من هذا الضرب من الناس، وإنما تفسد الأديان من قِبَلِهم، ولهذا جلاً الله أمرهم في القرآن الكريم وأوضح أوصافهم، وبين أحوالهم وكرر ذكرهم لشدة المؤنة على الأمة، وعظم البلية عليهم بوجودهم بين أظهرهم، وفرط حاجتهم إلى معرفتهم والتحرز من مشابهتهم والإصغاء إليهم"[3].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/ ٧٥-٧٦).

(٢) الزغل: البهرج والرديء، انظر الزبيدي، تاج العروس، (بهج).

(٣) الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن المستفاض، صفة المنافق وذم المنافقين. تحقيق: محمد القاضي، وعيد عبد المجيد، دار الحديث، د.ت، ص١٠٣-١٠٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن تأمل في القرآن العظيم يجد أن الله سبحانه وتعالى قد وصف المنافقين بأوصاف عديدة هاتكاً لأستارهم، وكاشفاً لأسرارهم، ومجلياً لأمورهم، موظفاً الدلالة الصوتية للمفردة في تحقيق هذا المقصد.

ومن هذه الأوصاف التي وظفت فيها الدلالة الصوتية للمفردة في القرآن الكريم ما يأتي:

أولاً: لقد وصف الله – سبحانه وتعالى – المنافقين بصفة التذبذب والتأرجح في المواقف والآراء وذلك تبعاً لمصالحهم، وسعياً وراء مآربهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ النساء: ١٤٢ – ١٤٣.

ترسم هذه الآية الكريمة صوراً رزية شائنة ومنفرة، ومثيرة للاشمئزاز والاحتقار فحياتهم مبنية على الخداع والمراءاة، وما هم في حقيقة أنفسهم إلا كسالى لا يذكرون الله إلا قليلاً، لا يحركهم إلا كلام الناس أو سعياً وراء مصالحهم وشهواتهم.

وقد جاءت في السياق مفردة عبرت تعبيراً تاماً عن موقف المنافقين هي قوله ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فهم ليسوا مستقرين في أحد الصفين، الصف المؤمن، أو الصف الكافر، فهم متحيرون. وموقف الذبذبة والأرجحة والاهتزاز وعدم الاستقرار لا يثير إلا الاحتقار والاشمئزاز في النفوس، كما يوحي بضعف المنافقين هذا الضعف الذي يجعلهم غير قادرين على اتخاذ موقف حاسم أو المقدرة على التصريح برأيهم أو عقيدتهم؛ ولذا فقد استحقوا ألا يعينهم الله سبحانه على الهداية[1].

والذي يبدو أن المنافقين قد اتخذوا من التذبذب سبيلاً ومنهجاً ولعل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ البقرة: ١٤، ما يوضح صورة التذبذب المقصودة في هذه الآية الكريمة.

إن تكرار الحروف في هذه المفردة (ذبْ/ذبْ) يحاكي تماماً هيئة المتذبذب وسلوكه ونفسيته، فالذبذبة حكاية صوت الحركة للشيء المعلّق، ثم استعير لكل اضطراب وحركة.

فهذه المفردة (مُّذَبْذَبِينَ) تعطي صورة لهؤلاء المنافقين في قوة ترددهم، إذ إنهم طلاب منافع، فمتى ظهرت الغلبة لأحد الجانبين ادعوا أنهم منهم[2]، ويصدق على هؤلاء قول النبي –صلى الله عليه

([1]) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٢/ ٧٨٤).

([2]) انظر: لاشين، عبد الفتاح. لغة المنافقين في القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص١٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وسلم- : (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعيره إلى هذه مرة، وإلى هـذه مـرة، ولا تـدري أيهما تتبع) [1].

ثانياً: يصف القرآن المنافقين بالحيرة والاضطراب، فهم دائمـو القلـق مـضطربو النفـوس، فـإذا كانـت المفردة السابقة تعبر عن اضطراب في سلوكهم فـإن المفـردة (يَتَرَدَّدُونَ) الـتي في قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ التوبة: ٤٥، تعبر عن اضطراب وقلـق أصـاب نفوسـهم مما جعلـهم في حـيرة وقلـق دائمين.

وإن معنى التردد هو: المجيء والذهاب والمراد به الـتحير، وإن التعـبير بـصيغة المـضارع يفيـد التجدد والاستمرار أي: أنهم في حيرة متجددة واضطراب متكرر.

وقد جاء التشكيل الصوتي للمفردة محاكيـاً حالـة الحـيرة والاضـطراب الـتي تعـتري نفـوس المنافقين فاشتمال المفردة على الراء الدالة على التكـرار والـدال المكـررة ثـلاث مـرات تـصور الحالـة النفسية لهؤلاء المنافقين في إقدامهم وإحجامهم عند سماعهم داعـي الجهـاد، فيـضطربون ويعيـشون في صراع دائم. إن هذه المفردة بأصواتها وتشكيلها ترسم مشهداً بديعاً لتلك الحالة التي تصيب المنافقين.

ثم يبين الله- سبحانه وتعالى - أنه لو صحت نيتهم للخروج لاستعدوا له، وأخذوا له الأهبـة من زاد وسلاح وراحلة، ولكن كره خروجهم مع المؤمنين لمـا فيـه مـن ضـررهم، ومـن ثـم لم يعـدوا للخروج عدته، لأنه لم يريدوه، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ التوبة: ٤٦.

إن المفردة (فَثَبَّطَهُمْ) ببائها المـشددة وطائهـا المـستعلية تـصور شدة المنع والحبس لهـم عـن الانبعاث، وكأنهم ملتصقون بالأرض التصاقاً شديداً كالتصاق الشفتين عند نطق الباء المشددة، فهـم لا يستطيعون حراكاً ولا اندفاعاً، وما هذا إلا نتيجة لكره الله لانبعاثهم.

قال البقاعي: " أي حبسهم حبساً عظيماً بمـا حبـب إلـيهم مـن الـشهوات، وكـره إلـيهم مـن ارتكاب المشقات بسبب أنهم لا يرجون ثواباً، ولا يخشون غير السيف عقاباً"[2].

إن هذه المفردة لم ترد في القرآن إلا في هذا الموضـع، وقـد اختيرت علـى أخواتهـا لمـا تؤديـه أصواتها من الدلالة على المنع الشديد مما لا تلحظه فيما لو قال: منعهم أو حبسهم.

---

(1) واخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم (٢٧٨٤)،أخرجه النسائي في سننه، كتاب الإيمان وشرائعه، باب: علامة المنافق، حديث رقم (٥٠٣٧) . .

(2) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٣/ ٣٢٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثاً:- وصف الله - سبحانه وتعالى - المنافقين بوصف ذميم وهو تبطئتهم للمؤمنين عن الذهاب للجهاد. فهم لم يكتفوا بمنع أنفسهم عن الجهاد واعتذارهم عنه بالأعذار الواهية والحجج الباطلة، بل تجاوزا ذلك إلى أن يصدوا غيرهم عن هذا الفعل.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ النساء: ٧٢.

قال الطبري: " وهذا نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين، نعتهم لنبيه -صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، ووصفهم بصفتهم فقال: (وَإِنَّ مِنكُمْ) أيها المؤمنون، يعني من عدادكم وقومكم، ومن يتشبه بكم، ويظهر أنه من أهل دعوتكم وملتكم، وهو منافق يبطِّئ من أطاعه منكم عن جهاد عدوكم، وقتالهم إذا أنتم نفرتم إليهم، (فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ) يقول: إنْ أصابتكم هزيمة أو نالكم قتل أو جراح من عدوكم (قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا) فيصيبني جراح أو ألم أو قتل، وسره تخلفه عنكم شماتة بكم؛ لأنه من أهل الشك في وعد الله الذي وعد المؤمنين على ما نالهم في سبيله من الأجر والثواب وفي وعيده، فهو غير راج ثواباً، ولا خائف عقاباً"[1].

إن من بدائع التصوير الفني في هذه الآية الكريمة، أن تقوم مفردة واحدة فيها وهي (لَّيُبَطِّئَنَّ) برسم الحالة الكاملة للمنافقين وموقفهم، فهذه المفردة "مختارة هنا بكل ما فيها من ثقل وتعثر، وإن اللسان ليتعثر في حروفها وجرسها حتى يأتي على آخرها، وهو يشدها شداً، وإنها لتصور الحركة النفسية المصاحبة لها تصويراً كاملاً، بهذا التعثر والتثاقل في جرسها.

وكذلك يشي تركيب الجملة كلها (وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ) بأن هؤلاء المبطئين وهم معدودون من المسلمين (مِنكُمْ) يزاولون عملية التبطئة كاملة، ويصرون عليها إصراراً، ويجتهدون فيها اجتهاداً.وذلك بأسلوب التوكيد بشتى المؤكدات في الجملة، مما يوحي بشدة إصرار هذه المجموعة على التبطئة، وشدة أثرها في الصف المسلم؛ وشدة ما يلقاه منها"[2].

رابعاً: يبين الله - سبحانه وتعالى - ما يعتري نفوس المنافقين من الذعر والقلق وعدم الاستقرار جراء مواقفهم من المسلمين، فهم يتوجسون خيفة من إلحاق المسلمين الأذى بهم جرّاء أفعالهم.

قال تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠) ﴾ التوبة: ١١٠.

---

[1] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٨/ ٥٣٨).

[2] قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٢/ ٧٠٥).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والمعنى في هذه الآية الكريمة أنه لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوا سبباً للاضطراب والقلق والوجل في القلوب، إلا أن يموتوا وتفرق أجزاؤهم، أو يندموا ندامة تتفتت من أجلها الأجسام.

إن المفردة القرآنية (تَقَطَّعَ) تشعر بمدى المعاناة النفسية التي يحياها المنافقون. فإن التشديد الذي على (الطاء) والزمن الذي يستغرقه نطقه يوحي بحالة التمزق والتفرق، كما يوحي العين الذي في نهاية المفردة. بالألم والوجع والحسرة والندامة، كما يدل التضعيف الذي على الطاء بالكثرة، أي: كثرة تحسر المنافقين وريبتهم وقلقهم واضطرابهم وعدم استقرارهم، وذلك خوفاً من لحاق أذى بهم من المسلمين. إن جرس هذه المفردة جاء محققاً للغاية التي وظف من أجلها وهي الكشف عن ما يدور في خلجات نفوس المنافقين.

خامساً: ومن الصفات الذميمة في المنافقين والتي كشف عنها القرآن، ميل المنافقين إلى عدم المواجهة والظهور، بل إن حياتهم مبنية على الاستخفاء والهرب والتسلل والطعن في الظهر، وهذا إن دل على شيء فيدل على اضطراب نفوسهم، وضعف مواقفهم.

ومن الآيات التي كشفت عن هذه الصفة موظفة الدلالة الصوتية للمفردات قوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ النساء: ١٠٨.

يقول سيد قطب: "وهي صورة زرية داعية إلى الاحتقار والسخرية زرية بما فيها من ضعف والتواء، وهم يبيتون ما يبيتون من الكيد والمؤامرة والخيانة، ويستخفون بها عن الناس، والناس لا يملكون لهم نفعاً ولا ضراً، بينما الذي يملك النفع والضر معهم وهم يبيتون ما يبيتون، مطلع عليهم وهم يخفون نياتهم ويستخفون، وهم يزوّرون من القول ما لا يرضاه، فأي موقف يدعو إلى الزراية والاستهزاء أكثر من هذا الموقف"[1].

إن المفردة يستخفون بهيئتها وتشكيلها الصوتي ترسم صورة الخفاء والهرب من المواجهة، فالسين والتاء بما فيها من معنى الطلب تدلان على سعي المنافقين وحرصهم على الاختفاء والهرب، وفي هذا من الدلالة على جبن نفوسهم ووضاعة أخلاقهم ما فيه.

"وعند النظر للتشكيل الصوتي لهذه الكلمة أجد للسين إيقاع جرس واضح، من حيث هي صوت صفيري مهموس، وله صفة الاستمرار، وقد جاءت السين ساكنة مما أدى إلى إشباعها بكل خصائصها النطقية، والصفير يعطي صفة الهمس وعدم الوضوح، وذلك يتلاءم مع التخفي الذي يسعون إليه في حياتهم.

فكان انتقاء هذه الكلمة بهذا الإيقاع، لبيان حقيقة نفسية كامنة في نفوس المنافقين، وهي سعيهم للتخفي عن الناس، عند القيام بأفعال فاسدة، أو تدبيرهم المكائد للنيل من المؤمنين، ويأتي نفي

---

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٢/ ٧٥٤).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا الحال الواجب السعي له في الخفاء مراقبة وخشية من الله تعالى،﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾، فهم قوم ينتهكون الحرمات في خلواتهم، مما يزيد قبح صورتهم، والنفور منهم.

وجرس الكلمة يأتي متناسقاً مع سياقها، الذي يتحدث عن تدبير المنافقين مكيدة في الخفاء ضد بريء، وتأتي فاصلة الآية الكريمة لتعطي النفوس جرعة من الرهبة والخوف من الله تعالى، الذي يحيط علماً بكل شيء، ومنه ما يفعله المنافقون حال خفائهم، وتسترهم مع سعيهم وطلبهم لذلك. لقد جاء الإيقاع الصوتي للكلمة يزيد في توضيح ما يبينه المعنى اللغوي للكلمة، ويتناسب مع السياق الكريم "[1].

ومن المفردات كذلك التي جاءت تبين حال المنافقين في ميلهم إلى عدم المواجهة والمصارحة، وأن حياتهم مبنية على التستر والخفاء ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣، " قد هنا للتحقيق، ويتسللون من التسلل، وهو الخروج في خفاء مع تمهل وتلصص. وقوله: (لِوَاذًا) مصدر في موضع الحال أي: ملاوذين، والملاوذة: معناها الاستتار بشيء مخافة من يراك، أو هي الروغان من شيء إلى شيء على سبيل الخفاء.

أي: إن الله تعالى عليم بحال هؤلاء المنافقين الذين يخرجون من مجلس الرسول ﷺ في خفاء واستتار بحيث يخرجون من الجماعة قليلاً قليلاً، يستتر بعضهم ببعض حتى يخرجوا جميعاً.

قالوا: وكان المنافقون تارة يخرجون إذا ارتقى الرسول –صلى الله عليه وسلم– المنبر. ينظرون يميناً وشمالاً، ثم يخرجون واحداً واحداً. وتارة يخرجون من مجلس الرسول –صلى الله عليه وسلم– وتارة يفرون من الجهاد يعتذرون بالمعاذير الباطلة.

وعلى أية حال فالآية الكريمة تصور خبث نفوسهم، والتواء طباعهم، وجبن قلوبهم، أبلغ تصوير، حيث ترسم أحوالهم، وهم يخرجون في خفاء متسللين، حتى لا يراهم المسلمون"[2].

إن المتأمل في قوله (يَتَسَلَّلُونَ) و(لِوَاذًا) يستشعر من جرسهما معنى الخفاء والتستر، وإن هذا يدرك من طبيعة الحروف التي تشكلت منها كلتا المفردتين. فإن التاء والسين واللام المكررة والواو والنون كلها حروف مستفلة رقيقة توحي بمعنى ذاك الخروج الذي لا يحدث صوتاً.

وإن الهمس الذي في التاء والسين يوحي بمعنى الخفاء والتستر أثناء عملية الخروج، كما أن اللام وهي صوت منحرف في مخرجه توحي بعملية التواء أجسام المنافقين عندما يحاولون الخروج خلسة من مجلس رسول الله ﷺ.

---

(1) صالح، أمل إسماعيل، دلالات التعبير القرآني ودروها في التحليل النفسي لشخصية المنافق، رسالة دكتوراة في التفسير(غير منشورة)، إشراف: أ.د. فضل حسن عباس. جامعة اليرموك، ٢٠٠٧م، ص١٣٠.

(2) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، (١٠/ ١٦١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتأتي (لِوَاذًا) - وهي مصدر مؤكد لمعنى يتسللون - لتوحي كذلك بحركة المنافقين الخفيفة عند مغادرتهم مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم- فاللام والواو والألف والذال كلها حروف مستقلة رقيقة كذلك موحية بخفة الحركة وسرعتها.

وإن (الذال) بما فيه من ذلاقة أي: سهولة في النطق يصور سهولة خروجهم والتوائهم ومغادرتهم. ومن هنا ندرك سر اختيار هاتين المفردتين في هذه الآية الكريمة للتعبير عن هذا السلوك المشين الصادر من المنافقين.

سادساً:- الاستكبار والترفع عن الحق هي أبرز صفات المنافقين، وهي كذلك السبب الرئيس لعدم استجابتهم لنداء الحق، وخضوعهم لسلطانه، فالترفع والاستكبار صفتان متلازمتان في النفس المنافقة، فهم يستكبرون ويصدون ويلوون رؤوسهم ما داموا في أمان من المواجهة، حتى إذا ووجهوا كان الجبن والتخاذل ديدنهم.

وقد أبرز القرآن الكريم هذه الصفة بمفردة قرآنية جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ المنافقون: ٥،

إن قوله (لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ) كناية عن التكبر والإعراض، حيث إنهم حركوا رؤوسهم استهزاء. والتشديد الذي في المفردة للكثرة ولبيان أنهم كرروا هز رؤوسهم وتحريكها؛ لأن تضعيف العين في الفعل يدل على تضعيف الفعل. أو المراد تكثير محالٍّ الهز وهي الرؤوس[1]، وإن هيئة نطق هذه المفردة يرسم صورة الاستهزاء الصادرة من هؤلاء المنافقين.

سابعاً: وإن من أسوءِ أفعال المنافقين التي وصفوا بها في القرآن الكريم الإرجاف وإشاعة الأخبار الكاذبة، وقد جاءت كلمة الإرجاف بما تمتاز به من جرس صوتي يدعم دلالتها اللغوية في قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ الأحزاب: ٦٠، فقد اجتمع في هذه المفردة (وَالْمُرْجِفُونَ) حرف الراء بما يمتاز به من التكرار والاستمرار. وحرف الجيم بما فيه من جهر وقلقلة والفاء بما فيه همس وخفاء. وجاءت هذه الأصوات بما تتمتع به من صفات مناسبة لحالة الإشاعة ونشر الأخبار. فالإشاعة تحتاج إلى تكرار التحدث بها لنشرها، مما يثير القلاقل والبلابل، كما أن الإشاعة قد تكون متنوعة الأساليب فقد يجهر به في مواضع، ويُسِرُّ بها في مواضع أخرى تبعاً للموقف، وهذا يتناسب مع حال المنافقين وأهدافهم التي يقصدونها، في تفريق الصف المسلم، وإشاعة الفتنة والفاحشة في مجتمع المسلمين[2].

([1]) انظر: لاشين، عبد الفتاح، لغة المنافقين في القرآن، (٢/ ٢٣٤).

([2]) انظر: صالح، أمل إسماعيل، دلالات التعبير القرآني ودورها في التحليل النفسي لشخصية المنافق، ص١٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إن المنافقين لما أغلقوا قلوبهم وبصائرهم عن رؤية الحق، وأتباع الرشد واتبعوا أهواءهم وشهواتهم لما فعلوا ذلك استحقوا أن يقول الله فيهم: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ التوبة: ١٢٤ - ١٢٥.

بل إن الذي يتصف بكل تلك القبائح المذكورة آنفاً وغيرها مما لم يذكر يستحق أن يوصف بأنه رجس. قال الله تعالى في حديثه عن المنافقين: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ التوبة: ٩٥.

إن قوله: (إِنَّهُمْ رِجْسٌ) بجرسها الصوتي الشديد توحي بالتقزز والاشمئزاز والاحتقار والازدراء، يقول سيد قطب تعقيباً على هذا المقطع من الآية "﴿ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ وهو التجسيم الحسي للدنس المعنوي فهم ليسوا رجساً -أي دنساً- بأجسادهم، وذواتهم، إنما هم رجس بأرواحهم وأعمالهم. ولكنها الصورة المجسمة أشد بشاعة وأبين قذارة، وأدعى إلى التقزز والاشمئزاز، وإلى الاحتقار كذلك والازدراء"(١).

إن وصفهم بأنهم رجس مشعر بأنهم كالجثة المنتنة في وسط الأحياء تؤذي وتعدي وتنفّر.

وفي الختام يمكن القول: إن تصوير القرآن للمنافقين فيه حركة وحياة، ينقل أعمالهم ويسجل كلامهم، ويصف ما يختلج في أعماق نفوسهم، وكأنك تراهم رأي العين.

وقد وظف القرآن الكريم جرس المفردة توظيفاً بليغاً في الكشف عن صفات المنافقين الظاهرة والباطنة، وفي هذا سر من الأسرار المعجزة لهذا الكتاب الخالد.

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٣/ ١٦٩٦).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فبعد هذا التطواف مع موضوع الدراسة (الإعجاز في تناسق الصوت والمعنى في المفردة القرآنية) أرجو أن أكون وفقت في عرض الفكرة التي جاءت الدراسة لمعالجتها.

واستطيع القول بأن الدراسة خلصت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- امتازت المفردة القرآنية بجمال الشكل والمضمون،فجمعت بين عذوبة الصوت وقوة التأثير.
- الإعجاز الصوتي في القرآن وجه عظيم من وجوه إعجازه التي ينبغي أن تدرس بعناية.
- يبنى الإعجاز في تناسق الصوت والمعنى على قاعدة الاختيار، ودقة الوضع.
- الإعجاز القرآني تحد لكل عصر، وإن تقدم العلوم والفنون والدراسات والأبحاث يعد مفتاحا للكشف عن أسرار هذا الكتاب المعجز.
- أولى العلماء قديما وحديثا المفردة القرآنية اهتماما كبيرا في جميع جوانبها، كل حسب وجهته.
- ليس في القرآن حرف نافر عن موضعه، ولا مفردة جافية عن سياقها، بل كل قد وضع موضعه الأليق به الذي لا يصلح غيره مكانه.
- لا تلازم بين الثقل في نطق المفردة وبين فصاحتها؛ فالمفردة (اثاقلتم) أو (ليبطئن) ثقيلة في النطق، وهي مع ذلك في قمة الفصاحة والبلاغة؛إذ هذا الثقل مقصود ليتناسب مع الموقف الذي تعالجه المفردة في سياقها.
- يسهم تنوع صفات الحروف والحركات والمدود والغنن في تحقيق الجمال السمعي للمفردة القرآنية.
- الأداء القرآني المتقن الذي يراعي تطبيق أحكام التجويد ، والوقف والتنغيم والتنوعات الصوتية يسهم في تجلية الدلالات المقصودة للنصوص القرآنية.
- إلى جانب ما للوقف من أثر في تنوع المعاني القرآنية، فإن له أثرا آخر يتمثل في تحقيق الانسجام والاتساق في المواضع التي يوقف عليها، سواء أكانت فاصلة أم في وسط الآية.
- يختلف إيقاع الفاصلة القرآنية قوة وهدوءا تبعا لطبيعة الموضوع والفكرة التي يعرضها النص القرآني.
- إن المد الصوتي لبعض أحرف المفردات مدا زائدا على المد الطبيعي يدل على الزيادة في المعنى؛ وذلك أن المد ظاهرة من ظواهر الزيادة لأحرف المفردة، ومن المقرر أن كل زيادة في المبنى تستدعي زيادة في المعنى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- اختلاف درجات الصوت علوا وانخفاضا (التنغيم) يسهم في إيضاح دلالة النص القرآني، بالإضافة إلى دوره الكبير في رفع السآمة والملل عن المستمع. .
- إن العلاقة بين تناسق أصوات الحروف مع دلالاتها ظاهرة بارزة في اللغة العربية لا يسع أحد إنكارها.
- تناسق الصوت مع المعنى خاصية جلية في المفردة القرآنية، وإن كان ظهورها في بعض المفردات أجلى من بعض.
- وظف القرآن أصوات المفردات في شرح مقاصده، وتبليغ أوامره ، وبرز ذلك أكثر في الآيات المكية ؛ ومرد ذلك إلى طبيعة الموضوعات التي عالجتها.
- إن اختلاف التشكيل الصوتي للمفردة القرآنية يتبعه بالضرورة اختلاف في الدلالة. ومن مظاهر ذلك أن كل زيادة في قوة الصوت تستلزم قوة في الدلالة، وارتقاء في المعنى.
- يسهم التباين الصوتي بين المفردات في نفي فكرة الترادف؛ ذلك أن لكل صوت في المفردة دلالة.
- يسهم علم الأصوات الحديث إسهاما كبيرا في فهم دلالات المفردة القرآنية.
- التركيز على الجانب التطبيقي في البحوث والدراسات القرآنية يسهم في الوصول إلى نتائج عظيمة تخدم القرآن من جهة، والعلوم الإنسانية من جهة أخرى.
- أدرك المفسرون الجمالية الإيقاعية للنص القرآني، وإن لم يبرزوها استقلالا في تفاسيرهم، أو يفردوها بتصنيف مستقل.
- يعدُ ابن جني رائد علم الأصوات؛ وذلك لجهوده الكبيرة في الكشف عن هذا الجانب، وإبرازه له في عدد من مؤلفاته.
- يعدُ كل من الرافعي ودراز وسيد قطب ومحمد المبارك وصبحي الصالح وإبراهيم أنيس، من أكثر المعاصرين اهتماما بهذا الموضوع.

التوصيات:

توصي الدراسة:

- بتشكيل لجنة علمية متخصصة تجمع متخصصين في التفسير ، وفي علم الأصوات وفقه اللغة لمحاولة وضع تفسير يعنى بإبراز الجانب الصوتي في القرآن (تفسير صوتي للقرآن الكريم).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفهارس

فهرس الآيات
فهرس الأحاديث والآثار
فهرس المصادر والمراجع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس الآيات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس الآيات

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ	٣-٤	٩٨
أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	٥	٦٥
وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ (١٤)	١٤	٢٩١
الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَٰشًا وَالسَّمَآءَ بِنَآءً	٢٢	٧١
وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ	٤٩	٦٨
فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ	٥٩	١٢٦
وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ	٧٤	٢٨٨
وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم	٧٦	٧٧
وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ	٩٦	٢٤٧
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا	١١٦	١٠٨
وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَٰكِفِينَ	١٢٥	٧١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٣١)	١٣١	٩٣
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ	١٣٤	٩٦
فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣٧)	١٣٧	٢٩
وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (١٦٣)	١٦٣	٧٦
وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)	١٦٤	١٥٩
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ (١٧٥)	١٧٥	١٠٧
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ	١٧٧	٢٠٣
وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ	٢٠٣	٩٦
أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟	٢١٤	٢٤٤
لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ	٢٢٥	٩٦
﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾	٢٣٦	٢٦٣
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ	٢٤٣	٣٤
ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ	٢٤٦	٥٧
أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا	٢٥٩	١٠٧
قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)	٢٦٣	٧٧

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ	٢٦٧	٧٤، ٨٢
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَٰنُ مِنَ الْمَسِّ	٢٧٥	٢٥٥
يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ	٢٨٢	٨٧
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا	٢٨٦	١١٥
سورة آل عمران		
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ	١٨	٧١
وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ ... وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ	٢٧	٩٦
قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)	٣١	٢٥١
إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥)	٣٥	١٤٨
ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ	٤٤	٦٩
فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ	٦١	٦٨
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ	٧٨	٢٦٥
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا	١٠٣	٨٢
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ	١١٧	٢٣٢، ٢٨٥
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ	١٢٠	٢٥٥

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾	١٣٣	٢٧٧
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا	١٣٩	٢٢٥
إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ	١٤٠	٢٥٦،٢٦٢
وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ	١٤٤	٢٦٢
فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ	١٤٦	٢٢٥
وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ	١٥٩	١٦٩، ١٣٢، ٢٢٠
لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ	١٨١	٣٦
كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ	١٨٥	٢٤٧
سورة النساء		
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ	١	١٦٠
وَءَاتُوا ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا	٤	٧٣
وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا	٢١	١٣٢
وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ	٧٢	١٨، ١٨٥، ١٩٣
يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا	٨٥	٩٦
وَلَا تَهِنُوا فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ	١٠٤	٢٢٥
يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ	١٠٨	١٩٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ	١٤٢	٢٩١
مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ	١٤٣	٢٩١،٢١٣
سورة المائدة		
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ	٣	١٤٧
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ	٤	١٢
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ	٦٤	١٠٨
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ	٧٣	١٠٨
لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا	٨٢-٨٣	٤١
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ	٩٠	١٢٦
سورة الأنعام		
قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ	٥٦	٢٦
هَذَا رَبِّي	٧٦	١٠٨
وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ	٨٠	٧٩
وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ	٩٤	١٨
ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ	١٤٣-١٤٤	٨١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ	١٦٤	٢٦٤

سورة الأعراف

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ	٣٨	١٧٦
لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ	٤١	١٧٨
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	٥٩	٥٥
قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	٦٠	٥٦
قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ	٦١	٥٦
أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ	٦٣	٥٧
أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ	٦٩	٥٩
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ	٧١	١٢٦
وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ	٩٥	٢٥٥
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ	١٣٣	٣٣
لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ	١٣٤	١٢٦
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ	١٣٥	١٢٦
فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ	١٤٣	١٦٨
وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ	١٤٨	١٣٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ	١٥٠	١٨٤
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ	١٦٢	١٢٦
وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ	١٧٥	١٩
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ	١٧٩	٦٦
هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا	١٨٩	١٧٨
سورة الأنفال		
إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ	١١	١٧٨
ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ	١٨	٢٢٥
سورة التوبة		
فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ	٢	٢٠١
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ	٦	٤٢
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ	٣٠	١٠٨
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ	٣٨	١٨، ١٧٤
إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ	٤٥	٢٥٣، ٢٩٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥)		
وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً	٤٦	١٦٦، ٢٩٢
جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ	٧٣	١٣٢
سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ	٩٥	٢٩٧
أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ	١٠٩	٢٧
لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ	١١٠	٢٩٣
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً	١٢٣	١٣٢
وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا	١٢٤-١٢٥	٢٩٧
وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ	١٢٥	١٢٧
سورة يونس		
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا	١٢	٨٣
ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)	١٤	٦٧
أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى	٣٥	١٩٧
إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٣)	٥٣	٧٦
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ	٥٠-٥١	٨١
وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ ...	٧١-٧٢	٦٢
وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا	٩٠	٨١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾	٩١	٨١،٢٦٠،٢٦١
فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً	٩٢	٢٦٠، ٢٦١
وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾	١٠٠	١٢٦
وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾	١٠٧	٨٢

سورة هود

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا	٦	٨٠
وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ	١٠	٢٥٥
مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ	٢٧	٥٩
قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ	٢٨	١٨٩
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ	٤٣	٧٦
قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ	٤٨	٢٨
وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا	٥٢	٧٧
إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ ...	٥٤-٥٥	٦٢
وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾	٥٨	١٣٢
قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ	٧٢	١٣٢
قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ	٨٧	١٠٦

© Arabic Digital Library-Yermouk University

وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩)	٨٩	٥٨
وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ	٩١	١٨٠
سورة يوسف		
وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ	٢٣	١٦٧
يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ	٢٩	١٠٤
قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ	٥١	٢٥٠
قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ (٧٤)	٧٤-٧٥	١٠٢
وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ	٨٤	١٠٤
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ	٨٥	٢٦٤
قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ	٨٦	١٦٠
قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ (٨٩)	٨٩	١٠٥
أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ	١٠٧	١٧٨
سورة الرعد		
سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ	١٠	٢١٣، ٢١٤
لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا	١١-١٣	٨٧
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ	٣١	٤٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة إبراهيم		
وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ	١٥-١٧	٢٨٠
يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ	١٧	١٩٤
أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ	٢٤-٢٥	٧٥
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ	٢٦	١٧١
وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ	٣٠-٣٢	٨٨
سورة الحجر		
وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ (١٧)	١٧	١٨١
وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ	١٩	٢٨٧
سورة النحل		
أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ	١	٧٠
وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (١٤)	١٤	١٤٤، ٢٨٦
أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ (٤٨)	٤٨	٢١٥
ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ	٦٩	٢٣٤
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ	٧٦	١٣٦، ١٣٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨)	٩٨	١٨١
سورة الإسراء		
كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا	٢٠	٦٩
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)	٢٣	٢٢٣
وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ	٦٤	٢٠٤
رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ	٦٦	١٩١،٢٨٥
وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا	٧٦	٢٠٤
فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣)	١٠٣	٢٠٤
وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦)	١٠٦	٤٢
قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)	١٠٧	٨٣
سورة الكهف		
وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)	٨	١٢٥
وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ	١٦	١٨٢
إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ	٢٠	١٨٠
رَجْمًا بِالْغَيْبِ	٢٢	١٨٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا	٣٢	٢٥٦
فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾	٦١	٢١٤
فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ	٨٨	٦٩
فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾	٩٧	١٣١
قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ	١٠٩	٢٣٥
سورة مريم		
ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾	٢	٩٥
قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى	٤	٢٢٥
قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا	٤-٦	٣٧
وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾	١٦	٩٥
قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ	٢٠	٢٥٥
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ	٢٥	١٣٥، ١٧٠
ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾	٣٤	٩٥
وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾	٤١	٦١، ٩٥
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ...	٤٢-٤٥	٦١
قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ	٤٦	١٨٠، ١٨١
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾	٥٨	٤١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ	٦٥	٢٠٢
قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا	٧٥	٩٥
كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾	٧٩	٢٧
وَيَأۡتِينَا فَرۡدًا	٨٠	١٠
كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾	٨٢	٢٧
أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا	٨٣	١١٣، ١٣٥
وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدًّا	٨٨	٩٥
لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾	٨٩	٢٧
وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾	٩٠	٢٧
لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدًّا ﴿٩٤﴾	٩٤	٢٧
وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا	٩٥	١٠
سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾	٩٦	٢٧
وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾	٩٧	٢٧
سورة طه		
طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ	١-٧	٦٣
قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي	١٨	١٨٧
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ	١٥	٢١٤
قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾	٢٥	١٣٨

©Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ	٦٠	٧٠
فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾	٨٨	١٣٨
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا	١٠٥-١٠٧	٢٧٢
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ	١٢٠	٢٤٥
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى	١٢٩	١٨٩
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا	١٣٢	٢٠٢
سورة الأنبياء		
لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ	٢٢	٥٥
وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ	٤٦	٢٥٥
أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾	٦٧	٢٢٣
وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ	٧٨	١٥٨
وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ	٨٣	٢٥٥
رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا	٨٩	١٠
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ	١٠٢	٢٣٠
يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ	١٠٤	٢٧٤
سورة الحج		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ	١	٢٤٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ	٥	١٧٠، ٢٨٧
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ	١٧	١٨١
هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ	١٩-٢١	٣٦
وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ (٢٤)	٢٤	٧٤
وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا	٢٦	٧٢
فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ	٣٠	١٢٧
وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ	٣١	١٦١
وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ	٣٥	٢٠٣
مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ	٧٤	٨٣
سورة المؤمنون		
وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ (٢٠)	٢٠	٦٧
سورة النور		
وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ	٤-٥	١٨١
وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ	٣٥	٢٥٤
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا	٤٣	١٩١، ٢٨٥
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى	٥٥	٢٩
قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ	٦٣	٢٩٥

© Arabic Digital Library Yarmouk University

سورة الفرقان		
إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾	١٢	٢٧٩
وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾	٢٣	١٤
وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ...	٢٧-٢٨	١٤٨
أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا	٤٥	١٠٦
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا	٤٧	٢٨٤
وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾	٦٩	٨٣، ٨٤
فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾	٧٧	١٨٩
سورة الشعراء		
وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ	٢٢	١٠٣
فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾	٤١	٧٠
فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾	٩٤	١٧٧،٢٤٢، ٢٤٦
قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾	١١٦	١٨٠
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾	١٣٠	٢٧
سورة النمل		
فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ	١٠	١٧٠
قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ	٣٦	٧٤
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ	٥٩-٦٤	٩٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ	٩٠	٢٤٢
سورة القصص		
إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾	٧	٧٨
فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ	١٣	٧٨
فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ	١٨	١٩٣
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾	٢١	١٩٣
وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا	٧٧	٩٧
سورة العنكبوت		
إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟	٣٤	١٢٦
مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ	٤١	٢٢٥،٢٢٦
سورة الروم		
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟	٢١	٧٥
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا	٢١-٢٦	٩٨
وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم	٣٣	٢٥٥
فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ	٥٠	٧٥
سورة لقمان		
حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ	١٤	٢٢٥
وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا	١٥	٧٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ	١٧-١٩	٩٦
سورة السجدة		
إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا	١٥	١٦١
أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴿٢٧﴾	٢٧	١٢٥
سورة الأحزاب		
مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي	٤	١٤٨
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠	١٠	٩٠
□□	١١	٢٤٤
أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ	١٩	١٧٧
إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ	٣٣	١٢٧
لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ	٦٠	٢٩٦
وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠	٦٦	٩٠
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠	٦٧	٩٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة سبأ		
وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ	٥	١٢٦
وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ	١٠	٢٥٢،١٩٩
فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦)	١٦	١٤١
ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧)	١٧	١٤٢
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا	٢٨	٨٠
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣)	٤٣	٤٢
سورة فاطر		
أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨)	٨	٩٨
وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)	١٢	١٤٤،٥٨
إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)	١٤-١٥	٨٨، ٩٧
وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ	٣٧	٧٦، ١٩٥
اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ	٤٣	٩٧
سورة يس		
لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦)	٦	١٠٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ	١٤	٢٨
لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ	١٨	١٨٠
وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ	٢٠	٧٠
أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ	٦٠	٢٦
سورة الصافات		
لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ	٨-١١	٨٧
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾	٦٢	١٤٥
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾	١٠٣	٢٦٥
سورة ص		
فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾	٣٦	١٢٤،٢٨٥
هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾	٥٧-٥٨	٢١٨، ٢٨٠
سورة الزمر		
لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ	١٦	٢٣٥
أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ	٢٢	١٨٣
اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ	٢٣	٤١، ٤٦، ١٩٨
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا	٢٩	٢١٦
وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ	٤٥	١٧٢
فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا	٤٩	٢٥٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ	٥٦	٤٦
وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ	٦٨-٧٤	٣٥
وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ	٧٥	٢٥٦
سورة غافر		
وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ	١٨	٢٠٨
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ	٧٠-٧٤	٢٨٠، ٢٣٧
سورة فصلت		
فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ	١٦	٢٣٢
لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾	٢٦	٤٢
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ	٣٩	١٧٠، ٢٨٧
ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾	٤٠	١٠٦
وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ	٤٦	٤٣
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾	٥٠	١٣٢
سورة الشورى		
مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ	٢٠	٩٦
وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ	٤٠	٦٩

© Arabic Digital Library Yarmouk University

سورة الدخان		
إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾	٤٣	١٤٥
سورة الأحقاف		
وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى	١٧	٢٢٣
سورة الفتح		
وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ	٢٦	١٨٩
سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ	٢٩	١٣٢
سورة ق		
بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ	٥	٩٤
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ	١٦	٢٤٥
وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾	١٩	٦٠
أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾	٣٢	١٩٩
سورة الذاريات		
وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	٢٠-٢١	٢٨٣
فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾	٢٩	١٦٢
وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾	٤٨	٢٨٧
سورة الطور		
يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾	٩	٢٧٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا	١٣	١٩، ١٣٣
سورة النجم		
أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ	٢١-٢٢	٩٢، ١٥١
فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾	٥٤	١٧٨
أَزِفَتِ ٱلْأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾	٥٧-٥٨	٢٠٨
سورة القمر		
خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ	٧	٢٧٥
فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾	١١-١٤	٨٧
إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾	١٩	٢٣٢، ٢٨٥
وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ	٣٦	٣٠
كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾	٤٢	١١٦
يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ	٤٨	١٨٨
سورة الرحمن		
يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ	٣٥	١٤
فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾	٤١	١٨٢
فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾	٦٦	١١١٣، ٢١٧، ٢٧٧
مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾	٧٦	٢٧٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة الواقعة		
إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾	١	٢٧٠
لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾	٢	٢٠٩
فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾	٦	١٦٠
إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ	١-٦	٢٧١
ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ	٥١-٥٦	٢٧٩
لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾	٥٢	١٤٥
فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾	٥٤	١٤٦
سورة الحشر		
هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ	٢	٦٠
لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ	٢١	٤٢، ٤٦
وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾	٤	٧٩
سورة الصف		
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾	١٠	١٠٥
سورة الجمعة		
وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا	١١	١٦٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة المنافقون		
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾	٥	٢٥٢، ٢٩٦
سورة التحريم		
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ	١	١٠٢
عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ	٦	٦٤، ١٣٣
سورة الملك		
وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ	٥	١٨٠
إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾	٧	١٣٠، ٢٧٩
تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾	٨	١٧٠
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ	١٩	٨٠، ٢٨٦
أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾	٢٢	٢٤٢
سورة القلم		
هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾	١١	٥٧، ٧٢
عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾	١٣	٢١٩
سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ	١٦	١٨٣
وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ	٥١	١٩٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة الحاقة

ٱلۡحَآقَّةُ (١) مَا ٱلۡحَآقَّةُ (٢) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ (٣)	١-٣	٢١٣، ٢٧٠
كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ (٤)	٤	٢١٠
وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ (٦)	٦	٢٣٢، ٢٨٥
إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ	١١	١٢٨
فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ (١٣)	١٣-١٥	٢٧٢
فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ (١٥)	١٥	٢٠٨
وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ (١٦)	١٦	٢٧٤
وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ (١٧)	١٧	٦٦
فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ	١٩-٣٢	٩٤، ١٠٨، ٢٧٦
ٱلۡجَحِيمَ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ (٢٥) وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ (٢٦)	٢٥-٢٦	١٠٨
وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ (٢٥) وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ (٢٦) يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ (٢٧)	٢٥-٢٩	٩١، ٩٣
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ (٣٢)	٣٠-٣٢	٨٤
ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ (٣٢)	٣٢	٢٣٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾	٣٥-٣٦	٢٨٠
وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾	٣٦	١٤٧
سورة المعارج		
يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾	٨	٢٧٣
يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ	١١-١٤	٩١
كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾	١٥	٢٧٩
نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾	١٦	٢٢١، ٢٧٩
إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا	١٩-٢١	٢٥٥
سورة نوح		
فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾	١٠	١١٦
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾	٥-١٠	٩٢
سورة الجن		
إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾	١	١٠
وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا	١١	٢٣٧
لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾	٢٨	٢٣٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة المزمل		
وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾	٤	٤٢، ٥٣
سورة المدثر		
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾	٥	١٢٧
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا	١١-١٤	٩٣
فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾	٢٤	٤٢
كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ	٥٠-٥٢	٨٨
سورة القيامة		
بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾	٤-٦	٨٨
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾	٣٣	١٩٢
سورة الإنسان		
هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾	١	١٠٣
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا	٤	٢٣٧، ٢٨٠
إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا	١٠	١٥٠
عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾	١٨	١٥٣، ٢٧٨
سورة المرسلات		
وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾	٢٧	٢١٥، ٢٨٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة النبأ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ	١-٣	٦٩
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾	٦	٢٨٧
وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾	١٠-١١	٢٨٤
لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾	٢٣	٧٥
لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾	٢٤-٢٥	٢٨٠
إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾	٢٥	٢١٨
جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾	٣٦	٦٩

سورة النازعات

يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾	٦	٢٧١
يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾	٦-٨	٢٨٠
ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا	٢٧-٢٩	٢٨٤
وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾	٢٩	١٦٥
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾	٣٠	١٦٣، ٢٨٧
فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾	٣٤	٧٨، ٨٠، ٢١١، ٢٧٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة عبس

قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧)	١٧	١٠٢
فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣)	٣٣	٢١٢١، ٢٧٠
لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)	٣٧	١٧٦

سورة التكوير

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ	١	٢٧٤
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥)	٥	٢٥٩، ٢٧٦
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١)	١١	١٦٤، ٢٧٤
فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ	١٥-١٨	٢٤٠، ٢٨٣

سورة الانفطار

وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤)	٤	٢٧٥

سورة المطففين

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ	٢٢-٢٨	٢٧٨
وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧)	٢٧	١٥٠

سورة الطارق

فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)	١٧	٢٠٠

سورة الغاشية

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١)	١	١٧٨، ٢٧٠
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦)	٦	١٤٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾	٧-٦	٢٨٠
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ	١٦-٨	٢٧٨
وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ	١٦	١٦٠
سورة الفجر		
كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾	٢١	٢٥٩
سورة الشمس		
وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾	٦	١٦٣، ١٨٧
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾	١١	١٢٧
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا	١٤	١٤٨
سورة الليل		
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾	٢-١	٢٨٤
وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾	٢	١٦٨
فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾	١٤	٢٧٩
سورة الضحى		
وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾	٢-١	١٥٧، ٢٨٣
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾	١٠-٩	٧٠
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾	١١	٢٠٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة الشرح		
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾	١	١٨٣
سورة العلق		
كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾	١٥	١٨٢
نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾	١٦	١٨٣
سورة الزلزلة		
إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾	١	٢٤٤
إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا	١-٤	٢٧٢
وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾	٣	١٠٥
سورة العاديات		
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾	١-	١٢٩
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾	١-٢	١٣٠
أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾	٩-١٠	١٥٦، ٢٧٥
سورة القارعة		
الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ	١-٣	٢١٠، ٢٧٠
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾	٤	١٦٠، ٢٧٥
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ	٥	١٥٨، ٢٧٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة الهمزة		
ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾	٢	٢٥١
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾	٣	٨٣
سورة الماعون		
فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ	٢	١٣٣
سورة الكافرون		
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ	١-٦	٧٦
سورة المسد		
مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾	٢	١٠٨
سورة الإخلاص		
قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ	١-٤	٤٤
سورة الفلق		
وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾	٤	٢٢٢
سورة الناس		
مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾	٤	٢٤٥
ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾	٥	٢٤٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس الأحاديث والآثار

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس الأحاديث والآثار

الرقم	الحديث	رقم الصفحة
١.	أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ يَعْنِي يَبْكِي	١٣٥
٢.	اجتمع قريش يوما فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه....	٤٣
٣.	أن االنبي ﷺ قرأ الآيات الأولى من حم فصلت فلما سمعها عتبة بن ربيعة.	٤٣
٤.	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءَ فِي رَكْعَةٍ واحدة ...	٤٣
٥.	بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ	١٦٩
٦.	رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ قِرَاءَةً لَيِّنَةً يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ	٤٤
٧.	سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ	٤٣
٨.	صلى بنا ابن مسعود المغرب ...فوالله لوددت أنه قرأ سورة البقرة	٤٤
٩.	كَانَ النبي ﷺ يَمُدُّ صَوْتَهُ مَدًّا	٤٤
١٠.	لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ	٤٤
١١.	مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ	٤٣
١٢.	مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ فِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ مَرَّةً لَا تَدْرِي أَيَّهَا تَتْبَعُ	٢٩٢
١٣.	مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ	٤٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المصادر والمراجع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. ابن الأثير ، ضياء الدين نصر بن محمد، *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانه، منشورات دار الرفاعي ، الرياض، ط٢ ، ١٩٨٣ .

٢. الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، *شرح شافية ابن الحاجب*، تحقيق وضبط: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م

٣. إسماعيل، طالب محمد. فيتور، عمران إسماعيل، *قراءة جديدة لنظام التكرار في البناء الصوتي للإعجاز القرآني*، دار زهران للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

٤. ابن أبي أصبع، المصري، عبد العظيم بن عبد الواحج، *تحرير التحبير*، تحقيق ، حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط١ ، ١٣٨٣هـ ص ١٩٤ .

٥. اطفيش، محمد بن يوسف، *تيسير التفسير للقرآن الكريم*، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ١٩٨٩

٦. الألوسي، شهاب الدين محمود، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ضبطه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

٧. أنيس ، إبراهيم ، *من أسرار اللغة*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٨. ________ *موسيقى الشعر*، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ط٦، ١٩٨٨.

٩. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، *إعجاز القرآن*، تحقيق: سيد صقر، دار المعارف،١٩٦٣م،

١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري المسمى (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه*، ترقيم: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم – بيروت ، د.ط، د.ت،

١١. بدوي ، أحمد أحمد، *من بلاغة القرآن* ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة،(د.ط،د.ت).

١٢. البستاني، محمود، *القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي*،مجمع البحوث الإسلامية، إيران،مشهد، ط١، ١٤١٤هـ.

١٣. البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد ، *الفرق بين الحروف الخمسة (الظاء، والضاد، والذال والسين والصاد)* تحقيق، عبد الله الناصير، دار المأمون للتراث، دمشق،ط١، ١٩٨٤م.

١٤. البغدادي، جلال الدين حنفي، *قواعد التجويد والإلقاء الصوتي*، لجنة إحياء التراث الإسلامي،العراق، (د.ط)، ١٩٨٧م

١٥. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، *معالم التنزيل*، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ط٤، ١٩٩٧م

١٦. ________ *تفسير البغوي*، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.

١٧. البقاعي، إبراهيم بن عمر، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، خرج أحاديثه، عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٨. بني دومي، خالد قاسم، *دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم*، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.

١٩. البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت

٢٠. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، *السنن الكبرى*، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٤٤هـ.

٢١. بيومي، محمد رجب، البيان القرآني ، *مجمع البحوث الإسلامية*، الأزهر ، السنة الثالثة، كتاب ٣١ ، ١٩٧١م

٢٢. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ط، د، ت،

٢٣. الثعالبي، أبو منصور، *كتاب فقه اللغة وأسرار العربية*، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط.د.ت.

٢٤. الجاحظ، عمرو بن بحر، *البيان والتبين*، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨م.

٢٥. ___________*الحيوان*، ، تحقيق : عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١.

٢٦. جبل، محمد حسن، أصوات اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢٧. الجرجاني، عبدالقاهر ، *دلائل الإعجاز* ، تعليق، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني- القاهرة، دار المدني- جدة ، ط١٩٩٢،٣م.

٢٨. ابن الجزري، *النشر في القراءات العشر*، قدم له، علي محمد الضباع، خرج آياته، زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

٢٩. جمال، عادل سليمان، *جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر*، جمعها وقرأها وقدم لها، عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٠. ابن جني، أبو الفتح عثمان ،سر صناعة الإعراب، تحقيق ، جماعة من الأساتذة، مطبعة البابي الحلبي، مصر،ط١، ١٩٥٤.

٣١. ___________ ، *الخصائص*، تحقيق : محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت،ط ٢.

٣٢. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، *زاد المسير في علم التفسير*، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ

٣٣. الجيوسي، عبدالله، *التعبير القرآني والدلالة النفسية* ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق، ط ١ ، ٢٠٠٥ م

٣٤. حبلص، محمد يوسف، *أثر الوقف على الدلالة التركيبية*، دار الثقافة العربية القاهرة، ١٩٩٣م

٣٥. حجازي، محمود فهمي، *مدخل إلى علم اللغة*، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٦. ابن حجر ،*لسان الميزان*، تحقيق علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م

٣٧. حسان ، تمّام ، *مناهج البحث في اللغة* ،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،١٩٥٥.

٣٨. الحصري، محمود خليل، *أحكام قراءة القرآن الكريم*، ضبطه محمد طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٥، ٢٠٠١م.

٣٩. أبو حمدان ، سمير، *الإبلاغية في البلاغة العربية* ، منشورات عويدات الدولية بيروت- باريس ، ط١، ١٩٩١م ،

٤٠. أبو حيان، محمد بن يوسف، *البحر المحيط*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م

٤١. الخازن، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، ضبطه: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م،

٤٢. الخالدي، صلاح، *إعجاز القرآن البياني* ، ودلائل مصدره الرّباني، دار عمار، الأردن، ط٢٠٠٤،١م.

٤٣. الخطابي، أبو سليمان حَمدْ بن بن محمد، *بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن)*، تحقيق: محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط٤،

٤٤. الخطيب الشربيني، محمد، *السراج المنير*، خرج أحاديثه، أحمد عزو، الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

٤٥. الخطيب، عبد الكريم، *إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها الإعجاز في مفهوم جديد*، دار المعرفة –بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.

٤٦. ________*التفسير القرآني للقرآن*، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.

٤٧. ________*إعجاز القرآن* ، دار الفكر العربي، القاهرة ط١ ،

٤٨. ابن خلكان، أحمد بن محمد، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت

٤٩. الخنين، ناصر بن عبدالرحمن، *النظم القرآني في آيات الجهاد*، مكتبة التوبة، الرياض. (د.ط،د.ت)

٥٠. الداني أبو عمرو، *المكتفي في الوقف والابتدا*، تحقيق، يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٥١. دراز، محمد عبدالله، *النبأ العظيم*، مطبعة السعادة، القاهرة،

٥٢. الدمياطي، شهاب الدين، أحمد بن محمد، *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر*، تحقيق: انس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٥٣. الذهبي، شمس الدين، *معرفة القراء الكبار*، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ

٥٤. الراجحي، عبده، *فقه اللغة في الكتب العربية*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م، ص٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥٥. الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر، *التفسير الكبير (مفتاح الغيب)*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٦. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل،*معجم مفردات ألفاظ القرآن*، ضبطه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م

٥٧. الراغب، عبد السلام، *وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم*، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

٥٨. الرافعي، مصطفى صادق، *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٩٠م.

٥٩. رضا، محمد رشيد، *تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ(المنار)*، دار الفكر، بيروت، ط٢، د. ت.

٦٠. الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، *ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة ، ط٤،

٦١. الزرقاني، عبد العظيم، مناهل العرفان، في علوم القرآن خرج آياته، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م،

٦٢. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، (٢/ ١١٤)

٦٣. الزركلي، خير الدين، الأعلام، *قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)*، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.

٦٤. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، *أساس البلاغة،قدم له*، وعلق عليه: محمد أحمد القاسم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٣.

٦٥. ________*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل*، في وجوه التأويل ، ضبطه محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٦٦. ابن زنجلة، عبدالرحمن بن محمد، *حجة القراءات*، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م

٦٧. الزيات ، أحمد حسن ، *دفاع عن البلاغة* ، عالم الكتب، د.ط، د.ت، ص٩٧.

٦٨. زيد ، أحمد، *التناسب البياني في القرآن* ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٩٢م ،

٦٩. الزبيدي، كاصد ياسر، *فقه اللغة العربية*، دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان، ط١، ٢٠٠٤م.

٧٠. سطام، قاطع جار الله، *دلالة الفريد من ألفاظ القرآن*، (ضيزى).

٧١. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر ، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

٧٢. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، *إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم*، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، د.ت

٧٣. سلام، محمد زغلول، *أثر القرآن في تطور النقد العربي*، دار المعارف، ط٣، ص٢٤٠.

٧٤. السلامي، عمر، *الإعجاز الفني في القرآن*، نشر مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، تونس، ١٩٨٠م

٧٥. سلطان، منير، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، الإسكندرية،ط٢، ١٩٩٣م،

٧٦. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، *بحر العلوم(تفسير السمرقندي)*، تحقيق:محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

٧٧. ________، *بحر العلوم*، تحقيق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٧٨. السمين الحلبي، *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٤م.

٧٩. ابن سنان، الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن محمد، *سر الفصاحة*، دار الكتب العليمة، بيروت،١٩٨٢م،

٨٠. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، *الكتاب*، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، د.ت.

٨١. ________*الكتاب*، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار العلم، ١٩٦٦

٨٢. سيد، عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب.

٨٣. ابن سيده، أبو الحسن، *المحكم والمحيط الأعظم*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٨٤. السيوطي، جلال الدين، *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: محمود القيسة، محمد الأتاسي، مؤسسة النداء، أبوظبي، ط١، ٢٠٠٣م

٨٥. ________*لباب النقول*، دار إحياء العلوم، بيروت، د.ط، د.ت.

٨٦. ________*المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، شرح وتعليق: علي البجاوي وآخرون، المكتبة العصرية -بيروت، ط١٩٨٦م.

٨٧. بنت الشاطيء، عائشة عبد الرحمن، *الإعجاز البياني في القرآن*، ومسائل نافع ابن الأزرق، دار المعارف، مصر،١٩٧١.

٨٨. ________*التفسير البياني للقرآن الكريم*، دار المعارف،مصر، ط٨، .

٨٩. شاهين، عبد الصبور، *حديث عن القرآن*، دار أخبار اليوم، كتاب اليوم، عدد ديسمبر/ ٢٠٠٠م،

٩٠. شكري، أحمد، وزملاؤه، *المنير في أحكام التجويد*، المطابع المركزية، عمان، ط٤، ٢٠٠٣م.

٩١. شملول، محمد، *تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان*،ط٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٩٢. الشوكاني، محمد بن علي، *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، دار الخير، ط١، ١٩٩١م.
٩٣. الشيخ أمين ، بكري ، *التعبير الفني في القرآن الكريم*، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ ، ص١٩٠.
٩٤. الشيخ، عبدالواحد حسن ، *التنافر الصوتي والظواهر السياقية*، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفني، ط١، ١٩٩٩م ،
٩٥. الشيرازي، ناصر مكارم، *الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل*، دار لأميرة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،ط١، ٢٠٠٥م، (١٨/ ٣٣٥).
٩٦. صالح، أمل إسماعيل، *دلالات التعبير القرآني ودروها في التحليل النفسي لشخصية المنافق*، رسالة دكتوراة في التفسير(غير منشورة)، إشراف: أ.د. فضل حسن عباس، جامعة اليرموك، ٢٠٠٧م.
٩٧. الصالح، صبحي، *دراسات في فقه اللغة*، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٧٨م.
٩٨. ________*مباحث في علوم القرآن*، دار العلم للملايين، بيروت، ١١، ١٩٧٩م.
٩٩. الصغير، محمد حسين علي، *الصوت اللغوي في القرآن*، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٠٠. ________*الصورة الفنية في المثل القرآني*، دراسة نقدية وبلاغية، دار الهادي، بيروت.
١٠١. ________*مجاز القرآن*، خصائصه الفنية وبلاغته العربية،
١٠٢. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، *مجمع البيان في تفسير القرآن*، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
١٠٣. الطبري، محمد بن جرير، *جامع البيان في تأويل آي القرآن*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠.
١٠٤. طنطاوي، محمد سيد، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، دار النهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨
١٠٥. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، *التبيان في تفسير القرآن*، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي.(د.ط.د.ت)
١٠٦. ظبيان، نشأة محمد رضا، *علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات*، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٧، ص ٥٦.
١٠٧. ابن عادل الحنبلي، *اللباب في علوم الكتاب*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
١٠٨. ابن عاشور، محمد الطاهر، *التحرير والتنوير*، دار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤
١٠٩. عباس، فضل حسن، *إعجاز القرآن الكريم*، عمان (د.ن)، ١٩٩١م،
١١٠. عبد التواب، رمضان، *بحوث ومقالات في اللغة*، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١١١. عبدالتواب، صلاح الدين محمد، *الصورة الأدبية في القرآن الكريم*، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م،.

١١٢. عتر ، نور الدين، *القرآن والدراسات الأدبية*، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٨٩م،

١١٣. عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، تحقيق: عمر الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥،

١١٤. ابن العربي، أبو بكر محمد ابن أحمد، *أحكام القرآن*، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة، لبنان، د.ط.د.ت

١١٥. العزّاوي،سمير،*التنغيم اللغوي في القرآن الكريم*،رسالة ماجستير في اللغة العربية، إشراف الدكتور: سعيد الزبيدي، جامعة آل البيت، الأردن،١٩٩٩.

١١٦. ابن عطية الأندلسي، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

١١٧. العقاد، عباس محمود، *أشتات مجتمعات في اللغة والأدب*، دار المعارف، مصر، ط٣.

١١٨. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمذاني، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.

١١٩. علي، أسعد، *تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي*، دار النعمان، لبنان، ط١، ١٩٦٨م،

١٢٠. الغزالي، محمد، *نظرات في القرآن*، مطبعة حسان، القاهرة، ط٥.

١٢١. الغلاييني،مصطفى، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت،ط٣٠، ١٩٩٥م.

١٢٢. ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت،ط١، ١٩٩١م.

١٢٣. الفراء، يحيى بن زياد، *معاني القرآن*، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م،

١٢٤. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، *العين*،تحقيق: مهدي المخزومي،وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،د.ط، د.ت

١٢٥. الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن المستفاض، *صفة المنافق وذم المنافقين*، تحقيق: محمد القاضي، وعيد عبد المجيد، دار الحديث، د.ت،

١٢٦. الفيروزآبادي، مجد الدين، *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ن،

١٢٧. القاضي عياض، *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*، تحقيق: مجموعة من العلماء، مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن، دمشق، (١/ ٥٢٩-٥٣٠).

١٢٨. القضاة، محمد عصام، *الواضح في أحكام التجويد*، دار النفائس، الأردن، ط٣، ١٩٩٨.

١٢٩. قطب ، سيد ، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق ، بيروت، ط٩،

١٣٠. ________ *في ظلال القرآن*، دار الشروق، القاهرة، ط ٢٥، ١٩٩٦م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٣١. ________ *مشاهد القيامة في القرآن الكريم*، دار الشروق، القاهرة، ط١٦، ٢٠٠٦م
١٣٢. ________ *النقد الأدبي أصوله ومناهجه*، دار الشروق.
١٣٣. القمي النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، (١/ ٢٨٤)
١٣٤. قنيبي، محمد حامد، المشاهد في القرآن الكريم، *دراسة تحليلية وصفية*،مكتبة المنار، الأردن،ط١، ١٩٨٤م.
١٣٥. ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، *بدائع الفوائد*، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
١٣٦. ________ *التفسير القيم، جمعه، محمد* أويس الندوي، وحققه: محمد حامد الفقي، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
١٣٧. ________ *الفوائد*، تحقيق: محمد عثمان الخشب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ
١٣٨. ________ *الفوائد المشوق إلى علوم القرآن*، إشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال، بيروت، د.ط، د.ت،
١٣٩. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *تفسير القرآن العظيم*، دار الفيحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، ط١، ١٩٩٤م
١٤٠. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، *الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م
١٤١. الكواز، محمد كريم، *الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم* ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط ١ ، ١٤٢٦هـ .
١٤٢. لاشين، عبد الفتاح، *لغة المنافقين في القرآن*، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
١٤٣. ________ *من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن)* ، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٩٨٣م.
١٤٤. ________ *من أسرار التعبير في القرآن(صفاء الكلمة)*، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٣م.
١٤٥. لبيب السعيد ،*التغني بالقرآن (بحث فقهي تاريخي)* ، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.
١٤٦. أبو ليلة، محمد محمد، *القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية*، دار النشر للجامعات، مصر، ط١، ٢٠٠٢،
١٤٧. ابن ماجه، *سنن ابن ماجة*، دار إحياء الكتاب العربية، ١٩٨٧م،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٤٨. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، *النكت والعيون (تفسير الماوردي)*، راجعه، السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
١٤٩. المبارك ، محمد، *دراسة أدبية لنصوص من القرآن*، دار الفكر، ط٤، ١٩٧٣م.
١٥٠. ________*فقه اللغة وخصائص العربية* ، دار الفكر، دمشق، ط٧، ١٩٨١م.
١٥١. مجاهد، عبد الكريم، *الدلالة اللغوية عند العرب*، دار الضياء، عمان، ١٩٨٥م،
١٥٢. المرصفي، عبد الفتاح، *هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري*، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة،ط١، ٢٠٠١م.
١٥٣. المطعني، عبد العظيم، *خصائص التعبير القرآني* ، وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، ط ١، ١٩٩٢.
١٥٤. ________*دراسات جديدة في إعجاز القرآن*، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.

١٥٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، دار صادر ، بيروت، ط١.
١٥٦. أبو موسى، محمد محمد، *البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية*، مكتبة وهبة، مصر، ط٢، ١٩٨٨م.
١٥٧. ________*خصائص التراكيب*، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبه، القاهره، ط م،
١٥٨. ________*من أسرار التعبير القرآني (دراسة تحليلية لسورة الأحزاب)* مكتبة وهبه، مصر، ط٢، ١٩٩٦م.
١٥٩. الميداني، عبد الرحمن حبنكه، *البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها*، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م
١٦٠. النحاس،أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن ، تحقيق: زهير زاهد ،عالم الكتب ، بيروت، ط٣ ، ١٩٨٨ ٢/ ١٤٢.
١٦١. نحلة، محمود أحمد، *دراسات قرآنية في جزء عم*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م،
١٦٢. النسائي، أحمد بن شعيب، *سنن النسائي*، دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٦،
١٦٣. النسفي،أبو البركات عبد الله بن أحمد،*مدارك التنزيل وحقائق التأويل*،تحقيق:يوسف علي بديوي،دار ابن كثير، بيروت، ط١٩٩٨،١م.
١٦٤. ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف الأنصاري، *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م.
١٦٥. هنداوي، عبد الحميد، *الإعجاز الصرفي في القرآن* ، المكتبة العصرية – بيروت، ط١ ، ٢٠٠١م .
١٦٦. ________*الإعجاز الصوتي في القرآن*، الدار الثقافية للنشر، ط١، ٢٠٠٤م،
١٦٧. ياسوف، أحمد، *جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير*، دار المكتبي ، دمشق ، ط١ ١٩٩٤م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدوريات

١٦٨. جوارنة، يوسف عبد الله، *التنغيم ودلالته في العربية، مجلة الموقف الأدبي*، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٣٦٩، ٢٠٠٢م، www.awu-dam.org/mokifadaby/ind-mokf٣٦٩.Htm

١٦٩. الحصيني، عبد القوي محمد، *هندسة البناء القرآني*، بحث مقدم إلى مؤتمر (إعجاز القرآن الكريم)، في كلية الشريعة، جامعة الزرقاء الأهلية، الأردن، ٢٢-٢٥/ آب/ ٢٠٠٥م.

١٧٠. أبو عائشة، *الأسباب الصوتية لاختيار المفردة القرآنية*، ص٢، بحث منشور على شبكة الإنترنت في الموقع التالي:www.tafsir.net /ub/showthread.php

١٧١. عباس، فضل ، بيان إعجاز القرآن للخطابي، تحليل ومقارنة ونقد، *مجلة دراسات الجامعة الأردنية*، ١٩٨٧م، سنة ٤، ع ١٠.

١٧٢. عرار، مهدي، انفتاح الدلالة في النص القرآني، *مجلة إسلامية المعرفة*، ع ٢٧، ٢٠٠١م،

١٧٣. الغريب، أحمد أبو اليزيد، التنغيم في إطار النظام النحوي، *مجلة جامعة أم القرى*، ع١٤، ١٩٩٦م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Al-Hawari Mohamad Reda Hasan. (2008). Inimitability In The Harmony between Voice and Meaning in Quranic Vocabulary. PH.D. tafseer ,Yarmouk University. (Supervisor: Prof: Muhamd Ibrahim Al-Shafi'. Prof: Sameer Shareef Estatih)

This study aimed to show the coherence of sound and meaning in Qura'n single individual word and this coherence is a manifestation of miracle Quran.

And this study came on in introductory, two sections and conclusion:

The introductory section, dealt with the definition of the single word, and its importance in manifestation miracle, presented the testimony of old and modern scientists to show its place, than talked about its characteristics of single word Quran anc concluded the section talking about the impact of single word of Quran in the audio field.

The first section which has talked about the importance of Quran performance, and its effect on the uman psyche, and then presented to the impact of AHKAM ALTAJWEED in its multiple types of acoustical consistency with meaning ,and then talk about dedication ,beginning and tone and their impact in achieving the audio beauty in the AL-QURAN ,In addition ,to show (statement) it's impact to the various signs of the holy Quran .

The second section , he out lined to study concerned to highlighting niceties of miracle in the coherence between sound and meaning in it .the study tackled nearly about120 words which have this characteristic .

Then specified a chapter to show the audio coherence with the meaning in Quranic verse . concluded this section by talking about recruiting the quran for this feature in word , topics and quranic purposes , as though talking about resurrection scenes , scenes of the universe and the characteristic of hypocrites

The conclusion. it concluded on the most important findings of the study

Thanks Allah the lord of the worlds

© Arabic Digital Library-Yarmouk University